Digitized by Birzeit University Library

52429
PJ 7824 .A85 A17 1904 REK

ديوان

العالم العلاّمة الشاعر المشهور
الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني
رحمهُ الله تعالى

كلية بيرزيت
٦٢٨
BIRZEIT COLLEGE

النبذة الاولى

طُبعت بنفقة الفقير اليهِ تعالى ميخائيل ابرهيم رحمة
مصححةً بقلم العلاّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي

حق الطبع محفوظ

المطبعة الشرقية . الحدث «لبنان» سنة ١٩٠٤

Digitized by Birzeit University Library

ترجمة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي
طيّب الله ثراهُ

بقلم حضرة سبطهِ الاديب امين افندي الحدّاد احد منشئي جريدة البصير بالاسكندرية كتبها بمؤازرة حضرة خالهِ العلاّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضيآء المشهورة قال

هو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبنانيّ المولد الحمصيّ الاصل هاجر جدُّهُ سعد المذكور من حمص مع جماعةٍ من ذويهِ نحو سنة ١٦٩٠ لحيفٍ وقع عليهم في تلك الديار فتوطن اناسٌ منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغربيه وآخرون في وادي التيم من اعمال دمشق وتفرق بعضهم في مواضع اخرى ولا تزال بقية اسرتهم في حمص ونواحيها وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار

وكان مولدهُ رحمهُ الله في قرية كفرشيما من قُرَى الساحل المذكور في ٢٥ اذار سنة ١٨٠٠ وتلقى مبادئ القرآءة على راهبٍ من بيت شباب يُقال لهُ القسّ متّى . وكان والدهُ من الاطبآء المشهورين في وقتهِ على مذهب ابن سينآء وكان مع ذلك ادبياً شاعراً الا انهُ كان قلما يتعاطى النظم لقلة الدواعي اليهِ اذ ذاك ومن شعرهِ ابياتٌ قرّظ بها ديوان الخوري حنانيا المنيّر احد شعرآء ذلك العصر لم يُحفظ

منها الا بيتان رواهما سيدي الخال وهما قولهُ

عش بالهنا والخير والرضوانِ يا من عنيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ نظماً فريداً ما لهُ من ثانِ

فنشأ ولدهُ على الميل الى الادب والشعر واقبل على الدرس والمطالعة بنفسهِ وتصفح ما تصل اليهِ يدهُ من كتب النحو واللغة ودواوين الشعراء ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمرهِ . غيرانهُ لما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورة لقلة المطبوع منها اذ لم يكن في البلاد السورية ولا المصرية الا مطابع نادرة قلما كانت تشتغل بطبع الكتب العلمية كان جلّ معتمدهِ على كتبٍ يستعيرها من بعض الاديار والمكاتب القديمة فمنها ما يقرأها مرة فيحفظ زبدتها ومنها ما ينسخها بخطهِ ولا يزال كثيرٌ من تلك الكتب باقياً الى اليوم محفوظاً عند اسرتهِ وهي جميلة الخط على القاعدة الفارسية وبعضها يبلغ عدة مئات من الصفحات

وقد بلغ من كل علمٍ لُبابهُ ودرس اشهر مصنفاتهِ وله في جميعها تآليف مشهورة بين مختصرٍ ومطوَّل هي اليوم عمدة التدريس في اكثر المدارس السورية وبعض المدارس المصرية لما هي عليه من الوضوح وحسن الترتيب اشهرها في الصرف والنحو فصل الخطاب وهو من افضل المتون في هذين العلمين وعليهِ شرح بقلمهِ ثم الخزانة و.ف الفرا وهما ارجوزتان مطوَّلتان مشروحتان بقلمهِ ايضاً وفي

Digitized by Birzeit University Library

البيان كتاب عقد الجمان وهو مثل فصل الخطاب في النحو والطراز المُعلَم وهو ارجوزة مختصرة مشروحة بقلمهِ ايضاً وفي العروض والقافية نقطة الدائرة الحقها بكتاب عقد الجمان والجامعة وهي ارجوزة مطوّلة مشروحة بقلم ولدهِ المرحوم الشيخ حبيب . وله عدا ذلك عدة رسائل في الصرف والنحو بعضها اخصر من بعض ورسالة في المنطق وارجوزة مختصرة في الطب القديم سماها بالحجر الكريم وهذه لم تُطبَع . وكان قد شرع في وضع شرحٍ لديوان المتنبي لم يستوفهِ وكان يعلّق عليهِ الحين بعد الحين ما يعنّ له من تفسير بعض الابيات الغامضة فاتمّهُ بعدهُ سيدي الخال المشار اليهِ وسمّاهُ العَرْف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب واضاف اليه ما يُروَى للمتنبي من الشعر الذي لم يثبتهُ في ديوانهِ وذيّلهُ بنقدٍ مطوّل على شعر المتنبي وكلام شرّاحهِ . واشهر تآليفهِ واعظمها مقاماتهُ المعروفة بمجمع البحرين وهي ستون مقامة ضمّنها من بلاغة الانشآء والفوائد اللغوية والعلمية وتواريخ العرب وامثالها ما دلّ على غزارة محفوظهِ وقوة عارضتهِ في النظم والنثر واودعها من الفنون البديعية في بعض منظوماتهِ كجناس ما لا يستحيل بالانعكاس والجناسات الخطّية وغيرها ما لا يُضطلَع به الا عن مقدرةٍ فائقة

ولهُ ثلاثة دواوين شعرية تُعَدّ من عيون الشعر كثيرٌ منها محفوظ على الالسنة ولا سيما الابيات الحكمية منها وفي هي شعرهِ اكثر من ان تُحصَى . وذلك خلا ما نظمهُ في عهد الصبا مما لم يثبتهُ في

دواوينهِ المطبوعة وهو شيءٌ كثير لو جُمع باسرهِ لزاد على المشهور منهُ وانا ذاكرٌ بعضهُ في هذا الموضع بياناً لما كان عليهِ في اوائل عهدهِ بالنظم فمن ذلك قولهُ يتغزل

من غُنج عينيكِ ام من لطف معناكِ
ايدي الهوى اوقعت قلبي بأشراكِ

يا ظبيةً في النقا ترعى الخزامَ بهِ
لم تعلمي أنَّ عين الصبّ ترعاكِ

روحي فداكِ لقد اضنى هواكِ فتى
ما كان يدري الهوى والله لولاكِ

وردٌ بخدَّيكِ ام هذا خضاب دمي
فقد اراقت دمي بالسحر عيناكِ

هل تعلمين بشوقٍ في ضمائرنا
لا تطفي نارهُ الاَّ ببرآكِ

هانت علينا المنايا في هواكِ وما
احلى عذاب الهوى ان كان ارضاكِ

لولاكِ ما عرفت اجفاننا سهرًا
فما عرفنا الهوى حتى عرفناكِ

انيَ لقد غرت من ذكرٍ عليكِ جرى
ومن لحاظ رسولي حين يلقاكِ

Digitized by Birzeit University Library

فقلت يا ليتني كنت الرسولَ ويا
ليت الرسولَ انا والكل مضناكِ
يا نسمةً في الحمى مرّت بها سحرًا
طوباكِ يا ليتني اياكِ طوباكِ
هل تحملين اليها من صبابتنا
كما حملتِ الينا عند مسراكِ
حكيتِ رقة عِطفَيها ونفحتها
ولا نسلّمُ أنّ الفضل للحاكي

وقولُهُ

اتظنُّ هذا الخال فوق المبسمِ ... الا عُبَيدًا حارسًا دُرَّ الفمِ
وتظنُّ هذا الدُرَّ دُرًّا حولهُ ... ماءٌ كماء البحر مثل العلقمِ
لا والذي خلق المياه فما بهِ ... الا رُضابٌ كوثريُّ المَطعَمِ
وأُجِلُّهُ عن ان اقول بانهُ ... شهدٌ جنتهُ النحل لا يُروي الظَمي
نَقَل الروايةَ طيبُ منطقهِ وما ... ذُقنا وكان الوِردُ ابرد مغنمِ
أَلوَى عليَّ فضمّني وضممتهُ ... وصدورنا بصدورنا لم تعلمِ
أَهوِي عليهِ وفيَّ عفة يوسفٍ ... حتى يميلَ وفيهِ عفة مريمِ
فيروح بين صبابتي وحنينهِ ... واروح بين حديثهِ وتبسّمي
خضنا مليًّا في الحديث كما جرى ... وكاننا للشوق لم نتكلمِ
حتى رجعتُ كما رجعتُ واخمصي ... متأخرٌ في نيّة المتقدمِ

Digitized by Birzeit University Library

يا ليلةً سمح الزمان ببعضها ... بعض السماح وليتهُ لم يندمِ
قد كنت ارجو مثلها فبلغتهُ ... والحادثات تقول طرْفَكَ فاسلمِ
حتى دخلتُ الدار ساعة غفلةٍ ... وعرفتُ ربع الدار بعد توهمِ
فكأنَّ كل الدهر مدة لحظةٍ ... وكأَن كل الارض دارة درهمِ
ولقد جلستُ الى الفتاة مسامرًا ... ووشاتنا من غافلين ونُوَّمِ
ولطالما جلست الينا قبلها ... طيفاً وكان الطيف غير مسلمِ
حوراء تضرب بالسيوف جفونها ... ولحاظها ترمي القلوب بأسهمِ
قطرت دمًا من فوق وجنتها فما ... كذبت علينا انهُ لون الدمِ
غاصت بلجَّة نومها وتنبهت ... والسحر في العينين غير مهوّمِ
فكأَنَّ بحر النوم بحرٌ احمرٌ ... حتى اتت وخدودها كالعندمِ
عينُ الغزالة عينها وجبينها ... لا ذاتها من رقةٍ وتبسمِ
ولطالما نفر الغزال وما درت ... كيف النفار وعرضها لم يُكلَمِ
عاتبتها فاستضحكت وعتابها ... جهلٌ وكيف عتاب من لم يأثمِ
ما كنت اختار العتاب وانما ... قد كان ذلك حيلة المتكلمِ
حتى رنت وكأنَّ هُدب جفونها ... وسواد قلبي قطعةٌ لم تُقسمِ
بالله يا ريح الصبا قبل الضحى ... ان جئتِ هاتيك الديار فسلّمي
قسماً بها الا وقعتِ بصدرها ... بين النهود ولا اقول لكِ الثمي
وغمزتِ معطفها وقلتِ لهُ ترى ... كم فيك غمزة حسرةٍ من مغرَمِ
هيهات اسلوها وقد ختمت على ... قلبي بخاتم ثغرها المتبسمِ

Digitized by Birzeit University Library

لو لم يكن للشوق من سببٍ كفى ذاك الوداع ومدّ ذاك المعصمِ
ان كان قتل النفس غير محلّل قولوا لها فالوصل غير محرّمِ

ومن ذلك قولهُ يمدح الامير بشيرًا الشهابيّ بعد الحروب التي حدثت سنة ١٢٤٠

يهنيك يهنيك هذا النصر والظفرُ فأنعَم اذن انت بل فلتنعم البشرُ
ولم يَغِبْ عنك تأييدٌ خُلِقتَ لهُ لكنهُ البحر بين المَدّ ينجزرُ
مادت لهيبتك الدنيا فلو رُفِعت اطواد حلمك منها دكّها الخطرُ
واستهول الدهر بأسًا كان يعرفهُ من قبلُ منك ولكن فاتهُ القدرُ
اريتَهُ الناسَ في الدنيا وساحتها فكرًا تمرُّ بهِ الاشباح والصورُ
كلّ البلاد اذا لم تستقرّ بها رسوم دارٍ عفتها الريح والمطرُ
آلت عليك المعالي لا تفارقها قبل القضا وعلى وجه الفضا نفرُ
وأقسَم السعد لا يلقاك راجلهُ الا وفي رأسهِ من مشيهِ اثرُ
وما أخذتَ بسيف الدهر مغتنماً لكنّ ربك في هذا لهُ وطرُ
متى اتّقى المرءُ مولاهُ على حذرٍ لا بأس ان فاتهُ من غيرهِ الحذرُ
وما اعتصمتَ بحبل الله مكتفياً الا وعندك في اسرارهِ نظرُ
لا صُنتَ وجهك عن وقع الحراب فقد علّمتها تحت ذيل الريح تنكسرُ
عليك دِرعٌ من الديباج واقيةٌ وكفُّك السيف لا تُبقي ولا تذَرُ
متى رأيتُكَ بعد الناس مختبرًا علمتُ انك خُبْرٌ والورَى خبَرُ
تبارك الله من انشاك في جسدٍ خلّى التراب على الياقوت يفتخرُ

Digitized by Birzeit University Library

لله عزّة بيت الدين فيك فقد امسى على فلكِ الشِعرَى له خطرُ
غارت نجوم الثريّا من جلامدهِ وظلّ يحسدُ هادي ليلهِ السحر
هو المقام مقام الحقّ هيبتهُ مبنيّةٌ حيث لم يُعرَف لهُ حجرُ
يستكبر القومُ من تيهٍ بانفسهم حتى اذا قابلوا ابوابهُ صَغُروا
كذا والا فلالا من اراد علىً لا يُحمَد الوِرد حتى يُحمَدَ الصَدَرُ
بلغتَها واتقيت الله فهيَ اذن كالعين يُجمَعُ فيها النوم والسهرُ
يدعو بك الشعرَ منشيهِ فيُبلِغهُ ما دونهُ في سواك العِيُّ والحَصَرُ
عيبٌ عليَّ اذا انشدتُ قافيةً في شعرهم وبشعري غيرُ ما ذكروا
لا يحسن الشعر الا فيك مُبتكَرًا فانت بين عباد الله مُبتكَرُ

وله يصف احوال الدهر وبنيهِ

أَمِنْ لُغَةِ الايام ما لا يُترجَمُ ام المرء فيها جاهلٌ ليس يعلمُ
مشاكلُ اعيا حلها كلَّ طالبٍ فكلٌّ فصيحٍ عند ذلك اعجمُ
محجّبةٌ تحت الرموز بيانُها انا فتنة الالباب والله اعلمُ
لعمرك ما الايام الا مفازةٌ يضلُّ بها الخرّيتُ والصبح يبسمُ
نريد بها نجداً فنأتي تِهامةً وآخرُ يأتي نجد من حيث يتّهِمُ
اذا اقبلت عيناك تُعجِم عودها فاغربُ وجهٍ عنك ما تتوسمُ
لقد طعنت في سنها فاظنها على خرفٍ قبل التصوُّر تحكمُ
وأَغرَبُ منها الناقدون فطالما تأخَّر دينارٌ واقبلَ درهمُ
الا ايت شعري هل نصادف كاشفاً فنعلمَ ايُّ الصاحبين يقدَّمُ

*

Digitized by Birzeit University Library

يعزّ على عيني رؤية ناقصٍ ... تفاضلَ مجهولاً فراح يعظَّمُ
على ان هضم الحق اهون محملاً ... على الحق من اخفائهِ حين يكتمُ
غشاءٌ على عين الهدى من ضلالةٍ ... وسترٌ على وجه الضلال مخيمُ
بنفسي من الدنيا هوًى غير انني ... كرهت البقا فيها وفيها جهنمُ
تداولتُ حاليها فهانا كلاهما ... فلست ابالي ما يصحُّ ويسقمُ
عفت اثرَ الحلم الليالي فلم تدع ... سوى الجهل في ابنائهِ يتقسمُ
حذارِ انتحال العلم والزهد بينهم ... فذانك عيبٌ عندهم يتجسمُ
وكن جامعاً مالاً ولو لم تجدْ بهِ ... وكن كيفما تهوى فانت المقدَّمُ
قد استخدم الاموالَ للناس ربهم ... وهم يحسبون الناس للمال تخدمُ
وانشأهم طيناً فلانوا عريكةً ... الى زمنٍ فاستحجروا وتصمموا
وقد سقطت عين الجواهر عندهم ... فما زالت الاعراض تبني وتهدمُ
ويا ربما عِيبَ امرؤٌ بنقائصٍ ... اذا هو أثرَى فهي فضلٌ مسلَّمُ
فلو قام فيهم وهو صاحب نعمةٍ ... ابو لهبٍ صلَّوا عليهِ وسلموا
ولولا ائتلاف النطق عند حديثهم ... بوجهك يا دينار آلَوْا واقسموا
يسرُّك منهم واحدٌ فتعدُّهُ ... وتحسب منهم من اساءَ فتسأمُ
واكثر ما يرجو الصديق صديقهُ ... غداة الرزايا أنهُ منهُ يسلمُ
نَكِرتُ عليهم صحبةً ويل امّها ... يشطُّ بها قلبٌ ويدنو بها فمُ
واحجمت مقصوراً على عهد أُسرتي ... فوفَّت ولكن خاننا اللحم والدمُ
وليس اخي من كان أُمّيَ أُمَّهُ ... ولكنهُ من في مصابيَ يقدمُ

وليس ابنَ عمي من اتى من عشيرتي ... ولكنهُ من استغيث فيرحمُ
عرفت بني الدنيا واحوالها فلم ... اكن اجهل الدنيا ولم اكُ اعلمُ
يذوب فؤاد الليث من جوعهِ بها ... ويُغشى على كلب الحمى وهو ينهمُ
وكم فاتنا ما قد طلبنا بحزمنا ... وادركهُ بالخُرق من ليس يحزُمُ
يحدّدُ بعضٌ طرفهُ ولسانهُ ... وهمتهُ هيهات والرزق اسهمُ
واتعبُ خلق الله طالب حاجةٍ ... فلا ينثني عنها ولا هي تُغنمُ
ومن عجب الدنيا تجود ولا رضى ... بذاك ويُؤتَى ذمُّها وهي تُنعَمُ
يعيش الفتى فيها ثمانين حجةً ... خميصاً ويرجو انها سوف تُطعِمُ
ويعلم ان الموت حبك نطاقهِ ... ويجهد فيها لاهياً يتبسمُ
فلا خير في دنياك وهي بسيطةٌ ... يقلّبها فوق الانامل درهمُ
ولا خير في هذي الحياة وكلها ... همومٌ فان الموت اهنا وانعمُ
يكلفني هذا الزمان ركوبهُ ... وكيف جموحٌ يُمتطَى ليس يُلجمُ
وهل بعدُ لي في صهوة الدهر مركبٌ ... وقبليَ بعض الركب للبعض يزحمُ
تأخرتُ حتى اعجف الدهرَ شيبهُ ... فلم يبقَ لي الا جلودٌ واعظمُ
وقصّر من عجزٍ فكل مذبذبٍ ... قصير الخُطَى في سلكهِ يتنظمُ
يهيّجني فعل الليالي باهلها ... فيا ويح نفسي كيف لا تتألمُ
ارى كل رعديدٍ يجرُّ قناتهُ ... ففيَّ لها لا في اعاديهِ لهذمُ
ابت ان ترى نفسي الخضوع لناقصٍ ... ولو انها في جنب ذلك تُعدَمُ
وآنفُ من ردّ السلام لشامخٍ ... والقى وضيعاً تارةً فاسلمُ

Digitized by Birzeit University Library

يقلّ ابتسامي للحبيب والتقي ... عدوّي بشرٍ فيّ حبّهِ يُوهمُ
ويا طالما خاطبتــهُ ببشاشةٍ ... وفي القلب اشياءٌ تهيج فتُضرَمُ
ولست بثرثار اللسان جموحهِ ... يعزُّ عليــهِ فعلهُ فيهذرمُ
اذا انا لم افعل سكتُّ شهامةً ... وافعلُ احياناً ولا اتكلمُ
واني لذو صبرٍ على الضرّ كلما ... تمادى ويحلو الصبر لي وهو علقمُ
فاصبر حتى يضجر الصبر شاكياً ... ثباتي ولا اشكو ولا اتظلمُ
واني اذا قيل الكلام لقائلٌ ... وتسبق اقلامي يدي حين ترقمُ
واركب من نظم القريض جموحهُ ... فلانَ وجلّى سابقاً حين انظمُ
وما وطري في الشعر الا تعلةٌ ... فقد صار زَيْفاً في الورى لا يقوَّمُ
يردّ عن الابصار صفحة وجههِ ... مخافة ان تلقاهُ كفٌّ فيُلطَمُ
ويُعرِض عن قوم فيقتنصونهُ ... فيبكي ومبكيهِ الذي يترنمُ
وما راعني الا تمدُّح بعضهم ... الم يخبروهُ انــهُ يتذمَّمُ
وما اكثر الاقوال بين الورى وما ... اقلَّ انطباق القول والفعل منهمُ
ولو كان قول المرء يكفيهِ لم تجد ... حقيراً فكلٌّ باللسان عرمرمُ
ابٌ واحدٌ للناس لكن وجوههم ... ضروبٌ وفي شمل الطباع تقسُّمُ
يحبُّ اموراً بعضهم فتلذُّهُ ... وتُكرَه عند الآخرين فتؤلمُ
وما كلُّ مكروهٍ لديهم بمُنكَرٍ ... ولا كلُّ محبوبٍ اليهم مسلَّمُ
ولكن خلاف الوضع في الطبع بينهم ... خلافٌ بهِ وجه المذاق ملثَّمُ
فبعضٌ باخلاق الرجال مولَّعٌ ... وبعضٌ باخلاق النساء متيَّمُ

Digitized by Birzeit University Library

ويا ربما عاف الفتى الورد طاعناً عليهِ وامسى وهو بالورس مغرمُ
ويا ربَّ ملاقٍ من الخبث ناعمٍ يلين لهُ جنبٌ كما لان ارقمُ
متى رقَّ اخلاقاً لديك ومنطقاً فللسيف جرحٌ كلما رقَّ اعظمُ
يغرُّك بعض الناس عند لقائهِ فتجهل ان السمن فيهِ تورُّمُ
وما كلُّ وقتٍ تصدق العينُ ربَّها فاكثر ما تحكي العيون توسُّمُ
وكم مرةٍ سرَّ الفتى بظنونهِ فلما تجلت سيِّءٌ والظن يرجمُ
يعفُّون عن نُكرٍ وما هو يوسفٌ اذا فرصةٌ عنَّت ولا هي مريمُ
اذا دخلت تحت الحجاب وصيفةٌ فما لم يكن تحت الحجاب محرَّمُ
اليك ابنَ أُمّي عن وفائك بينهم وكن انت معوجًّا فانت المقوَّمُ
اذا شئت تجري فالخلاعة مسلكٌ وان شئت ترقى فالدراهم سلَّمُ

وله ايضاً في الامير بشير الشهابي يعرّض باغراض

كن اميناً من شرّ كيد الحسودِ اذ حباك الاله بالتأييدِ
كيف ترقى الى النجوم سهامٌ او ينال الهلالَ ضربُ عمودِ
انت في عصمةٍ بربك منصو رٌ ولو خاصمتك كلُّ العبيدِ
قمتَ فرداً فلم ينل منك شيئاً كثرة الجيش وازدحام البنودِ
لو حصبتَ الكميَّ منك بدينا رٍ لمات الكميُّ تحت الحديدِ
او مضت انجم الدجى هاربات منك عادت اليك تحت القيودِ
فجميع العبيد ادنى الى حبل م ذراعيك من حُبيل الوريدِ
قد اصبتَ البغاة عدلاً فقالوا هكذا كان حال قوم ثمودِ

Digitized by Birzeit University Library

واخذت المنافقين بعهدٍ مثل مآء الرشاش عند اليهودِ
خضتهم بالقنا فكلُّ قناةٍ حملوها كغصن وادي زَرُودِ
وكأنَّ السيوف كانت لهم آ لهةً فاثنوا لها بالسجودِ
قلم الحول قد جرى بفناهم فاتت نونهنَّ للتوكيدِ
فمضوا جُفَّلاً ولو في سوى الدنيا م لكانت لهم نجاة الطريدِ
خلق الله همةً لك مما اذَّ خر الدهر في خبايا الوجودِ
لم اصدّق ما قيل عنك الى ان حضرتني عيني بالف شهيدِ
أتهنّا بالعيد باليت شعري ام يُهنّا بوجهك المسعودِ
هو عيدٌ لديك لكنَّ عندي كل يومٍ اراك اكبر عيدِ
واليك ابنة القريحة تجلو في اسرّ الاعياد احلى النشيدِ
ان شدت او ترنمت اطربتنا كالمزامير في يدي داودِ
صُغتُها ذات ليلةٍ لو توارى ال بدر فيها اغنت بضوء العقودِ
ليس فوقي ابو نُوَاسٍ اذا انشد تُ شعرًا وانت فوق الرشيدِ
ان نعماك اجسرتنيَ حتى قلت ليت الكناس غابُ اسودِ
وعلمت الزمان فانٍ وأنَّ ال ذكر باقٍ فملت نحو الخلودِ
حسدتني عليك ابناء قومي هل سعيدٌ يبقى بغير حسودِ
كلما قُصَّ لي قُلامةُ ظفرٍ جعلوها تميمةً لوليدِ
نسبٌ لي على مكاثرة السا دات أنّي لديك بعض العبيدِ
وكذا السيف دون افرندهِ العسجدُ والسيف ليس غير حديدِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس

خطرت كما خطر القضيب الاملدُ ... هيفاءُ معطفها يقوم ويقعدُ
ممشوقةٌ تضع البنان بخصرها ... فيكاد بعضٌ فوق بعضٍ يُعقَدُ
هي من ظبا الوادي ولكن لي بها ... لُمَحٌ من الفردوس قامت تشهدُ
ما ضرَّها وهي المراض جفونها ... لو اننا يا صاحبيَّ العُوَّدُ
ما بين وجنتها ودمعي نسبةٌ ... فكلاهما من حمرةٍ يتوردُ
وكأنَّ ليلي شعرها فكلاهما ... متطاول الاطراف اسود اجعدُ
ولقد صبوتُ فقال انك اشيبٌ ... رأسي وقال القلب انك امردُ
والنفس ناصحةٌ ولكن عندها ... رفقٌ اذا اعتذر الفتى لا يُحمَدُ
ولهوتُ عن ادبي القديم وكيف لا ... وصبابتي في طيهِ تتجدَّدُ
ونسيتُ نظم الشعر لولا شيمةٌ ... في المصطفى تدعو الحَصُور فينشدُ
ريَّان تفتخر المكارم عنده ... كبراً ويصغر في يديهِ العسجدُ
متقلدٌ بيض النصال وانما ... بيض النصال بكفهِ تتقلدُ

ومنها

لله درُّك ما اجلَّك سيِّدًا ... وأَسدَّ رأيك والطريق مسدَّدُ
واشدَّ بأسك في الخطوب فكلما ... صَعُبَت رأيت كانها تتمهدُ
تغدو اليك الحادثات فتثني ... شِيباً ولكن وجهها بك اسودُ
انا اشعر الشعراء فيك ولا تقل ... هذا الغلام بجهلهِ يتمردُ
لو لم اكن في الشعر اكبر غائصٍ ... ما خضت بحر ثنائك وهو المزبدُ

Digitized by Birzeit University Library

وادا نظرتَ الى الحقائق فالورى رجلٌ وكل الشعر بيتٌ مفردُ
من كان مثلك لا تُطالَب امهُ لو انها حوّاءُ في من يولدُ
فيك الصيانة والزهادة والتقى واللطف والكرم الذي لا يُجحدُ
والحلم ثم العلم ثم الفهم ثم العزم ثم الحزم ثم السؤددُ
يا فضل بل يا عدل بل يا وبل بل يا نصل بل يا شبل بل يا سيّدُ
لم تجتمع فيك المحاسن انما انت المحاسن وهي فيك تعدّدُ
ما شمتُ قبلك من يغار لمالهِ ال باقي من المال الذي يتبددُ
يرضيك دونُ الريّ واعجبا ولا ترضى الفرات لسائلٍ يتوردُ
وكأنّ نفسك في الكريهة غيرها في السلم وهي لطيفةٌ تتودّدُ
لو اخمد الحزنَ التأسّي ما بكى ممن قتلتَ ابٌ على ابنٍ يُفقَدُ
او كان يحيي الجودُ نفساً لم يمت من كان في ميمون عصرك يوجدُ
يتلو عليك الحمدَ في صلواتهِ من قال بسم الله ثم يردّدُ
ما اكثر الجهلاءَ لكن شرُّهم من كان عن ابواب فضلك يشردُ

وله

ولما ثنى وهو رَيّانُ معطفهِ يميل على سفح العقيق ويخطرُ
تذكرتُ اغصان الرياض يهزُّها نسيم الصبا والشبه بالشبه يُذكَرُ

وله

كفٌّ عني لا ابا لك قد تبيّنّا محالك
وعرفناك والاّ فمتى نعرفُ حالك

Digitized by Birzeit University Library

قد مضى لي بك عصرٌ حاملاً فيهِ مَلالك
حَسْبُ قلبي منكَ جورٌ كاد منهُ يتهالك
وكفانا ما احتملنا منك فاستدْعِ احتمالك
سنرى النادمَ منا ويُسيءُ الله فالك

ولهُ في بعض المرائين

لو قيل ما الدينُ قال الزيتُ فاعْنَ بهِ
وكن كما شئتَ لا تُخلِفْ رضى الباري
يشبُّ نيرانَهُ بالزيت وا عَجَبا
ويحسب الزيت يحميهِ من النارِ

ولهُ من قصيدةٍ الى بعض اصحابهِ الشعراء

شوقٌ اليك بقلبٍ عنك لم يَغِبِ أليسَ ذلك في الدنيا من العجبِ
وحبَّذا الشوق منسوباً اليك ولو اذاب قلبي فان الحبَّ بالنَسَبِ
يشوقني أُنسكم طيباً فاذكرهُ فلا تُلمني اذا استغرقت في الطربِ
وما ذكرتُ لقاء الحيّ عن عبثٍ وما طلبتُ لقاء الحيّ عن أَرَبِ
قد وحَّد الحبَّ حبُّك القديمَ بهِ قلبٌ تكنّيهِ احشائي ابا لهبِ
اخشى على الحبّ من نيران صبوتهِ لو لم يكن حبكم من خالص الذهبِ

ومنها

لا بارك الله في نظم القريض فما حصلت منهُ على شيءٍ سوى التعبِ
وما القريض وهل معنًى يراد بهِ الا انقراضٌ لهُ من غارة الحِقَبِ

*

Digitized by Birzeit University Library

يا طالما ظلمت عيني بهِ سهرًا اجفانها فجزاها الظلم من كَثَبِ
وطالما لَزِمَت كفّي اليراع فلم تعرف سواه ولم تستغنِ بالقصبِ

ومنها يعرّض باغراض

ومُرجعٍ فيَّ طرفًا لا يقلّبهُ الا على جهةٍ مأنوسة الرِيَبِ
يا طالما لفظتني عينهُ وانا كالكحل يُلفَظ من جفنٍ ولم يُعَبِ
من دونهِ قاب قوسٍ حين انظرهُ مني ودون رضاهُ سبعة الشُهُبِ
يُغضي ويزورُّ إعراضًا فمَظلِمتي من شدّة الحلم لا من شدّة الغضبِ

ولهُ في رسالةٍ بعث بها الى احد اصحابهِ العلمآء على نمط القصيدة الطنطرانية

يا نسيماً لَيِّن الاعطاف بالمصطاف طاف
حيِّ عني مسعفًا مَن طبعهُ الاسعافَ عاف

***

وتعهَّد من بذيَّاك الحمى والدار دار
كلَّ ميَّاس قوامٍ منهُ غصن الغار غار
واشكُ اشواقي الى القوم وقل صبٌّ بكم
قلبهُ المجروح كالجارح في الاقطار طار
يذرف الدمع وفي جنبيهِ حرٌّ كلما
حنَّ من اشواقهِ واذكر الآثار ثار

Digitized by Birzeit University Library

طالما اضحكهُ القربُ فابكاهُ النوى
فهو ذو طرفٍ كليلٍ عاجزَ الابصار صار
ليَ فيهم صاحبٌ من قبلما ودَّعني
ساعة الهجر ولا فاصلَ في الأكسار سار
ذمَّةُ الجيرةِ من اخلاقهِ نعرفها
يا ترى كيف على الجار وعهد الجار جار
يا شقيق الروح مهلاً ان دمعي قد كوى
وجنتي فاستبدلت من ذلك الدينار نار
ولعَيني حاجبٌ من دمعها عند البكا
فلذا أسوَدُها في ابيض الاسحار حار
اسهر الليلَ وتصحو انما لي فكرةٌ
مثلت لي شارباً في حانة الخمَّار مار
هاج بي الشعر فشبَّبتُ بهِ منتجباً
انما التشبيب عندي بسوى الاشعار عار

⁂

هذهِ الشكوى بها حاليَ بالافصاح صاح
حملتها ورقاتٌ عطرها النفَّاح فاح

⁂

هزَّها شوقٌ به قد بلبل البلبالُ بال
مغرم مثلَ خيالٍ لفراق الآل آل

Digitized by Birzeit University Library

طيَّها سرٌّ لقلبي طالما الزمني
كتمهُ فالآن لما اشتدَّت الاثقالُ قال
هي مثل الروضة الغنّاء في ازهارها
وكذا دمعيَ كالسيل او السلسال سال
قسماً لو لم اوجّهها لطارت بالهوى
كالقطا نحوك من شوقٍ على الاوصال صال
يا خليَّ القلب خلِّ الهجر وارحم قلب من
قد غدا من حبّ ذات الخال والخلخال خال
بك لا بالنفس والدنيا غدا مشتغلاً
والى قربك لا الاموال والآمال مال
اوغل الشوق بجنبيَّ وقد غلَّلني
فيجنبيَّ غليلٌ من جرى الايغال غال
طال ليلي ونواحي عندما طال النوى
وسهاد العين من مدمعها الهطَّال طال
حال جسمي وانقضى صبري فهل من حيلةٍ
انَّ حال الحول لما أزِفَ الترحالُ حال
هل تراك العين يوماً لابساً ثوب الرضى
وترى قربك منها لصدا الاوجال جال

يا سقى الله زماناً بيننا الشمّاس ماس
بِطِلاً منها لذي السقم بظلّ الآس آس

***

حيث قِطف الانس بالوصل على العيدان دان
راح يجني منهُ كاللؤلؤ والمرجان جان
وقوام العيش غضٌّ ناعمٌ جانبُهُ
مثلَ اعطاف الدُمَى او كطُلَى الغزلان لان
وفؤاد الدهر في قبضتنا منبسطٌ
كل ما نطلبهُ في حوزة الامكان كان
وكؤوس الراح فيما بيننا يحثُّها
نَغَمُ العود وشَدْو الغيد للأوزان زان
وقديماً حلف الدهر بان يبقى لنا
غير ان الدهر قد خان وبالأيمان مان
نسخ الحالَ ولم يعطف على منفردٍ
سامهُ تكسيرَ جمعٍ عنهُ في الإبّان بان
حسبيَ اللهُ ولا حولَ ولا الا بهِ
كم تباريحَ بها الموت على الولهان هان
يا اخا الهجر كفى الهجران فالشوق على
قلبيَ الحرّان بالهجران كالنيران ران

Digitized by Birzeit University Library

طاب ذاك الصفو لي وردًا ولكن فاتني
أنَّهُ كان كحلواء الذي في الخان خان (*)

غيرَ أنَّ القلب مرهونٌ على وعد اللقا
فترَى هل يُنجزَ الوعدُ فان الآن آن

واكتفي بهذا القدر من نظمهِ في الصباء وهو مع انهُ لا يبلغ طبقة المشهور من شعرهِ فان الاجادة ظاهرة فيهِ مما يدل على انهُ رحمهُ الله كان مطبوعًا على الشعر فلم يكن يتكلفهُ ولا يتعمل لاجلهِ ولا تجد فيهِ حشوًا ولا تعقيدًا . وذلك مع حسن اختيارهِ للالفاظ الجامعة بين الجزالة والرقة واتساع تصرفهِ في اساليب الكلام مما كان بهِ نادرة وقتهِ . واذا ضممت هذا الى ما لهُ من التآليف العلمية وإحكام وضعها وحسن تنسيقها ثم الى ما في مقاماتهِ من الابداع وجريها كلها على سننٍ واحد من علوّ الطبقة مما دلّ بهِ على قوة ملكتهِ في الصناعة اللسانية وانطباعهِ على الفصاحة العربية علمت انهُ قد انفرد بامور لا تجدها مجموعة في غيرهِ

وكان في اوائل امرهِ قد اتصل بالامير بشير الشهابي الشهير فقرَّبهُ اليه وجعلهُ كاتب يدهِ ومع انهُ لبث في خدمتهِ نحوًا من اثني عشرة سنة اي الى سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الامير بشير من البلاد الشامية فلم اجد لهُ فيهِ الاَّ مدائح قليلة هي التي اثبتُّها

(*) تلميح الى حكاية الحريري في المقامة الواسطية

Digitized by Birzeit University Library

في هذه الترجمة ولعلَّ ذلك لان شاعرهُ الخاص كان المعلم بطرس كرامة فلم يشأ ان يزاحمهُ . وبعد ما ارتحل الامير بشير انتقل رحمهُ الله باهل بيتهِ الى مدينة بيروت واقام بها منقطعاً للمطالعة والتأليف والتدريس فاشتهر ذكرهُ في جميع البلاد العربية وراسلتهُ اكابر الشعراء من العراق ومصر وغيرها وقد طُبع ما دار بينهُ وبينهم في رسالة مخصوصة سُمّيت بفاكهة الندماء وهي مشهورة

اما صفاتهُ الشخصية فكان معتدل القامة فوق الربعة ممتلئ الاعضاء اسمر اللون حنطيَّهُ اسود الشعر اجشّ الصوت . وكان مهيباً وقوراً شهماً كاملاً متواضعاً متأنياً في حديثهِ وحركاتهِ قليل الضحك عفيف اللسان لم تُسمَع لهُ كلمة بذيَّة قطّ لا في حديثهِ ولا في كتاباتهِ ولم يهجُ احداً ولا هجاهُ احدٌ في زمانهِ غير بيتين قالهما ارتجالاً على سبيل المداعبة وهما هذان

قد قال قومٌ ان خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ مَن ذاقهُ يوماً ليعرف طعمهُ

وكان ودوداً مخلصاً رقيق القلب حسن التديُّن مبالغاً في اجتناب السُحْت لا يعطي مالاً ولا يأخذ مالاً بالربى ولا يكتب صكاً فيهِ ربى . وكان واسع المحفوظ كثير النكات والنوادر وكان يروي القصة بتواريخها واسماء اصحابها واسماء بلدانهم . ومن غريب ذاكرتهِ انهُ كان اذا نظم الشعر لا يكتبهُ بيتاً بيتاً ولكنهُ كان ينظم الابيات ثم

Digitized by Birzeit University Library

يكتبها حتى انهُ في مدة اعتلالهِ الاخير املى ثمانية عشر بيتاً دفعةً واحدة . وقد الَّف احدى مقاماتهِ وهي المقامة اليمامية على ظهر الفرس وكان مسافراً باهل بيتهِ من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ بقصد الاصطياف فلما انتهى اليها اخذ قرطاساً فعلَّقها . وكان يحفظ القرآن بتمامهِ ويعي من الشعر شيئاً كثيراً ولا سيما شعر المتنبي لشدة اعجابهِ بهِ وكان يقول كأنَّ المتنبي يمشي في الجوّ وسائر الشعراء يمشون على الارض

ولبث مقيماً في بيروت على مثل ما ذُكر الى ان أُصيب بمرضِ عضال فانفلج فالجاً نصفياً عطَّل شطرهُ الايسر ولبث في مرضهِ نحواً من سنتين ثم اصابتهُ سكتة دماغية فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله عداد حسناتهِ ونفعنا باثارهِ

Digitized by Birzeit University Library

قال يمدح المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور

خَطَرَت وفي قلبي لذاكَ خُفُوقُ ... وَرَنَت فَكلُّ الصاحبَين رَشيقُ

هيفآءُ مالَ بصبّها سُكْرُ الهَوَى ... لمّا تمايَلَ عِطفُها المشوقُ

قامت تُديرُ لنا الرَحيقَ ولَيتَها ... طَلَبَت مُجانَسةً فدارَ الريقُ

وشَدَتْ فأَطْرَبَتِ الْجَمادَ وَهَيَّجَت ... حتى عَلِمنا كيفَ يُحيي البوقُ

ناظرتُها فسَكرتُ من لَحَظاتِها ... وشَربتُ خمرتَها فكيفَ أُفيقُ

ورأَيتُ رِقَّةَ خصرها فوهبتُها ... قلبي فإنَّ كِلَيهما لَرَقيقُ

غيداءُ آنسةٌ نَفُورٌ عندها ... يحيا الرجآءُ ويُقتَلُ التوفيقُ

كالآلِ يُطمِعُ لامعًا مُتَقرِّبًا ... ولِمَن اتاهُ زُفرَةٌ وشهيقُ

قالت وقد غازلتُها متصبِّبًا ... ليس الصبابةُ بالمَشيبِ تَليقُ

هيهاتِ ما كِبَرًا مَشيبي انما ... هذا الدَلالُ الى المَشيبِ يَسُوقُ

اني امرُؤٌ طَرِبٌ على غَزَلِ المَهى ... وعلى مُناظَرَةِ الحِسانِ مَشُوقُ

حجَّت الى قلبي العيونُ فانهُ ... بيتٌ ولكن لا اقولُ عتيقُ

يا رَبَّةَ الحُسنِ العزيزِ لكِ الحَشا ... مِصرٌ غلا فسطا عليهِ حريقُ

نُعمانُ خَدِّكِ في الرياضِ ومدمعي ... هذا لها خالٌ وذاكِ شقيقُ

دمعي حديثٌ لا يزالُ مُسلسَلاً ... أَبدًا وقلبي بالغَرام خليقُ

Digitized by Birzeit University Library

قلبٌ كخالكِ في المحبةِ طيّبٌ ... لكنَّ ذا مسكٌ وذاكِ فتيقُ

هو شافعيٌّ عندهُ حُسنُ الوفا ... لِابنِ الكرامةِ سُنَّةٌ وحقُوقُ

ومتى الوفاءُ وكلَّ يومٍ بِرَّةٌ ... لكَ في المحاسنِ للوفاءِ سبُوقُ

تأتي النفائسُ منكَ لا مطروقةً ... من دونهنَّ الدِرهَمُ المطروقُ

اللهُ أكبرُ في الأَئِمَّةِ فردُها ... ولفيفُها المقرونُ والمفروقُ

رجلٌ وماذا وصفُهُ وكَفَى بهِ ... رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ

حَسَنُ المعاني والبيانِ كلامُهُ ... جَزْلٌ وَمَعناهُ الرقيقُ دقيقُ

فاذا تكلمَ راحَ يفعلُ لفظُهُ ... ما راحَ يفعلُ بالنُهَى الراووقُ

حيِّ القريضَ وآخذيهِ وقُلْ لهُ ... قد كانَ مُقترَضٌ وانتَ طليقُ

ها انتَ في يدِهِ رَقيقٌ ان تَحُلْ ... عنها فانكَ آبقٌ مسروقُ

لكَ من قريحتهِ السليمةِ صحَّةٌ ... وطِرازُ وشيٍ لا يَرِثُّ انيقُ

هيَ ذلكَ الإكسيرُ صُنعُ اللهِ لا آلُ ... إكسيرُ مَّا يَصنَعُ الإنبيقُ

تُلقِي الهلالَ فيستحيلُ بها الى ... شمسٍ لها عندَ الأُفولِ شُروقُ

يا بطرسُ الشهمُ الكريمُ مكانُهُ ... وبَنانُهُ ولسانُهُ المنطيقُ

انتَ الكرامةُ وابنُها وأَبٌ لها ... نَسَبٌ كريمٌ في الكِرامِ عريقُ

طُفتُ البلادَ وقد جلستُ اليكَ لا ... سفرٌ ولم تَمنُن عليَّ النوقُ

ما فاتني أنَّ الأَوائلَ قد مَضَوْا ... وبقيتَ انتَ ولي اليكَ طريقُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يعزيه بولديه

اجملَ اللهُ في فؤادِكَ صبرا ... وجزى منّةً وأعظمَ اجرا
وسقى تربَ من فقدتَ سحابًا ... لا دموعًا فذاكَ اندى وأطرى
انَّ امرًا دهاكَ اعظمُ امرٍ ... من تلقّاهُ لا يعظّمُ امرا
غيرَ أنَّ المريضَ يرجو دواءً ... فاذا لم ينلهُ فالصبرُ احرى
انَّ حقًّا على الطبيعةِ ان تحزنَ والعقلُ بالنتيجةِ أدرى
لو يفيدُ البكاءُ والنوحُ شيئًا ... لأقامتْ خنساءُ قبلكَ صخرا
كلُّ ما في الوجودِ وهمٌ فلا تر ... حمُ زيدًا ولا تغبّطْ عمرا
يطمعُ المرءُ في الحياةِ طويلاً ... وهوَ في الموتِ او عنِ الموتِ فترا
وحياةُ الدُّنيا تُسمَّى حياةً ... مثلما تُحسبُ الحجارةُ نهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثرَ كابٍ ... كلُّ عينٍ بدمعةِ البينِ شكرى
ربَّ باكٍ لضربةٍ صادفتني ... وهوَ قدشكَّ أن تفاجيهِ أخرى
كلُّ مُستضحكٍ سيبكيكَ والبا ... كي سيبكى فالكلُّ قتلى وأسرى
نحنُ والداءُ والدواءُ منَ الأر ... ضِ ترابًا والكلُّ للأرضِ طُرًّا
وحياةُ الدنيا طريقٌ الى الأخرى ... فخُذْ زادها الذي هو أمرى
يا طريقَ البقا اذا كنتَ خيرًا ... فلكَ الفضلُ كلّما زدتَ قصرا
طالما عالجَ الزمانَ رجالٌ ... فابتلاهم بأحرفٍ ليسَ تُقرا
حيلةٌ تركُها سبيلٌ اليها ... وسقامٌ برفضنا الطبَّ يبرا

Digitized by Birzeit University Library

لستَ اهلاً لأَن تُعزَّى بما جئنا م بهِ انتَ فوقَ ذلكَ قدرا
عندَنا ما لديكَ فالبعضُ مما بكَ والبعضُ من دمٍ راحَ هدْرا
لو أَطَعْنا الدُّموعَ مبتدراتٍ ما وَقَفنا عليكَ نُنشِدُ شعرا
قد عَهِدناكَ تُوسِعُ الناس حِلماً وعَهِدناكَ تُوسِعُ الناسَ زَجرا
وعهدناكَ كُلَّما اتَّسعَ الخطبُ م حوالَيْكَ كُنتَ أَوسعَ صَدْرا
انتَ بحرٌ والحزنُ جمرةُ نارٍ من رأَى جمرةً تُسخِّنُ بحرا
قد عرَكتَ الخطوبَ شَفْعاً ووَتْرا وعَرَفتَ الأَيَّامَ بَطناً وظَهرَا
ولمثلي عليكَ نُصحٌ وقد كا نَ فهٰذا مِمَّا تَخيَّرتُ ذُخرا
واذا ما سَلِمتَ هانَ فقد أَغنيتَ م عَمَّن يكونُ عَبْرًا وغَبْرا

وقال وقد بعث بها الى صديقٍ له في طرابلس

صدرٌ بهِ سَعَةٌ وشَوقٌ أَوسَعُ فالحِلمُ يُعطِي والبليَّةُ تَمنَعُ
وحُشاشةٌ مسلوبةٌ ولَعلَّها ذَهَبَتْ على أَثرِ الفُؤَادِ تُودِّعُ
يا راحلاً رَحَلَتْ اليهِ قُلوبُنا وأَظُنُّها من شَوقِها لا تَرجِعُ
مالي أَرى الدارَ التي فارَقتَها مأْهولةً وكأَنَّما هِيَ بلقَعُ
قد فرَّقَ البينُ المُشتِّتُ شملَنا والشملُ لفظٌ مُفردٌ لا يُجمَعُ
كانَ اللسانُ رسولَ قلبي فاثنَنى قلبي الرسولَ عنِ اللسانِ يُشيِّعُ
ما كانَ أَقصرَ مدَّةً لكَ بيننا كالحُلمِ تُبصِرُهُ العُيونُ الهُجَّعُ

Digitized by Birzeit University Library

وكذا الزمانُ يَمرُّ مُختلِفًا بنا ... والسُّوءُ فيهِ والسرورُ يُضَيَّعُ
ما كنتُ أَرضَى بالحياةِ وكأْسُها ... عَلَلٌ ولكن صَرْفُها لا يُمنَعُ
ان لم يكن بينَ النفوسِ مُروّعًا ... فغُرابُ بينٍ للنفوسِ مروّعُ
ما اغفلَ الانسانَ عن نُصحائه ... وأَشدَّ صبوَتَهُ الى من يَخدعُ
يرعى الكواكبَ في السماءِ ضئيلةً ... والنفسُ أَقربُ منهُ لو يَتطلَّعُ
اخذ الطبيبُ بان يُداوِيَ غيرَهُ ... ونَسِي الطبيبُ فُؤَادَهُ يتوجَّعُ
والعِلمُ مَصلَحَةُ النُّفوسِ فإِنْ يَكُنْ ... لا نفعَ فيهِ فالجهالةُ أَنفعُ
بأَبي الذي أَنحَتِ المفارقُ بعدهُ ... وتَقوَّمَتْ وجداً عليهِ الأَضلُعُ
انتَ المنزَّهُ عن مَظِنَّةِ جاهلٍ ... وصفاتِ مَن بطِباعهِ يَتطبَّعُ
يا ساكنًا قلبي المتيَّمَ انهُ ... بيتٌ ولكن في هواكَ مُصرَّعُ
يا طالما أَنشَدْتُ فيكَ قوافيًا ... وحُشاشتي كعروضها تَتقطَّعُ
نفسي مجرَّدَةٌ اليكَ عنِ الوَرَى ... ولعلَّ ذٰلكَ في المحبةِ يرفَعُ
ان كانَ قد مُنِعَ التَّقرُّبُ بيننا ... فأَحبُّ شيءٍ عندَنا ما يُمنَعُ

وقال يمدح الامير امين ابن الامير بشير الشهابي

نُفارِقُكُمْ ونَضرِبُ في البِلادِ ... ولا نَترَحَّلونَ عنِ الفُؤَادِ
نغيبُ ولا تغيبُ الدَّارُ عنَّا ... فتُوهِمُنا التَّقرُّبَ في البِعادِ
رَحَلْنا بالغَداةِ على وَدَاعٍ ... فمَنْ هذا المُسلِّمُ في الهَوادِي

Digitized by Birzeit University Library

وفارَقْنا الديارَ وما يليها ... فما هذا الشخصُ في السوادِ
خُذُوا عنّا الذي حمّلتمونا ... منَ الأشواقِ فهْوَ أمرُّ زادِ
وكُفُّوا عن خواطِرِنا وعنّا ... فقد حلْتُمْ بِها دُونَ الرُّقادِ
تكلّفْنا الرّحيلَ فما أقمْنا ... مخافةَ أنْ نذوبَ على الوِسادِ
وكانَ نصيبُنا منكم كلاماً ... قطعناهُ لتشتفيَ الأعادي
ترحّلنا الجيادَ وكلُّ صدرٍ ... كأنَّ فؤادهُ تحتَ الجيادِ
ولو كُنّا نملّكُ كلَّ أرضٍ ... نطاها ما مشَيْنا عن مُرادِ
أجارتَنا التي كُنّا نراها ... وما برِحَت ولو طال التمادي
اراكِ صحبتِنا وظلّلتِ معنا ... وظلّتْ وحشةٌ لكِ في ازديادِ
كوجهِ أميرِ قيسٍ حينَ يبدو ... نراهُ وكلُّنا رَيّانُ صادِ
نراهُ كما نراهُ ولا جديدٌ ... بهِ ونظلُّ في ملحٍ جِدادِ
سَلِ الهيجاءَ عنهُ وسلْهُ عنها ... اذا انقطعَ الكلامُ لدى الطِرادِ
وسَلْ عنهُ الخزائنَ لا تسلْها ... عنِ المالِ الطريفِ ولا التلادِ
وسل عنهُ اليراعَ وما لديهِ ... من البيضِ الصحائفِ والمدادِ
وسل عنهُ القريضَ وما يليهِ ... وسل كُتبَ الحواضرِ والبوادي
وسل ما شئتَ عما شئتَ حتى ... ترى ما شئتَ من غُرَرٍ جيادِ
ترى برّاً فسيحاً تحتَ ثوبٍ ... وبحراً يستقلُّ على جوادِ
وبدراً لا يلمُّ بهِ سرارٌ ... وغيثاً ظلَّ يُفعِمُ كلَّ وادِ

Digitized by Birzeit University Library

رُوَيدَكَ أَيُّها المولى المُفدَّى ... فأنتَ على ذُرَى السبعِ الشِدادِ
اذا فَدَتِ النفوسُ كِرامَ قومٍ ... فُدِيتَ بكُلِّ مَفدِيٍّ وفادِ
متى وَثِقَتْ بِعهدٍ منكَ نفسٌ ... كفاها العهدُ عن صَوبِ العِهادِ
ومثلُكَ لا يضيعُ فتًى لديهِ ... وها انتَ الأَمينُ على العِبادِ
شريكُ الناسِ في خُلقٍ جميلٍ ... وفي الخُلقِ الجليلِ على انفِرادِ
لِئن تكُ صُورةٌ جمعَت فأَوعَت ... فانَّ التِبرَ أَشبَهُ بالرَّمادِ

وقال يمدحهُ وكان قد استوطن مكانًا يقال لهُ البرج بالقرب من بيروت

طالَ النوَى حتى تقطَّعتِ المُنى ... وضَنِيتُ حتى رقَّ لي قلبُ الضَّنى
والقلبُ ضاقَ بوَجدِهِ عن صبرِهِ ... حتى يَرُودُ وَلا يُصادِفُ مَسكِنا
دُمْ وٱلْقَنا كالبدرِ يا شِبهًا لهُ ... في البُعدِ عنا والتنَقُّلِ والسَنى
اني على الحالَينِ لا أَنساكَ في ... عُمري ولو أَوشكْتُ انسى مَن انا
ولقدذكرتُكَ فاضطربتُ مَهابةً ... وطَربتُ فاشتُقَّ النُواحُ من الغِنا
فبكيتُ حتى ما بكيتُ لفاقةٍ ... من أَدمُعي والدَّمعُ يُدرِكُهُ الفَنا
وَوَدِدْتُ لو ابكي البُكاءَ لأَنهُ ... يشفي القلوبَ ولو أَضرَّ الأَعيُنا
ولقدْ ركبتُ الشعرَ حتى مَلَّني ... وَمَلِلتُهُ فأَسأْتُ فيهِ وأَحسَنا
وَخَلائقُ الرُّوحِ الأَمينِ تقودُني ... كَرْهًا وتَظلِمُني بإِنشادِ الثنا
صِفَةٌ يضيقُ بها الزَّمانُ وهِمَّةٌ ... تَرَكَتْ بها الأَيامُ داءَ مُزمِنا

Digitized by Birzeit University Library

ما كلُّ مَن قالَ القصائدَ شاعرٌ هيهاتِ يطعنُ كلُّ من حملَ القنا
عزمَ الشهابُ على النزولِ بموطنٍ يوماً فكانَ البرجُ يصلحُ موطنا
قد صارَ ساحلُ بحرِنا بحراً بهِ ها مجمعُ البحرينِ أصبحَ عندنا
لا تحسدوا مصراً لفائضِ نيلها أَلنيلُ في مصرٍ وراحتُهُ هنا
تحيا البلادُ بهِ فلو هنأَتهُ يوماً بها قالتْ لنا ولكَ الهنا
شهمٌ اذا أَخنى الزمانُ باهلهِ عصمتهُ نفسٌ لا يراودُها الخنا
واذا حوى الأَموالَ كانَ كتاجرٍ يبغي النفاقَ معجّلاً ما أَمكنا
شرفٌ على كبدِ الوداعةِ نازلٌ ذهبتْ اليهِ مذهباً مستحسنا
ولطائفٌ وُصفَ النسيمُ بمثلها في ظلِّ بأسٍ قد أَردنَ تحصّنا
يا ركنَ دولةِ آلِ قيسٍ قد صبتْ قيسٌ على يمنٍ اليكَ تيمّنا
كانت تنوخُ لها ذراعاً أَيسراً قدماً وكنتَ لها الذراعَ الأَيمنا
لاذتْ بساحتكَ الوفودُ وأَطبقتْ مثلَ ازدحامِ الحجِّ في وادي منى
فيكَ الرجاءُ ومنكَ كلُّ كرامةٍ وعليكَ كلُّ معوَّلٍ وبكَ الغنى

وقال يمدح بعض الروساء

أَفراقاً حسبتها ام لقاءً وقفةٌ بالأُبيرقينِ مساءً
كُنتُ منها على رجاءٍ فلمّا حضرتني قطعتُ ذاكَ الرجاءً
طالما كُنتُ واثقاً بصفاءٍ فأَنا اليومَ لستُ ارجو صفاءً

Digitized by Birzeit University Library

لا يَظُنُّ الصحيحُ فجأةَ سُقمٍ ... واذا اعتلَّ لا يظُنُّ شفاءَ

يا بني عمِّنا رُوَيدًا علينا ... أوَلسْنا جميعُنا غُرَباءَ

ان نَكُ اليومَ في البلادِ افترقنا ... فقريبًا نُفارقُ الدنيا

يَرِدُ البؤسُ والنعيمُ على المَرْ ... ءِ وكلٌّ يروحُ من حيثُ جاءَ

عاشَ قومٌ رَغْدًا وَقومٌ وَبالاً ... ثم ماتوا طُرًّا فراحوا سَواءَ

ايها العائفُ الكفافَ تمنَّى ... لو أدامَ الزمانُ خبزًا وماءَ

واذا أحسنَ الزمانُ فسلا تغترَّ ... م واعلَمْ بأنهُ قد اساءَ

والذي يعلمُ الحقيقةَ لا يُبلى ... م بداءٍ ولا يُعالِجُ داءَ

كأبيها وشيخنا ابن الشرابيّ ... م الذي صحَّ أنَّ فيهِ الشفاءَ

صاحبُ القولِ والفعالِ رشيدًا ... باطنُ الرأيِ حسْبما يتراءى

سلِمَتْ عينُهُ ولا شكَّ فيها ... فهْيَ مَّما يُسلِّمُ الأعضاءَ

أيُّها اللابسُ السوادَ ولا بدْ ... عَ اذا كُنتَ تقتفي الخُلَفاءَ

انتَ في ارضنا خليفةُ عيسى ... ولكَ المُلكُ يومَ تأتي السماءَ

خلقَ اللهُ فيكَ روحًا من اللُطفِ ... م وجسماً منَ البهاءِ حيثُ شاءَ

فاذا قُلتَ أوْ فعلتَ فذاكَ ال ... جوهرُ الفردُ يُقتنى الحُكماءَ

لا تَسَلْني حقَّ الثناءِ وتأتي ... كلَّ يومٍ بما يُطيلُ الثناءَ

لبسَ عندي الاَّ سوادُ مدادِ ... هل يكافي تلكَ اليدَ البيضاءَ

ما مدحْناكَ بل صدقناكَ اذ قُلنا ... م بكَ الحقَّ واكتفينا الخطاءَ

Digitized by Birzeit University Library

وبماذا الفتى يمنُّ على البدْ ... رِ اذا قالَ إنَّهُ قد أضاءَ

وقال يمدح الشيخ احمد العزّ وهو يتولى القضاء في بيروت

ايُّ ذنبٍ تُرى وأيَّةُ زلَّه ... للمُحِبِّ الذي تحلَّلتَ قتلَه
كلُّ ما ترتضيهِ سَهْلٌ ولكن ... عثراتُ الآمالِ ليست بسهْله
يا لقومي لقد سباني غزالٌ ... نقتلُ الأُسْدَ من عذاريهِ نمله
علَّمَ الخطَّ باقلٌ منهما يا ... قوتَ دمعي في الرَّبْعِ وهْوَ ابنُ مُقْله
ذابلُ الجفنِ فاترُ الطَّرْفِ لا بدْ ... عَ ففي خدِّهِ من النارِ شُعْله
هُوَ داءي لا اقبلُ الدوا منهُ م ... لئلاَّ يقولَ حبِّي لعلَّه
يا مريضَ الجفونِ ليسَ عليها ... حرَجٌ نتَّقيهِ في كلِّ ملَّه
إنَّ فيها لفترةً وأرى لحظكَ م ... في مُهجتي يُرَدِّدُ رُسْله
نقلَ الثغرُ عن صِحاحِ الثنايا ... أنَّهُ الجوهريُّ فاخترتُ نقْله
وحكى قوسُ حاجبيكَ عنِ الريشِ م ... من الهُدْبِ أنَّ لحظكَ نبْله
انَّ قلبي لغيرُ منصرفٍ عنك م ... فويلاهُ كسرُهُ مَن أحلَّه
صِلْ ولا يمنعنَّكَ اليومَ عني ... سوءُ حالي فالحالُ تحسَبُ فضلَه
ضاعَ صبري وانهُ صِلَةُ المو ... صولِ عندي فهل عرفتَ محلَّه
كيفَ نقوى على بوارحِ وجدٍ ... منتهى الجمعِ أضلعٌ جمعُ قلَّه
ليس للشوقِ من ختامٍ فأستخلصَ م ... منهُ وأدمعي مستهلَّه

Digitized by Birzeit University Library

سلبتني الأيامُ مالي حتى ... سلبتني القريضَ الا أقلَّه
وبنفسي بقيةٌ صُنتُها منـ ... ـهُ الى مُلتقى الذي بقيتْ لَه
وبماذا تُرى الفتى يلتقي البحرَ م ... ولو كانَ فوق كفَّيهِ رِجلَه
كلماتٌ قواصرٌ كيفَ تقضي ... حقَّ من ليسَ يُدرِكُ القولُ فعلَه
كعبةٌ حجَّتِ القوافي اليها ... طائفاتٍ بركنِها مُستظلَّه
إنَّ وضعَ القريضِ بين يديهِ ... والى بابهِ المؤيَّدِ حملَه
شاعرٌ ينظمُ القوافي عقوداً ... دونَها في الرؤوس عقدُ الأكلَّه
وهوَ قاضٍ يقومُ بالقسطِ بين ال ... ناس قد احكمَ الخطابَ وفصلَه
راحمٌ في سوى القضاءِ رأوفٌ ... يبتغي عفوَهُ وينصرُ عدلَه
صحَّ نحواً بنِ حاجبٍ عندَهُ واعتلَّ م ... خطُّ ابنِ مُقلةٍ ايَّ علَّه
والفتاوى لأحمدياتهِ الغرّاءِ م ... لا خيريّاتِ صاحبِ رملَه
طالما طالَ فاصلاً ببراعٍ ... تشتهي ان تكونَهُ كلُّ فصلَه
سوَّدَ الطرسَ فاستنارَ فذيّاً ... كسوادُ العيونِ يهدي الأضلَّه
يا إمامَ الكرامِ في خيرِ محرا ... بٍ من الخيرِ خيرُهُ لك قبلَه
انتَ ندبٌ لهُ التُقى سنّةٌ وال ... عدلُ فرضٌ والله يعلمُ نفلَه
رحلَتْ ناقتي اليكَ وقلبي ... قبلها فهيَ رحلةٌ بعدَ رحلَه
ورضاكَ المُنى وحسبيَ طَـلٌّ ... منهُ ان كنتُ لا أُصادِفُ وبلَه

Digitized by Birzeit University Library

وقال في رسالةٍ من الجناس العاطل

لأهلِ الدهرِ آمالٌ طِوالُ ... وأطماعٌ ولو طالَ المطالُ
وأهلُ الدهرِ عُمَّالٌ أطاعُوا ... هَواهُ كما رأَوهُ مالَ مالوا
كُرورُ الدهرِ حوَّلَ كلَّ حالٍ ... هُوَ الدهرُ الدَّوامُ لهُ مُحالُ
لَعَلَّ الصدَّ معْهُ لهُ حُؤُولٌ ... أُؤَمِّلُهُ كما حالَ الوِصالُ
صلاحُ الحالِ والأعمالِ مالٌ ... ومهما ساءَ مالٌ ساءَ حالُ
دَعِ العُلَماءَ والحُكَماءَ طُرًّا ... وسَلْ مالاً ألا ساءَ المآلُ
لأهلِ العِلمِ عَصْرٌ مرَّ معْهم ... ومرَّ الحِلمُ معهُ والكَمالُ
مَدارسُهُ كأطلالٍ أراها ... دَوارسَ لا سَلامَ ولا سؤالُ
علا أهلَ المكارمِ أهلُ لؤمٍ ... أَداروا كأُسهم وبَطَوا صالوا
معاهدُ كُلِّ هِرٍّ كلُّ صَرْحٍ ... واكرَمُ معْهَدِ الأُسْدِ الدِحالُ
وكم مَلِكٍ لعامِلِهِ مَلالٌ ... ومملوكٍ لمالِكِهِ دَلالُ
وما كلُّ امْرِئٍ دَمُهُ حَرامٌ ... ولا كلُّ امْرِئٍ دَمُهُ حَلالُ
عَداكَ اللومُ ما للعارِ مآبٌ ... لِوِردِكَ لا ولا للوَهمِ آلُ
اصحَّ الحِلمُ عهدَكَ لا حؤُولٌ ... لهُ واصحَّ وَعدَكَ لا مِطالُ
لكَ الوُدُّ المؤكَّدُ لا مِراءٌ ... عَراهُ ولا مَلامَ ولا مَلالُ
أمامَكَ والورا صِراطُ عدلٍ ... سَواءٌ حولَهُ حُطَّ الرِحالُ
صُدُورُ مكارمٍ وأُصولُ عِلمٍ ... أُعدِّدُها كما عُدَّ الرِمالُ

Digitized by Birzeit University Library

وآراءٌ لمادِحِها كَلامٌ ... وآلاءٌ لحامِدِها كَلالُ
لَكُمْ حَمَلَ الرسولُ سُطورَ طِرسٍ ... مَطالِعُها كما طَلَعَ الهِلالُ
سُطورٌ كالعَرُوسِ لها حِلاها ... ولو أَهداكَها كَلِمٌ عِطالُ

وقال في جواب رسالةٍ

هَوًى في القلبِ يعذُبُ وَهْوَ داءُ ... كذا الدُنيا ومـا فيها رِياءُ
يَرَى ما لا أَرَى قلبي فيصبو ... وهل قلبُ المُحِبِّ كما يَشاءُ
مررتُ بدارِ مَن أَهوَى فَحَيَّت ... وأَشغَلَني عن الردِّ البُكاءُ
خَلَت من نازلٍ لم يخلُ منهُ ... فُؤادي فالفُؤادُ لهُ خِباءُ
على المتحمّلينَ لنـا سَلامٌ ... وان طالَ التجنُّبُ والجَفاءُ
اذَا حالت مودَّتُنا لبُعدٍ ... فقد حالَ التَكَرُّمُ والوفاءُ
تذكَّرتُ الصِبَاءَ فهِمتُ شَوقًا ... لَقد كانَ الهَوَى مُنذ الصِباءُ
وما طيبُ الصِبَاءِ ولا حبيبٌ ... وما طيبُ الحبيبِ ولا لِقـاءُ
الا يا ابنَ الكِرامِ فدتكَ نفسي ... وان بَكُ لا بِغي هذا الفِداءُ
سَفَكتَ دمًا لعيني فيكَ دمعًا ... فلا تَغفُلْ فبينَكُما دِماءُ
ورُبَّ رِسالةٍ عذراءَ جاءَت ... لها بالمِسكِ ختمٌ وابتِداءُ
من اللفظِ الصحيحِ لها خِباءٌ ... على المعنى الصريحِ لهُ بِناءُ
لآلئُ لُجَّةٍ بِيضٌ عليها ... رِجالُ الحيِّ غارت والنِساءُ

Digitized by Birzeit University Library

اذا قلنا اليتيمةُ كذَّبَتْنا لها شِيَعٌ تَجِلُّ وأَنسباءُ
تُطارِحُني المديحَ وكلُّ مدحٍ ثَوَى في غيرِ موضِعِهِ هجاءُ
رأَيتُكَ ما أَنِفتَ لمدحِ مِثلي فذاكَ عليكَ من كَرَمٍ ثَناءُ
يَزِينُ الحُبُّ ما لا حُسنَ فيهِ فانَّ الحُسنَ حُبٌّ وارتضاءُ
ولو حَسُنَت بعينِ الكُلِّ لَيلَى لَجُنَّ الكُلُّ واشتَمَلَ البَلاءُ
انا الوادي اذا نادَيتَ لبَّى صَداهُ فكانَ منكَ لكَ النِداءُ
خلعتَ عليَّ فضلاً أَدَّعيهِ وحَسْبي أَنَّ مِثلكَ لي جِلاءُ
تَقطَّعَتِ الزيارَةُ منكَ عنا الى أَن كادَ ينقطعُ الرَجاءُ
ولم يكُ بيننا نارٌ ولكن تعرَّضَ بيننا كالنارِ ماءُ
لقد طالَ البِعادُ ولستُ أَدري فأَصبِرَ هل يطولُ لهُ البَقاءُ
نقولُ غدًا ونَطمعُ أَنْ نَراهُ فيضحكُ من عُلالَتِنا القَضاءُ
تَمتَّعْ من حَبيبِكَ قبلَ يومٍ بهِ من داءِ حُبِّكما شِفاءُ
فبعضُ الليلِ ليس لهُ صَباحٌ وبعضُ اليومِ ليسَ لهُ مَساءُ

وقال يمدح بعض الاطباء

سقاني حُبُّهُ كأْسًا دِهاقا فأَسكَرَني وأَسكَرتُ الرِفاقا
وما عَلِمَ الفُؤادُ قديمَ سُكرٍ بهِ ولَكانَ يَعلَمُ لو أَفاقا
هَوَى قلبٍ تملَّكَهُ رقيقًا فوا عجبا ولا يَرضَى العِتاقا

Digitized by Birzeit University Library

اذا رقَّ الحبيبُ ودقَّ معنىً ... لهُ رقَّ الهوَى ورَقِي وراقا
جميلٌ قد صَرَفتُ جميلَ صبري ... على يدِهِ فأَحسنتُ الطِباقا
يَتُوقُ اليهِ قلبي وَهْوَ فيهِ ... ويخشى أَن يذوبَ فلا يُلاقَى
طبيبٌ لا يَنالُ الموتُ منهُ ... دِماءَ عليلِهِ الاَّ اُستراقا
ولو تَرَكَ الدَواءَ لنابَ عنهُ ... بأَطيبَ منهُ نَشْرًا أَو مَذاقا
فتًى يلهو العليلُ اذا أتاهُ ... بهِ عمَّا أُصيبَ فما أَطاقا
ويُوشِكُ أَن يخافَ فِراقَ سُقمٍ ... مخافةَ أَن يذوقَ لهُ فِراقا

وقال يمدح بعض علمآء المغرب

قد طَلَعَ البدرُ من المَغرِبِ ... فمَنْ رأَى هذا ولم يَعجَبِ
والبحرُ في البحرِ أَتَى راكبًا ... في طَيِّ فُلْكٍ طيّبَ المَشرَبِ
شخصٌ اذا أَقبَلَ لكنَّهُ ... من شخصهِ يخرُجُ في مَوْكِبِ
في كلِّ فنٍّ ولِسانٍ تَرَى ... منهُ إِماماً مُذهَبَ المَذهَبِ
يَعلَمُ ما ليسَ لهُ عالمٌ ... قارئَ ما قد كانَ لم يُكتَبِ
في قلبهِ من نَظَرٍ صادِقٍ ... ما كذَّبَ العينَ ولم يَكذِبِ
دائِرَةُ الحِكمةِ أَقلامُهُ ... أَعمِدةُ الحقِّ على المَنكِبِ
احاطَ بالعِلمِ واسرارِهِ ... إِحاطةَ الهالةِ بالكوكبِ
وكادَ يستقصي لُغاتِ الورى ... من مُعجَمٍ فيها ومن مُعرَبِ

Digitized by Birzeit University Library

تستحضرُ الأمرَ لهُ فكرةٌ تستدركُ الأبعدَ بالأقربِ
بديهةُ رأيٍ من وقارٍ بهِ يأبى ابتدارَ القولِ بالموجبِ
يعفو على قدرتهِ مغضياً من حلمهِ عن نظرِ المغضبِ
يحتالُ في الترْكِ لذنبٍ فإنْ كانَ ففي معذرةِ المذنبِ
بديعُ لطفٍ كنسيمِ الصبا يهدي الربى عرفَ الكبا الطيّبِ
سرٌّ سرى من سرِّ مولاهُ في سرٍّ لهُ سرَّ ولم يطربِ
رحبُ النهى والصدرِ والباعِ والـ منطقِ والدارِ كريمُ الأبِ
ان كانَ خيرُ الناسِ من ينفعُ الـ ناسَ فقلْ هذا ولا ترْهبِ
وربَّما ضرَّ حسوداً لهُ أتعبهُ جرياً ولم يتعبِ
يالابساً ثوبَ سوادٍ كما يلبسُ بدرٌ حلّةَ الغيهبِ
هيّجتَ بي في الشعرِ بعدَ النوى وجداً قديماً في الحشا قد ربي
والشعرُ مثلُ المهرِ في خلقهِ ان طالَ عهدُ الربطِ لم يركبِ

وقال وقد بعث بها الى صديقٍ لهُ وكان قد نُعِي اليهِ

نارٌ وما ادراكَ ناري ما هيا نارٌ يؤجّجُها هواكَ يمانيا
لا تنكروا ان ذابَ قلبي دونها لو أنهُ جبلٌ لأصبحَ واديا
طالَ الزمانُ وما ظفرتُ بطائلٍ وصبرتُ حتى ملَّ صبري عاصيا
ورضيتُ بالطيفِ المُلِمِّ فخانني نومي فصرتُ بذكرِ طيفكَ راضيا

Digitized by Birzeit University Library

يا كوكباً قد غابَ عنا أوّلاً ... ويلاهُ هل يُرجى طُلوعُكَ ثانيا
أهوى لوجهكَ كلَّ نجمٍ طالعٍ ... وبيتُ طَرْفي للكواكبِ راعيا
ان كانَ ما بُلِّغتَ عني كاذباً ... فغداً سيصدُقُ ليسَ حيٌّ باقيا
وفِراقُ مَن أحببتَ موتٌ عاجلٌ ... للعاشقينَ فلا تكذِّبْ ناعيا

وقال يعزّي صديقاً لهُ بانسباءِ لهُ قد توفُّوا كتب بها اليهِ في بلاد المغرب

لا تبكِ ميتاً ولا تفرحْ بمولودِ ... فالمَيْتُ للدُّودِ والمولودُ للدُّودِ
وكلُّ ما فوقَ وَجْهِ الأرضِ تنظرُهُ ... يُطوَى على عدَمٍ في ثوبِ موجودِ
بئسَ الحياةُ حياةٌ لا رَجاءَ لها ... ما بينَ تصويبِ أنفاسٍ وتصعيدِ
لا تستقرُّ بها عينٌ على سِنَةٍ ... الاَّ على خوفِ نومٍ غيرِ محدُودِ
ما أجهلَ المرءَ في الدُّنيا وأغفلَهُ ... ولا نخاشي سُليمانَ بنَ دَاودِ
يرى ويعلمُ ما فيها على ثِقَةٍ ... منهُ ويغترُّ منها بالمواعيدِ
كلٌّ يفارقُها صَفْرَ اليدَينِ بلا ... زادٍ فما الفرقُ بينَ البُخلِ والجُودِ
يَضنُّ بالمالِ محمودًا يُثابُ بهِ ... طَوعاً ويُعطيهِ كَرْهاً غيرَ محمودِ
هانَ المَعادُ فما نفسٌ بهِ شُغِلَتْ ... عن رَبَّةِ العُودِ او عن رَنَّةِ العُودِ
يا أعينَ الغيدِ تَسْبينا لواحظُها ... قِفي انظُري كيفَ تُمسي أعينُ الغيدِ
يبدُو الهلالُ ويأتي العيدُ في أنَقٍ ... ماذَا الهلالُ وماذَا بَهجةُ العيدِ
يومٌ لغيرِكَ ترجوهُ وليسَ لهُ ... كلُّ ليومٍ غَداةَ البينِ مشهودِ

Digitized by Birzeit University Library

قد صَغَّرَ الدهرُ عندي كلَّ ذي خطرٍ ... حتى استوى كلُّ مرحومٍ ومحسودِ

اذا فُجِعتُ بمفقودٍ صبرتُ لهُ ... اني سأترُكُ مفجوعاً بمفقودِ

يا مَن لهُ منهُ أهلٌ لا جزِعتَ على ... أهلٍ وهل لكَ رُكنٌ غيرُ مهدودِ

لَسنا نُعزّيكَ إجلالاً وتكرِمةً ... فأنتَ أدرَى ببُرهانٍ وتقليدِ

لكل داءٍ دواءٌ يُستطَبُّ بهِ ... وليس للحُزنِ الا صبرُ مجهودِ

والصبرُ كالصدرِ رُحباً عندَ صاحبهِ ... فانْ صبرَكَ مثلُ البيدِ في البيدِ

لله أيَّةُ عينٍ غيرُ باكيةٍ ... تُرَى وأيُّ فؤادٍ غيرُ مفؤودِ

ان كانَ لا بدَّ مما قد بُليتَ بهِ ... هانَ البلى بينَ موعودٍ ومنقودِ

حاشاكَ من خُطَّةٍ للقوم باطلةٍ ... منها الأسى لفواتٍ غيرِ مردودِ

فالحِلمُ في القلبِ مثلُ السورِ في بلَدٍ ... والعِلمُ في العقلِ مثلُ الطوقِ في الجِيدِ

وقال يرثي كريم قومٍ توفي

لِمَنِ الدَّمعَ بعد هذا تصُونُ ... وَعلامَ الصبرُ الجميلُ يكونُ

كلُّ حُزنٍ بحَسبِ كلِّ فقيدٍ ... وبحَسبِ الأحزانِ يبكي الحزينُ

وبحسبِ البَلاءِ صبرٌ بهِ القلبُ م على حَمْلِ ما بهِ يستعينُ

يخلُقُ الناسُ للشقاءِ فما أسعَدَ م مَن لم يُخلَق فذاكَ أمينُ

طالما جدَّتِ الرجالُ على الدُّنيا م فغارَت ضِحكاً عليها المَنُونُ

قد أعدَّتْ لدهرِها وَهْيَ لا تطمعُ م في يومِها فبئسَ الجُنونُ

Digitized by Birzeit University Library

كلُّ حَيٍّ يرجو الحياةَ ولو في ال موتِ وهماً فماتَ وَهْوَ ضنينُ
قد اطالت فينا الظنونُ الأمانيَّ م وعندَ القضاءِ صحَّ اليقينُ
علّةُ الموتِ لا تُداوَى ولا تحمي م الرُقى منهُ والقنا والحُصونُ
ولعلَّ الدواءَ منهُ سقامٌ ولعلَّ الفِرارَ منهُ كمينُ
ما تُرَى مَن حِماهُ شَرْبةُ ماءٍ يَتَّقي مَن قضاهُ كافٌ ونُونُ
حيلةٌ أعيتِ الأنامَ فمات ال شيخُ عجزاً كما يموتُ الجنينُ
نشتكي شدَّةَ الحياةِ ولا نر ضى كما لا يرضى الخلاصَ السجينُ
كلُّنا في الحياةِ يطلبُ أرضاً شاكلَتْهُ فنحنُ ماءٌ وطينُ
ايها العُمرُ طُلْ أو اقصُرْ فاني للمنايا مهما أطلتَ رَهينُ
كلُّ امرٍ لا بُدَّ منهُ اراهُ كانَ قبلاً فلم أخَفْ اذ يكونُ
راحةُ المَرْءِ تركُ دُنياهُ طوعاً فهوَ كُرْهاً لتركِها سَيَدِينُ
خبِّرينا يا ارضُ كيفَ سُلَيما نُ وعادٌ وأينَ تلكَ القُرونُ
كنتِ ملكاً لهم فصاروا تُراباً منكِ ملكاً لنا بهِ نستهينُ
إلفُ هذي الحياةِ جدَّدَ في الأَ م نفسِ أُنساً بها فطالَ الحنينُ
وأنِسنا ببعضٍ فكانت وَحشةٌ في القلوبِ حين نَبِينُ
ايها الراحلُ الذي زادهُ التقوَ م ـى الى اللهِ والعفافُ هجينُ
انتَ في التُرْبِ قد دُفنتَ ولكن لكَ طيَّ القُلوبِ شخصٌ دفينُ
ان تكن نمتَ نومةَ الدهرِ فالنو م علينا قد حرَّمتهُ الجُفونُ

Digitized by Birzeit University Library

وَلَئِن كُنتَ قد بَلِيتَ فلا يَبلَى م اُشتياقٌ ولا تَرِثُّ شُجُونُ
يا لكَ اللهُ هل سمعتَ نُواحاً في الليالي لهُ الصفاةُ تلين
ان يكن لم تُصبْ ثَراكَ الغوادي كلَّ يومٍ فقد سقتهُ العيونُ
كنتَ لا تُخلِفُ الرَجاءَ كريماً وكريماً خابت لَديكَ الظنونُ
نحنُ نَبغي لكَ الحياةَ فهل تَر ضَى بدُونٍ وكيفَ يُرضيكَ دُونُ
كنتَ في الارض زاهداً مطمئناً لم تَبِعْ دارَها وانتَ غبينُ
لا يبالي بأُرجُوانٍ وخَزٍّ من كَساهُ عقلٌ وعِرضٌ ودِينُ
قد جمعتَ الدارَين هذه تولَّتها م بنانُ اليُسرَى وتلكَ اليمينُ
ومِنَ الناسِ جاهلٌ وحكيمٌ ومِنَ الدارِ ناصحٌ وخَؤُونُ

وقال يمدح الشيخ حمد المعروف بابن علي الصغير صاحب بلاد بشارة

بين ضربِ الطُلَى وطعنِ الصدورِ تَنزِلُ المكرُماتُ حولَ غديرِ
وعلى صَهوَةِ السوابقِ تُبنَى من عَجاجٍ للمجدِ شُمُّ القصورِ
انما الفضلُ بالكَرامةِ والإقدا مِ والحَزمِ في اعتراكِ الأُمورِ
مِثلَما سادَ في الوَرَى حَمَدُ الحمو دُ حَمدُ المؤمَّلِ المشكورِ
طارفٌ عن تليدِ جدٍّ قديمٍ وَرِثَ المكرُماتِ إرثَ الجديرِ
لقَّبوهُ الصغيرَ وَهوَ عليٌّ اذ رأَوهُ دُونَ الإمامِ الكبيرِ
فِئةٌ تَصلُحُ العُلَى والعطايا والسرايا لهم ونحرُ الجَزورِ

Digitized by Birzeit University Library

لِسَرِيرِ العُلَى رِجالٌ والاَّ ضاقَ بالجالسينَ مَتْنُ السريرِ
انتَ منهم وفَوْقَهم أيُّها الصا في كَمالاً لِصَفْوةِ التكريرِ
حَسَبٌ فوقَ ذلك المجدِ قد زا دَ كأبياتِ الشعرِ بالتشطيرِ
ضاقَ عنك الثناءُ شرحاً فما تو صَفُ الاَّ بمثل رمزِ المُشيرِ
فوقَ اهلِ القريضِ عِلماً فمن أرْ ضاكَ منهم فذاكَ فوقَ جريرِ
طالما تَنظِمُ القوافي من الشعرِ م طِباقاً بمالكَ المنثورِ
شاعرٌ يخلُقُ المعاني ويَرضَى من فصيحِ الألفاظِ بالمشهورِ
لا تَلُمْني اذا اقتصرتُ فقد كلَّفتُ م نفسي اليك عزمَ الجَسُورِ
مَوقِفٌ هائلٌ وسيفٌ كليلٌ وكِلا الجانبينِ داعي القصُورِ

واقترح عليه الامير بشير الشهابي صاحب جبل لبنان ان ينظم تاريخاً لفتح عكاء فنظم هذين البيتين وقد ضمّنهما ثمانية وعشرين تاريخاً بحساب الجُمَّل وذلك يحصل من كل شطرٍ منهما ومن مهمل كل بيتٍ منهما ومن معجمه ومن مهمل كل شطرٍ مع معجم كل شطرٍ فيهما و بالعكس صدراً لصدرٍ وعجزاً لعجزٍ وبالخلاف سوى التاريخ الناطق لفظاً وهما قولهُ :

في فتح عكَّا بَرْدُ نارٍ مَعاطبٍ دارِ الخليلِ وللديارِ بهِ البُكا
رأسَ الثمانِ واربعينَ بِطَيِّهِ مئتانِ مَعْ ألفٍ فبارَكَ ربُّكا

Digitized by Birzeit University Library

ولما بلغ ابرهيم باشا البيتان ارسل يطلب منه قصيدة على نسق قصيدة السيد شاكر النحلاوي التي مدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق فنظم هذه القصيدة وقد جعل كل شطر منها تاريخًا وصدرها ببيتين قد ضمّن كل شطر منهما تاريخين ووزع حروف البيت الاول على اوائل ابيات الغزل من القصيدة وحروف البيت الثاني على اوائل ابيات المديح منها اما البيتان فهما قوله :

انت الخليل وفي الاطلال بردٌ لظًى * أطلال عكا ورفض الرعب والحذر
١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

كن بالغا اوج سعدٍ ما به ضررٌ * او غالبًا لم يزل في أوّل الظفرِ
١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

واما القصيدة فهي قوله :

ا	الزهرُ تبسِمُ نورًا عن أقاحيها	اذا بكى من سحاب الفجرِ باكيها
ن	نورُ الأقاحي الذي ما بالحياءِ بهِ	من صحةٍ وصفاءٍ عزَّ مُنشيها
ت	تلكَ الربوعُ لليلى أين مرتعُها	عن قصدهِ وسيوفُ العُرب تحميها
ا	أدماءُ تجني على الأكباد مُصليةً	تبارَكَ اللهُ ما أحلى تجنّيها
ل	ليلى ولي شوقُ قيسٍ في محبتها	فشعرهُ فجنونٌ شابهُ فيها
خ	خالٌ لها عمَّهُ وردٌ بدا حرمًا	في وجنةٍ حميتْ عمَّن يُدانيها
ل	للهِ مقلتُها السوداءُ صائدةً	قلوبَ عشّاقها والقرطُ راعيها
ي	يقول قومي رُويدًا قد سقمتَ هوًى	فقلتُ مهلًا شفاءي من نواحيها
ل	لعلَّ صافي نسيمٍ من خمائلها	أتى يهبُّ على روحي فيشفيها

Digitized by Birzeit University Library

و وبي رِقاقُ لَيالٍ في النقاءِ وَفَت بِيضُ اللقاءِ فما أَهنى لياليها

ف في جنَّةٍ حُوْرُها تزهو بنا وبها لو كانَ يصفو خُلودٌ في روابيها

ي يَهزُّني ذِكرُها وجداً فأَعلَمُهُ جُرحاً وروحي تراهُ من مجانيها

ا أَسأتُ كتمَ الهوى والصبُّ كيف لهُ سِترٌ ودمعُهُ قد هلَّ واشيها

ل ليسَ الهوى بخفيٍّ عندَ رادِعهِ فكيفَ ناشرُهُ يَطْويهِ تمويها

ا استودعُ اللهَ صبراً ما أُمارسُهُ ومُهجةً عن حِسانٍ لَستُ أَحميها

ط طاب الهوى والضنى واللَّوْمُ لي قدمي أُسَرُّ في بذلهِ في حيِّ أَهليها

ل لَبَّيكَ يالحظَها الجاني على كَبِدٍ سالَتْ أَسًى في الهوى لولا تأَسيها

ا إنْ تعفُ طوعاً فانَّ العفوَ لي أَرَبٌ او لا فريحانُ رُوحي في تفانيها

ل ليتَ الصبا عاد لي بعد المَشيبِ على شرطِ الوفا وهوَ ادنى من تجلّيها

ب بِكرٌ محجَّبةٌ لا تجلي لِحيًا حتَّى من النجمِ حتَّى ما يُلاقيها

ر راقَ الدلالُ لها والذلُّ لي أَبداً ولم يَرُقْ كأْسُ ردي من تدانيها

د دمعي وَمبسمُها الدُّرُّ الثمينُ صدًى لمُهجتي فبصبرِ القلبِ أُزويها

ل لمَّا رأَت جِدَّ وَجدي في محبَّتها قامت بسيماءِ هزلٍ عينُها تيها

ظ ظنَّ الجَهولُ الهوى سَهلاً لوالجهِ مهلاً فقد تاهَ جهلاً او عَمِي تيها

ي يَهيجُهُ غزلُ عينٍ جاءَ حائكُهُ يَحوكُ بُرْدَ الضنى حالياً لماويها

ا انَّ العيونَ التي بانت لطائفُها لها خفاءُ معانٍ ليسَ ندريها

ط طلاسمٌ سحرُها المرموزُ طالعةٌ أَشكالُهُ في سُطورٍ حارَ قاريها

Digitized by Birzeit University Library

ل لواحظُ لُحْنَ في زيِّ الحِدادِ لكي يُبرِزْنَ حُزْنًا على قَتْلى رواميها
ا الناهباتُ البواكي المبكياتُ فقد كَفَّت عقولُ البرايا عن معانيها
ل لَولا سوادٌ لها ما أبيضَّ فَوْدَيَ عن شيبي ولا أحمرَّ دمعي من تهاديها
ع عزيزةُ الحسن من أحكام دولتِهِ أَنْ يجنيَ الذُّلَّ دهرًا من يُواليها
ك كلُّ الجراحاتِ مُشفيها الدواءُ سوى جِراحِها اينَ حلَّت فهيَ مُشفيها
ا الى العُيونِ التي في طَرْفِها حَوَرٌ عَهدُ الرِعايةِ رِقًّا من مُحبِّيها
و ويلاهُ من زَيغِها داءً نطيبُ بهِ فلا شُفينا بعتقٍ من دياجيها
ر رُوحي وعيني فِدى عينٍ مُطهَّرةٍ ومُهجةٍ للتي بالنفس أفديها
ف فَهْيَ الجميلةُ لكن بين عاشقها والصبرِ جورٌ قبيحٌ من تجافيها
ض ضاعَ الزمانُ وطالَ الوجدُ وا أسفي ولم يقصِّرْ سباقي في تصابيها
ا أشابَني عَتْبُها قُربًا فأزهدَها وعيَّرتْني بشيءٍ جاءَ من فيها
ل للشيبِ انفعُ طِبٍّ في الفتى نَبَأً بما يُوافي وترهيبًا وتنبيها
ر رأسٌ يُصفِّدُهُ نامي الصبا عَبَثًا بأدهَمِ الشعْرةِ النَدّابِ ناميها
ع عيشٌ قصيرٌ طويلُ الرُعبِ أعدلُهُ ما يقصُرُ النفسَ قربًا نحوَ باريها
ب برقُ المُنى خُلَّبٌ الا اقلَّ حِبىً نَقِرُّ عَينٌ بهِ رَصْدًا يُسلّيها
و والناسُ من يشتهي ما المطلُ حاصلُهُ ومن تفيهِ عِداتٌ نامَ داعيها
ا اعوذُ باللهِ مِن علمٍ بلا عملٍ ومن تَدارُكِ نفسٍ كلَّ راعيها
ل لَوّامةٌ اوقفتني لا أُطاوعُها ولا يُحبِّبُ ضعفي أنْ أُعاصيها

Digitized by Birzeit University Library

ح حلّت لها النارُ دونَ العارِ في دُوَلٍ ... من حاسديها بأرضٍ سالَ واديها

ذ ذرني وما بيَ هل لومٌ عليَّ بها ... وقد مُلئتُ ومَلَّتْ من أعاديها

ر رِماحكم يا كرامَ الحيِّ لا نَقفوا ... ولا ترُعكم بلى جدّت دواهيها

ك كُلُّ البلايا من الدُنيا متى نزلَتْ ... بنا فنيران إبرهيمَ تُفنيها

ن نارٌ ونُورٌ متى قال النزالُ لهُ ... والجُودُ هاتِ يدًا لم يُلقَ ثانيها

ب بَنى من العزِّ بيتًا دونَ أعمدةٍ ... سِوَى قَناةٍ لهُ عزَّت مبانيها

ا اللوذعيُّ العزيزُ الباسلُ الملكُ ال ... غازي الملا بيدٍ حسبي اياديها

ل للسيفِ والرُمحِ والاقلامِ قد وُلِدَت ... راحاتُهُ ولسُؤّالٍ تفاجيها

غ غازٍ مهيبٌ حسيبٌ ماجدٌ نجبٌ ... صافي الصفاتِ نفيسُ النفسِ زاكيها

ا اقوالُهُ خُطَبٌ أفعالُهُ شُهُبٌ ... آراؤهُ قُضُبٌ باللهِ حاميها

ا احيى المحامدَ مُفداةً مُسلَّمةً ... اليسَ اموالُهُ تَفنى وتُبقيها

و وَردٌ ما مرَّ من عدلِ الصحابةِ لا ... يلهو بزهرٍ ولا خمرٍ يُعاطيها

ج جرَّارُ خيلٍ يحلُّ البأسُ جانبَها ... والفتحُ والحتفُ عدلاً بينَ ايديها

س سَلْ قومَ عكّاءَ حينَ اربدَّ مشرقُها ... والشامَ والتركَ لمّا اسودَّ ناديها

ع عبدُ الخليلِ لعبدِ اللهِ صارَ بها ... إسمًا وشبهَ اسمهِ راحتْ أساميها

د داسَ البلادَ بإذنِ اللهِ يكسرُها ... وتكسرُ السيفَ نزعًا من نواصيها

م ماجت سراياهُ أبطالاً بسطوتها ... تُبقي وفيًّا وتُبلي مَن يُعاديها

ا أحببْ بأصيدَ تحكي الدهرَ همّتُهُ ... لكن متى نابَ شرٌّ مَن يحاكيها

Digitized by Birzeit University Library

ب بعيدُ قَدْرٍ عن الأمثالِ ليسَ لهُ شِبهٌ فما مَدحُهُ مما جاءَ تَشبيها

ه هُوَ الذي حجَّ آلَ البيتِ جاءَ بهِ بعدَ الذهابِ جَلِيَّ الطُرْقِ جاليها

ض ضَلَّ السعوديُّ وَهَّابُ السوادِ فما أهداهُ الاَّ ببَرْقِ البيضِ واليها

ر رَسولُ حَقٍّ نِزالُ الحربِ سُنَّتُهُ وفَرْضُهُ الجِدُّ بالجَدْوَى يُواليها

ر رامَ الحجازَ وسودَ الزنجِ ثمَّ رَمَى فيها القِتالَ وأَمَّ الرُومَ يرْميها

ا اللهُ اكبرُ هذا حالُ مَنْ جلسَ آلْ أيَّامَ فوقَ سُروجِ الخيلِ يُدميها

و والحمدُ للهِ لم تقصُرْ بواكرُهُ في ما يَقومُ ولم تُحْصَرْ مساعيها

غ غَلَّابُ نادٍ وأجنادٍ يُعاهدُهُ نصرٌ قريبٌ على لُطفٍ يماشيها

ا أحصى المُنى والثنا والحزمَ والكرمَ آلْ أسنى وآياتِ عدلٍ لستُ أُحصيها

و لا أعقبَ الويلُ مِصرًا وهْوَ تاركُها همًّا فجودُ يَدَيهِ جاءَ يُغنيها

ب بحرٌ وبدرٌ وليثٌ لا يُرَدُّ لهُ أمرٌ وصمصامةٌ سُبحانَ باريها

ا ابو الفتوحاتِ أُمِّ الحربِ طاهيها سُلطانُ ساحاتِ برِّ العُربِ واقيها

ل لهُ البلادُ بأشخاصِ العبادِ بما أبقى التلادُ بما حاطت أقاصيها

م محمَّدِيٌّ عليٌّ شأنُهُ كُسِرَتْ طوارقُ الرَوعِ بأسمٍ منهُ يأتيها

ي يا يومَ عُثمانَ لم يَقفُلْ ببا كرِهِ إلاَّ حفايا ظُعونٍ وَهْوَ حاديها

ز زَلَّت به قدمٌ جاءَت بهِ مَرَحًا فرَدَّها عن يدٍ والنصرُ تاليها

ل لسيفِ سُلطانِ مصرٍ هيبةٌ لَقِيَ آلْ بلادَ حَيٍّ بها يا سَيفَ غازيها

ف فاقَ الثنا أنَّكَ الدُنيا وقاهرُها سعدًا وحاكمُها حقًّا وقاضيها

Digitized by Birzeit University Library

ي يافاتحَ المَنصبِ الطاري نَدًى وَردًى ... على الصَدَى والعِدَى يُخلي طواريها

ا اتيتُ نحوكَ أُحيي الليلَ عن عَجَلٍ ... وأَقتُلُ الخيلَ جوّابًا أُزَجّيها

و واللهُ يَشهدُ كم ليلٍ سَهِرتُ بكم ... اجلو رقيمةَ دُرٍّ رُدَّ جاليها

ل لم يأتِها قبلُ الاَّ شاكرٌ عَجَبًا ... وجئتُ بعدُ فأَهدتني قوافيها

ا أَبقتْ صُداعًا برأسٍ راحَ يسلُبُهُ ... وحَبَّذا سلبُ أَدواءٍ تُداويها

ل لم أَلقَ كُفوًا لها مِمَّنْ رَفعتُ يدي ... قبلاً اليه فلم أَهتمَّ تنزيها

ظ ظلَّ البديعُ لها عبدًا يُلِمُّ بها ... وكلُّ خَطبٍ سليمٍ عندَ راقيها

ف فانعَمْ بها وَهْيَ فلتَنعَمْ بمُكرِمها ... جُودًا ومُعظِمِها جاهًا ومُعليها

ر راقتْ كأَدنى معانيكَ الحِسانِ فما ... آياتُ حقٍّ كشَطرٍ من مَبانيها

١٢٤٨

وساله بعض من له عليه حق الاجابة ابياتًا يقدم بها على نائب ابرهيم باشا لما كان في دمشق الشام فقال

اخافُ اذا اشارَ براحتَيهِ ... لِعلمي أَنَّ رُوحي في يَدَيهِ

ويَخفِقُ عِندَ نَظْرتِهِ فُؤادي ... لأَنَّ سَوادَهُ من مُقلتَيهِ

رَشًا أَلِفَ النِفارَ وليسَ بِدعٌ ... فقد خُلِقَ النِفارُ لِعَطْفَيهِ

يُعاهِدُ كُلَّ يومٍ كلَّ عهدٍ ... ويَغدُرُ بالنبيِّ وصاحبَيهِ

أُريدُ سُلوَّهُ من كلِّ قلبي ... وقلبي لا يُطاوِعُني عليهِ

Digitized by Birzeit University Library

وهيهاتِ السُلوُّ وقد ظَلَلْنا ... وظَلَّ الغُنجُ يَعْقِدُ حاجبيهِ
وما طُفنا البلادَ ولا رأَينا ... مَقامَ المجدِ والدُنيا لديهِ
لديهِ الفاضلُ البحريُّ بحرٌ ... تَضيقُ بِحارُنا في جانبيهِ
أَصحُّ الكاتبينَ يداً وفكراً ... وأَضبطُ حاسباً من كاتبيهِ
وأَمضى من ذُبابِ السيفِ رأْياً ... وأَجملُ طَلعةً من صَفْحَتيهِ
بيَحيى تَلهَجُ الفُضَلاءُ طُرّاً ... كما لَهِجَ النُحاةُ بِسيبَوَيهِ
وتُثني المكرُماتُ عليهِ مما ... يُعظّمُها وتَحمَدُ أَصغَريهِ
اقولُ لمُقلتي لمّا رأَتهُ ... أَهذا مَن رَجَونا أَن تَرَيهِ
لكِ البُشرَى بهِ فاهنَيْ وقِرّي ... بمن يُنسي المُسافرَ والديهِ
دعوتُ من الطريقِ أَبا سليمٍ ... فلبّاني وأَبرَزَ معصَميهِ
فَرُحتُ وقد ضَرَبتُ الدهرَ صَفْحاً ... وراحَ الدهرُ يَضرِبُ أَصدَريهِ
سيعلمُ أَهلُ لُبنانٍ بأَنّي ... فتًى وَطِئَ السماكَ بأَخمَصيهِ
ويَحسُدُني الذينَ حَسَدتُ قبلاً ... على وَطَرٍ نَزَلتُ بأَسوَديهِ
أَلِفتُ الصبرَ حتى صِرتُ صبراً ... ولكن كُنتُ اطولَ شُقّتيهِ
وشَيَّبَ عارضَيَّ وليسَ بدعٌ ... اذا شابَ الكريمُ بعارضيهِ
وَصَلتُ بهِ الى وَطَرٍ كريمٍ ... على الأَوطارِ يَعقِدُ خِنصَريهِ
كريمٌ من كريمٍ حين يبدو ... ترى الأَبصارَ شاخصةً اليهِ
رَفَعتُ اليهِ دعوَى الحُبِّ شَرْعاً ... وهذي العينُ أَعدَلُ شاهديهِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال في بعض اصحابه الشعرآء من اهل طرابلس الشام

عَفَتْ دارٌ كقلبكَ بعد سَلْمَى ... فأيُّ المنزلين أضَلُّ رَسْما
وهل تُغني الديارُ بغيرِ اهلٍ ... ولو سَلِمَتْ وكيفَ تنالُ سِلْما
بَكَيْتُ على المَنازِلِ فاستَرابَتْ ... فتًى يسقي المنازلَ وَهْوَ يَظْما
تَخُطُّ مدامعي واذا كأنّي ... أُداعِبُها فأمحو الخطَّ لثْما
فَدَيتُكِ من مُوَدِّعةٍ تَوَلَّت ... وَخَيَّمَ شخصُها في السِرِّ وَهْما
حُرِمنا مُنذُ عَهدِكِ غُمضَ جَفنٍ ... فكيفَ نَظُنُّ وَصلَكِ كانَ حُلما
الى الجَبَلَينِ منا اليومَ شوقٌ ... وإنْ لم نعرفِ الجَبَلَينِ قِدما
اذا أبصرتُ نارَهُما تَمَنَّى ... فُؤادي أنَّهُ قد كانَ فَحْما
حَرَصتُ على الحياةِ وتلكَ رَهنٌ ... لمن تُدمي بألحاظٍ وتُدمَى
اذا اعطت لواحظُها أمانًا ... فتأخيرٌ الى أجَلٍ مُسَمَّى
مُنَعَّمةٌ بنارِ الوجد تُحيي ... ممنَّعةٌ بماءِ البيضِ تُحمَى
رأيتُ لعينِها قوسًا وريشًا ... فما كذَّبتُ أنَّ هناكَ سهما
يُساقُ الى الدلائلِ كلُّ حكمٍ ... اذا قامَ الدليلُ أقامَ حُكما
فما قُلنا طَرابُلُسٌ سَماءٌ ... الى أنْ أطلَعَت في الأُفقِ نَجْما
كريمٌ للثنآءِ بهِ ثَنآءٌ ... فخيرُ القولِ ما لم يُخطِ مرمَى
لَدَيهِ تَخجَلُ الأشعارُ نَقْدًا ... وإنْ تَكُ قد تباهَتْ فيهِ نظما
أصحُّ القومِ في الغَمَراتِ رأيًا ... وأجلى رُؤيةً وأجَلُّ حزْما

Digitized by Birzeit University Library

وأطيبُ من نسيمِ الروضِ نشراً ... واعذبُ من سُلافِ الكأسِ طعما
يُحبُّ البذلَ الاَّ في امتنانٍ ... ويأبى الفضلَ الاَّ أن يتمَّا
ولا يهوى لمهجتهِ رواءً ... على عطشٍ بصاحبهِ ألمَّا
نجيبٌ يسبقُ الداعي مجيباً ... لهُ لو كانَ يؤتى قبلُ علما
ويعذرُ من اتاهُ وليسَ عذرٌ ... لهُ في الناس اذ لم يأتِ جرما
تُقيدُ كلَّ آبدةٍ لديهِ ... سطورٌ كالسلاسلِ جئنَ دهما
تخيَّلَ من بياضِ العينِ طرساً ... فجاءَ بأسودِ الإنسان رقما
وحسبُكَ شاعرٌ عربيُّ لفظٍ ... تدقُّ لهُ معانٍ خلْنَ عجْما
تصرَّفَ بالغرائبِ عن فؤادٍ ... لأغلاقِ المشاكلِ فضَّ ختما
رأيتُكَ تنظمُ الدررَ اليتامى ... فقد لُقِّبتَ بالنحَّاسِ ظُلما
وما كلٌّ يُلقَّبُ عن حسابٍ ... ولا كلٌّ على قدرٍ يُسمَّى
اجاشَ الشعرُ شعرُكَ في فؤادي ... ففُمتُ صبابةً وقعدتُ سُقما
وتقصيرُ الضعيفِ يعدُّ عيباً ... ولكنْ لا يُعدُّ عليهِ إثما

وقال يمدح الشيخ محمد المفتي الطرابلسي وكان قد حضر قاضياً الى بيروت

بين رئمِ الحِمى وآرامِ رامهْ ... حربُ بدرٍ فهل علينا ملامَه
قد طلبتُ النضالَ حتى تلاقينا م فلمَّا رَنا طلبتُ السلامَه
اينَ سيفي من لحظِ من يقطعُ السيفَ م بلحظٍ لهُ كقطعِ القلامَه

Digitized by Birzeit University Library

يَتَّقي العينَ ان تَراهُ ويَخشى عينَهُ كلُّ فارسٍ تحتَ لامه
مَن لِمِثلي بمثلِ ظَبْيٍ حَماهُ سَيفُ جفنٍ يعلو على رُمحِ قامه
انما الهَجْرُ للمُحِبّينَ موتٌ ليتَ شعري متى تكونُ القيامه
لي ذُلٌّ اقامَ عِزًّا لديهِ ذُلُّ نفسٍ لعزِّ نفسٍ إقامه
واذا لم أَعرِف كَرامةَ نفسي كيفَ ارجو ممَّن سِوايَ كَرامه
ما أَنا والحِسانَ تُضحِكُ رَيحا نَ عِذارٍ من عارِضَيَّ ثَغامه
كُلُّ فنٍّ لهُ رِجالٌ وفي كُلِّ م رِجالٍ مَن يستحِقُّ الإمامه
كإمامِ القُضاةِ مولى الموالي كَعْبةِ الفضلِ العالمِ العلّامه
أَلَّذي قامَ في طَرابُلُسِ الشا مِ فكانت في وَجنةِ الشامِ شامه
عَلَمٌ دَلَّتِ البَنانُ عليهِ عندَ إقبالِهِ فتلكَ العلامه
عَجِبَ الناظرونَ للبحرِ منهُ فوقَ سَرجٍ والبدرِ تحتَ عِمامه
هيبةٌ في وَداعةٍ وانبساطٌ في وَقارٍ ورِقّةٌ في شَهامه
لا تَنالُ المُدامُ منهُ ولا يلقى م الغَواني بمُهجةٍ مُستهامه
نَصَبَتْ عينَهُ رقيباً عليهِ منهُ نفسٌ لنفسِها لَوّامه
ليسَ يحتاجُ في الفعالِ الى العُذ رِ ولا تَعقُبُ الفعالَ النَدامه
عَقَدَتْ في القضاءِ صُلحَ اعاديهِ م وأَنسَتْ حُبَّ الصديقِ استقامه
تُرهِبُ النفسَ نظرةٌ منهُ إجلا لاً وتُحيي القلوبَ منهُ ابتسامه
رامَ تقبيلَ كفِّهِ كلُّ ثَغرٍ ولَدَيهِ تطأْمنَتْ كُلُّ هامه

Digitized by Birzeit University Library

بعُدتْ غايةُ الإمام ولم أَظفَرْ م بعينٍ كعينِ ذاتِ اليَمامَه
يَسبِقُ الفعلُ منهُ قولي فما أُد ركُهُ لَو رَكِبتُ مَتْنَ النَعامَه
حَسْبُكَ اللهُ يا محمَّدُ قد أَو عيتَ ما ضاقَ عنهُ غَورُ تِهامَه
ليتَ مُعطِيكَ ذلكَ الفضلَ اعطا نا لهُ أَلْسُنـاً بهِ قوَّامَه

وقال يرثي مخائيل صَدَقة الطرابلسي

على الدُنيا ومَن فيها السَلامُ اذا ذَهبَتْ أَحبَّتُنا الكرامُ
وما الدُنيا سِوَى أَهلٍ عَليها اذا رَحلَ المُقيمُ فما المُقامُ
رُوَيدَكَ ايُّها الناعي صَباحًا كَلامُك في القُلوبِ لهُ كِلامُ
أَراكَ نَعيتَ لي قمَرَ الدَياجي تُرَى هل يُدرِكُ القمَرَ الحِمامُ
لمخائيلَ تبكي كُلُّ عينٍ وان يكُ في الجِنانِ له ابتِسامُ
نُساءُ بما يَسُرُّ وكلُّ نفسٍ لها وَطَرٌ سِواهُ لا يُرامُ
أَقامَ على المنازلِ كلَّ خَودٍ تنوحُ ولا كما ناحَ الحَمامُ
وما مثلُ البكاءِ على حبيبٍ لطائعهِ وعاصيهِ سَقامُ
سوافرُ لا تنالُ العينُ منها عليها من غدائرِها لثامُ
لئنْ كانت بُدورًا في ظَلامٍ فقد صارت بذاكَ هيَ الظَلامُ
مخضَّبةُ الطُلى بدِماءِ دمعٍ بِهِنَّ الشيخُ خُضِّبَ والغُلامُ
يَحُولُ الدمعُ دُونَ الدمعِ جريًا فيُوشِكُ أَن يُكفكِفَهُ الزِحامُ

Digitized by Birzeit University Library

أَلا يالابسَ الديباجِ ماذا لَبستَ وما اكتستْ تلكَ العِظامُ
عَهِدتُ الخَزَّ لا يُرضيكَ مِهْدًا فما افترشتْ لِجَنْبِكَ الرِجامُ
رَحلتَ عَنِ الديارِ بِلا وَداعٍ وهل بعدَ الرحيلِ لها سَلامُ
تُحاذِرُ بعدَ بَينِكَ من نَزيلٍ كأَنَّ النازلينَ دَمٌ حَرامُ
أَيدري النعشُ اي فتًى عليهِ ويدري اللحدُ مَن فيهِ ينامُ
ولو عُرِفت لهُ في التُرْبِ ذاتٌ ومَنزلةٌ لَهابَتْهُ الهَوامُ
بَكَتهُ الصُحْفُ والأَقلامُ حُزنًا كما بَكَتِ البَلاغةُ والكَلامُ
وتبكيهِ العُفاة وكُلُّ عافٍ على الصَدَقاتِ يبكي لا يُلامُ
رَمَتْ أَيدي المنايا كُلَّ قلبٍ بسهمٍ أَسَّى بهِ تُصمَى السِهامُ
قَصَفْنَ قضيبَ بانٍ في صِباهُ وكيفَ القصفُ اذ لانَ القَوامُ
كذا الدُنيا وان طالت علينا لكُلِّ بِدايَةٍ فيها خِتامُ
ولم تَزَلِ الحَياةُ لكلِّ نفسٍ بها نقصٌ وفي الموتِ التَمامُ
بَنَيناها وَتَهدِمُنا وكُلٌّ من الأَمرَينِ ليسَ لهُ دَوامُ

وقال يمدح اسعد باشا قائد جيش البلاد العربيَّة

بِناءُ العُلَى بينَ القَنا والبوارقِ على صَهَواتِ الخيلِ تحتَ البيارقِ
ولله سِرٌّ في العِبادِ وانما قليلٌ مَحَلُّ السِرِّ بينَ الخلائقِ
يقلِّبُ هذا الدهرُ احوالَنا كما تَقَلَّبَ فينا لاحِقًا إِثرَ سابقِ

Digitized by Birzeit University Library

ولولاهُ لم تُكشَفْ ظُلامةُ غاصبٍ ... ولم نُقضَ في الدُنيا لُبانةُ عاشقِ

نعيمٌ وبؤسٌ يَضيان كرائدٍ ... لقلبٍ على إثرِ الفريقَينِ لاحقِ

تُريكَ الأَماني العيشَ دُفعةَ ماطرٍ ... وتلكَ اذا حقَّقتَ لمعةُ بارقِ

وما الجهلُ إلاّ في قَبُول خديعةٍ ... وما الحِلمُ إلاّ في اختبارِ الحقائقِ

ولولا اختبارُ الدولةِ ابنَ سريرها ... لَما اعتمدَتْهُ في المعاني الدقائقِ

كريمٌ تولَّى الأَمرَ يُصلِحُ امرَهُ ... كفَتقٍ تولَّتْهُ انامِلُ راتِقِ

وقامَ بأَعباءِ المُلوكِ مُشمِّرًا ... لها ذيلَ طلاَّعِ الثنيَّاتِ صادقِ

حُسامٌ خبا السُلطانُ للدهرِ نَصلَهُ ... كجوهرةٍ خبَّأتَها للمضايقِ

أَتى من لَدُنهُ خاتمَ الرُسلِ فاتحًا ... مَغالقَ طُرقٍ أَشكلَتْ وطرائقِ

اذا اشتدَّ خطبٌ اعجزَ الناسَ كشفُهُ ... رماهُ بهِ عن مثلِ قوسِ جُلاهِقِ

فراضَ ركابًا أَتعبَتْ كلَّ راكبٍ ... ومهَّدَ طُرقًا أَعثَرَتْ كلَّ طارقِ

اقامَ السرايا يُنفِرُ الموجُ خيلَها ... بكلِّ لواءٍ فوقَ لُبنانَ خافقِ

بِحارٌ على وجهِ البِحارِ زواخرٌ ... جِبالٌ على متنِ الجِبالِ الشواهقِ

كأَعجازِ نخلٍ خاوياتٍ عُدَاتُها ... تَخِرُّ لَدَى غاباتِ نخلٍ بواسقِ

تَجِفُّ بايديها الدِماءُ من الظُبَى ... فتضرِبُ لا تحتاجُ قبضَ البراجقِ

يقودُ الوزيرُ الجيشَ غيرَ مُخالفٍ ... وقدساقَ عنهُ الجيشَ غيرَ موافقِ

ويذخرُ بيضَ الهندِ وهيَ كنوزُهُ ... وتَهلِكُ معهُ بينَ نحرٍ وعاتقِ

يحدِّثُ أَهلَ الغربِ في كلِّ ليلةٍ ... بما فعلت غاراتُهُ في المشارقِ

Digitized by Birzeit University Library

فيعجب من أفعاله كل عاقل ... ويثني على افضاله كل ناطق
شكيته الظبي من كثرة الضرب فاشتكى ... تكسرها من ضربه في المفارق
وملت ظهور الخيل منه فملها ... اذا لم تخضب من دم بشقائق
اذا قام من تحت السرادق راكبا ... اقام عجاجا فوقه كالسرادق
ولما رأينا كيف تنقض خيله ... علمنا بها كيف انقضاض الصواعق
اذا ما رمى يوما بهن عواصما ... ضحكن على اسوارها والخنادق
وما السور الا بالرجال فانها ... بنته فكان الهدم ليس بعائق
يقدم جيش الرعب قبل جيوشه ... نذيرا وان عادت فغير مرافق
تفارق اطراف البلاد خيوله ... واصواتها في قلبها لم تفارق
يطأن الحصى كالترب غير عواثر ... وملس الصفا كالرمل غير زوالق
ويحسبن غاب الوحش زهر الحدائق ... ويحسبن وحش الغاب آرام رامة
عليها أسود تتقي عار هارب ... ولا تتقي في الكر وقبة غاسق
رماح بأيديها رماح طويلة ... تمزق شمل القوم في كل مازق
ينض دما ما اندقن منها فانه ... قتيل بثارات الضلوع السواحق
اذا ناب خطب الدهر فادع تيمنا ... بأسعد خلق الله دعوة واثق
عزيز اذل الدهر وهو عدوه ... لأن الخنا في سوقه غير نافق
كريم السجايا ملء قلب مؤمل ... وراحة مستجد ومقلة رامق
له في عيوب الناس نظرة غافل ... وفي غامضات السر نظرة حاذق

Digitized by Birzeit University Library

مضى يجمعُ الأفضالَ وهي عبيدُهُ ... فما فاتَ منها فرَّ منهُ كآبقِ
يُسَرُّ بما يُعطي مسرَّةَ آخذٍ ... فيشكرُ منا طارقاً شكرَ طارقِ
صحيحُ بَنانٍ تضبطُ الملكَ دهرَهُ ... ولا تضبطُ الدينارَ بضعَ دقائقِ
الى داره الرُّكبانُ تهوي فتثني ... مُشاةً لوقرِ المالِ فوقَ الأيانقِ
يربّي جيادَ الصافناتِ كوالدٍ ... ويُنشي جِدادَ المكرماتِ كخالقِ
ويعمرُ أبياتَ البلادِ كمالكٍ ... ويكفلُ حاجاتِ العبادِ كرازقِ
لهُ في رؤوسِ القومِ تيجانُ نعمةٍ ... وأطواقُ أمنٍ في نحورِ العواتقِ
وعينٌ تراعي نفسَهُ قبلَ غيرِهِ ... فلا يتولّى عِرضَهُ سهمُ راشقِ
ختمتُ على نظمِ القوافي ففضَّهُ ... كريمٌ عليهِ هانَ فتحُ المغالقِ
تضيقُ بحارُ الشعرِ عنهُ وتستحي ... ببحرٍ لما في بحرِ كفَّيهِ غارقِ
اليكَ حملنا طيّبَ الكلمِ الذي ... الى اللهِ يُهدى دونَ جُردِ السوابقِ
وما كتمُ قولِ الحقِّ عندَ مُكاشفٍ ... بهِ دونَ قولِ الزورِ عندَ مُنافقِ
لقد فُقتَ اهلَ الفضلِ فالقومُ فضلةٌ ... ومَن لي بوصفٍ مثلِ فضلِكَ فائقِ
اذا كنتَ بدعاً في الكرامِ كما نرى ... فلبّيكَ إنّي شاعرٌ غيرُ سارقِ

وسالهُ بعضُ اصحابهِ من اهل الشعر ابياتاً يقدم بها على نائب الوزير المشار اليهِ في حاجةٍ لهُ فقال

لا تلوميهِ في الهوى واعذريهِ ... هل يُفيدُ الملامُ مَن لا يعيهِ
للهوى كالملامِ داعٍ فإنْ قُلتِ ... بتركِ الداعي إذنْ فاتركيهِ

حَدَقُ الغيدِ فاتناتٌ والاَّ فَجَمادٌ فُؤادُ مَن تلتقيهِ
والهوى في القُلوبِ شَرْطٌ فان لم يَكُ بالمُشتهَى فبالمكروهِ
كُلُّنا يبتغي من العَيشِ ضَرْبًا وسُرورُ الفتى بما يبتغيهِ
انما نحنُ في اختلافِ عقولٍ مثلَما نحنُ في اختلافِ وُجوهِ
رُبَّما طابَ للفتَى ما كَرِهنا وهْوَ منَّا وعافَ ما نَشتهيهِ
لو تَساوَى المَذاقُ لم يَكُ في الدُّ نيا خسيسٌ ولم تَقُمْ بالنبيهِ
صُنتُ نفسي عن جاهلٍ صانَ عنّي نفسَهُ يشكوني كما أشتكيهِ
واذا لم أَلقَ السفيهَ بحِلمٍ ضاعَ حِلمي فكنتُ عينَ السفيهِ
كانَ للعِلمِ دولةٌ عندَ قومٍ عَرَفوهُ فأكرَموا عارفيهِ
ليسَ فينا مَن يقبَلُ العلمَ عَفْوًا فاذا بِعتَهُ فمَن يشتريهِ
قد هجونا بني الزمانِ فنلنا حَظَّ هجوٍ لأنَّنا من بنيهِ
سيفُ اهلِ الشعرِ الهجاءُ ولكنْ قَلَّ مَن هذا السيفُ يقطعُ فيهِ
علَّمتْني تجاربُ الدهرِ مالا كُنتُ أدري من آلهِ وذَويهِ
وتركتُ القريضَ أنتهزُ الفُر صةَ حتى رأيتُ مَن يقتضيهِ
صفةٌ أصفتِ القريحةَ حتى سهَّلَت في البديعِ نظمَ البَديهِ
مُعجزاتٌ في الفعلِ مُمكنةٌ في ال قولِ لكن بعيدةُ التشبيهِ
إنَّما نائبُ الوزيرِ وزيرٌ قامَ بالفضلِ وهْوَ يدعيهِ
عُمدةُ العاجزِ الكلامُ وللفعـ ـلِ فعلٌ عن قولهِ يُغنيهِ

كلَّفَ الناسَ وصفَهُ وهوَ لو كُلِّفَهُ م ما استطاعَ أنْ يحصيهِ
يَسَعُ المُلكَ صدرُهُ مثلَ عينٍ وسعتْ كلَّ فدفدٍ تجتليهِ
كاتبٌ يقطعُ السيوفَ يراعٌ في يديهِ وليسَ ضربٌ يليهِ
زاهدٌ يلبسُ السوادَ ويمشي في بياضٍ لديهِ مشيةَ تيهِ
واذا غابتِ الصحائفُ عنهُ حضرتهُ صفائحٌ تقتفيهِ
علمَ السيفُ أنَّهُ يكسبُ البيضَ م فرندًا فجاءهُ يجتديهِ
طالما أخجلَ الكرامَ كريمٌ اكثرَ اللهُ في الورى حاسديهِ
عجبوا من صغيرِ ما لاحَ من أفعا م لهِ والكبيرُ لا يرضيهِ
ليسَ يكفي الاميرَ ما قد كفى الرا جي فيعطيهِ فوقَ ما يرتجيهِ
ذاكَ يرجو بحسبِ مقدارهِ وهوَ م على قدرِ نفسهِ يعطيهِ
يفخرُ الغيثُ اذ يشبَّهُ في الجو دِ بهِ منكرًا على واصفيهِ
ذاكَ يجري بالماءِ حينًا وهذا بنضارٍ يدومُ للسائليهِ
من لزهرِ الربى بحسنٍ محيًّا م هُ وزهرُ النجومِ لا تحكيهِ
يطبعُ السيفُ من مضاءِ يديهِ وتصاغُ الحُلِيُّ من لفظِ فيهِ
يا عمادًا لدولةٍ من تصافيهِ م تصفَّيهِ قبلَ ان تصطفيهِ
أنتَ من ينبغي لهُ الشعرُ لكنْ لكَ حقٌّ ما كلُّ شعرٍ يفيهِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى الامير بشير الشهابي بعد خروجهِ من جبل لبنان

طالَ شوقي لطُولِ هذا البعادِ ... فترَى هل لِذاكَ من مِيعادِ
كُلَّما أَقبلَ الرَجاءُ ثناهُ اُل ... دَّهرُ عنَّا فكلُّنا في الطرادِ
خَمدَت نارُ ذلكَ الحَيِّ ويلا ... هُ ومَن لي من جمرِها برَمادِ
واُستقرَّت تلك الأَباطحُ من رَكض م ... المطايا ومن صهيلِ الجيادِ
هٰكذَا الدهرُ لا يدُومُ ولو دا ... مَ لكُنَّا في عهدِ مَن قبلَ عادِ
وكما لا يَدُومُ حالُ صَلاحٍ ... عِندَهُ لا يدومُ حالُ فَسادِ
ليتَ هذا الزمانَ يَعرِفُ منا ... ما عَرَفنا فيهتدي في اُنتقادِ
لم تُصبنا أَيدي العُداةِ بسَهمٍ ... فرَمانا بأَعيُنِ الحُسَّادِ
ايُّها الراحلُ الذي ضَرَبَ الأَظنا م ... بَ بينَ القُلوبِ والأَكبادِ
ما سَمِعنا براحلٍ أَوْحشَ الأَحبا م ... بَ عِندَ اُرتحالِهِ والأَعادي
رُبَّما أَنكرَ العِدَى منكَ أَمرًا ... يَتمنَّونَ هل لهُ من معَادِ
عَلِموا أَنَّ ذاكَ قد كانَ تأديبَ م ... أَبٍ فاُنثَنَوْا عنِ الأَحقادِ
ضاقَ ذَرْعُ البِلادِ بَعدَكَ حتى ... لا مُناخٌ لناقةٍ في البِلادِ
فكأَنَّ البِلادَ جِسمٌ بدُونِ اُل ... رُّوحِ او مُقلةٌ بدُونِ السوادِ
أُوقِدَت يا كُلَيبُ بعدَكَ نارٌ ... سالَ منها في الحَيِّ قلبُ الجَمادِ
واُنتضَى القومُ بعدَكم كُلَّ سيفٍ ... كانَ في عهدِ سيفِكُمْ كالنِجادِ

Digitized by Birzeit University Library

انما انتَ واحدٌ غيرَ أنّي لستُ أُعطيكَ منزلَ الآحادِ
كُنتَ دهرًا فبنتَ لم تُغننا منكَ م ولا عنكَ كثرةُ الأعدادِ
لكَ خوفٌ لو صادفَ العينَ في الحلم م لصارتْ تخافُ طيبَ الرُقادِ
لم تحُطَّ الأيّامُ منكَ سوى ما حطَّ برْيُ المُدى من الأطوادِ
قد طلبنا إدراكَ شأوكَ بالوصفِ م كصَرْحٍ بغاهُ ذو الأوتادِ
فبماذا يُبالغونَ وهم لا يبلُغونَ الإنصافَ بعدَ الجهادِ
أنتَ بينَ الكرامِ دُرَّةُ تاجٍ وإزاءَ الخُطوبِ صخرةُ وادِ
وعلى الرَوضِ أنتَ زهرُ ربيعٍ وعلى الزهرِ أنتَ صوبُ عهادِ
تفخرُ الناسُ بالجدودِ ولكنْ أنتَ فخرُ الآباءِ والأجدادِ
وبكَ المنتمي يُباهي ولو بابنِ م أبيهِ يُدعى كمثلِ زيادِ
أنتَ اهلُ القريضِ تُنشدُ منهُ كلَّ بيتٍ يهمُّ بالإنشادِ
يفخرُ الشعرُ عزّةً بكَ حتى يستحي إنْ كتبتَهُ بالمدادِ
ليسَ يُثنى عليكَ ما جازَ ان يُثنى م على من سواكَ بينَ العبادِ
كلُّ شعرٍ ثوبٌ على قدرِ اللا بسِ كالثوبِ فصّلتْهُ الأيادي

وقال في رسالةٍ الى ولدهِ الامير امين الشهابي

كلّفتُ حملَ تحيّتي ريحَ الصبا فكأنني حمّلتُها بعضَ الرُبى
لا تحملُ الريحُ الجبالَ وليتني كلّفتُها حملي فإنّي كالهبا

٦٢٨
BIRZEIT COLL
Digitized by Birzeit University Library

بَعُدَ المَزارُ فلا مَزارَ وطالما ... جَدَّ البِعادُ اذا رَجَوتُ تَقَرُّبا
دُونَ الأَحِبَّةِ بحرُ ماءٍ دُونَهُ ... للدمعِ بحرُ دمٍ أَبَى أَنْ يرْكَبا
ولَقد مَرَرتُ على الديارِ فهاجَني ... نَظَرٌ أَطَلْتُ لهُ الوقُوفَ تَعَجُّبا
خاطَبتُها ارجو الجَوابَ فانها ... قد مازَجَتْ مُهَجَ الرِجالِ تصبُّبا
ما بالُ هذا الدَهرِ دامَ على النَوَى ... وعلى الوِصالِ عَهدتُهُ مُتَقَلِّبا
هَيْهاتِ ما للدهرِ عَهدٌ صادقٌ ... فتَراهُ يُخلِفُ كاذِبًا ومُكَذِّبا
غَلَبَ البَلاءُ الصبرَ في غَزَواتِهِ ... وقدِ اسْتَجاشَ من الصَبابةِ مَوْكِبا
والصبرُ من هِمَمِ القلوبِ ولم يَدَعْ ... خَطْبُ النَوَى للصبرِ قلبًا طَيِّبا
قد أَجمدَتْ نُوَبُ الزمانِ قريحتي ... كَمَدًا وأَنْسَتْني الكَلامَ المُعرَبا
فنَسيتُ إنشاءَ الرسائلِ كاتبًا ... ونَسيتُ أَنّي كاتبٌ مُنذُ الصِّبا
يا أَيُّها الشُهبُ التي قد أَغرَبَتْ ... عنا تُرَى هل تَلزَمينَ المَغرِبا
سيَّارةٌ لا تَثبُتينَ فما لَنا ... مُذ غِبتِ لم نرَ منكِ يوماً كوكبا
لا بُدَّ من يومٍ يَجِدُّ لهُ بنا ... رأيٌ ولو لَعِبَتْ بنا أَيدي سَبا
هيهاتِ لم يَمْتِ الزمانُ وانما ... قد نامَ ثم يَهُبُّ معقودَ الحُبى

وقال وقد بعث بها الى المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور

تلكَ أَيّامُنا عليها السلامُ ... أَجفلَت من زَوالِها الأَيّامُ
أَوهَمَتْنا طُولَ الحياةِ علينا ... بَعْدَها إنَّ ساعةَ الصبرِ عامُ

Digitized by Birzeit University Library

يا خليليَّ لا تَلُوما فمن لا مَ بما لا مَلامَ فيهِ يُلامُ
طالَ شوقٌ على فؤادٍ ضعيفٍ قبلَ شوقٍ مما بَراهُ السقامُ
أسهرُ الليلَ والعيونُ نِيامٌ كرقيبٍ في حيِّ قومٍ يُقامُ
إنَّ عيني بلُجَّةٍ من دُموعي غرِقت والغريقُ كيفَ ينامُ
يا بُريقَ الحِمى نَعِمتَ صَباحًا أينَ أهلُ الحِمى وأينَ الخِيامُ
هل اصابَ الحَيا رُبوعَ المُصلَّى وهلِ اخضرَّ بعدَ ذاكَ البَشامُ
طالما راع قبلَكَ الدهرُ ثغرًا بدَهاءٍ فلاحَ منهُ ابتسامُ
ولكَم شَبَّ في الزمانِ ضِرامٌ ولكَم شابَ في الزمانِ غُلامُ
كلُّ حالٍ سينقضي ليسَ للدهرِ م دَوامٌ وليسَ فيهِ دَوامُ
ربَّما عاهَدَ الفَتى اليومَ لكنْ لم يُعاهِدْ غدًا فأينَ الذِمامُ
حالَ عهدي ولم يَحُلْ عهدُ وُدّي بكِرامٍ وهم عليَّ كِرامُ
ذاكَ عِقدٌ تناثرَ الدرُّ منهُ وعلى اللهِ بعدَ ذاكَ النظامُ
ايها الجِيرةُ الذينَ تَوَلَّوا هل لكم جيرةٌ سِوانا تُرامُ
حمَلَتْ من سَلامِنا لكُمُ الريحُ م ولكنْ ضاعَتْ وضاعَ السَلامُ
عَظُمَ الخَطْبُ فانقطعنا عنِ الكُتْـ ـبِ م فليسَتْ مِمّا اقتضاهُ المقامُ
مَشهَدٌ يقصُرُ القَنا دُونَ أدنا ـهُ فماذا تنالُهُ الأقلامُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح الشيخ محمد الحلواني مفتي مدينة بيروت

عَتَبَتْ سُعادُ ولم أَكُنْ بالمُذنبِ ... وعَرَفتُ عادتَها فلم أَتعتَبِ
شِيَمُ الغواني ان تَدِلَّ اذا رأَت ... صَبًّا يَذِلُّ لها بقلبٍ طيّبِ
أَمرَتْ لواحظُها الفتَى فأَطاعها ... وَدَعَت فلبّى الشيخُ غيرَ مكذّبِ
فَتَّانةُ العينين يَسكَرُ طَرْفُها ... وأَنا أُحَـدُّوها انا لم أَشرَبِ
سالَتْ ذوائبُها ولاحَ جبينُها ... فرأَيتُ بدرًا حلَّ بُرجَ العقرَبِ
وتكلّمتْ وتبسّمت لمّا رَأَت ... دمعي فتلكَ لآلئٌ لم تُثقَبِ
قد كُنتُ أَطمَعُ في المَوَدّةِ عندَها ... فاذا مَوَدّتُها كبَرْقٍ خُلَّبِ
ومَوَدّةُ الحَسناءِ ضَيفٌ راحلٌ ... يعـادُهُ لثلثةٍ او أَقرَبِ
ذُقتُ الصَبابةَ في الشَبيبةِ أَمرَدًا ... واليومَ شِبتُ فهل تَليقُ بأَشيَبِ
كلٌّ يُعافُ العيبَ فيه فلو دَرَى ... عيبًا بهِ لم تَلقَ غيرَ مُهذَّبِ
ولقد عَرَكتُ الدهرَ أَطلُبُ حِكمةً ... فأَفادَني والدهرُ خيرُ مؤدِّبِ
تُعطِي التجاربُ حِكمةً لمجرِّبٍ ... حتَّى تُربّي فوقَ تربيةِ الأَبِ
ولقد تأَمَّلتُ الزمانَ وحُكمَهُ ... فبُليتُ منهُ بعجمةٍ لم تُعرَبِ
عارٌ عليَّ وشيخُنا المفتي لهُ ... رأْيٌ يخلّصُ بينَ بَكرٍ وتغلبِ
هوَ كوكبٌ في الشرقِ يسطعُ نورُهُ ... ويلوحُ فضلُ شعاعِهِ في المغربِ
يجلو الخُطوبَ ويجلي لكَ وَجهَهُ ... فتَراهُ في الحالين افضلَ كوكبِ
حَسَنُ الإصابةِ عندَ كلِّ مُلِمّةٍ ... بادي البَشاشةِ عندَ سَخطِ المُغضَبِ

Digitized by Birzeit University Library

متواضعٌ لجليسهِ من لُطفهِ ... حتى كأنَّ جليسهُ ذو المنصبِ
رَيَّانُ من كأسِ الحقيقةِ لم يدَعْ ... الا ثُمالتَها التي لم تُطلَبِ
لم يعشقِ الدُنيا فلم يَجزَعْ اذا ... ولَّت وإنْ هيَ أقبلَتْ لم يطرَبِ
هانَ الزمانُ عليهِ لا متعجّبٌ ... مما يرَى فيهِ وليسَ بمُعجَبِ
وسِعَ العلومَ بجانبٍ من صدرِهِ ... رَحْبٍ وللعملِ استعدَّ بأرحبِ
أحصَى من الكُتبِ الذي كتبُوا لنا ... فيها وزادَ عليهِ ما لم يُكتبِ
يحيي فوائدَهُ الحكيمُ كغيرِهِ ... وتُفيدُ فتواهُ شيوخَ المذهبِ
يامَن اذا اتَّسعَ القريضُ بذِكرِهِ ... ضغطَ الأعاريضَ اقتحامُ الأضربِ
تزهو قوافينا لَدَيكَ سليمةً ... ويُعابُ بالتقصيرِ قولُ المُطنبِ
غمَضَتْ صفاتُكَ يامحمَّدُ دِقةً ... فتحجَّبتْ وبرَزْتَ غيرَ محجَّبِ
ان كُنتَ تبغي مَن يقُومُ بحقِّها ... فاطلُبْ سِوايَ وقُل عذَرتُكَ فاذهَبِ

وقال يمدح الشيخ احمد الغرّ نائب بيروت سابقًا

ان كانَ يُلبَسُ ما أفادَ تجمُّلا ... فبياضُ هذا الجيدِ تلبَسُهُ الحلَى
واذا تزيَّنتِ العيونُ بكُحلِها ... فلقد نراهُ بمُقلتَيكَ تكحَّلا
يا ناحلَ الأعطافِ معشوقًا ترَى ... أتلُومُ مثلي عاشقًا أنْ ينحَلا
أعدَدتَ لي حربَ البَسُوسِ ولم أكُنْ ... أعدَدتُ دُونَكَ في القتالِ مُهلهِلا
حاوَلتَ سفكَ دَمي بعينِكَ ثانيًا ... هيهاتِ قد سفَكَتهُ عيني أوَّلا

Digitized by Birzeit University Library

ونَهبتَ قلباً ليس فيهِ سِوَى الهَوَى ... وسَلَبتَ جسماً ما عليهِ سِوَى البلَى

خُذْما أَرَدتَ سِوَى أَغَرَّ مُحجَّلٍ ... أَلقَى بهِ الشيخَ الأَغرَّ مُعجَّلا

وأَرَى لطائفَهُ التي نَهَبَتْ بها ال ... شُعَرَاءُ أَبياتَ القريضِ تَغَزُّلا

العالمُ الصدرُ الكبيرُ العاملُ ال ... بدرُ المُنيرُ اللامعُ السامي العُلَى

اقوالُهُ دُرَرٌ تُقلِّدُها النُهَى ... وفعالُهُ غُرَرٌ تُقلِّدُها الطُلَى

أَجرَى من البحرِ العَرَمْرَمِ لُجَّةً ... وأَلَذُّ من سَلسالِ دِجلةَ مَنْهَلا

وأَشَدُّ من زَهرِ الحدائقِ نَضْرةً ... وأَجَلُّ من زُهرِ الكواكبِ مَنزِلا

يمشي وقد كَثُرَ الوُقوفُ أَمامَهُ ... فَرْدًا يَجُرُّ من المَهابةِ جَحْفَلا

واذا أَشارَ الى الكَتيبةِ أَجفلت ... فكأَنَّ من سَمرِ الذَوابلِ أُنْمُلا

هُوَ يَشغَلُ الأَقلامَ وَهْيَ بوصفِهِ ... في الناسِ قد شُغِلَت فكانت أَشغَلا

تَتَنازَعُ الشعراءُ فضلةَ شعرِهِ ... في مدحِهِ وتَخافُ أَنْ لا يَفضُلا

طَفَحَت عليَّ صفاتُ أَحمدَ مرَّةً ... فَلَحِقْتُ منها عارضاً مُستقبِلا

واختَرتُ إجمالَ الثناءِ لأَنَّني ... أَلفيتُهُ لا يُستطاعُ مُفصَّلا

وقال على لسان رجلٍ يهنئ بعض رجال الدولة معرضاً بذكر اغراضٍ له

لكَ الهَنَاءُ بما أُوتيتَ مُعتذِرا ... قد قَلَّ مَبلَغُ ما تُعطَى وإِنْ كَثُرا

اذا هَنِئتَ بأَمرٍ عزَّ جانبُهُ ... فانهُ بكَ أَهنَى فهْوَ قد ظَفِرا

للهِ شمسُ جَمالٍ أَدركَتْ قمرًا ... والشمسُ لا ينبغي أَن تُدرِكَ القمرا

Digitized by Birzeit University Library

أحلّها الأسدُ الميمونُ طالعُهُ ... بُرجاً لهُ فاكتستْ من سعدِهِ حبَرا

يا قاسمَ اللممِ الشعثاءِ يومَ وغًى ... وقاسمَ النعمِ البيضاءِ يومَ قِرى

انتَ الكريمُ الذي طالتْ مواهبُهُ ... على العُفاةِ ولكن وَعدُهُ قَصُرا

القائلُ القولَ مثلَ الفعلِ عن ثِقةٍ ... والفاعلُ الفعلَ مثلَ القولِ قد يَسُرا

ذَلّتْ لديكَ صعابُ الأمرِ صاغرةً ... فما اعتذارُكَ ان لا تركبَ الخَطَرا

قد علّمتنا الليالي الصبرَ من قِدَمٍ ... وجئتنا فكفيتَ الصابرَ الضجَرا

رُكنٌ اليهِ التجَى الراجي فكانَ لهُ ... حِصنًا ولم يضعِ الباني بهِ حجَرا

ألزمتَ نفسكَ نفعَ الناسِ مجتهداً ... حتى توهّمتَ أن لا تعرفَ الضررا

تقضي الحوائجَ مسروراً كصاحبِها ... كلٌّ يُسرُّ بما يهواهُ كيفَ جرَى

ما خابَ منكَ ولا فيكَ الرجاءُ فقد ... نِلتَ الأماني ونلنا عندكَ الوطَرا

اذا دعا لكَ داعينا فذاكَ لهُ ... يدعو فلا فضلَ للداعي اذا اعتبرا

وقال في رسالة الى بعض اصحابه العلماء

قِفْ بينَ رَيحانِ العقيقِ وضالِهِ ... وقُلِ السلامُ على العقيقِ وآلِهِ

وقُلِ السلامُ على المنازلِ من فتىً ... لم يبقَ غيرُ سلامِهِ وسؤالِهِ

رَبعٌ وقفتُ منادياً أطلالَهُ ... فبليتُ حتى صرتُ من أطلالِهِ

قد كانَ لي صبرٌ كبعضِ سُهولِهِ ... واليومَ لي شوقٌ كبعضِ جبالِهِ

لا تُنكِروا سلبَ الحبيبِ حُشاشتي ... ماذا على مُتصرّفٍ في مالِهِ

Digitized by Birzeit University Library

رَكِبَ النَّوَى فحُرِمتُ نَظرةَ وجههِ ... ونفَى الكَرَى فحُرِمتُ طَيفَ خَيالِهِ

من كانَ يهوَى الغانياتِ فإنَّني ... أَهوَى الذي لَيستْ تمرُّ ببالِهِ

الخائضَ الغمَراتِ لم تَبلُلْ لهُ ... قَدَماً ولم تَقطَعْ شِراكَ نعالِهِ

سبَّاقُ غاياتٍ ينالُ بفعلهِ ... ما لا ينالُ سِواهُ في آمالِهِ

البَرُّ بينَ لِسانهِ وفُؤادِهِ ... والبحرُ بينَ يمينهِ وشِمالِهِ

متأخِّرٌ في عصرهِ متقدِّمٌ ... في فضلهِ متفرِّدٌ في حالِهِ

ليسَ التفاوُتُ في الزمانِ وانما ... يقَعُ التفاوُتُ فيهِ بينَ رِجالِهِ

بيني وبينكَ بحرُ ماءٍ زاخرٌ ... يا بحرَ علمٍ فاقَهُ بزُلالِهِ

تبدو الجواهرُ منكَ بارزةً لنا ... فوقَ الذي قد زُجَّ في أَقفالِهِ

عَجَباً لهُ لم يَحْلُ لَمَّا خُضتَهُ ... إنَّ اللئيمَ مولَّعٌ بخِصالِهِ

قد ضَمَّ منكَ الفُلكُ أَفناناً كما ... ضَمَّتْ سفينةُ نوحَ من أَجيالِهِ

شِيَمُ الليالي أَن تُباعِدَ صاحباً ... حتى يكونَ زَوالُها كزَوالِهِ

هيَ كالهباءِ فماسكٌ بحبالها ... تحتَ الرَجاءِ كماسكٍ بحبالِهِ

من كانَ يعرِفُ ماضيَ من دهرِهِ ... أَغناهُ عن مُستقبَلٍ بمثالِهِ

يومٌ يمرُّ كأَمسِهِ بغُرورِهِ ... وغَدٌ يمرُّ كيومِهِ بمحالِهِ

يا مَنْ يُودِّعُ راحلاً لفِراقِهِ ... أَترَى رَجوتَ تحيَّةً لوِصالِهِ

هذا اليسيرُ منَ الفِراقِ وانما ... سترَى فراقاً ليسَ من أَشكالِهِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال في عزيز قد توفي

بَلَى الحبيبُ وحُزنُهُ يتجدَّدُ ... فكأنَّهُ في كُلِّ يومٍ يُفقَدُ
ان كانَ قد امسَى بعيدًا نازحًا ... عني فإنَّ سُلوَّ قلبي أبعدُ
هم يذكُرونَ من الكريمِ فضيلةً ... وأنا أعُدُّ النجمَ حينَ أُعدِّدُ
تلكَ السجايا البيضُ عندَ محبِّها ... مما يليقُ بهِ اللباسُ الأسودُ
ويحي متَى أنسى الذي طرَدَ الكرَى ... وخيالُهُ عن مُقلتي لا يُطرَدُ
ناديتُهُ فأجابَ سائلُ أدمعي ... والدمعُ أجرَى بالجوابِ وأجودُ
ياراحلاً رَحَلَ اصطباري بعدَهُ ... هل بيننا قبلَ القيامةِ موعدُ
إنْ كُنتَ لم تسمعْ نُواحي في الحِمَى ... فعَلَى ضريحِكَ ألفُ دمعٍ يشهدُ

وقال يمتدح السيد عُمَر الانسي الشاعر

دَعْ ذِكرَ باناتِ العَلَمْ ... والنازلاتِ بذي سَلَمْ
جدَّ المشيبُ فلا تَدَعْ ... ذاكَ القديمَ على القِدَمْ
للدهرِ حُكمٌ في الورَى ... فأَطعْهُ وارضَ بما حَكَمْ
واصبرْ والاَّ فالضنَى ... وافكرْ والاَّ فالندَمْ
واعملْ بعلمِكَ إنَّهُ ... من دُونِ ذلكَ كالعدَمْ
واذا سَكَتَّ فعن رِضًى ... واذا نَطقتَ فبالحكَمْ
واذا سألتَ فلا تزِد ... واذا سُئلتَ فقُلْ نعَمْ

Digitized by Birzeit University Library

واذا أَرَدتَ قصيدةً نَبِّهْ لها عُمَرًا ونَمْ
الشاعرُ العَرَبِيُّ ذو اُلْ غُرَرِ التي سَبَتِ العجَمْ
عَلَمٌ هُوَ الهادي الرفيعُ فكيفَ شِئتَ هو العَلَمْ
في المكْرُماتِ لهُ يدٌ والى الصوابِ لهُ قَدَمْ
ولهُ مَناقِبُ لا تُنا لُ كأَنها صيدُ الحَرَمْ
يا مَن شمائلُ لُطفِهِ نَسَمٌ بها تَحْيا النَسَمْ
آياتُ حَقٍّ أُنزِلَتْ ما بينَ نُونكَ والقَلَمْ
أَعجزتَني عن حَصرِها فأَضعتُ فَذْلكَةَ الرَقَمْ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى حسن افندي الطرابلسي الشاعر بالقاهرة

طَيفٌ بلُبنانَ من مِصرٍ اليَّ سَرَى حتى اذا أَنِسَت عيني به نَفَرا
وَلَّى يَشُقُّ أَديمَ الليلِ مُعتسِفًا فما عَرَفتُ لهُ عينًا ولا أَثَرا
يا مُرسِلَ الطيفِ لو علَّمتَهُ كَرَمًا أُنسَ اللِّقاءِ كما علَّمتَني السَهَرا
وكيفَ يأنَسُ ضَيفٌ حيثُ ليسَ لهُ الّا سَخِينةَ دمعٍ في الظلامِ قِرَى
ما أَنصفَتْنا الليالي الغادراتُ بنا دَجَتْ علينا ولم تترُكْ لنا القَمَرا
داءٌ نُعالِجُهُ بالصبرِ وَهوَ لنا داءٌ وكم عِلَلٍ قد أَبرأَتْ أُخَرا
غابَ الحبيبُ فغابَ الأُنسُ عن فِئةٍ خَيالُهُ في سُوَيداواتِها حَضَرا
ان كانَ قد عزَمَ الأَسفارَ مُغتربًا فإِنَّ اشواقَنا لا تعرِفُ السفَرا

Digitized by Birzeit University Library

غالَ النَوَى عهدَ من تجلو لطائفُهُ ... سِحْرَ البيانِ ويجلو وَجهُهُ السَحَرا

عَرَفتُ فيهِ قُصوري واعترَفتُ بهِ ... فما أُبرِّئُ نفسي منهُ مُعتذِرا

يا أَيُّها الحَسَنُ الميمونُ طالعُهُ ... احسنتَ حتى ملأتَ السَمْعَ والبَصَرا

أَحضرتَ في سَفَرٍ ما غابَ من حَضَرٍ ... من فاتَهُ منكَ خُبْرٌ أَدرَكَ الخَبَرا

ما زلتَ تجلو علينا كُلَّ قافيةٍ ... قد شبَّبَتْ بمعاني حُسنها الشُعَرا

يَهُزُّكَ الشعرُ إنشاداً فنحنُ بهِ ... نَغوصُ في البحرِ حتى نجتني الدُرَرا

هذه رسالةُ مشتاقٍ تُذكِّرُكم ... عهداً قديماً عساهُ قبلَها ذُكِرا

ظَمآنُ يحلو اذا اشتَدَّ الظَمآءُ لهُ ... ماءٌ ولكنَّ في إفراطِهِ خَطَرا

وقال وقد بعث بها الى احد اصحابهِ العلمآء في المغرب

شوقي اليكَ كما علمتَ طويلُ ... ولَعَلَّ صبري في هواكَ جميلُ

يا غائباً في القلبِ يحضُرُ شخصُهُ ... فكأَنَّهُ لي منكَ عنكَ بديلُ

بَعُدَ المَزارُ على ضعيفٍ قاصرٍ ... هذا الكتابُ اليكَ عنهُ وكيلُ

ان كُنتَ تُنكِرُ لوعةً بفُؤادهِ ... فلهُ شُهودٌ من ضَنـاهُ عُدولُ

حالت مَوامي الأَرضِ دُونكَ بالنَوَى ... ولطالما دُونَ البُدورِ تَحُولُ

ورأَيتُ شخصَكَ في البِعادِ فانهُ ... قَمَرٌ نراهُ وما اليهِ وُصولُ

يا دُرَّةَ الغوَّاصِ دُونَ لِقائِها ... لُجَجٌ فَديتُكَ هل اليكَ سبيلُ

نَثَرَتْ صُروفُ الدهرِ عِقدَ نِظامنا ... فنثَرتُ دمعي وهو فيكَ قليلُ

Digitized by Birzeit University Library

شَطَرُ الفُؤادِ حبيبُهُ فاذا نأَى ... نُهِكَ الفُؤادُ فطُلَّ منه قتيلُ
طال انتظاري والحياةُ قصيرةٌ ... وكلاهُما سببٌ عليَّ ثقيلُ
ويلاهُ قد ضاعَ الزمانُ فساقطٌ ... يومٌ يمرُّ ولا يراكَ خليلُ
رُكنُ الحياةِ نعيمُها ان لم يكُنْ ... في العيشِ طيبٌ فالحياةُ فضولُ
بأَبي المريضُ السالمُ الشرفِ الذي ... يشتاقُ عوْدةَ مثلِهِ جبريلُ
من ليسَ يرغبُ في سلامةِ نفسهِ ... ان كانَ لم يسلَمْ لديهِ جميلُ
يا ناحلَ البدَنِ العليلِ بلُطفهِ ... لا صحَّتِ الدُنيا وأَنتَ عليلُ
يا ليتَ عندي صحَّةً تُفدَى بها ... لكن عليَّ من الفراقِ نُحولُ
سيَزُولُ سُقمٌ مثلَ عافيةٍ مضَتْ ... اذ كلُّ ما تحتَ السماءِ يزُولُ
هذا الخُسوفُ عراكَ يابدرَ الدُجَى ... ونَرَى خُسوفَ البدرِ ليس يطولُ

وقال يجيب فتًى من اصحابهِ عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ

وَرَدَ الكتابُ فضاعَ طيّبُ نَشرِهِ ... وطَربتُ قبلَ نظامهِ من نثرِهِ
أَحيا بزورتهِ الفُؤادَ كانما ... في كلِّ سطرٍ وجهُ كاتبِ سطرِهِ
شَخَصَتْ لهُ ابصارُ عينِ محبّهِ ... حتى كأَنَّ سوادَها من حبرِهِ
وتذكَّرَ العهدَ القديمَ متيَّمٌ ... لَقِيَ الجنايةَ والجَنَى من ذِكرِهِ
يا من يطارحُني القريضَ فكاهةً ... هيهاتِ قدذَهَبَ القريضُ بعصرِهِ
والشعرُ من أَربِ الصبا وانى لي ... أَسفًا ومن لي بالصبا وشعرِهِ

Digitized by Birzeit University Library

غَلَبَ المَشيبُ على الشَبابِ بأَبيضٍ ... ذَلِقٍ فصارَ سَوادُهُ في أَسْرِهِ
ضَيفٌ على رأسي حَمَلتُ ثقيلَهُ ... وقَرَيتُهُ طيبَ الحياةِ بأَسرِهِ
ولقد عَجِبتُ لمادحٍ لم يَهْجُني ... كَرَمُ الطبيعةِ كانَ آيَةَ عُذرِهِ
أَمسَى يَشُقُّ عليَّ تسليمٌ لهُ ... ويَشُقُّ إنكارٌ لِرِفعةِ قدرِهِ
خَبَرٌ تداوَلَهُ الرُواةُ فأَكبروا ... وهوَ الصغيرُ اذا هَمَمتَ بِخُبْرِهِ
لا تُعطِ حُكمَكَ ما بدا لكَ أَمرُهُ ... حتى تقومَ على حقيقةِ أَمرِهِ
خيرُ الكلامِ كلامُ صِدقٍ نافعٌ ... وأَجلُّهُ في الشعرِ فهوَ كذُخرِهِ
مَن ضاعَ اكثرُ شعرِهِ في باطلٍ ... فكأَنما قد ضاعَ اكثرُ عُمرِهِ
مرَّتْ بناصيتي الخُطوبُ فراعَها ... جَلَدي وروَّعَني الزمانُ بمكرِهِ
ولَرُبَّما سَلِمَ الفتَى مما دَرَى ... ورَمَتْهُ داهيةٌ بما لم يَدرِهِ
ولَرُبَّ أَشْيَبَ في الكُهولةِ غافلٌ ... ولَرُبَّ أَمرَدَ عاقلٌ في صِغرِهِ
هيهاتِ ما قلبُ الفتَى في سِنِّهِ ... أَبدًا ولكنْ قلبُهُ في صَدرِهِ
يا مَن رَضَعتَ الحِلمَ من أَفواقِهِ ... ورَبيتَ في مَهدِ الكمالِ وحِجْرِهِ
قد نِلتَ ما مُنِعَ الكثيرُ وطالما ... فَضَلَت ليالي الدهرِ ليلةُ قَدْرِهِ
والناسُ منهم كاسبٌ قدغاصَ في ... خيرِ الزمانِ وخاسرٌ في شرِّهِ
فاذا اعتبرتَ الجانبَينِ كِليهِما ... أَقصرتَ عن شكوَى الزمانِ وشكرِهِ

وقال في مثل ذلك

مدامعُ جَفنِ الصَبِّ إحدى الفواضحِ ... فيا لَكَ سِرًّا واقفًا تحتَ بائحِ
ومَن كانَ منا ليسَ يملِكُ قلبَهُ ... أَيَملِكُ دمعًا سافحًا إثرَ طافحِ
وقَفنا على وادي الغَضا وغُصونُهُ ... تكادُ لوَجدي تلتَظي من جوانحي
نرى كِلَلَ الأَظعانِ بينَ ضُلوعنا ... ونَسأَلُ عنها كُلَّ غادٍ ورائحِ
لكلِّ مُحِبٍّ في هواهُ سَجِيَّةٌ ... ولكنَّ ما كُلُّ السجايا بصالحِ
وأَعدَلُ اهلِ الحُبِّ من ليس يلتجي ... الى بسطِ عُذرٍ في مُلاقاةِ ناصحِ
هَويتُ الذي أَعطى العلومَ فُؤادَهُ ... فأَعطَتْهُ منها سانحًا بعدَ بارحِ
تيمَّنتُ باسمِ الخِضرِ فيهِ وطالما ... تَرَى المرءَ لا يخلو اسمُهُ من لوائحِ
وَجَدتُ بهِ بل منهُ مُتعةَ سامعٍ ... ويا حبَّذا لو نِلتُ رؤيةَ لامحِ
بهِ حَسَدَتْ عيناي أُذني وربَّما ... تخصَّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ
لَعُوبٌ باطراف الكلام على الصِبا ... رأَيتُ بهِ الممدوحَ في ثوبِ مادحِ
وهيهاتِ ليسَ السنُّ مانحةَ النُهَى ... لمن قلبُهُ بالطبع ليسَ بمانحِ
اذا تَمَّ فاقَ الشمسَ في غُرَّةِ الضُحَى ... هلالٌ يفوقُ البدرَ في سعدِ ذابحِ
لكلِّ حديثٍ في الزمانِ خواتمٌ ... تَدُلُّ عليها مُحكَماتُ الفواتحِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى بعض المشايخ العلماء مشيرًا الى اغراضٍ في نفسهِ

طَيفٌ اليَّ سَرَى عن غيرِ ميعادِ ... يَشُقُّ لُبنانَ من اكنافِ بَغدادِ

Digitized by Birzeit University Library

تحمّلتهُ رِكابُ الشوقِ طائرةً ... بهِ فسارَ بلا ماءٍ ولا زادِ

طيفُ الذي تملأُ الأقطارَ شهرتُهُ ... كأنّما كلُّ ديوانٍ لهُ نادِ

إن تحرَمِ العينُ مرآهُ فقد رُزِقَت ... حديثَهُ الأُذنُ مرفوعاً بإسنادِ

ربَّ القوافي التي تهتزُّ من عَجَبٍ ... لها فتهتزُّ عُجباً عندَ إنشادِ

من كلِّ حاضرةِ الألطافِ باديةٍ ... تبختَرَتْ بينَ أسبابٍ وأوتادِ

العالمُ العاملُ الميمونُ طائرُهُ ... قُطبُ العراقينِ في جمعٍ وإفرادِ

لهُ الكلامُ فإن نَبسُطْ اليهِ يداً ... فقد جَنَينا على ميراثِ أجدادِ

تَهوي الى الشعرِ من جهلٍ مطامعُنا ... والشعرُ كنزٌ منيعٌ تحت أرصادِ

بحرٌ يجيءُ بدُرٍّ من جوانبِهِ ... بعضٌ وبعضٌ بأصدافٍ وأعوادِ

قد عزَّ عن حكماءِ العصرِ مطلبُهُ ... وكانَ أيسرَ مطلوبٍ على الحادي

شابَ الزمانُ فشابت فيهِ همّتُنا ... وذُلِّلَت جمرةُ الدنيا بإخمادِ

قد قلَّلَ الجهلُ قدرَ العلمِ واأسفا ... فقلَّ مقدارُهُ من بينِ اكبادِ

هيهاتِ ذلكَ من عزمِ الرُّعاةِ فهم ... بينَ الرعيّةِ أرواحٌ لأجسادِ

والأمرُ ان لم يقُمْ بالرأسِ معتضداً ... لم يستقلَّ بأكتافٍ وأعضادِ

يا طالما سهِرَتْ عينٌ على كُتُبٍ ... كانَتْ تخافُ عليها عينَ حسّادِ

قد ضاعَ ما كتَبَ الأقوامُ واجتهدوا ... وما لِمَنْ قد أضلَّ اللهُ من هادِ

لا ينجحُ العلمُ حيثُ المالُ منتجعٌ ... هيهاتِ ما العلمُ الا خُلقُ زُهّادِ

والمرءُ بالعلمِ إنسانٌ يسودُ بهِ ... حيّاً وميتاً فذاكَ الرائحُ الغادي

Digitized by Birzeit University Library

بِضاعةٌ عندَ أهلِ الفضلِ رائجةٌ ... وإنْ رَماها ذَوُو بخسٍ بإكسادِ
مَن كانَ يُرضي كِرامَ الناسِ في خُلُقٍ ... فحبَّذا سُخطُ أوباشٍ وأوغادِ
يا رافعاً رايةَ العلمِ التي انتشرتْ ... بفضلِهِ فوقَ أغوارٍ وأنجادِ
اليكَ تُزجَى مطايا المدحِ مُثقلةً ... وهل تُقابَلُ أحمالٌ بأطوادِ
هذه رسالةُ داعٍ يستجيرُ لها ... من أن تَمُدَّ اليها طَرْفَ نقّادِ
ماذا تقومُ رِمالٌ في الكثيبِ لَدَى ... مَن لا تقومُ لديهِ صَخْرةُ الوادي
فإنْ أجبتَ فما حقُّ الجوابِ لها ... لكن ليظهرَ فرقٌ بينَ أضدادِ

وقال يهنئ غائباً من زُهّاد العلماء بعودته من سفرٍ بعيد

المالُ يفرقُ بينَ الأُمِّ والوَلَدِ ... فذاكَ أدنى نسيبٍ عندَ كلِّ يدِ
عهدي بهِ خادماً كالعبدِ نملكُهُ ... فما لعيني تراهُ سيّدَ البلدِ
مالٌ يميلُ اليهِ المرءُ من صِغَرٍ ... وكلّما شبَّ شبَّ الحبُّ في الكبدِ
لو يجمعُ اللهُ ما في الارضِ قاطبةً ... عندَ امرئٍ لم يقُلْ حسبي فلا تزدِ
كلٌّ يروحُ من الدنيا الغرورِ كما ... أتى بلا عددٍ منها ولا عُددِ
لو كانَ يأخذُ شيئاً قبلَنا أحدٌ ... لم يبقَ شيءٌ لنا من سالفِ الأمدِ
غشاوةٌ في عيونِ الناسِ محكمةٌ ... تُغني العيونَ ولا تفنى الى الأبدِ
علَتْ على كلِّ عالٍ في معارجِهِ ... ما لم يكُنْ من رجالِ اللهِ أهلِ غدِ
اياكَ أعني حماكَ اللهُ من رَجُلٍ ... نراهُ في أرضِنا كالرُّوحِ في الجسدِ

Digitized by Birzeit University Library

نلتَ الكمالَ الى ما فوقَ غايتِنا ... فلا يَنالُكَ منا طَوْرُ مجتهدِ
القائلُ الحقَّ تحتَ السيفِ مشتهرًا ... والفاعلُ الخيرَ تحتَ البُغضِ والحَسَدِ
خُلقٌ طُبعتَ عليهِ لا تَمُنُّ بهِ ... فلو أَردتَ سبيلاً عنهُ لم تَجِدِ
من مغربِ الارضِ نَجمٌ زانَ مشرقَها ... تَفيضُ انوآؤُهُ بالدُّرِّ لا البَرَدِ
مَشَى على كَبِدِ الدُّنيا فما عَرَفتْ ... سيَّارةَ الأَرضِ من سيَّارةِ الجَلَدِ
فردٌ يَقومُ على ساقٍ بما عَجَزتْ ... عنهُ الجُموعُ ولو قامتْ على عُمُدِ
لا يُعجِبُ العَدَدُ الوافي بكثرتِهِ ... فربَّما غَلَبَتْهُ كثرةُ المَدَدِ
أَهلاً ببدرٍ تجلَّى بعدَ مَغرِبِهِ ... عنَّا وأَشرقَ بعدَ الخسفِ والكَمَدِ
حَسِبتُ مرآهُ حُلماً بعدَ عَوْدتِهِ ... فطالَما زارَ في حُلمٍ ولم يَعُدِ

وقال يجيب الامير حيدر رسلان عن ابياتٍ ارسلها اليهِ

القلبُ بينَ الصحبِ أَعدلُ شاهدٍ ... يُرضَى وان كانت شهادةَ واحدِ
واذا اتَّهمتَ امينَ قلبكَ مرَّةً ... وطَلبتَ مُؤتمَناً فلَستَ بواجدِ
نَظَرُ القلوبِ الى القلوبِ أَصحُّ من ... لَحظاتِ عينٍ للوُجوهِ رَواصدِ
ولقدْ يَرَى في البُعدِ قلبُ محقِّقٍ ... مالا تَرَى في القُربِ عينُ مشاهدِ
واذا بدَتْ للناسِ معذِرةُ الفَتى ... أَغنَتْهُ عن بَسطِ اعتذارِ عامدِ
يحتالُ في عذرِ الصديقِ صديقُهُ ... أَيعافُ منهُ قَبولَ عذرٍ وارِدِ
عبَثَتْ بنا الأَيَّامُ وهيَ بليَّةٌ ... عُظمَى وأَعظَمُها شفاءُ الحاسدِ

واذا رَجَوتَ منَ الزمانِ سلامةً ... فهيَ الصلاحُ رَجوتَهُ من فاسدِ
مَنْ عاشَ في الدُّنيا رأَى في يَقْظةٍ ... ما لا تَرَى في الحُلمِ عينُ الراقدِ
يَرِدُ الشقاءُ منَ النعيمِ وانما ... ليسَ الشقاءُ ولا النعيمُ بخالدِ
إنّي على العهدِ القديمِ فلم تَحُلْ ... تلكَ العُهودُ على حُؤُولِ معاهدِ
هيهاتِ لا يبقَى على متقاربٍ ... مَن كان لا يبقَى على متباعدِ
عهدٌ قديمٌ قد تداوَلْنا بهِ ... حقَّ الوراثةِ والدًا عن والدِ
ولربَّما سمحَ الكريمُ بطارفٍ ... من مالهِ عفوًا وضنَّ بتالدِ
ورسالةٍ أنسَ الفؤادَ بوفدها ... أُنْسَ المريضِ الى الطبيبِ الوافدِ
عطفَت على قلبي الكليمِ فحبَّذا ... صِلَةٌ تلقَّتني بأكرمِ عائدِ
جاءَت بطيبِ تحيةٍ أشهَى لنا ... نحنُ العطاشَ منَ الزلالِ الباردِ
تختالُ بين دقائقٍ ورقائقٍ ... وتميسُ تحتَ قلائدٍ وفرائدِ
جلَتِ العتابَ على قطيعةِ هاجرٍ ... ولعلَّ في الهجرانِ بعضَ فوائدِ
لو لم يكُنْ سببٌ لعتبٍ لم يكن ... سببٌ لوفدِ رسائلٍ وقصائدِ
هذه بضاعتُنا التي ما مثلُها ... في سوقِ تاجرِها الخبيرِ بكاسدِ
كلماتُ صدقٍ في البيانِ تصرَّفَت ... من بعضِ أبنيةِ الضميرِ الجامدِ
قد جدَّدَت عقدَ الولاءِ وإنَّهُ ... يبقَى فيلزمُ بعدَ موتِ العاقدِ
تلكَ السريرةُ عمدةٌ مطلوبةٌ ... والغيرُ معها فضلةٌ كالزائدِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال وقد حضر بعض اصحابهِ من انطاكية طالباً دمشق

لا يلزمُ القمرُ المُنيرُ المَشرِقا ... فأتى وكانَ يُضيءُ من قبلِ اللقا
قد رامَ حِلَّقَ في النزُولِ فمن يرُدْ ... عددَ البروجِ يعُدُّ منها حِلَّقا
ياطالما كُنَّا نراهُ توَهُّماً ... حتى رأينا شخصَهُ مُتحقّقا
كِدْنا نذوبُ تَشوُّقاً لجلالهِ ... من بعدِ ما كِدْنا نذوبُ تَشوُّقا
فضحَ السماعَ بهِ العيانُ بأنهُ ... أوفى ولكنْ لم نجِدْهُ أصدقا
قصُرَ الرُواةُ بوَصفهِ فعذرتُهمْ ... كيلا يقولوا صِفْهُ أنتَ مُدقّقا
أهلاً بأكرمِ قادمٍ قد رَدَّ لي ... قلبي الذي قد كانَ معهُ مُوثقا
ملكَ الفؤادَ يسيرُ تحتَ لوائهِ ... فانا لذاكَ أخافُ أن نتفرّقا

وقال وقد اقترحها عليهِ ابرهيم افندي رئيس الاطبآء في بيروت كاتباً بها الى اسمعيل افندي رئيس الاطبآء في القسطنطينية

ماذا لقيتُ منَ الحبيبِ وحُبِّهِ ... الا تلاعُبَهُ بمُهجةِ صَبِّهِ
أغراهُ ذُلّي بالدلالِ وزادَهُ ... عُجباً فعلّمني صناعةَ عُجبِهِ
يا أيُّها الرَشَأُ المُدِلُّ بعينهِ ... لا تفتنِ الرَّجُلَ المُدِلَّ بقلبهِ
كثُرتْ لعَمْري في هواكَ ذُنوبُهُ ... لكنْ اليهِ كانَ أكثرُ ذنبِهِ
مَن طالَ عن مَلَلِ الأحبّةِ عتبُهُ ... طالَ العتابُ لنفسهِ عن عتبِهِ
داءٌ دخيلٌ ليسَ يُرجى بُرؤُهُ ... لو أنَّ إسمٰعيلَ قامَ بطبِّهِ

Digitized by Birzeit University Library

مِن ذلكَ الشيخِ الرئيسِ ولفظِهِ ... شيخٌ على الشيخِ الرئيسِ وكُتْبِهِ
رَوَّى فخِلْنا عَضْبَهُ من ذِهنِهِ ... وَرَوى فخيلَ لسانُهُ من عَضْبِهِ
هذا الحكيمُ الكاملُ الفَرْدُ الذي ... مُزِجَت بحكمتِهِ مَخافةُ ربِّهِ
لَزِمَ المدارسَ في الديارِ وذِكرُهُ ... قد سارَ في شرقِ الفضاءِ وغَرْبِهِ
من دَوحةِ الأَتراكِ فَرْعٌ خِصْبُهُ ... يجري الى فُرْسِ الزمانِ وعُرْبِهِ
تُجنى فوائدُ قُربِهِ في بُعدِهِ ... وتُخافُ وَحشةُ بُعدِهِ في قُربِهِ
نَصبَتْهُ دولةُ ذي السرير فتَمَّمَتْ ... ألطافَها نحوَ العبادِ بنَصبِهِ
أَحيتْ مواهبُها الأَصحَّةَ وابتغَتْ ... أَنْ تَشمَلَ المَرْضَى فأَحيَتْهُم بِهِ

وقال في جواب تقريظٍ اتاهُ من عبد الباقي افندي العُمَريّ من بغداد

بينَ قلبِ المُحبِّ والأَحداقِ ... كلُّ حربٍ قامَتْ على كُلِّ ساقِ
فتنةٌ طالما أَصابَتْ فكادَتْ ... تَبلُغُ الرُوحُ من جَراها التَراقي
قد دَهَى سِحرُها المُحِبّينَ حتى ... عِيلَ صبرٌ وقيلَ هل من راقِ
أَثخنَتْهُمْ ظُلماً فتاهت ولم تَمْـ ... ـنُنْ ولم تَفْدِ بعدَ شَدِّ الوِثاقِ
يا مِراضَ الجُفُونِ لم تتركي منّا ... صحيحاً وما لَنا منكِ واقِ
عَجَباً كيفَ يَقتُلُ العبدُ حُرّاً ... عامداً غيرَ آثمٍ باتِّفاقِ
ضِقتُ ذَرْعاً ففرَّ صبري وفيهِ ... أَثَرٌ من تزاحُمِ الأَشواقِ

Digitized by Birzeit University Library

وتركتُ القريضَ بالشامِ حتى ... ساقني نحوَهُ إمامُ العراقِ
عالمٌ ينتمي الى عُمرَ الفا ... روقِ في نسبةٍ وفي أخلاقِ
عرفتهُ أسماعُنا قبلَ تعريفٍ م ... فكادت تراهُ كالآماقِ
شائعُ الفضلِ شخصُهُ حلَّ في الزو ... راءِ والذكرُ سارَ في الآفاقِ
كم لهُ في العيونِ من حسراتٍ ... ولهُ في الآذانِ من عشّاقِ
شاعرٌ ينظمُ اللآلي من اللفظ م ... بسمطٍ من المعاني الدقاقِ
ما وثقنا بسحرِ بابلَ حتى ... فتنتنا بسحرها المصداقِ
هزّني بالقريضِ لُطفاً ولكن ... هزَّ جذعاً من الأوراقِ
تكثرُ الخيلُ في المرابضِ ان عُدَّ م ... ت ولكن تقلُّ عندَ السباقِ
لم اكن شاعراً فصرتُ بتقريظٍ م ... اتاني كالطوقِ في الأعناقِ
إنَّ ذاكَ القليلَ غيرُ قليلٍ ... من إمامِ القريضِ عبدِ الباقي
ايها السيّدُ الكريمُ لقد أبدعتَ م ... حتى في الرفقِ بينَ الرفاقِ
تستطيعُ الثنا عليَّ ولكن ... ذاكَ عندي عليكَ غيرُ مُطاقِ
فاتني شأوُكَ البعيدُ فما أُد ... رِكُهُ لو ركبتُ متنَ البُراقِ
ان هذه صحيفةُ الشوقِ مني ... فاتخذها صحيفةَ الميثاقِ
إن تحلْ بيننا النوى لم تحلْ إنْ ... شئتَ بين الأقلامِ والأوراقِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح البطريرك مكسيموس مظلوم كتب بها اليهِ
في مدينة القسطنطينية

للشوقِ عندَكَ مُقعِدٌ ومُقيمُ ... ذاكَ الصحيحُ وأنتَ منهُ سقيمُ
ان كانَ هذا الشوقُ داءً حادثًا ... فالحُبُّ داءٌ في الفؤادِ قديمُ
في كُلِّ قلبٍ للصَبابةِ مَنزِلٌ ... ولكلِّ صَبٍّ مَشرَبٌ معلومُ
والحُبُّ أشبَهُ بالحبيبِ كَرامةً ... فكريمُهُ حيثُ الحبيبُ كريمُ
جرَتِ القُلوبُ على الخِلافِ لحكمةٍ ... إنَّ الذي خَلَقَ القُلوبَ حكيمُ
لولا التفاوُتُ في البريَّةِ لم يكُنْ ... وَجهٌ بمَصلحةِ العِبادِ يقومُ
في كل عينٍ نُزهةٌ وطُلاوةٌ ... ولكلِّ نفسٍ لَذَّةٌ ونعيمُ
ولَعلَّ بعضَ السيِّئاتِ بزَعْمِهِمْ ... حَسَنٌ وبعضَ الطيِّباتِ ذميمُ
ولَرُبَّ عاذِرِ نفسِهِ في خَلَّةٍ ... يَنهاكَ عنها ناصحًا ويلومُ
واذا انتهيتَ ظلمتَ نفسكَ مرَّةً ... فلَعلَّ بعضَ الناصحينَ ظَلُومُ
اهلُ الزَمانِ على خلافٍ لازمٍ ... مِثلَ الزَمانِ وفي الخِلافِ لُزومُ
احكامُ دَهرٍ ليسَ يَعلَمُ سِرَّها ... الاَّ حكيمٌ بالإلهِ عليمُ
انتَ المُشارُ اليهِ في ما نَدَّعي ... يا مَن لهُ المنطوقُ والمفهومُ
يا بحرَ فيضٍ والبِحارُ جداولٌ ... يابدرَ تَمٍّ والبُدورُ نجومُ
ياسيِّدًا جادَ الزمانُ لنا بهِ ... خَجَلاً لمن قال الزَمانُ لئيمُ
لكَ في الكلامِ فوائدٌ منثورةٌ ... حَكَمَت بانَ يُهدَى لكَ المنظومُ

Digitized by Birzeit University Library

تلك الحقائقُ في عُلاكَ تحجَّبَت ... وبدَت لعين الناظرينَ رُسومُ

اطلعتَ من سحرِ البيانِ لطائفًا ... سُحَراءَ بابلَ دُونهنَّ تهيمُ

أحيا عُلومَ الأوّلينَ بك الذي ... يُحيي عِظامَ الميتِ وهيَ رميمُ

هذا سُليمانُ الورَى لٰكنَّهُ ... في طاعةِ الرحمٰنِ إبرٰهيمُ

لا تُنكرُ الإفرنجُ رِفعةَ شأنِهِ ... والتركُ قد شهِدَت لهُ والرُّومُ

دَينٌ علينا حمدُهُ ومديحُهُ ... ولكلِّ دَينٍ طالبٌ وغريمُ

ولعلَّ عُذرَ المرءِ وهوَ مُقصّرٌ ... أدنى قبولاً منهُ وهوَ عقيمُ

ويلاهُ قد ضاعَ الزمانُ ورَكْبُنا ... في كلِّ وادٍ لا يزالُ يهيمُ

ياطِيبَ ايامِ الصِبا لو أنَّها ... دامت وغيرُ اللهِ ليسَ يدومُ

عِبْتُ بيَ الايامُ وهيَ سفيهةٌ ... فشكوتُها للصبرِ وهوَ حليمُ

واذا شكوتَ لسامعٍ خفَّ البلَى ... فكأنما قُسِمَتْ عليهِ همومُ

يا أيُّها الحبرُ الذي قُلنا لهُ ... بحرًا فقيلَ إذَنْ لهُ المظلومُ

ما بالُنا ندعوكَ بحرًا بينَنا ... والبحرُ يغرَقُ فيكَ وهوَ مُليمُ

عرفَت مُلوكُ العصرِ قدرَكَ حيثُما ... ألقى عصاكَ الحافظُ القيُّومُ

فحُبيتَ من زُهرِ النجومِ بطالعٍ ... يُنبي بسعدِ طُلوعهِ التقويمُ

أُثني عليكَ بما علمتُ وفاتني ... ما فوقَ عِلمي سِرُّهُ المكتومُ

فاذا عفَوتَ فقد وفَى حُسنُ الرِضى ... واذا اعتذرتُ فقد وفَى التسليمُ

وقال يجيب الشيخ عبد الحميد الموصلي عن قصيدة ارسلها اليه
من مدينة بغداد

ما بين أعطاف القدود الهيف ... سبب ثقيل قام فوق خفيف
ان فر من تلك الرماح طعينها ... لقيته أجفان المها بسيوف
سبحان من خلق المحاسن وابتلى ... مهج القلوب بحبها المألوف
دعت الخلي الى الهوى فأجابها ... طوعا وعاصى داعي التعنيف
أمسى يجر على القتاد ذيوله ... من كان يعثر في رمال الريف
واذا الهوى ملك الفؤاد فانه ... ملك الفتى من تالد وطريف
أفدي عذارا خط كاتبه بلا ... قلم لنا سطرا بغير حروف
شببت فيه تصبيا حتى اتت ... عذراء من بغداد تحت سجوف
خود شغلت وقد شغفت بحسنها ... عن حسن كل وصيفة ووصيف
تختال تحت رقائق وعقائق ... ومناطق وقراطق وشنوف
عربية ألفاظها قد نزهت ... عن شبهة التصحيف والتحريف
نسج البديع لها طرازا معلما ... من صنعة الأقلام في التفويف
أهلا بزائرة علي كريمة ... حلت فجلت عن محل ضيوف
ان لم يصح المدح لي منها فقد ... صحت بذلك آية التشريف
جاد الإمام بها علي تفضلا ... كالبحر جاد بدره المرصوف
رجع الثناء بها عليه بلطفه ... فكأنه رجع الصدى لهتوف

Digitized by Birzeit University Library

عَلَمٌ قد اشتهرت مناقبُ فضلهِ ... في الناسِ فاستغنى عن التعريفِ
كثُرت صفاتُ الواصفيهِ وطالما ... لَذَّت فشاقتنا الى الموصوفِ
صافي السريرةِ مُخلِصٌ يمشي على ... قدمِ التُقى ويجرُّ ذيلَ عفيفِ
أفعالُهُ المتصرفاتُ صحيحةٌ ... سَلِمَتْ من الإعلالِ والتضعيفِ
هُوَ عارفٌ باللهِ قامَ بنهيهِ ... عن مُنكرٍ والأمرِ بالمعروفِ
سيماؤهُ في وَجههِ الوضّاحِ من ... أثرِ السجودِ على أديمٍ حنيفِ
لَهِجٌ بخُلقِ الزاهدينَ أحبُّ من ... لُبسِ الشفوفِ اليهِ لُبسُ الصوفِ
يهفو الى زُهرِ الفضائلِ عائفاً ... من زهرةِ الدنيا اجتناءَ قُطوفِ
ياقوتُ خطٍّ من سوادِ مدادهِ ... كُحلٌ لطرفِ الناظرِ المطروفِ
اقلامهُ كالبيضِ في امضائها ... لكنها كالسُمرِ في التثقيفِ
قد صرَّفت في المُعربات بنانُهُ ... تلكَ العواملَ احسنَ التصريفِ
تسعى لديهِ على الرؤوسِ كأنما ... تجري على فرسٍ أغرَّ قطوفِ
العالمُ الشهمُ الفؤادِ الشاعرُ ال ... واري الزنادِ الباهرُ التأليفِ
ثملَ العراقُ بشعرهِ حتى جرت ... في الشامِ فضلةُ كأسهِ المرشوفِ
من كل قافيةٍ كزهرِ حديقةٍ ... في كلِّ معنًى كالنسيمِ لطيفِ
هي معجزاتٌ في صدورِ أولي النهى ... ضربت عروضاً ليسَ بالمحذوفِ
لا بدعَ في عبد الحميدِ فإنها ... أمُّ العراقِ أتتْ بكل طريفِ
أمُّ العراقِ مدينةُ الخلفاءِ وال ... عُلماءِ والشعراءِ بضعَ ألوفِ

Digitized by Birzeit University Library

لا تُنكِروا خوفًا يَهُولُ رسالتي منها وان تكُ أَمْنَ كل مخُوفِ
لولا الغُرورُ حَبَسْتُها لكنني اطلقتُ عُذري خَلْفَها كرديفِ

وقال وقد كتب بها الى صديقٍ لهُ في بغداد

سَلامٌ وما يُغني السلامُ على البعدِ ولكنهُ أَولى بتذكِرةِ العَهْدِ
سَلامٌ على من لا أَرَى غير كُتبِهِ فأَلهُو بذاكَ الرسمِ والرسمُ لا يُجدِي
حبيبٌ طَوَى بُعْدُ المَسافةِ وَصلَهُ فكانَ غريمي شُقَّةَ الغورِ والنجدِ
ولا خيرَ في قُربِ الديارِ معَ القِلَى ولا بأسَ من بُعدِ الديارِ معَ الوُدِّ
لهُ اللهُ ما أَبقَى الوِدادَ بقلبِهِ على حِينِ يُمحَى النقشُ في الحجَرِ الصلْدِ
تَمُرُّ صُروفُ الدهرِ والسُخطُ والنوَى عليهِ ولكن لا تُعيدُ ولا تُبدِي
صديقٌ صَدُوقٌ كلَّما قُلتُ قد سلا لبُعدٍ رأَيتُ البُعدَ قد زادَ في الوجدِ
عَرَفتُ قُصوري عنهُ في كلِّ مَنهَجٍ فلَستُ أُباري فضلَهُ بسِوَى الحمدِ
تُعَلِّلُنا الآمالُ يومًا الى غدٍ بوَعدٍ ويا ويلَ الوَفاءِ من الوعدِ
وهيهاتِ ما وَعدُ الحَياةِ بقائمٍ تُجاهَ المنايا وَهيَ فاسخةُ العَقْدِ
طلبنا التَداني فابتَعدتَ فليتَنا طلبنا النَوَى يا مَن يُقابِلُ بالضِدِّ
وكم واجدٍ ما لم يكن طالبًا لهُ وكم طالبٍ ما ليسَ يُدرِكُ بالجَهدِ
بَيتُ فُؤادي أَيُّها الناسُ عندَ مَن بَيتُ اذا جنَّ الدُجَى طَيفُهُ عندي
قُصارى اللقا منهُ الزيارةُ في الكَرَى فتُشفِقُ عيني أن تعودَ الى السُهدِ

Digitized by Birzeit University Library

أَهيمُ الى مَن لا أَراهُ صَبابةً ... كما اُشتاقَ ظمآنٌ الى نازحِ الوِرْدِ
اذا نَحَتني نَسْمةٌ من دِيارِهِ ... تَعلَّلتُ منها بالسلامِ وبالبَرْدِ
أَلا يا بعيدَ الدارِ لو أَنَّ دارَنا ... دَنَت مثلَ قلبَينا لَبِتْنا على مَهْدِ
لَئِن مَنَعَتْ غُبْرُ السباسبِ وَفدَنا ... فما مَنَعَتْ ريحَ الجَنُوبِ من الوَفْدِ

وقال يمدح الامير امين رسلان و يعزّيهِ بوفاة اخيهِ الامير احمد

أَسِحْرًا كانَ شغلي في هَواكا ... لَقد تُهِمَت بسحرٍ مُقلتاكا
شَربتُ وما عرَفتُ الكأْسَ حتى ... سَكِرتُ فما اُستطعتُ لهُ دِراكا
حَواكَ وقد حَلَلْتَ بكل قلبٍ ... فُؤادٌ لم يَحِلَّ بهِ سِواكا
نَزَلتَ بهِ على طَلَلٍ تَفانَى ... ولَستَ بمن على طَلَلٍ تَباكَى
أَطَعتَ العاذِلينَ بقتلِ صَبٍّ ... يُريدُ القتلَ لكن عن رِضاكا
تَعِزُّ كَرامةً ويَهُونُ ذُلًّا ... فتأْنَفُ ان يَقُولَ دمي فِداكا
صَبابةُ عاشقٍ مَلَكَتْ فؤَادًا ... فما تَرَكَتْ لمملكةٍ مِلاكا
يُحاوِلُ أَن يَحِلَّ الصبرُ فيهِ ... ولكنْ لا مكانَ لهُ هُناكا
أَلا يا قاتلي بـاللحظِ عَمْدًا ... أَرَى عَمْدي يُقصِّرُ عن خَطاكا
اذا أَمضَى ذُبابُ السيفِ حُكمًا ... غَدَت حُجَجُ الوَرِيدِ لهُ رِكاكا
نَهاني الشَيبُ عن خُلُقٍ قديمٍ ... وما بَلَغَ المَشيبَ فقد عصاكا
لَقد شابَ الاميرُ على العَطايا ... فحيثُ نَهيتَهُ عنها نَهاكا

Digitized by Birzeit University Library

عوائدُ آل رَسْلانَ اللواتي ... كوضعِ طِباعِهم تأبي انفكاكا
رَبينَ بحَجْرِ إسمٰعيلَ حتى ... دعاهُنَّ الأَمينُ فقُلْنَ هاكا
وَجدتُكَ أَصلَ دَوحةِ رَهْطِ قَيْسٍ ... وإنْ تَكُ فَرْعَها فيما نَراكا
وقد يَرِدُ الكريمُ على انفرادٍ ... وان أَعطاكَ مَولِدُهُ اشتراكا
وما ذَبلَتْ غُصونٌ من تَنُوخٍ ... سَقَى ماءُ السماءِ بها ثَراكا
لَئن عَرَفَت لك الأَعرابُ فضلاً ... فقد عَرَفَ الأَعاجمُ ما كفاكا
صَفَتْ لك هٰذِهِ الأَيّامُ وِردًا ... ولكن بعدَ ما قَرِعَتْ صَفاكا
عَرَضتَ لها فما طالتْ يداها ... وقُمتَ بها فما قَصُرَتْ يَداكا
أَهَمُّ الناسِ في أَمرٍ ولكنْ ... أَقَلُّ الناسِ في الأَمرِ ارتباكا
سَبَقتَ الى الفَعالِ فما تُحاكِي ... وجاوَزتَ النظيرَ فما تُحاكَى
وَقفتَ على صِراطٍ مُستقيمٍ ... كأَنَّ أَمامَ عَينِكَ ما وَراكا
تُقَلِّبُ في صروفِ الدهرِ طَرْفًا ... رَمَيتَ بهِ فما أَخطا السِماكا
فَقَدتَ أَخاكَ في الاوصافِ حتى ... فَقَدتَ اليومَ في نَسَبٍ أَخاكا
وما فَقَدَ اليتيمُ ابًا كريمًا ... اذا غطَّاهُ فَضلٌ من رِداكا
تَعوَّدتَ الجميلَ المَحْضَ حتَّى ... منَ الصبرِ المُجاوِرِ في حَشاكا
وإنَّكَ لا تُبالي بالمنايا ... فتَصغرُ أَنْ يَهيجَ لها بُكاكا
اذا نَصَبَت لك الشَرَكَ الليالي ... فما قَطَعَت لنَعلَيْكَ الشِراكا
تَشُلُّ يمينَها يُسراكَ جَبْرًا ... وتَقطَعُ سيفَ نَجدَتِها عَصاكا

Digitized by Birzeit University Library

تَفَنَّنَ في الثنآء عليك قومٌ سَهِرتَ لهم ونامُوا في حِماكا
وما كانَ الثنآءُ عليك زُورًا وقد شَهِدَت بِصِحَّتِهِ عِداكا
على العهدِ القديمِ أَتى مُحِبٌّ قديمُ العهدِ لا يَنسَى وَلاكا
لَئِنْ تَرَكَتْكَ هِمَّتُهُ لضُعفٍ فإنَّ أَباهُ لم يَترُكْ أَباكا
على ذُرِّيَّةِ الرَجُلَينِ وَقفٌ وليسَ بهِ التَصَرُّفُ مِن قَضاكا
تُراثٌ نَدَّعِيهِ ولو تَمادَى عليهِ الدهرُ لا يَخشَى الهَلاكا
لَكُمْ حَقُّ الرُعاةِ على رِجالٍ لهم حَقُّ الرَعِيَّةِ مثلَ ذاكا
مَدَدتُمْ نِعمةً كانت بِحارًا ومَدُّوا خِدمةً كانت شِباكا
رأَيتُكَ في الدُجَى نَجمًا مَطِيرًا فما ميّزتُ ارضَكَ من سماكا
اذا سافَرتُ كانَ رَجاكَ زادي وحيثُ نَزَلتُ ظَلَّلَني لِواكا

وقال في اخيهِ الامير حيدر وابنهِ الامير ملحم

سَلْ مَطلعَ القَمَرَينِ من كَبِدِ السَما عن مَطلعِ القمرين من كَبِدِ الحِمَى
وانظُرْ تَرَى شمسًا تُسَمَّى حَيدَرًا تُدلِي الى بدرٍ يُسَمَّى مُلحِما
رَبعٌ كَسَتْهُ كلُّ غاديةٍ كما تُكسَى الوُفودُ بِهِ طِرازًا مُعلَما
فيكادُ يَخطِرُ لو أَصابَ لهُ يدًا ويكادُ يَنطِقُ لو أَصابَ لهُ فما
قل للأَميرَينِ اللذَينِ تَرَى بهِ من قابِ قوسَينِ السَلامُ عليكما
هيَّجتُما شَجَنَ القريضِ فطابَ لي وأَطلتُما أَمَدَ الثنآءِ فأَفحَما

Digitized by Birzeit University Library

في الناسِ مَن يَقِفُ القريضُ ببابِهِ ... خَجِلاً ومَن يَلقَى القريضَ مُسلِّما

والشعرُ كم بيتٍ يُساوي بَدْرةً ... منهُ وبيتٍ لا يُساوي دِرهَما

قد كُنتُ أَرجوما أَرَى من طَلْعةٍ ... غرّاءَ كانَ رَجاؤها يُرْوِي الظَما

حتى ظَفِرتُ بحضرةٍ هيَ كَعْبةٌ ... للوَفدِ في شَهرٍ أَراهُ مُحرَّما

نادٍ تَرَى الشَيخَ الرئيسَ بصَدرِهِ ... وتَرَى بجانبِهِ الإمامَ الأَعظَما

هُوَ مجمعُ البحرينِ في علمٍ وفي ... كَرَمٍ ولا حرَجٌ فحدِّثْ عنهما

تَرَكَتْ لهُ هِمَمُ العُلَى متأَخِّرًا ... في المجدِ ما فَرَضَتْ لهُ متقدِّما

شَرَفٌ تُلاقيهِ النُجومُ ضئيلةً ... تَرنُو اليهِ كما تُلاقي الأَنجُما

ما زال يَغنَمُ بالأَسنَّةِ رَهطُهُ ... حتى غدت لَهُمُ الأَسنَّةُ مَغنَما

انَّ المَعاليَ في الزَمانِ عرائسٌ ... لا تَنجلي حتى تُخَضَّبَ بالدِما

وقال يجيب عبد الباقي افندي العمري عن ابياتٍ ارسلها اليهِ من بغداد

يا أَيُّها القلبُ الخَفُوقُ بجانبي ... قد صرتَ وَيحَكَ حاضراً كالغائبِ

إِلحَقْ بأَهلِكَ في العِراقِ وخَلِّني ... بالشأْمِ في أَهلي فلستَ بصاحبي

فتَنتْكَ أَفئدةُ الرجالِ فلم تكن ... مِمَّن أُصيبَ بأَعيُنٍ وحواجبِ

عاطيتَ لكنْ لا بكأْسِ مُنادِمٍ ... فسكرتَ لكنْ لا بخَمْرةِ شاربِ

ذُقتَ الهَوَى صِرْفاً وما كُلُّ الهَوَى ... يَجِدُ الفتى فيهِ السبيلَ لعائبِ

حُبُّ الكريمِ كرامةٌ لمُحِبِّهِ ... ونَباهةُ المطلوبِ مجدُ الطالبِ

Digitized by Birzeit University Library

قد شاقكَ العُمَريُّ قُطبُ زمانهِ ... مُتباعِدًا في صُورة المُتقارِبِ
مُتواترُ الآثار أَردفَ كُتبَهُ ... فأَتتْ كتزكيةِ الشُهودِ لكاتبِ
هذا إمامٌ في الأَئمَّةِ ذِكرُهُ ... قد شاعَ بينَ مشارقٍ ومغاربِ
ولَئن تأَخَّرَ في الزمانِ فانهُ ... عَقْدٌ يَلِي الآحادَ عندَ الحاسبِ
نَجني الفرائدَ من بحارِ قريضهِ ... منظومةً من صُنْعِ فِكرٍ ثاقبِ
من كل قافيةٍ شَرُودٍ بيتُها ... ضُرِبتْ لهُ الاوتادُ بينَ ترائبِ
أَثْنى جميلاً مَن تعوَّدَ سَمْعَهُ ... فيهِ ولكن بالخَليقِ الواجبِ
أَثْنى بما هوَ أَهلُهُ فكأَنَّما ... أَهدَى لنا من نفسهِ بمناقبِ
شَرَفٌ لَبستُ طِرازَهُ فاهتزَّني ... عُجبًا الى ما فوقَ فوقِ مراتبي
فاذا ادَّعيتُ جعلتُ ذلكَ شاهدي ... واذا افتخرتُ جعلتُ ذلكَ ناسبي
ياجابرَ القلبِ الكسيرِ بلُطفهِ ... ماذا تَرَى في أَمرِ قلبٍ ذائبِ
ما زالَ يُقعِدُهُ الهَوَى ويُقيمهُ ... كالفعلِ بينَ جوازمٍ ونواصبِ
أُردُدْ فُؤَادًا لي اراكَ غَصَبتَهُ ... مني فانَّ الرَدَّ حُكمُ الغاصبِ
ما كانَ أَسمَحَني بهِ لكنَّهُ ... وَقفُ العِراقِ فلا يَصِحُّ لواهبِ
شَوْقي الى من لم تَرَاهُ نواظري ... في قُطرِ ارضٍ لم تَطَأْهُ ركائبي
احببتُ زَورآءَ العِراقِ لأَجلهِ ... ولأَجلِها أَطرافَ ذاكَ الجانبِ
حَقُّ المحبَّةِ للقُلوبِ فقد أَرَى ... حُبَّ الوُجوهِ عليهِ لَمحةُ كاذبِ
واذا تعرَّضَ دُونَ عينٍ حاجبٌ ... فُهناكَ قلبٌ لا يُرَدُّ بحاجبِ

Digitized by Birzeit University Library

أفديكَ يامَن ليسَ لي في حبِّهِ ... فضلٌ فذاكَ عليَّ ضربةُ لازبِ
احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعاً ... وكلاهما للنفسِ اكبرُ جاذبِ
أنتَ الذي نالَ الكمالَ موفقاً ... من رازقٍ من شاءَ غيرَ محاسبِ
فاذا نظمتَ فأنتَ ابلغُ شاعرٍ ... واذا نثرتَ فأنتَ افصحُ خاطبِ
واذا نظرتَ فعن شهابٍ ثاقبٍ ... واذا فكرتَ فعن حسامٍ قاضبِ
واذا جرتْ لكَ في الطروسِ يراعةٌ ... فسوادُ وشمٍ في معاصمِ كاعبِ
هذهِ رسولٌ لي اليكَ وليتني ... كنتُ الرسولَ لها بمعرضِ نائبِ
شاميةٌ من آلِ عيسى أقبلتْ ... في ذمةِ العمريِّ تحتَ مضاربِ
عذراءُ يثنيها الحياءُ مهابةً ... ونقودُها الأشواقُ قودَ جنائبِ
نزعتْ الى ماءِ الفراتِ وما درتْ ... كم أغرقتْ صهواتهُ من راكبِ
تلكَ البقيةُ من ذخائرِ أعجمٍ ... تلقى البقيةَ من كرامِ أعاربِ
من كل نابغةٍ يفيضُ كأنما ... نشرُ الفرزدقِ في تميمَ لغالبِ
ماذا يقومُ ولو تطاولَ قاصرٌ ... بمدى تقصرُ فيهِ جردُ سلاهبِ
فلكَ الجميلُ اذا عذرتَ وان تلمْ ... فلقد أصبتَ وما الملومُ بعاتبِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى بعض اصحابهِ في دمشق يعزيهِ بولدٍ لهُ توفي بالمرض المعروف بالزيح الاصفر سنة ١٢٦٤

أسفاً على أسفٍ وليسَ بمنكرِ ... أسفُ الكبيرِ على الحبيبِ الاصغرِ
وأحرُّ من فارقتَ نارَ صبابةٍ ... من لم يمتعْ مقلتيكَ بمنظرِ

Digitized by Birzeit University Library

هذا هِلالٌ قد رَماهُ مُحاقُهُ ... في صَدْرِ غُرَّتِهِ كسَلْخِ الأَشْهُرِ

جادَ الزَمانُ بما اُستَرَدَّ فما وَفى ... جُودُ الكريمِ بلَهْفَةِ المتحسِّرِ

كُنّا نُحاذِرُ من عَدُوٍّ أَزرَقٍ ... حتى بُلِينا بالعَدُوِّ الاصفرِ

نَحِساتُ أَيّامٍ أَثَرْنَ عَجاجَةً ... سَطَعَتْ ولكنْ لا بريحٍ صَرصَرِ

يَرِدُ الرَدَى من كُلِّ بابٍ سالكًا ... كلَّ الفِجاجِ حَذِرتَ ام لم تَحذَرِ

واذا ابتُليتَ بما بهِ نَفَذَ القضا ... فاُصبِرْ على بَلواكَ او لا تَصبِرِ

لا بُدَّ من يومٍ سيَحضُرُ ذاكِراً ... مَنْ كانَ يَنساهُ وان لم يُذكَرِ

نجري الى أَجَلٍ فكُلُّ مُقَدَّمٍ ... منا يَجُرُّ عِنانَ كلِّ مؤَخَّرِ

يا سابقًا من دُونِ غايتِهِ المُنى ... أَنتَ المقرَّبُ عندَ رَبِّكَ فابشِرِ

قد ذُقتَ حُلوَ الطيِّباتِ ولم تَذُقْ ... مُرَّ الخبائثِ في الزمانِ الاغبرِ

خَلَّفتَ لي حُزنًا عليكَ وفوقَهُ ... حُزنًا لثُكلِ ابيكَ ليسَ بمُقصِرِ

لو باتَ في عينيَّ دَمعٌ واحدٌ ... لكتبتُ حولَ ثَراكَ خمسةَ أَسطُرِ

غُصنٌ سَقَينا بالدُموعِ تُرابَهُ ... رَفعًا لهُ عن سَقيِ ماءِ العُنصُرِ

ان لم تكُنْ تُروِي ثَراهُ فإِنَّها ... تُروِي فُؤادَ مُحِبِّهِ المُستعبِرِ

يامَن بَكَيتُ على صِباهُ مُقبِلاً ... حَسبي البُكاءُ على صِبايَ المُدبِرِ

إِنَّ الحَياةَ هيَ الصِبا فاذا اُنقضَى ... عنّي فإِنّي ميِّتٌ لم يُقبَرِ

نَبغي بَلاغَ المُنذِرينَ وعِندَنا ... من كُلِّ ميتٍ قامَ ابلغُ مُنذِرِ

هذا الخطيبُ على الرُؤُوسِ مناديًا ... جَهرًا وذاكَ النعشُ عودُ المِنبَرِ

Digitized by Birzeit University Library

يا ايها النُّوَّامُ هُبُّوا واخلَعوا حُلماً تَغافَلَ عنهُ كلُّ مُعبِّرِ
المَيتُ يَعرِفُ حالةً حَضَرَتْ لهُ والحَيُّ يَجهَلُ حالةً لم تَحضُرِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى عبد الباقي افندي العمري في بغداد

فدى الجلابيبِ والأَطمارِ من وَبَرٍ ماتَصنَعُ الفُرْسُ من وَشيٍ ومن حِبَرِ
يَزينُ في العَرَبِ الأَثوابَ لابسُها إنْ زانتِ اللأَبسَ الاثوابُ في الحضَرِ
أَلَذُّ من نَغَمِ الأَوتارِ في غُرَفٍ بيتٌ من الشعرِ في بيتٍ من الشَعرِ
وفوقَ نَشْرِ دُخانِ العُودِ رائحةً دُخانُ نارِ القِرَى تُسقى دمَ الجزُرِ
اذا اردتَ الظبا اللآءي عهدتَ لها نوافجَ المسكِ فاطلُبْها من القفَرِ
هناك من ظَبيات الوَحشِ ما شَغَلَتْ فؤادَهُ ظَبياتُ الأُنسِ والخَفَرِ
من كلِّ خَزْراءَ عينٍ لا تُخازِرُها كحلاءَ ليسَ بها للكحلِ من أَثَرِ
انَّ المليحةَ مَن كانت محاسنُها من صَنعةِ اللهِ لا من صَنعةِ البَشَرِ
ما أَنسَ لا أَنسَ يوماً دُمتُ أَذكُرُهُ وَوَقْفةً عن يمينِ الحَيِّ من مُضَرِ
بِتْنا على الرَملةِ الوَعساءِ نَحسَبُها بحراً تَموَّجَ بالأَنعامِ والنَفَرِ
نَقضي النهارَ بسُمرِ الخَطِّ فَيْتَهُم على السُروجِ ونَقضي الليلَ بالسَمَرِ
بَيتٌ يَرْوي عن الكِنديِّ راويةٌ لنا ونَرْوي لهُ عن شيخِنا العُمَري
يا أَيُّها المَلأُ استَمِلُّوا قصائدَهُ وكُنْ من السُكرِ يا صاحي على حَذَرِ
فيها شِفاءٌ وأُنسٌ يَستعينُ بهِ مَن كانَ منكم مريضاً او على سَفَرِ
راحٌ ورَوحٌ ورَيحانٌ ورائحةٌ راحت بريحِ الصَبا في راحةِ السَحَرِ

Digitized by Birzeit University Library

يَستَوقِفُ الرَكبَ عن ماءٍ على ظَمَإٍ ... إنشادُها فيخيلُ الوِردَ في الصدرِ

قُطبُ العراقِ الذي في الشامِ شهرتُهُ ... الى الحجازِ فأرضِ الفُرسِ والخزرِ

إن كانَ يبعدُ وجهُ الأرضِ عن قمرٍ ... فليسَ تبعدُ أرضٌ عن سَنى القمرِ

دَلَّت على فضلِهِ السامي رَسائلُهُ ... لَمّا اتت فعرَفنا العُودَ بالثمرِ

رَضيتُ منهُ على بُعدِ الديارِ بها ... والجُهدُ يُرضيكَ بعدَ العينِ بالأثرِ

ياطالما زارَني طَيفٌ تعاهدَني ... في النومِ حتّى لقدأَلقاهُ في السهرِ

تَبيتُ في جنَّةٍ من طيبِ رُؤيتِهِ ... عيني وقلبي منَ الأشواقِ في سقرِ

دُونَ الأحبَّةِ أجبالٌ وأَودِيةٌ ... ومثلُ ذلكَ عندي دونَ مُصطبَري

تَحُونُني الريحُ في حملِ السلامِ لهم ... منّي وتكتُمُ عنّي صادقَ الخبرِ

أستودعُ اللهَ رُوحاً في الهَوى رَضِيَت ... دُونَ النَوى بقضاءِ اللهِ والقدرِ

يَشُوقُها كُلَّ يومٍ من أَحبَّتِها ... سَمعٌ وشتّانَ بينَ السمعِ والنظرِ

وَيلاهُ من زَمنٍ دارتْ دَوائرُهُ ... فما نَبيتُ بهِ الاّ على خَطَرِ

يخلُو منَ الصفوِ دهراً في تكدُّرِهِ ... فإنْ صفا ساعةً لم يخلُ من كَدَرِ

لا يستقيمُ على عهدٍ لذي ثِقَةٍ ... ولا يُقيمُ على وَصلٍ لِذي وَطَرِ

اذا اجتمعنا فإنَّ البينَ غايتُنا ... كالقوسِ تجمعُ بينَ السهمِ والوترِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى الشيخ عبد الحميد الموصلي في بغداد

بَغدادَ أيَّتُها الركابُ فبادِري ... نَهرَ السلامِ بنَهلةٍ من باكرِ

Digitized by Birzeit University Library

واذا وَقفتِ على الرُصافةِ فاُنشُدي ... قلبي ولكنْ من لَظاهُ فحاذِري
هل تحمِلينَ من المَشُوقِ تحيَّةً ... نَفَحَتْ بأَرواحِ الخزامِ العاطرِ
وَلهانُ تَرعى الطَيفَ مُقلةُ نائمٍ ... منهُ وتَرعى النَجمَ مُقلةُ ساهرِ
ما كُلُّ مَن عَرفَ المحبَّةَ عارفٌ ... حقَّ المحبَّةِ باطِنًا كالظاهرِ
هانتْ مَوَدَّةُ مَن أَحبَّكَ أَولاً ... حتَّى تَراهُ ثابتًا في الآخِرِ
وأَنا الَّذي ذَهبَ الهَوَى بفُؤادِهِ ... من حيثُ لَيسَ على الرُجوعِ بقادرِ
أَضحَى يُعنِّفُ عاذلي حتَّى اذا ... عَرَفَ الَّذي أَهواهُ أَمسَى عاذِري
أَهوَى الكريمَ من الرِجالِ ولو على ... سَمعٍ بهِ إِنْ كُنْتُ لستُ بناظرِ
وأُحِبُّ آثارَ العُلومِ وأَبتغي ... صُحُفَ الأَديبِ على نُضارِ التاجرِ
للناس في ما يَعشَقُونَ مذاهبٌ ... يَذهَبْنَ بينَ مَيامِنٍ ومَياسِرِ
في كُلِّ قلبٍ من حبيبٍ صَبْوةٌ ... بَلَى ويترُكُها لِقَلْبٍ غابرِ
لا تَنتَهي هِمَمُ الفَتى فاذا اُنقضَى ... وَطَرٌ تَجدَّدَ غَيرُهُ في الخاطرِ
أَمَلٌ طويلٌ والحَياةُ قصيرةٌ ... تَنجابُ بينَ مَوارِدٍ ومَصادِرِ
ولَقد بَكَيتُ على الشَبابِ وعَصرِهِ ... فأَضَعتُ دَمعي خاسرًا في خاسرِ
لا يَعرِفُ الإِنسانُ قِيمةَ نِعمةٍ ... حتى تَزُولَ فيَستَفِيقُ كخاسرِ
يَمضي بما فيهِ الزَمانُ كأَنَّهُ ... لم يأتِ عندَ أَصاغرٍ وأَكابرِ
والشيخُ أَشبَهُ بالغُلامِ كلاهُما ... في زَعمِهِ مولودُ يومٍ حاضرِ
جَرَّبتُ أَخلاقَ الزَمانِ وأَهلِهِ ... فعَرَفتُ يومي قبلَ أَمسِ الدابرِ

Digitized by Birzeit University Library

وَصَبَرتُ لكنْ حيثُ لمْ يكُ في يدي ... دَفعُ البَلاءِ فأَينَ فضلُ الصابرِ

يا أَيُّها الطَيفُ المُعلِّلُ مُهجتي ... بمواعِدٍ يُبرِقْنَ غيرَ مواطرِ

إِنْ كُنتَ لا تبغي الوَفاءَ فلا تَعِدْ ... بُخلُ الحريصِ ولا مِطالُ الغادرِ

كيفَ اهتديتَ الى تحتَ دُجُنَّةٍ ... تَطغَى بها عينُ الشِهابِ السائرِ

أَنتَ الخَيالُ تَزُورُ مثلَكَ في الضَنَى ... لو كانَ مِثلَكَ في خُفوقِ الطائرِ

هل تُبلِغُ الشيخَ الكبيرَ رِسالةً ... من عاجزٍ جُعِلَت وكيلَ القاصرِ

نَقَّطتُها مِثلَ العَروسِ بأَدمُعٍ ... مِثلِ اللآلِئِ فَهْيَ نظمُ الناثرِ

زُفَّت الى مَن لا نَقُومُ ببابِهِ ... لو عُزِّزَتْ ببَيانِ عبدِ القاهرِ

اللَوْذَعيُّ الكاملُ الفَرْدُ الذي ... أَفعالُهُ يَغلِبنَ قولَ الشاعرِ

أَمَةٌ الى عبدِ الحميدِ جَلَبتُها ... مِمَّا تَفَضَّلَ من كِرامِ حرائرِ

قد سَهَّلَتْ لي الشِعرَ صَنعةُ صائغٍ ... تأتي فأُرجِعُها بصَنعةِ كاسرِ

يا أَيُّها البحرُ العَرَمْرَمُ لم نُصِبْ ... لَكَ لُجَّةً فأَصَبتَنا بجَواهرِ

أَسرارُ عَقدٍ من لَدُنْكَ تَضَمَّنَت ... إِكسيرَ حلٍّ من صناعةِ جابرِ

بَيني وبَينَكَ ذِمَّةٌ مَطْوِيَّةٌ ... طَيَّ السِجِلِّ الى المَعادِ الناشرِ

لم يُبقِ لي هٰذا الزمانُ ذَخيرةً ... فَجَعَلْتُها في القلبِ بعضَ ذخائري

وقال يجيب احد اصحابهِ عن ابيات ارسلها اليهِ

قِفْ بالدِيارِ وإِنْ شَجاكَ المَوقِفُ ... وسلِ المَنازلَ بَعدَنا مَن تَألَفُ

واذا عَثَرْتَ على فُؤادي بينَها ... يوماً فَسَلْهُ الى متَى يَتخلَّفُ

رَبْعٌ صَرَفْتُ العَينَ عنهُ أَشهُراً ... والقلبُ عنهُ ساعةً لا يُصرَفُ

قد كانَ لي داراً فصارَتْ مُهجتي ... داراً لهُ بفِنائِها يَتكنَّفُ

وبجانبِ الجَرْعاءِ قومٌ عِندَهم ... ذِمَمٌ لنا محفوظةٌ لا تُخلَفُ

تَدنُو مَوَدَّتُهم على بُعدِ المَدَى ... ويَزيدُ صِحَّتَها الزمانُ المُدنِفُ

إِخوانُ صدقٍ في الإِخاءِ تَرَى لهم ... كَلَفاً ولكن ليسَ فيهِ تَكَلُّفُ

ما زِلتُ أَمزُجُ بالمدامعِ ذِكرَهُمْ ... طَرَباً كما مُزِجَت بماءٍ قَرْقَفُ

يا مَن جَلاَ عينَ البعيدِ برَسْمِ ما ... كانتْ بهِ أُذُنُ القريبِ تُشنَّفُ

طِرسٌ على الأَنفاسِ منكَ خَتَمتَهُ ... سِرّاً فذَلكَ بالعَبيرِ مُغَلَّفُ

إِنْ كُنتَ يعقوبَ المُحبَّ فنِعمَ ما ... تُدعَى ولكنْ ما حَبِيبُكَ يُوسُفُ

أَثبَتَّ لي في الوَصفِ ما لا أَدَّعي ... وعَرَفتَ لي في الحُبِّ ما لا أَعرِفُ

هٰذِهْ صَحيفةُ من تَوَدُّ عيونُهم ... لو أَنَّها ضِمنَ الصحيفةِ أَحرُفُ

كادتْ تَطيرُ بها اليكَ صَبابةٌ ... فيها أَرَقُّ من النَسيمِ وأَلطَفُ

جارَيتَني فسَبَقتَني ولَطالَما ... قد كُنتَ تَقْوَى في السِباقِ وأَضعُفُ

انْ كُنتُ عن حَقِّ الوفاءِ مُقصِّراً ... فالفضلُ في إِنصافِ من لا يُنصِفُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال وقد اقترح عليهِ بعض رجال الدولة ابياتاً يمدح بها امين افندي حين حضر من القسطنطينية ناظراً على قطر الشام

أَنَتْنا وَهْيَ سافرةُ الجَبِينِ ... فلاحَ الوَرْدُ تحتَ الياسَمِينِ
وحيَّتْ بالبَنانِ فَسالَ دمعي ... فأَرسلَها مُخضَّبةَ اليَمِينِ
لَعُوبٌ بالقلُوبِ تَحِلُّ فيها ... فتَنزِلُ مَنزلَ السِرِّ المَصُونِ
أُشَبِّهُ خالَ وَجْنتِها بنَقْطٍ ... وقد شَبَّهتُ حاجِبَها بنُونِ
مُمَنَّعَةٌ تَرُدُّ الكفَّ عنها ... وتَخدَعُ بالمَعاطِفِ والعُيُونِ
تَدُورُ على النُدامَى من يَدَيها ... أَباريقٌ وكأسٌ من مَعِينِ
فَدَيتُكِ غادةً تَخشَى سُيُوفًا ... لأُسْرَتِها فتُقتَلُ بالجُفُونِ
حَسِبناواوَ صُدغِكِ حرفَ عَطفٍ ... على أَلفٍ نَراها حرفَ لِينِ
رَدَدْتِ الشاهدَ المجروحَ قَلْبي ... وما تَرضَيْنَ مِنّي باليَمِينِ
رُوَيدَكِ ما وَقَفتِ على إمامٍ ... ولا شاهَدتِ دِيوانَ الأَمِينِ
أَمينِ الدولةِ الغرَّاءِ في ما ... يُؤَيِّدُ رايةَ الحَقِّ المُبِينِ
يُدَبِّرُ كلَّ قُطرِ الشأمِ حَزْمًا ... بأَوسَعَ منهُ قُطرًا في الفُنُونِ
لقد أَلقَى الرَصانةَ فيهِ حَتَّى ... تَهابُ الريحُ إقلاقَ الغُصُونِ
وهذَّبَ كُلَّ نَفسٍ فاستقامَتْ ... على قَدَمِ الوَداعةِ والسُكُونِ
رَسولٌ من بني الأَتراكِ ظَلَّت ... بهِ الأَعرابُ تُوعَدُ مُنذُ حِينِ
لهُ في مُعجِزاتِ الرأيِ فَيضٌ ... كوَحيٍ هابطٍ في طُورِ سِينِ

Digitized by Birzeit University Library

يُقيّدُ كُلَّ آبدةٍ ويَرْمي بسَهْمِ الظَنِّ في كَبِدِ اليَقينِ
اذا ما اعتلَّتِ الدُنيا شَفاها طبيبٌ منهُ ذو عَقلٍ ودِينِ
أَيا بحرًا أَتانا فوقَ بَحْرٍ مَتى أَبصرتَ بحرًا في سَفينِ
صَفَوتَ فلم تُكدِّرْكَ اللَّيالي كأَنَّكَ لَسْتَ من ماءٍ وطِينِ

والتمست منه اعضاء الجمعية السورية ابياتاً يرسلونها الى رئيس الجمعية بعد سفرهِ الى بلادهِ فقال

أَلحمدُ لِلّهِ الذي خَلَقَ الوَرَى لكنَّ حمدي قاصرٌ دُونَ الوَفا
الحمدُ لِلّهِ الذي يَقضي بما يَهوَى ولكنْ لامَرَدَّ لِما قَضَى
بِتنا نَلُومُ الدهرَ في أَحداثِهِ والدهرُ ظَرْفٌ بينَ صُبحٍ اومَسا
ماذا تَرَى هذا الزمانَ ومَن الذي خَلَقَ الزمانَ ومَن على العَرْشِ اُستَوَى
اللهُ أَكبرُ كُلُّ ما فَوقَ الثَرَى فانٍ ويَبقَى وَجهُ رَبِّكَ لاسِوَى
واذا رأَيتَ السخْطَ ليسَ بنافعٍ مِمّا قَضاهُ فاعتَمِدْ حُسنَ الرِضَى
جِئنا الى الدُنيا وقد شابتْ على غَصْبِ النُفوسِ ولم تَدَعْ هَمَ الصِبا
لو كانَ يَبقَى قَبلَنا حَيٌّ بها لَطَمعتُ منها في السَلامةِ والبَقا
نَمشي الى المَوْتَى على أَجسادِهِمْ في الأَرضِ دارسةً كَمنثُورِ الهَبا
لو كانَ يُمكِنُ أَنْ تُميِّزَ أَرضَنا لَوَجَدْتَ نِصفَ تُرابِها رِمَمَ البِلَى
هيهاتِ ما الدُنيا بِدارِ إِقامةٍ الاّ كما نَزَلَ المُسافِرُ في الدُجَى

Digitized by Birzeit University Library

تَصِلُ التَلاقِيَ بالفِراقِ ودُونَهُ ... يأتي فِراقٌ ليسَ يَعقُبُهُ لقا
ولَقد أَقُولُ لِراحِلٍ عن رَبعِهِ ... ماذا أَخَذتَ وماتَرَكتَ مِنَ الحَشَا
هذي القُلوبُ وَدِيعةٌ لَكَ فارْعَها ... يا خَيرَ مَن حَفِظَ الوَدِيعةَ والوَلا
مِنا السَلامُ عليكَ حيثُ نَزَلتَ من ... شَرقِ البِلادِ وغَربِها ولَكَ الثَنا
تلكَ اليَدُ البيضاءُ لو تُنسَى الذي ... غَرَسَتهُ ذَكَّرَنا بِهِ غَضُّ الجَنى
لَكَ عِندَنا شوقٌ يَطُولُ فهل لَنا ... صَبرٌ يطولُ عليهِ إِنْ طالَ المَدى
أَوحَشتَ داراً كُنتَ تُؤنِسُها فلو ... كانتْ لها عَينٌ لَفاضَتْ بالبُكا
ياصَدرَ مَجلِسِنا الكريمَ ورأسَهُ ... هل تَذكُرُ الأَعضاءُ من بَعدِ النَوى
يا صاحبَ القلبِ السليمِ وصاحبَ ال ... وَجهِ الوَسيمِ كأَنَّهُ عينُ الضُحى
يا ساهرَ الطَرفِ الجَلِيِّ وطاهرَ ال ... عِرضِ النَقِيِّ كأَنَّهُ زَهرُ الرُبى
يا أَيُّها الشَهمُ المُجرَّبُ صاحبُ ال ... خُلقِ المُهَذَّبِ والإِناءِ المُصطَفى
ضاقَ الكلامُ بنا فهل من بَسطَةٍ ... تَجري علينا منكَ يا قَطرَ النَدى
أَعجَزتَنا عن شُكرِ نِعمتِكَ التي ... شَهِدَتْ بِصِحَّتِها مَلائِكةُ السَما
هل منكَ يا زَهرَ الحدائقِ نَفحةٌ ... تُهدَى الينا اليومَ مع رِيحِ الصَبا
وعَسَى عَمُودُ الصُبحِ يُلقِي فَوقَنا ... ظُلَلاً مُضمَّخَةً بِأَرواحِ الشَذا
وخَزائنُ الأَصدافِ تَنثُرُ بيننا ... دُرَراً تُزانُ بها المَعاصِمُ والطُلَى
نَقضِي بها حَقَّ الثَناءِ لمن قَضَى ... حَقَّ الإِلهِ وخَلقِهِ حَقَّ القَضا
يا مَعشَرَ الأَصحابِ أَيُّ رِجالِكم ... وَلَّى وأَيُّ قلوبِكُمْ باقٍ هُنا

Digitized by Birzeit University Library

لا تحسبوا رَجُلاً على فلكٍ ثَوَى لٰكنَّهُ بحرٌ على بحرٍ مشَى
هٰذا فراقٌ تعلَمُونَ زمانَهُ أفتعلَمُونَ متَى يكونُ المُلتقَى
قد مالَ هٰذا البدرُ نحوَ غُروبِهِ لكنْ سيَطلُعُ فاسعِفُوهُ بالدُعَا

وقال وقد زاره محمد عزة باشا قائد الجيوش السلطانية في اعمال بيروت

أعطَى مُحمَّدُ عِزَّةٍ من فضلِهِ شَرَفًا لِساحَتِنا بوَطْأَةِ نَعلِه
قَسَمَ اسمَهُ السامي فنالَ مُحمَّدًا منهُ وأعطَى عِزَّةً لمحلّه
هذا الوزيرُ وزيرُ سُلطانِ الوَرَى وخَليفةِ اللهِ العليِّ وظلِّهِ
أخفيتُ عن داري بِشارةَ وَفْدِهِ كي لا تُصفِّقَ بالسُرُورِ لأجلِه
يا زائرًا بيتي أراكَ فتنتَهُ فعليكَ بيتٌ غيرُهُ من مثلِه
أجللتَهُ عنّي فصِرتُ أهابُهُ حتَّى كأنّي لم أكُنْ من أهلِه

وقال يمدح بعض الرؤساء وقد قدم من سفرٍ طويل

طالَ ميعادُنا فخَلْناهُ دهرا هٰكذا الشوقُ يجعلُ اليومَ شهرا
طالَ ميعادُ بيننا ونسينا أنَّ في دهرِنا معَ العُسرِ يُسرا
قد حَلُمنا فأثمرَ الحِلمُ صبرًا وصَبرنا فأثمرَ الصبرُ شُكرا
لاحَ وَجهُ المُنى ومن قطعَ الليـ ـلَ فلا بُدَّ أن يُصادِفَ فجرا
جاءَ في الفُلكِ من يقِلُّ عليهِ فلَكُ النجمِ وهوَ أوسعُ صدرا
لبسَ بِدعًا في البحرِ ان يحمِلَ الفُلـ ـكَ ولكنْ في الفُلكِ يحمِلُ بحرا

Digitized by Birzeit University Library

هُوَ بحرُ العُلُومِ مَن خاضَ فيهِ ذاقَ ماءَ الفُراتِ واصطادَ دُرًّا
ظَلَّ يُلقِي في قلبِهِ العِلمُ مَدًّا وعلى وَجهِهِ السكينةُ جزْرا
بِيَدَيهِ العصا التي حيثُ ألقا هَا لكيدٍ تلقَّفت منهُ سِحرا
بينَ أغنامِهِ يَهشُّ بها الرا عي وفيها لهُ مآربُ أُخرى
عالمٌ عاملٌ أديبٌ لَبيبٌ كاتبٌ خاطبٌ من الغيثِ أجرى
فكرُهُ أعجلَ اليَراعَ ففاضتْ أسطرٌ منهُ كلَّما خطَّ سطرا
قلَمٌ ينفثُ المدادَ على الطِرْ سِ وإنِّي أراهُ يعصرُ خمرا
قصرَ الشعرُ دُونَ مَن يغلبِ الشعرَ م ولو أمطرَتْ لنا السحْبُ شِعرا
هُوَ أدرى بعجزِنا عن ثَناهُ فهْوَ يعفُو عنّا ويقبلُ عُذرا
يا خطيبًا لهُ فُصُولُ خِطابٍ قد ألانَت من المنابرِ صخْرا
أينَ قُسٌّ من حبْرِ عصرٍ هُوَ المظلومُ إن قيسَ بالأَئِمّةِ طُرًّا
طابَ فيكَ الثناءُ فاستنجدَ النطقُ م يَراعًا واستنجدَ النظمُ نثْرا
للقوافي عليكَ مُزدحمٌ حتَّى م لقد كادَ يدفعُ الشطرُ شطرا
هذهِ النظْرةُ التي كُنتُ ارجو منكَ قِدْمًا حتى قضى اللهُ أمرا
ذهبَ العُمرُ في التعلُّلِ بالآ مالِ والدهرُ ليسَ يُخلِفُ عُمرا
لاحَ صُبحُ المَشيبِ في مَفرِقِ كا نَتْ لهُ ظُلمةُ الشبابِ أبرّا
ذاكَ ضيفٌ لا يُستحبُّ لهُ الأُنسُ م ولكنْ بهِ الكرامةُ أحرى
مِن أقاصي الدُنيا الى الحرَمِ الأقصى م بِكَ اللهُ أيُّها البدرُ أسرى

Digitized by Birzeit University Library

قد تنقّلتَ في المنازلِ حتّى ... صدقَ الشبهُ إذْ دعوناكَ بدرا
إنْ تأخّرتَ مدّةً فالقوافي ... آخرُ الشعرِ وهيَ أعلاهُ قدرا
قد توالتْ مقدّماتُ قياسٍ ... كُنتَ منها نتيجةً حينَ تُقرا
أنتَ فوقَ الذي أراهُ فعندي ... خبرٌ لا يحيطُ بالحقِّ خُبرا
ضاقَ هذا الثناءُ عنكَ وضاقت ... همّتي عنهُ فاشتكتْ منهُ حصرا
إنّني قاصرٌ ضعيفٌ ومثلي ... يبتغي من مسافةِ الطُرقِ قصرا

وقال يرثي موسى بسترس وكان عزيز قومه توفي سنة ١٨٥٠

ما بالُ موسى بلا سمعٍ ولا بصرِ ... فلا يجيبُ الذي يدعوهُ في السحرِ
ما بالهُ معرضاً عنّا أمِن ملَلٍ ... عراهُ أم شغلتهُ أهبةُ السفرِ
ما بالهُ اليومَ مغلولَ اليدينِ وقد ... كانت يداهُ كنصلِ الصارمِ الذكرِ
قد كانَ بالأمسِ موسى في مجالسِهِ ... يروي صدى السمعِ او يجلو صدا النظرِ
ويفصلُ الأمرَ والألبابُ في دهشٍ ... ويُفصحُ القولَ والأفواهُ في حصرِ
ويلتقي الوفدَ بالترحابِ مبتسماً ... كأنهم وفدوا بالخيلِ والبدرِ
يا صاحبي زُرْ ثرى موسى الكريمِ وقل ... يا أكرمَ التربِ هذا اكرمُ البشرِ
أظمأكَ حرُّ دموعٍ قد سُقيتَ بها ... حتى سقتكَ الغوادي باردَ المطرِ
هل كانَ قبلكَ من رمسٍ برابيةٍ ... أضحى ضريحاً فأمسى منزلَ القمرِ
أتاكَ تابوتُ موسى في محافلِهِ ... يسعى كتابوتِ عهدِ اللهِ فاعتبرِ

Digitized by Birzeit University Library

من كانَ يَعلُو سُروجَ الخيلِ مُذهبَةً ... قد زارَكَ اليومَ بالأَلواحِ والدُّسُرِ

وباتَ فيكَ فريدًا مَن مجالسُهُ ... كانتْ تَضيقُ عَنِ الأَخلاطِ والزُّمَرِ

من كانَ أَقربَ أَهلِ الأَرضِ منفعةً ... وكانَ أَبعدَ اهلِ الارضِ عن ضَرَرِ

وأَوسعَ الناسِ صدرًا في مَضايقِهِ ... وأَجملَ الناسِ صبرًا ساعةَ الضَجَرِ

القائلُ الحقَّ في سرٍّ وفي علَنٍ ... والفاعلُ الخيرَ في صفوٍ وفي كَدَرِ

والمُستزيدُ بجودِ اللهِ خشيتَهُ ... فكُلَّما ازدادَ أَمنًا زادَ في الحَذَرِ

وكُلَّما ازدادَ مالاً زادَ مكرُمةً ... كالدوحِ ما ازدادَ غُصنًا زادَ في الثمرِ

وكُلَّما ازدادَ من مجدٍ ومن شرفٍ ... زادتْ وَداعتُهُ في القدرِ والقدرِ

قد خُطَّ في قلبِهِ ما كانَ مُنتقشًا ... في كَفِّ مُوسَى على لَوحٍ من الحجرِ

مَشَى على سَنَنِ الخيراتِ من صِغَرٍ ... حتى استمرَّ فكانتْ عادةَ الكِبَرِ

ما ذَمَّ قطُّ ولا ذُمَّتْ خلائقُهُ ... يومًا فماتَ حميدَ العينِ والأَثَرِ

كانتْ لنا عبرةً آدابُ سيرتِهِ ... واليومَ ما زالَ في الدُنيا من العِبَرِ

رُكنٌ تهدَّمَ في بيروتَ فانْدفعتْ ... أَهوالُ صعقتِهِ في المُدْنِ والجُزُرِ

لئن رَثَيناهُ عن خُبْرٍ بموضعِهِ ... فكم رَثاهُ بعيدُ الدارِ عن خَبَرِ

هَوَى الى التُرْبِ من أَبراجِ عِزَّتِهِ ... واعتاضَ بالكَفَنِ البالي عن الحِبَرِ

قد كانَ يَقري المَلا من مالِهِ فغدا ... يَقري هَوامَ البِلَى من جسمِهِ النَضِرِ

هذا الذي تَعِدُ الأُمُّ البَنينَ بهِ ... مُنذُ الولادةِ قبلَ الرَهزِ في السُرُرِ

نعيشُ للموتِ اذ كانتْ وِلادتُنا ... للموتِ فالعيشُ في أَيَّامِنا الأُخَرِ

Digitized by Birzeit University Library

لا يترُكُ البَينُ عَيناً غيرَ باكيةٍ ... وليسَ يترُكُ قلباً غيرَ منكسرِ
اذا وَرَدْنا حِياضَ العَيْشِ صافيةً ... فأَقصرُ الوَقتِ بَينَ الوِرْدِ والصَدَرِ

وقال في رسالةٍ كتب بها الى بعض اصحابهِ الرؤساء مشيراً بها الى اغراضٍ

خَلَتِ الديارُ كأَنَّها لم تُؤهَلِ ... ومَضَى النَزيلُ كأَنَّهُ لم يَنزِلِ
والمَرْءُ في دُنياهُ يعرِفُ حاصلاً ... فاذا مَضَى فكأَنهُ لم يَحصُلِ
إنَّ الذي مَلأَ العيُونَ بأُنسهِ ... مَلأَ القلُوبَ كأَنهُ لم يَرحَلِ
في كُلِّ نادٍ منهُ ذِكرٌ يُجتَلَى ... ولِكُلِّ عَينٍ منهُ شَخصٌ ينجلي
يا نازلاً في الارضِ اكرَمَ بُقعةٍ ... إنَّ النَزيلَ يَكونُ حَسْبَ المَنزِلِ
لم تَلقَ أَهلاً للإقامةِ عندَنا ... فأَقَمْتَ في القُدسِ الشريفِ بمعزِلِ
لَمَّا وَفَدْتَ على الديارِ تَعَجَّبَت ... من بعثِ بُولُسَ قبلَ يومِ المَحفَلِ
أَنتَ الخَليقُ بأَنْ يَزُورَكَ ماشياً ... مَن زارَ آثارَ الزمانِ الأَوَّلِ
تَشْتاقُ طَلعَتَكَ المَنابرُ كُلُّها ... ويَرِفُّ من طَرَبٍ جَناحُ الهَيكَلِ
وتَعافُ أَرواحَ الكِباءِ وفوقَها ... لَكَ طِيبُ أَنفاسٍ كَعَرْفِ المَندَلِ
نُهدي لِصِهيُونَ الهَناءَ كَحُسَّدٍ ... ولثَغرِ بيروتَ العَزاءَ كَعُذَّلِ
ظَمَأٌ تَأَجَّجَ في الرِكابِ فعندَما ... وَرَدَتْ أَتاها الريُّ قبلَ المَنهَلِ
قَصُرَتْ لَيالينا فكُنتَ بِدارِنا ... كمُسافرٍ لكنَّهُ لم يَعجَلِ

والوَردُ ليسَ يطُولُ عهدُ لِقائِهِ ... والبدرُ ليسَ بِثابتٍ في مَنزِلِ
والدهرُ بينَ الناسِ ليسَ بعادلٍ ... والناسُ بينَ الدهرِ ليسَ بأَعدلِ
فأَنزِعْ الى دارِ السَلامةِ في النقا ... واذا مَرَرتَ على الحُصَيبِ فهَرْوِلِ
واذا أَتَيتَ القَومَ فارِبضْ جانبًا ... واذا أَستَطَعتَ العيشَ وَحدَكَ فافعَلِ

وقال يمدح ملكة الدولة الانكليزية وقد طلب ذلك منهُ صديقٌ لهُ من كبراءِ دولتها

إِنْ قُلتَ وَيحَكَ فافعلْ أَيُّها الرَجُلُ ... لا يَصدُقُ القَولُ حَتَّى يَشهَدَ العَمَلُ
نقولُ أَسلُو الهَوَى والعينُ دامِيةٌ ... وأَترُكُ الشَوقَ والأَنفاسُ تَشتَعِلُ
ما زِلتَ تَهوَى الطُلَى حتى أَقامَ على ... فُودَيكَ من لَونِها ما ليسَ يَرتَحِلُ
اذا كَساكَ بَياضُ الشَيبِ رائعةً ... تَضاحَكَتْ من هَواكَ الأَعيُنُ النُجُلُ
هيهاتِ ليسَ لأَيامِ الصِبا عِوَضٌ ... حَتَّى يَكُونَ لهُ من نفسِهِ بَدَلُ
هيَ الحَياةُ التي أَبقَت لنا طَرَفًا ... كالدارِ يبقَى لنا من بعدِها طَلَلُ
لِكُلِّ كأْسٍ شَرابٌ يُستَحَبُّ لها ... وكلُّ عَصرٍ لهُ من أَهلِهِ دُوَلُ
أَليومَ قامَتْ فَتاةُ المُلكِ بارزةً ... وقامَ من قبلِها أَسلافُها الأُوَلُ
فَرعُ الأُصولِ التي مَرَّت وبَهجَتُها ... إِنَّ الثِمارَ مِنَ الأَغصانِ تُبتَذَلُ
يُستَحسَنُ المُلكُ فيها والخُضوعُ لها ... وليسَ يَحسُنُ فيها الجُبنُ والبَخَلُ
باهَى الرِجالُ نِساءَ الدَهرِ وافتَخَروا ... حَتَّى أَتَتْ فأَصابَ المُدَّعي الخَجَلُ

Digitized by Birzeit University Library

إذا صفا لكَ نورُ الشمسِ في فلكٍ ... فما الذي تفرقُ الجوزاءُ والحملُ

بقيّةٌ من ملوكِ الدهرِ قد ذُخرت ... وأفضلُ الشيءِ ما يُخبَى فيعتزلُ

في قلبها خاتمُ التقوى وفي يدِها ... من خاتمِ الملكِ ما يجري بهِ المثلُ

تُدبّرُ الأمرَ في أقطارِ مملكةٍ ... كأنَّ أطرافَها القصوى لها مِلَلُ

في كلِّ نجدٍ لها غورٌ تُمهّدُهُ ... وكلُّ سهلٍ بهِ من خوفِها جبلُ

قد أدّبت كلَّ نفسٍ في جوانبها ... حتى تأدّبَ فيها الصقرُ والوعلُ

تلوي الرياحُ مثاني الرملِ عاصفةً ... حتى تُصيبَ أراضيها فتعتدلُ

قد اتّقى الدينُ والدنيا بساحتِها ... كما اتّقى الكحلُ في الأجفانِ والكحلُ

في ظلّها للورى من كلِّ طارقةٍ ... أمنٌ وفي قلبها من ربّها وجلُ

اذا اثنتى صوْلجانُ الملكِ في يدِها ... تحطّمتْ منهُ بيضُ الهندِ والأسلُ

تصمي بأهدافها الرامي ولو رشقتْ ... بأسهمِ الشهبِ عن قوسِ الهوى ثُعلُ

لها منَ الرأيِ جيشٌ تحتَ رايتِهِ ... جيشٌ بهِ تأمرُ الدنيا فتمتثلُ

يظلُّ في البحرِ من إطباقهِ لُجَجٌ ... تعلو وفي البرِّ من إخفاقهِ زجلُ

اذا سقى القومَ كأساً من وقائعهِ ... كفاهمُ النهلُ أن يستأنفَ العللُ

افدي التي لبستْ من مجدِ دولتِها ... تاجاً فهانَ عليها الحليُ والحللُ

صانَ القريضَ عنِ الدعوى تفرّدُها ... بينَ الكرائمِ حتى ليسَ ينتحلُ

قد هاجَ الا عليها الخُلفُ غارقةً ... فيهِ الملوكُ ولم يلحقْ بها بللُ

كالشمسِ بينَ بدورٍ لا يُلِمُّ بها ... نقصُ البدورِ ولا يغتالُها الطفلُ

Digitized by Birzeit University Library

قريرةُ العينِ ترعى المُلكَ ساهرةً ... على العبادِ فنامَتْ حَوْلَها المُقَلُ
لمُشكِلِ الرأيِ في أجفانِها قمرٌ ... يدنو ولو أنَّهُ في بُعدِهِ زُحَلُ
يا مَنْ دعاني الى صَوْغِ الثناءِ لها ... من صِيتِها قد دعَتْني قبلَكَ الرُسُلُ
لا يَمنعُ البُعدُ جدواها وشُهرتَها ... إنَّ الدراري الينا ضوْءُها يَصِلُ

وقال يمدح الشيخ يوسف الاسير القاضي يومئذٍ في ديوان جبل لبنان سنة ١٢٦٨

أقولُ لِعطفِها عندَ النُهوضِ ... أيا وَيلَ الصحيحِ منَ المَريضِ
حَصيفةُ موقعِ الخَطَواتِ تَمشي ... كما قَطَّعتَ أبياتَ العَرُوضِ
أطالَ بلاءَنا شَعرٌ طويلٌ ... تُقلِّبُهُ على ردفٍ عَريضِ
ثَوَتْ بالرُبوَتينِ لهُ خيامٌ ... فوَارَتْ ما هُناكَ من الحَضيضِ
مُمنَّعةٌ رأَتْ وَجْدي فهامَتْ ... كما حُمِلَ النقيضُ على النقيضِ
دعاها الشَوقُ فانتبَهت اليهِ ... كما انتبَهَ الأَسيرُ الى القريضِ
أَسيرُ الحَقِّ في حُكمٍ تَساوَى ... فما يُدرَى الحبيبُ منَ البَغيضِ
يُقلِّبُ في المَسائلِ كُلَّ طَرْفٍ ... ويَلقَى الناسَ بالطَرْفِ الغضيضِ
كَفَتهُ منَ الزمانِ سُطورُ صُحْفٍ ... فتلكَ الدهرُ من سُودٍ وبيضِ
يقومُ من الصَلاةِ الى المَثاني ... ومن سُنَنِ الكِتابِ الى الفُروضِ
إمامُ الشِعرِ يَبتدِعُ القوافي ... ويأمَنُ دُونَها حَوْلَ الجريضِ

Digitized by Birzeit University Library

وينتجُ في المعاني كلَّ بِكرٍ ... منَ اللآءي يَئِسْنَ من المَحِيضِ
أَصارَ ليُوسُفٍ بيروتَ مِصرًا ... تَدَفُّقُ نيلِ عِلمٍ مستفيضِ
رَوَى فرَوَى الصَدَى وجلا فجلَّى ... لَنا ما في المشاكِلِ من غُمُوضِ
اديبٌ كاملٌ شَهْمٌ لديهِ ... تلينُ عَرِيكةُ الخَطْبِ القَضيضِ
يَقِلُّ لهُ الثَنـآءُ ولو أَخَذْنا ... قوافيَهُ عَنِ الرَوضِ الأَريضِ
ولَستُ بِمَنْ يَهِيضُ الحَقَّ لكِنْ ... تأَخَّرْنا الى الزَمَنِ المَهِيضِ
لَقِيناهُ وقـد أَمسَى حُطامًا ... وفازَ القومُ بالقَنَنِ الفَرِيضِ
نَرُوحُ كما غَدَونا في ظَمآءٍ ... وتَخدَعُنا البَوارِقُ بالوَمِيضِ
وأَطْيَبُ مَوردٍ كأسُ المَنايا ... اذا احتاجَ العُقَابُ الى البَعُوضِ

وقال يمدح الامير بشير احمد اللمعي حين تولى امارة النصارى في جبل لبنان سنة ١٨٥٤

سلامُ اللهِ أَيَّتُها القِبابُ ... أَمَضْرِبُكِ القُلوبُ أَمِ التُرابُ
وما لِنَزيلِ قومِكِ من نَصيبٍ ... تُرَى أَيُصيبُ خيرًا ام يُصابُ
وَقَفتُ بِجانبِ الوادي فَحَنَّت ... لترديدي الحنينَ بهِ الرِكابُ
وخاطَبتُ الديارَ فلم تُجِبْني ... وما كُلُّ الخِطابِ لهُ جَوابُ
دِيارٌ لي بِهـا قَمَرٌ مُنِيرٌ ... تَوارَى والسَحابُ لهُ نِقابُ
لهُ شَفَةٌ لناظِرِها شَرابٌ ... ولكن حظُّ وارِدِها السَرابُ

Digitized by Birzeit University Library

وطَرْفٌ فيهِ من قلبي سَوادٌ ... وكَفٌّ من دمي فيها خِضابُ
شَكَوتُ لهُ العَذابَ فصدَّ تِيهاً ... وذاكَ الصدُّ كانَ هُوَ العَذابُ
اذا ما لم يُهِمَّكَ أَمرُ شاكٍ ... فلا الشَكوَى تُفيدُ ولا العِتابُ
أَتى ما لا حَسِبتُ ورُبَّ أَمرٍ ... حَسِبتُ لهُ فما صَدَقَ الحِسابُ
ومارَسْتُ الأَنامَ فكم عَدُوٍّ ... عليهِ من صَداقتِهِ ثِيابُ
وكم من صاحبٍ قد جَرَّ ما لا ... يَجُرُّ من العِدَى ظُفُرٌ ونابُ
وكم رَجُلٍ دَعَوتُ فلم يُجِبني ... ويَدعُوني سِواهُ فلا يُجابُ
نَرَى بعضاً يَعيبُ صِفاتِ بَعضٍ ... وما من عائبٍ الاَّ يُعابُ
يَعيبُونَ الأَميرَ بفَرْطِ جُودٍ ... كما لو عِيبَ بالمَطَرِ السَحابُ
وكيفَ يَهابُ مِن بَذلِ العَطايا ... شُجاعٌ للمَنايا لا يَهابُ
سَجايا المجدِ سِلسِلَةٌ توالتْ ... كما انتَسَقَتْ مِنَ الرُمحِ الكِعابُ
عِمادٌ في بني قَيسٍ تَسامَى ... فذَلَّت من بني يَمَنٍ الصِعابُ
ثَوَى مَتْنَ البِلادِ فكانَ رأساً ... لهُ تَعنُو المَناكِبُ والرِقابُ
تَرَى في وَجهِهِ سِيماءَ مَجدٍ ... كعُنوانٍ يَبينُ بهِ الكِتابُ
تَعَرَّضَ غيرَ مُحتجِبٍ ولكنْ ... لهُ من فَرْطِ هَيبَتِهِ حِجابُ
عليهِ لكُلِّ سُوءٍ كُلُّ بابٍ ... وليسَ عليهِ للحَسَناتِ بابُ
تَقَلَّدَ بالوِلايةِ فهيَ سَيفٌ ... بِراحةِ مَن يَجودُ بهِ الضِرابُ
أَتى بأَسم البَشيرِ لنا بَشيراً ... وفيهِ الى مسمَّاهُ انتِسابُ

لَئِنْ عَبَثَت بهِ غُصَصُ اللَيالي ... فها قد جآءها اليومَ الشرابُ
وإنَّ الشمسَ يَحجبُها ضَبابٌ ... ولكنْ ليسَ يَكسِفُها الضَبابُ
قَدِ اعتزَّت بدولتهِ جبالٌ ... عليها من مَكارمِهِ هِضابُ
تَبيتُ بها الظبا والأُسْدُ تَسعَى ... وتَرعَى الشآءُ فيها والذِئابُ
لهُ من رَهطِ نَجْدَتِهِ لُيُوثٌ ... لها من شُرَّعِ المُرَّانِ غابُ
يَرُدُّ العارُ اوجهُها حيآءً ... وليسَ تَرُدُّ أَوجهَها الحِرابُ
قِيامٌ يَنظُرُونَ الى عزيزٍ ... لناظِرِهِ ابتهاجٌ واضطِرابُ
حَوَى شَطْرَينِ من شَرَفٍ فهذا ... لهُ إِرْثٌ وذاكَ لهُ اكتِسابُ
رحيبُ الصدر في عُسرٍ ويُسرٍ ... تَضِيقُ بوَفدِهِ تلكَ الرِحابُ
لهم منهُ الثَوابُ يُساقُ عَفْوًا ... نَعَمْ ولهُ منَ اللهِ الثَوابُ
فتًى يُرجَى الرِضَى والعفوُ منهُ ... ويُخشَى السُخطُ منهُ والعِقابُ
لهُ في حُكمِهِ قولٌ سديدٌ ... وفي أَعمالِهِ رأيٌ صَوابُ
يَرَى حَقَّ الصحابِ عليهِ حتَّى ... يَرَى حَقَّ القَضآءِ فلا صِحابُ
وينظُرُ حاسِديهِ بعَينِ راضٍ ... لحِلمٍ أَرْخوهُ وهُمْ غِضابُ
أَصابَ السَبْقَ عن أَمَدٍ بعيدٍ ... تُقَصِّرُ دونَهُ الخيلُ العِرابُ
فقُلتُ لِمَنْ يُجاريهِ رُوَيدًا ... ستُدرِكُهُ اذا شابَ الغُرابُ

﴿ تقاريظ ﴾

قال الشيخ يوسف الاسير تقريظاً على هذا الديوان

هذا لَعَمْرُكَ ديوانٌ مُدَوِّنُهُ ... حكى البديع الذي باهت بهِ الشُعَرا
زَكَتْ معانيهِ في حسن البيان وما ... احراهُ مفتكرًا في الناس منتشرا
قد رقَّ طبعًا كما قد رقَّ ناظمهُ ... مع كونهِ مالكًا للفضل مشتهرا
قد انصف الشعرَ ناصيفٌ فصار لهُ ... سِعرٌ وحُقَّ لهُ أنْ عاد مفتخرا
ابكار افكارهِ زُفَّت لنا فزَهَتْ ... بذي العُقود التي حلَّتْ لنا الدُرَرا
أبدَى القُوى في القوافي فهي ثابتةٌ ... مع انها سائراتٌ تشبه القمرا
سُلاف عصرٍ ولكن فيهِ قد رَكَدَتْ ... إعصارُ ما كان في الأسلاف معتبَرا

وقال الشيخ عبد الهادي نجا الابياريُّ مفتي المنوفية والغربية بالديار المصرية

بسم الله

حمدًا لمن خلق الانسان . وعلَّمهُ البيان . وفتَقَ رَتْقَ لسانهِ برقائق المباني الموشحة بدقائق المعان . واستخرج من معادن ألسنة العرب إبريز افصح اللغات . واجلى عرائس البلاغة لذوي الفصاحة فاماطوا براقع وجوهها السافرات . وصلاةً وسلامًا على نبيِّ الأُمَّة . وكاشف الغُمَّة . القائل ان من البيان لسحرًا وان من الشعر لحكمة . وعلى سائر الانبياء والمُرسَلين . وآل كلٍ وصحابتهِ اجمعين . وبعدُ فيقول فقير

Digitized by Birzeit University Library

رحمة ربهِ · واسير وصمة ذنبهِ · عبد الهادي نجا الابياري · عمَّهُ الله واخوانه بلطفهِ الساري · قد اطَّلعت على ديوان شعر شاعر القطر الشامي · الهمام الفاضل الشيخ نصيف اليازجي المتأرّج عرف قدرهِ السامي · فوجدتهُ جنَّة ادبٍ عالية · قطوفها دانية · قد اينعت فيهِ غصون البلاغة واثمرت · وتلألأت فيهِ نجوم البراعة وازهرت · فقلت مطرزًا حلَّتهُ السُّندُسيَّة · مقرّظًا بهجتهُ السنيَّة

هكذا تُنسَق اللآلي وتُنضَدْ ... هكذا تُجمَعُ المعاني وتُحشَدْ
هكذا هكذا الكلام كلامٌ ... صِيغَ دُرًّا بفِكرةٍ تتوقدْ
صدَّ اهلَ اللسان حسن اختراعٍ ... منهُ عن مثلهِ فاصبح مُفرَدْ
وترآءى لهم سنى برق مبنا ... هُ فخرُّوا لحسن معناهُ سُجَّدْ
كلُّ بيتٍ فيهِ لكلِّ خطيبٍ ... مُفلِقٍ سجدةٌ متى ظلَّ يُنشَدْ
انَّ هذا هو البيان الذي اعجز م ... كلاً عن البيانِ وأقعدْ
غَزَلٌ في حماسةٍ وبديعٌ ... في بيانٍ لله دَرُّ مَنَ انشدْ
هو قاضي البلاغة الفاضل الند ... بُ الذي ظلَّ في المعارف أوحدْ
عَضُدُ الفضل والعصامُ الذي استـ ... ـسك شخصُ العلا بهِ وتعضَّدْ
مَلِكُ القولِ من يَقِسْهُ بقُسٍّ ... فهوَ لا شكَّ في القياسِ مفنَّدْ
بنصيفٍ قد انصف الدهر بيرو ... تَ فاضحت لتيه في ثوب سودَدْ
ولئِن اصبحت تفاخر كلَّ ال ... مدن اضحى لعمريَ الحال يشهدْ
ما سمعنا بمثلهِ عيسويًا ... يتحدّى بمثل مُعجِزِ احمدْ

Digitized by Birzeit University Library

نظم الدرّ والدراريَ في احـ ـسن سمطٍ من البيان ومهّدْ
المعيُّ لكنهُ عيسويٌّ كان اولى بفضل دين محمّدْ
لو تروّى ارتوى بكوثرهِ العذ ـب واروى اظمآءَ من بات يجهدْ
جلّ من قسّم الحظوظ فلا عتـ ـبَ وان كان العقل في الامر معهدْ
حكمُ مولًى يقضي علينا بمـا شآ ءَ تعالى عن التولّد سرمدْ
دُمْ حليف العلى نصيف بفضلٍ لا يُوازَى وحسن حمدٍ مؤبّدْ

وقال عبد الباقي افندي العمريُّ

باسمك اللهمّ يا مَن بفضلهِ وُفّقتُ فوقفتُ على النُبذة التي

بها ناصيفُ عيلمُ كل فضل تطوّلَ فاستطالَ على الجميعِ

والفِلذة التي

دَعَتْ افلاذَ اكباد المعاني مفتّتةً بايدٍ من ولوعِ

والخوذة التي

كست هامَ الافاضل تاج عزّ ومِغفَرَ قمّة الشرف الرفيعِ

والعوذة التي

بها عاذت قرائحنا ولاذت فاغنتها عن الحرز المنيعِ

واللذة التي

وجدنا في مذاق الحب منها حلاوة شهد وصلٍ من قَطُوعِ

Digitized by Birzeit University Library

والجذوة التي

بهـا قدحت زنادُ الفكر منهُ نخفت من الشرار على ضلوعي

والجلوة التي

اتت مطبوعةً لفظـاً ومعنًى على الإحسان والحسن البديعِ

فقرَّظتها بهذا التقريظ

على نبذةٍ من شعر ناصيف ذي الفضلِ وقفتُ ومني العين في موضع الرجلِ
وطأطأت اجلالاً لها راس شامخٍ لاخمصهِ هامُ العُلَى موطئُ النعلِ
فرُحتُ لدى الامعان فيها كانني وعقليَ عني ذاهلٌ من بني ذُهلِ
وشمتُ سنى فجر المعاني يلوح من خلال المباني وهي ليلةُ الشكلِ
محا ظلَّ وهمي حين اشرق نورها وكم قد محت شمس الظهيرة من ظلِّ
على الحُسن والاحسان مطبوعةً اتت فوافقت الطبع السليم من الغلِ
وقد رفرفت بالخافقين صحافها وحطَّت من المجد الاثيل على أثلِ
واوراقها في الكرخ ورقاءُ أُلفها شدت فمَيَّل اعطافَ الرصافة ما تملي
وبثت من السحر الحلال ببابلٍ لها نفثاتٍ اوهنت عُقَدَ الحلِّ
وقد ملأت اقداح احداقنا طلاً من السحر تمشي في العقول على مهلِ
فتُسكرُ البابًا بنقل حديثهـا وشاربُ صرف الراح يحتاج للنقلِ
وكم دندنت من حول كورة مسمعي لتبليغ ما اوحاهُ ربي الى النحلِ
وذقتُ بثغر الفكر شهد مجاجها فساغ شراباً في لهاةِ فم العقلِ
قصائد تحكي في الطروس خرائداً وقد نزلت من سفح لبنان في السهلِ

Digitized by Birzeit University Library

تهادى بجلبابٍ من الفضل كم لهُ فواضل اكمام ترشّح بالدلِ
وتعطو كما تعطو المهاة بجيدها وترنو كما ترنو باعينها النجلِ
مرايا عقولٍ للمصوّر زئبقٌ على سطحها ينساب من جودة الصقلِ
قد اكتحلت منها العيون بنظرةٍ فسحقاً لما في اعينُ العِين من كحلِ
نرى في سواها الناظرين باعينٍ غشاها الغشى كالعاكفين على العجلِ
هيا كلُ عرفانٍ معاقلُ حكمةٍ خمائلُ احسانٍ مناهلُ للفضلِ
اقلّتْ دُمًى طالت على شُرُفاتها نمت كرماً بلّتْ صدًى ايماً بلِ
معادنُ اجلالٍ معاطنُ سوددٍ مكامنُ افضالٍ مواطنُ للبذلِ
وعت كل اعظامٍ حوت جلّ مفخرٍ زكت مغرس الجدوى طوت شقّة البخلِ
فما شئتَ من ضخم الكراديس من علٍ وما رمت من جزلٍ وما اخترت من عبلِ
وما اشتقت من غيد المعاني رشيقةً نفصٌ لها ساقٌ من اللفظ في حجلِ
تفوّقُ منها العينُ عن قوس حاجبٍ نبالاً اراشتها النبالةُ بالنُبلِ
مخلخلةٌ من اسطرٍ بخلاخلٍ تكادُ على القرطاس ترسف في كبلِ
تقلُّ على بيض الترايب صحفها ذوائب من زحف السطور ومن جثلِ
تدلُّ على طيب الفروع اصولها واصل زكاء الفرع من كرم الاصلِ
لقد فتّحتْ اكمام اسماعنا لها كما فتّحتْ زهرَ الرُّبى انملُ الطلِّ
وجادت بوبلٍ بعد طلٍّ ربابها فاحيت موات الفكر بالطل والوبلِ
سماوات علمٍ في ظبًى من أهلّةٍ تشقُّ شعار الجهل معطًا الى الذيلِ
حياضُ رياضٍ في غياضٍ تدفقت بما رقّ من نهلٍ وما راق من عَلِّ

Digitized by Birzeit University Library

بصرصرة البازي اهاجت بلابلي وهمهمة الضاري وشقشقة النحلِ
اذا انكرت دعواهُ في الشعر فتيةٌ اقام عليها شاهد العقل والنقلِ
وان رام شعري ان يبارز شعرَهُ يقول شعوري انني عنكَ في شغلِ
مساحة قطر الشام من مثلهِ خلت فدلت على توحيد من جلَّ عن مثلِ
وكم بكر فكرٍ منهُ عذراءَ انجبَتْ بنسلٍ وما قد مسَّها قطُّ من بعلِ
تحدَّى بما لو صحَّ لابن كرامةٍ تصدَّى لدعواهُ بمعجزة الرسلِ
ارى الجزءَ منهُ ناب عن كلِّ غيرهِ فيا من رأى جزءًا ينوب عن الكلِّ
صحائفهُ تحكي الصفاح حروفها تكاد بلا رجلٍ تدبُّ على النصلِ
رحى الفكر من هذي الحواريّ نقحت دقيق معانيهِ فما احتاج للنخلِ
واقلامهُ لاقت محابرهُ التي لادهمها لاقت مطاردة الخيلِ
جرى نهر طالوت الندى من مدادها فاربى على النيل المبارك بالنَيلِ
فاجريت ذا النون اليراع بمدحهِ فما انفكَّ حتى منهُ اصبح ذا كِفلِ
عسى مجمع البحرين بيروت لا نأت تكونُ قريباً لي بهِ مجمع الشملِ
لاحظى ببحرٍ زاخرٍ بفضائلٍ وغيثٍ بهتّان الفواضل منهلِ

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صوابهُ
ا	١	الشيح	الشيخ
ج	١٨	وفي هي شعرهِ	وهي في شعرهِ
١٠	٨	لا اقول	ولا اقول
٣٣	١٢	كأس ردي	كأس وِرْدي
٣٧	١٧	وهو يدَّعيهِ	وَهُوَ لا يدَّعيهِ

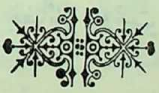

Digitized by Birzeit University Library

ديوان

العالم العلاّمة الشاعر المشهور

الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني

رحمهُ الله تعالى

النبذة الثانية

وهي المعروفة بنفحة الريحان

طُبعت بنفقة الفقير اليهِ تعالى ميخائيل ابرهيم رحمة

مصححة بقلم العلاّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي

حق الطبع محفوظ

المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٩٨

Digitized by Birzeit University Library

قال يمدح سعيد باشا عزيز مصر حين جلوسه
على تخت القاهرة

قِفَا بَيْنَ الثَنِيَّةِ وَالمُصَلَّى ... على جَبَلٍ دَنَا حتَّى تَدَلَّى
وإن أَبصرتُما نارًا فقُولاَ ... تُرَى أَيُّ القُلوبِ عليكِ يُصلَى
منَ العَرَبِ الكِرامِ كُماةُ حَربٍ ... تُناظِرُهُمْ كَرائِمُ لَسْنَ عُزْلا
اذا ما أَرهَفوا نَصلاً لِقتلٍ ... فهُنَّ أَشَدُّ بالأَجفانِ قَتْلا
رِجالٌ يَنحَرُونَ البُزْلَ جُودًا ... وَغِيدٌ تَنحَرُ العُشَّاقَ بُخْلا
تَرَى نارَ القِرَى في الحَيِّ تَعلُو ... وَنِيرَانُ الهَوَى أَعلَى وأَغلَى
على ذاكَ الكَثِيبِ لَنا سَلامٌ ... يُكاثِرُ في الكَثِيبِ الفَرْدِ رَمْلا
كَثِيبٌ قامَ فيهِ رَشِيقُ عِطْفٍ ... تُشَبِّهُهُ بِغُصنِ البانِ جَهْلا
رَشَا في الحَيِّ تَغزِلُ مُقلَتَاهُ ... تُرَى مَنْ عَلَّمَ الغِزلانَ غَزْلا
اذا أَتْحَفتَ عَينَيهِ بِكُحلٍ ... يقولُ أَراكَ تُهدِي الكُحْلَ كُحْلا
رُوَيدَكَ أَيُّها الجاني بطَرْفٍ ... فكم جَنَتِ الليالي السُودُ قبلا
أَدُورُ على رِضاكَ ولا أَراهُ ... كأَني طالبٌ لسَعِيدَ مِثْلا
عزيزٌ قد تَوَلَّى تختَ مِصرٍ ... فعَزَّ بمجدِ وَطْأَتِهِ وجَلاَّ
تُشِيدُ بحمدِهِ مِصرٌ ويدعو ... لهُ مَنْ صامَ في مِصرٍ وصَلَّى
فَتًى لو كانَ ماءَ النيلِ مالاً ... لَفَرَّقَهُ على السُؤَّالِ بَذْلا

Digitized by Birzeit University Library

ولو كانَ المُقطَّمُ من عِداهُ ... لَشاهدتَ المُقطَّمَ صارَ سَهْلا

لَقد جمَعت بهِ النيلَين مِصرٌ ... ولكنْ أَشرفُ النيلَين أَحلى

هُما النيلانِ من ذَهَبٍ وماءٍ ... قَدِ اُجتمَعا فليْسَ تَخافُ مَحْلا

يمينٌ تملأُ الآفاقَ جُودًا ... وقلبٌ يملأُ الأَقطارَ عَدْلا

وحِلمٌ مدَّ فوقَ الريفِ ريفًا ... وحزمٌ قامَ فوقَ النخلِ نخلا

سليمٌ مُخلِصٌ سِرًّا وجهرًا ... كريمٌ مُحسِنٌ قَولاً وفعلا

يَرَى من صالحِ الأَعمالِ فَرْضًا ... عليهِ ما تَراهُ الناسُ نَفْلا

اذا صلَدَتْ زنادُ الرأْيِ أَورَى ... وإِنْ عقَدَتْ أَيادي الدهرِ حلاَّ

يُلاقِي ما يَفِرُّ اللَيثُ منهُ ... ويَحملُ ما يَدُكُّ الطودَ ثِقْلا

نرى خيرَ الكِرامِ أَبًا وأُمًّا ... تَولَّى عهدَ خيرِ الناسِ نَجْلا

أَتَتْ مِصرَ الخلافةُ ذاتَ خِدرٍ ... فكانتْ لا تُريدُ سِواهُ بَعْلا

أَعَزُّ بني العُلَى أَصلاً وفَرْعًا ... وأَكرَمُ رَهْطِها وَضَعًا وحَمْلا

نُجِلُّ أَباهُ أَنْ نَدعُوهُ لَيثًا ... وأَنْ يُدعَى لِذاكَ اللَيْثِ شِبْلا

لَعَمْرُكَ إِنَّ خيرَ الناسِ طُرًّا ... على خيرِ المَلِكِ قد تَولَّى

دَعَوناها الكِنانةَ إِذْ رَأَينا ... لهُ في أَكبُدِ الحُسَّادِ نَبْلا

كريمٌ لَيسَ يَرضَى الفَضلَ حتَّى ... يَكُونَ الفضلُ بينَ الفضلِ فضلا

اذا مَلأَتْ يَداهُ سِجالَ رِفدٍ ... نَراها بالغِنَى كَتَبَتْ سِجِلاَّ

قدِ اُشتَمَلَتْ مَكارِمُهُ فمَنْ لم ... يُصادِفْ وابِلاً منها فطَلاَّ

فـلا ثَلَّتْ لـهُ الأَقدارُ عَرْشًا ولا نَسَخَتْ لهُ الأَيَّامُ ظِـلاَّ

وقال يمدحهُ حين حضورهِ الى بيروت

قد أَشرقَ النُورُ في أَكنافِ لُبنانِ اذ حَلَّ فيها العزيزُ الباذخُ الشانِ
هو السعيدُ الذي أَلطافُهُ اشتهرَتْ كالصُبحِ مُستغنيًا عن كلِّ بُرهانِ
مُهذَّبٌ فاقَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ كأَنهُ مَلَكٌ في جسمِ إِنسانِ
لهُ يَليقُ بِساطُ الريحِ في سَفَرٍ لانهُ ليسَ أَدنى من سُليمانِ
يَبِيتُ كلُّ وزيرٍ تحتَ رايتهِ طَوعًا ويَصبُو اليهِ كلُّ سُلطانِ
وحيثُما حلَّ حامتْ حولهُ زُمَرٌ كالماءِ حامَ عليهِ كلُّ عَطشانِ
يا زائرًا ثغرَ بيروتَ الذي ابتَسَمتْ لكم ثَناياهُ عن أَزهارِ بُستانِ
لو نَقدِرُ الأَرضُ لمَّا زُرتَها فَرَشَتْ قُدَّامكَ الطُرْقَ من دُرٍّ ومَرْجانِ

وقال يمدحهُ بعد ذلك

كادت تَذوبُ ثُغورُ البحرِ من حَسَدِ لثَغرِ بيروتَ او تَنهالُ منْ كَمَدِ
قد زارَها من رَأَى أَضعافَ مَنظَرِها وَلم تَرَى مثلَهُ في الناسِ منْ أَحَدِ
ذاكَ السعيدُ الذي الدُنيا بهِ سَعِدَتْ وليسَ تَنسَى أَياديهِ الى الأَبَدِ
وَهوَ الكريمُ الذي يُدعى كريمَ أَبٍ كريمَ نفسٍ كريمَ اسمٍ كريمَ يَدِ
يَسيرُ والذَهَبُ المنثورُ يَتبَعُهُ مثلَ السماءِ تَرُشُّ الأَرضَ بالبَرَدِ
فظَنَّتِ الناسُ أَنَّ السُحبَ قد فَتَحَتْ بقُدرةِ اللهِ دارَ الضَربِ في الجَلَدِ

Digitized by Birzeit University Library

أَماتَ ذِكرَ الكِرامِ السالفينَ كما أَحيا مكارمَهُم في سالفِ الأَمَدِ
وردَّ لَهفةَ عَصرٍ كانَ مَنزِلُها في بُهرَةِ الصدرِ بينَ القلبِ والكَبِدِ
ضاحي الجبينِ شديدُ البأسِ مُقتدِرٌ في طلعةِ البدرِ ألقى جبهةَ الأَسَدِ
بدرٌ بلا كَلَفٍ ليثٌ بلا صَلَفٍ بَحرٌ بلا زَبَدٍ كنزٌ بلا رَصَدِ
عَطاؤُهُ من عَطاءِ اللهِ مُغترَفٌ بلا حِسابٍ ولا وَزنٍ ولا عَدَدِ
اذا دنا فاضتِ الخَيراتُ من يَدِهِ وان نأى فنداهُ غيرُ مُبتعِدِ
للمُلكِ في تختِهِ رأسٌ يقومُ بهِ ومن سَعيدٍ أَتاهُ اللهُ بالعَضُدِ
شخصُ الخليفةِ بعدَ اللهِ نَحسَبُهُ وبعدَ ذاكَ سعيدٌ أَوَّلُ العُمُدِ
رُكنٌ لدولةِ هذا المُلكِ يَخدِمُها بالمالِ والخيلِ والأَبطالِ والعُدَدِ
وهوَ الوَفيُّ الذي يَرعى الذِمامَ ولا يَنسى الصديقَ ولا يَلوي عنِ الرَشَدِ
الواسعُ الحِلمِ لا يَعلوهُ من غَضَبٍ والعادلُ الحُكمِ لا يَعروهُ من أَوَدِ
والقاطعُ السيفِ لا تُثنى مضاربُهُ وليسَ يَسلَمُ منهُ لابسُ الزَرَدِ
يا مَنْ علينا لهُ حَقُّ الثَناءِ كما لنا عليهِ حُقوقُ الغوثِ والمَدَدِ
عارٌ علينا اذا شَرَّفتَ بلدتَنا ونَحنُ كالعُمُدِ الخرساءِ في البَلَدِ
هذا ثَناءٌ غريقٌ في نَدالَكَ يَرى ثَناكَ في الشعرِ مثلَ الرُوحِ في الجَسَدِ
اذا أَرَدتَ لهُ توجيهَ مَكرُمةٍ فقُلْ قَبِلتُكَ لي عَبدًا ولا تَزِدِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من عبد الباقي افندي العُمَريّ
من بغداد تقريظًا لنبذةٍ وقف عليها من ديوانهِ

أَتعلَمُ ما هاجتْ بقلبي من الشُغْلِ ... مُخدَّرةٌ تسبي بأَهدابِها الكُحْلِ
غزالةُ إِنسٍ لا غزالةُ ربرَبٍ ... رعَت حبَّةَ للقلبِ لا عرْفجَ الرملِ
اثنني من الزوراءِ تسحبُ ذيلَها ... دلالاً فزادتْ غُلَّةَ الشوقِ بالوَصلِ
بذلتُ لها مَهْرَ العروسِ من الحِلى ... فعافتهُ إِجلالاً فأَمهرتُها عقلي
رَبيبةُ حسنٍ صيَّرتْني ربيبَها ... ويا حبَّذا ما نلتُ من شَرَفِ المثْلِ
ظفِرنا بها من جودِ أَكرمِ مُرسلٍ ... علينا فكانتْ عندنا أَكرمَ الرُسْلِ
هو الجوهرُ الفردُ المعرَّفُ شخصُهُ ... بنوعِ السجايا ليسَ بالجنسِ والفصلِ
نتيجةُ دهرٍ لا يقاسُ بفضلهِ ... صحيحُ القضايا صادقُ الوَضعِ والحَمْلِ
هو العُمَريُّ السيِّدُ الماجدُ الذي ... لهُ الشَرَفُ المحفوظُ فرعًا عنِ الأَصلِ
لئن لم يكُ الفاروقُ أَخلفَ غيرَهُ ... منَ النَسلِ أَغنَى القومَ عن كَثرةِ النسلِ
تَسامَى الى أَنْ صارَ أَعلَى من السُهَى ... وفاضَ الى أَنْ صارَ أَجرَى منَ الوَبْلِ
أَشدُّ جِلاءً في الخُطوبِ من الضُحَى ... وأَمضَى يدًا في المُشكِلاتِ منَ النَصْلِ
تخِرُّ لهُ الأَقلامُ وهيَ نواكسٌ ... فيُكسِبُها فخرًا على أَنفذِ النَبْلِ
تَصيدُ المعاني سانحًا بعدَ بارحٍ ... كما وَقفَ القنَّاصُ في ملتَقَى السُبْلِ
لهُ منَّةٌ طالتْ عليَّ ونِعمةٌ ... علَتْ فوقَ رأسي كالسَحُوقِ من النخلِ
اذا رُمتُ شكرَ الفضلِ أَنهضتُ هِمَّتي ... فأَقعدَها وِقرٌ جديدٌ من الفَضلِ

Digitized by Birzeit University Library

رمى البعضَ من شعري الضعيفِ بطَرْفِهِ فأَولاهُ تقريظًا فسادَ على الكُلِّ
رأَى كلُّ بيتٍ نفسهُ كقصيدةٍ فضاقَ بهِ ما كانَ يحْويهِ من قبلِ
بكَ افتخَرتْ يا كعبةَ الفخرِ نبذةٌ قِداً انتبذتْ أقصى مكانٍ من الجَهلِ
تقُولُ كفاني شاهدٌ مثلُهُ فإنْ جسَرْتَ فقُلْ ماذاكَ بالشاهدِ العدْلِ
قضى اللهُ بالبُعدِ الذي حالَ بيننا وهل يُرتجى من غيرِهِ صِلةُ الحَبلِ
أَرَى بيْنَنا شُمَّ الجِبالِ وفوقَها جبالٌ منَ الأَشواقِ سابغةُ الظِلِّ
تَصوغُ لَنا شكوَى النوَى بيدِ الهوَى فأَقلامُنا تجري وأَشواقُنا تُملي

وقال يمدح الامير قاسم ابن الامير تميم الدرعيّ احد امرآء العرب
اقترحها عليه بعض امرآء المغرب من اهل السياحة

رأَى أَطلالَهم دَمعي فسالا فأَظمأَني وقد رَوَّى الرمالا
عرَفتُ لبعضِها أَثَرًا وبعضٌ عفَتْهُ الريحُ إذْ عصَفَتْ شمَالا
دِيارٌ للظبا صارَتْ كِناساً فما برِحَتْ لها الغِزلانُ آلا
وأَينَ ظِباؤُها من ظَبْيِ إنسٍ يَشُقُّ عليهِ أَنْ يُدْعَى غزَالا
من العَرَبِ الكِرامِ عزيزُ قومٍ تمَضَّرَ بينَهُمْ عمًّا وخالا
وَثِقْنا منهُ بالتوحيدِ لمَّا رأَينا فوقَ وَجنتِهِ بِلالا
أَرقتُ لِعُصبةٍ في الحيِّ زمُّوا فُؤَادي عِندما زمُّوا الجِمالا
وقد جدَّ الرحيلَ جميلُ صبري غداةَ البينِ إذْ شدُّوا الرِحالا
وَقَفْنا في رُسومِ الدارِ ندعو ولكنْ مَنْ يُجيبُ لَنا سؤالا

Digitized by Birzeit University Library

جَرَتْ عَبَرَاتُنا دالاً وميماً ... فأصبحَ جَزْرُها ميماً ودالا
نُرَدِّدُ بينَ هاتيكَ الأَثافي ... حنينَ النُّوقِ أبصرتِ الفِصالا
ونَلقَى من عَواصِفِها غُبارًا ... حَسِبناهُ لأَوجُهِنا جمالا
إذا ناحَ الحَمامُ أَصابَ قلبي ... كأَنَّ على حَناجِرِهِ نِبالا
وأَذكُرُ من مُطَوَّقِهِ أَيادٍ ... بِطَوْقِ البِرِّ قَلَّدتِ الرِّجالا
أَيادٍ ظلَّ يَبسُطُها كريمٌ ... تُنيهُ المَكرُماتُ بِهِ دَلالا
اذا قُلتُ السَحابُ كراحَتَيهِ ... فقد شَبَّهتُ بالشمسِ الهِلالا
فتًى يَستَغرِقُ الأَموالَ جُودًا ... ولو أَنَّ الجِبالَ جُعِلنَ مالا
تَزيدُ جبينَهُ الأَضيافُ بِشرًا ... كنصلِ السَيفِ تُوسِعُهُ صِقالا
كريمٌ شَنَّ في الأَموالِ حربًا ... فما كانتْ ولا كانتْ سِجالا
شَرَى بِالمالِ بينَ الناسِ حمدًا ... ورَبُّ الحمدِ مَن بَذَلَ النَوالا
وإِنَّ المالَ كالصَهباءِ يُبدِي ... لَنا من نَفسِ صاحِبِهِ خِصالا
فيَكتسبُ المَليمُ بِهِ هَوانًا ... ويَكتسِبُ الكريمُ بِهِ جَلالا
عرَفْنا القاسمَ الدِرْعيَّ شَخصًا ... تَوَهَّمْنا الكِرامَ لهُ خَيالا
يَنالُ دَمَ الفَوارِسِ يومَ حَرْبٍ ... وليسَ يَنالُ من سَلَبٍ عِقالا
أَشَدُّ الناسِ في الغَمَراتِ بأْسًا ... وأَحسَنُهم على الحالَين حالا
وأَفصَحُ كلِّ ذي قولٍ مَقالاً ... وأَنجَحُ كلِّ ذي فِعلٍ فَعالا
تُفاجِي الوَفدَ نِعمتُهُ اغتيالاً ... فتًى لا يَعرِفُ الحربَ اغتيالا
فليسَ القومُ يَنتظِرونَ وَعدًا ... ولا يَشكُونَ من وعدٍ مِطالا

Digitized by Birzeit University Library

فتى يُصلي الحُسامَ بنارِ حربٍ فلو لم يَنطفئْ بدَمٍ لَسالا
ويَفتخرُ الحديدُ براحتَيهِ على الحَجَرِ الكريمِ وإنْ تَغالى
اذا حَمَتِ النِصالُ دِيارَ قومٍ فبعضُ القومِ يَحمُونَ النِصالا
وما تُجدِي النِصالُ بلاأَكُفٍّ تكونُ حُدُودُهنَّ لها مِثالا
تَكلَّفَ حاسدُوهُ لهُ طريقًا فزادَهمُ الضلالُ بها ضَلالا
لَعَمْرُكَ لا يكونُ العَفْوُ مُهرًا ولو كانَ النُضارُ لهُ نِعالا
وَفَدْنا بالقريضِ على ثَناهُ نُطاوِلُهُ فقَصَّرنا وطالا
اذا مَرَّتْ قوافِينا بِهَضبٍ أَرانا من عَظائِمِهِ جِبالا

وقال يرثي الشيخ عبد الحميد ابن الشيخ جواد الموصلي

لا عينَ تَثبُتُ في الدُنيا ولا أَثَرُ ما دامَ يَطلُعُ فيها الشَمسُ والقَمَرُ
يُبقي لنا الخُبْرُ فيها بعدَهُ خَبَرًا الى زمانٍ فيمضي ذلِكَ الخَبَرُ
يا طالَما طالَ حِرصُ الناسِ في حَذَرٍ على الحَياةِ فَضاعَ الحِرصُ والحَذَرُ
قد غَرَّهُم زُخرُفُ الدُنيا وبَهجَتُها نِعمَ الغُصونُ ولكنْ بِئسَما الثَمَرُ
معشوقةٌ في هَواها باتَ كلُّ فتى يَهيمُ والشيخُ عنها ليسَ يزدجِرُ
هيهاتِ لا يَنتَهي عن جَهلِهِ أَبَدًا مَن لم يكن قد نَهاهُ الشَيبُ والكِبَرُ
مضى الزَمانُ على هذا الغُرُورِ فلم يَفطَنْ لهُ بَشَرٌ مذ قامتِ البَشَرُ
ما زالَ يَدفِنُ هذا الحَيُّ مَيِّتَهُ ويَدفِنُ الذِكرَ معهُ حيثُ يَحتَفِرُ
الناسُ في جنحِ لَيلٍ يَخبِطُونَ بهِ جهلاً ويا وَيلَهم اذ يَطلُعُ السَحَرُ

Digitized by Birzeit University Library

لا تَنقضي ساعةٌ حتى تَقُولَ لهم ... يا أَيُّها القومُ هُبُّوا قد دَنا السفَرُ
ماذا نُرَجّي منَ الدُنيا التي طُبِعَتْ ... على الدَمارِ فـلا تُبقي ولا تَذَرُ
تُبدِي لَنا كلَّ يومٍ في الوَرَى عِبَرًا ... لكن بلا يَقظةٍ لا تَنفعُ العِبَرُ
هيهاتِ لا صاحبٌ في الدَهرِ وا أَسَفَا ... يَبقَى ولا عاشقٌ يُقضَى لهُ وَطَرُ
قد ماتَ عبدُ الحميدِ اليومَ منقطعًا ... عنا كما شاءَ حكمُ اللهِ والقدَرُ
مَضَى الشقيقُ لرُوحي فَهْيَ مُوحشةٌ ... وبانَ شَطرُ فُؤادي فَهْوَ منفطِرُ
قد كنتُ أَنتظرُ البُشرَى برُؤيتِهِ ... فجاءَني غيرُ ما قد كُنتُ أَنتظرُ
إِن كانَ قد فاتَ شَهدُ الوَصلِ منهُ فقد ... رَضيتُ بالصبرِ لكنْ كيفَ أَصطبرُ
أَحَبُّ شيءٍ لعيني حينَ أَذكُرُهُ ... دَمعٌ وأَطيبُ شيءٍ عندَها السَهَرُ
هذا الصديقَ الذي كانت مَوَدَّتُهُ ... كالكَوثَرِ العَذْبِ لا يَغتالُها الكَدَرُ
صافي السريرةِ مَحْضُ الوُدِّ لا مَلَقٌ ... في لفظهِ لا ولا في قلبهِ وَضَرُ
عَفُّ الإِزارِ حَصيفٌ زاهدٌ وَرِعٌ ... لا تزدهيهِ بُدُورُ الأُفقِ والبِدَرُ
يَغشَى المَساجِدَ في الأَسحارِ مُعتكِفًا ... وقد طَوَتْ لَيلَهُ الأَورادُ والسُوَرُ
هوَ الكريمُ الجوادُ ابنُ الجوادِ لهُ ... بالفَضلِ يَشهَدُ بَدْوُ الأَرضِ والحَضَرُ
يبكيهِ نظمُ القوافي والصحائفُ وا ... أَقلامُ والخُطَبُ الغرّاءُ والسَمَرُ
لا غَرْوَ إِنْ أَحزَنَ الزوراءَ مَصرَعُهُ ... فحُزنُهُ فوقَ لُبنانٍ لهُ قَدَرُ
وإِنْ يكُنْ فاتَهُ نهرُ السلامِ ففي ... دارِ السلامِ لهُ الأَنهارُ تَنفجِرُ

مضى الى الله حيًّا الله طلعته بالمكرمات وحيًّا تربه المطر
لئن سلاه فؤادي ما بقيت فقد ركبت في الحب ذنبًا ليس يغتفر
لا أفلح البين ما أمضى مضاربه كالبرق يخطف من إيماضه البصر
نسعى ونجمع ما نجني فيسلبه منا جزافًا ويمضي وهو مفتقر
إن الحياة كظل مال منتقلاً الى حياة بدار الخلد تنتظر
هي الطريق التي نفضي الى خطر وحبذا السير لولا ذلك الخطر
نمسي ونصبح في خوف يطول بها فلا يطيب لنا ورد ولا صدر
اذا انجلت غمرة قامت صواحبها فليس تنفك عن تأريخها الغمر

سنة ١٢٧١

وقال يرثي يوسف سيور قنصل دولة نابولي

لا تبك إن جد بعض القوم في السفر اذا تيقنت أن الكل في الأثر
واعجل اذا قمت للتوديع في غلس فربما فاتك التوديع في السحر
تعدو المنايا على الأرواح خاطفة من الأجنة حتى الشيخ في الكبر
ترى أيذهب يوم لا يقال به قد مات زيد وماتت هند في الخبر
يا يوم يوسف في الايام نحسبه نظير صاحبه المشهور في البشر
يوم به الناس قد شحت قلوبهم بالصبر إذ جادت الأجفان بالدرر
يوم تزعزع ركن المكرمات به واكمدت الشمس من حزن على القمر
يوم به العجم قبل العرب نادبة تقول أين كريم البدو والحضر

Digitized by Birzeit University Library

اينَ الذي كانَ يُستَسقَى الغَمامُ بهِ يوماً اذا ضنَّتِ الأَنواءُ بالمَطَرِ
أَينَ الذي كانَ يَقضِي حقَّ خالقِهِ في حالةِ الصفوِ أَو في حالةِ الكَدَرِ
اينَ الذي كانَ غَوثَ العائذينَ بهِ وعِصمةَ الجارِ عندَ الضَنكِ والضَرَرِ
أَمسى وليسَ لهُ سَمعٌ ولا بَصَرٌ مَنْ كانَ في الناسِ مِلءَ السَمعِ والبَصَرِ
مَن لم تَسَعْهُ القُصورُ الشُمُّ باذخةً قد باتَ منحصِراً في أَضيقِ الحُفَرِ
قد كانَ يَصدَعُ ريحُ الطيبِ مَفرِقهُ وكانَ يُؤذِيهِ يديهِ ناعمُ الحِبَرِ
مُبارَكُ الوَجهِ محمودُ الخِصالِ لهُ قلبٌ سليمٌ من الأَدرانِ والوَضَرِ
قد عاشَ فينا سعيداً بالغاً وَطَرًا ومـاتَ عنّا سعيداً بالغَ الوَطَرِ
سارَتْ لَدَى نَعشِهِ الأَشرافُ ماشيةً تحتَ السَناجقِ ذاتَ الوَشيِ والصُوَرِ
يبكي عليهِ بدَمعٍ فاضَ مُنسجماً من ليسَ يبكي لوَقعِ الصارمِ الذَكَرِ
ويلاهُ من فَتكِ دُنيانا الغَرُورِ بنا وَهِيَ الحبيبةُ نَهواها من الصِغَرِ
شِبْنا وشابَتْ وما شابَتْ صَبابَتُنا بِها ولا انتَهَتْ عينٌ الى السَهَرِ
هذا الطَريقُ الى دارِ البَقاءِ لنا فلا تَفاوُتَ بينَ الطُولِ والقِصَرِ
وهو السَقامُ الذي عزَّ الدَواءُ لهُ وليسَ تَنفَعُ منهُ شِدَّةُ الحَذَرِ
يا غافلينَ استَفيقوا اليومَ واعتَبِروا بما تلاقونَ في الدُنيا من العِبَرِ
الموتُ أَعظَمُ شيءٍ عِندَنا خَطَرًا والموتُ أَيسرُ من عُقباهُ في الخَطَرِ

وقال يجيب الشيخ شهاب الدين العُمَريّ على ابيات ارسلها اليه من بغداد تقريظاً على المرثية التي رثى بها الشيخ عبد الحميد الموصلي

لِهٰذا الفَرْقِ دانَ الفَرْقَدانِ ... على خَجَلٍ فليسَ الفَرْقُ داني
وهذا القَدُّ تَحسُدُهُ العَوالي ... على طَعنٍ يَشُقُّ بلا سِنانِ
بِرُوحي وَجنةٌ لاحَتْ وفاحَتْ ... فكانَتْ وَردةً مثلَ الدِهانِ
عليها الخالُ قامَ كتاجِ مُلكٍ ... فكانَ لها العِذارُ كصَوْلجانِ
عِذارٌ خَطَّ بالرَيحانِ سَطراً ... يَشُقُّ على لِسانِ التَرْجُمانِ
كساها سُندُساً خُضراً فألقى ... عَلَيَّ الدَمعُ ثَوبَ الأُرجُوانِ
اقولُ لِعاذلي مَهلاً فاني ... أَرَى الإِحسانَ في حُبِّ الحِسانِ
فلَستُ نَظيرَ صاحِبِكُمْ أُوَيسٍ ... ولَستُ لِصاحبي العُمَريِّ ثاني
شِهابُ الدِينِ في الدُنيا غنيٌّ ... بِحُبِّ العِلمِ عن حُبِّ الغَواني
شِهابُ الدِينِ في الزَوراءِ نُورٌ ... يُضِيءُ على أَقاصي المَغْرِبانِ
تَوَى أَرضَ العراقِ فكانَ غَيثاً ... بهِ تَروَى الأَباعِدُ والأَداني
فغَنَّتْ وُرْقُ لُبنانَ ابتِهاجاً ... وقد بَسَمَتْ ثُغورُ الأُقحُوانِ
أَتاني منهُ تقريظٌ بديعٌ ... تَفَنَّنَ في المعاني والبَيانِ
حَكَى عِقدَ الجُمانِ وليس كلٌّ ... يَليقُ بِجِيدِهِ عِقدُ الجُمانِ
سَلامُ اللهِ من غُرَفِ الجِنانِ ... على بَلَدِ السَلامِ وساكِنيها
أَتُوقُ على السَماعِ الى حماها ... كما اشتاقَ المُحبُّ على العِيانِ
تُرَى عيني تَرَى مَن لا أَراهُ ... كما حَكَمَ القَضاءُ ولا يَراني

Digitized by Birzeit University Library

لَئِنْ سَمَحَ الزَّمانُ لنا بيومٍ فذاكَ اليومُ يومُ المِهرَجانِ

وقال في رسالةٍ الى صديقٍ لهُ كان مسافرًا في بلاد المغرب

متَى نرجو الثباتَ مِنَ الزَّمانِ وشَطراهُ كأفراسِ الرِهانِ
يُطاردُنا بلا قَدَمٍ ويغزُو بلا سيفٍ يُسَلُّ ولا سِنانِ
يقودُ الجيشَ والساعاتُ فيهِ هِيَ الأعوانُ للحربِ العَوانِ
اذا رُمتُ الفرارَ بهِ فإنّي فَرَرْتُ منَ الطعانِ الى الطعانِ
عَرَفنا الدهرَ في الحالَينِ قِدْمًا فهانَ بهِ علينا كلُّ شانِ
يمرُّ عليَّ يومُ البُؤسِ فيهِ كما قد مرَّ يومُ المِهرَجانِ
فِراقٌ واجتماعٌ كلَّ أَينٍ ونَوحٌ وابتسامٌ كلَّ آنِ
وما هذا ولا هذا بباقٍ ولكنْ كلُّ ما في الأَرضِ فانِ
بِعَيني مَن تَرَى في البُعدِ عيني وأَحسبُهُ على بُعدٍ يراني
دنا مني فأَنأَتهُ الليالي نأَى عنّي فأَدنتهُ الأَماني
حبيبٌ لا يليقُ اللومُ فيهِ نَعَمْ لكنْ تليقُ بهِ التهاني
وما كلُّ الأَحبةِ أَهلُ لَوْمٍ ولا كلُّ الهوَى شَرَكُ الهَوانِ
هُوَ البَدرُ المُنيرُ بَغَى أُفُولاً فمالَ الصبحَ نحوَ المَغربانِ
رَجَونا عَوْدَهُ والشهرُ ثانٍ فلم يَسمَحْ بهِ والعامُ ثانِ
تُذكّرُنيهِ لائحةُ الدراري اذا سَطَعَت ورائحةُ الجِنانِ
وأَنصبُ شَخصَهُ غَرَضًا لعيني فترميهِ بمدمعِها الجُمانِ

على تلكَ الديارِ لَنا سَلامٌ نُرَدِّدُهُ مع البَرقِ اليماني
وهل يَشفي السلامُ غليلَ شَوقٍ لِصَبٍّ ليس يُشفَى بالعِيانِ

وقال في جواب رسالةٍ للسيد حبيب البغدادي

فعلَت كما فعلَت سُلافُ الساقي هيفاءُ تحكي الغُصنَ في الأوراقِ
لَبِستْ منَ الوَشْيِ البديعِ مَطارِفاً ولها من الأسرار حَبْكُ نِطاقِ
أحيتْ بزَورتِها فُؤادَ مُحِبِّها مثلَ السليمِ أتاهُ نَفثُ الراقي
بَعَثَ الحبيبُ بها اليَّ حبيبةً هاجَتْ اليهِ بلابلَ الأشواقِ
مكنونةٌ أخَذَت خُدُورَ صحائفٍ فاذا بَدَت أخَذَت خُدُورَ تَراقِ
أَلْقَتْ على بَصَري وسَمْعي صَبْوةً فكِلاهُما من عُصبة العُشّاقِ
يا سيِّدًا ملَكَ النُفوسَ بلُطفِهِ فغدَت رقيقةَ رِقَّةِ الأخلاقِ
أسمعتَها نظمَ الحبيبِ فما دَرَتْ أحبيبُ طيٍّ ام حبيبُ عِراقِ
قد جاءني منكَ المديحُ كأنَّهُ زَهرٌ يَمُدُّ لقَفرةٍ بِرواقِ
من صَنعةِ الأقلامِ كانَ طِرازُهُ وطِرازُكم من صَنعةِ الخلّاقِ

وقال في جواب رسالةٍ لمحمد عاقل افندي في الاسكندرية

أهدَتْ لَنا نَفحاتِ الرَوضِ في السَحَرِ خريدةٌ من ذَواتِ اللُطفِ والخَفَرِ
خاضَتْ الينا عُبابَ البحرِ زائرةً فليسَ بِدْعٌ بما أهدَتْ من الدُرَرِ
كريمةٌ من كريمٍ قد أتَتْ فلها حَقُّ الكَرامةِ فَرْضاً عِندَ مُعتَبِرِ

Digitized by Birzeit University Library

أَهدَى الينا بها رَبُّ القريض كما ... أَهدَى السَحابُ الينا صَيِّبَ المطرِ
محمدُ العاقلُ الشَهمُ الذي اشتهرت ... ألطافُهُ بينَ اهلِ البدو والحَضَرِ
في طِيبِ مَجلِسِهِ عِلمٌ لمُقتبِسٍ ... وفي رَسائِلِهِ جاهٌ لمُفتخِرِ
رَحبُ الذِراعِ طويلُ الباعِ مُقتدِرٌ ... قد نال أَسرارَهُ من فضلِ مُقتدِرِ
كأنهُ النيلُ في فيضٍ وفي سَعَةٍ ... لكنَّ مَوردَهُ صَفوٌ بلا كَدَرِ
ماضي اليَراعِ يوشّي الطِرسَ عاملُهُ ... فيُبرِزُ الحِبرَ في أَبهَى من الحِبَرِ
تَجري على الصُحُفِ الأَقلامُ في يدِهِ ... فتُحسِنُ الجمعَ بينَ البيضِ والسُمُرِ
أَصبتُ من بحرِ عِلمٍ لُجَّةً طَفَحتْ ... فكُنتُ من غَرَقٍ فيها على خَطَرِ
تَخُوضُ فيها الجواري المنشآتُ بنا ... من النُهَى لا منَ الأَلواحِ والدُسُرِ
أَهلاً بزائرةٍ غرّاءَ قد نَزَلَتْ ... في القلبِ مرفوعةً منهُ على سُرُرِ
أَحيتْ كليمَ فُؤَادٍ لي فقُلتُ لهُ ... أُوتيتَ سُؤلَكَ يا مُوسَى على قَدَرِ

وقال جوابًا لحمد محمود افندي من الاسكندرية عن تقريظٍ
اتاهُ منهُ لنبذةٍ وقف عليها من ديوانه

رَبيبةٌ من ذَواتِ الغُنجِ والحَوَرِ ... سَبَتْ فُؤَادي فلم تُبقِي ولم تَذَرِ
قد هاجتِ الشَوقَ مني نحو مُرسِلِها ... فأَصبحَ السَمعُ محسوداً من البَصَرِ
أَهدَى بها حَمَدُ المحمودُ مَكرُمةً ... منهُ فكانَ جليلَ العينِ والأَثَرِ
هو الكريمُ الذي تَسمُو مَواهِبُهُ ... عن النُضارِ فيُهدِي أَنفسَ الدُرَرِ
أَفادني من عطاياهُ بنافلةٍ ... جاءَت على غيرِ مِيعادٍ ولا خَبَرِ

Digitized by Birzeit University Library

خَيرُ الكرام الذي يُعطيكَ مُبتدِئًا وأَبهَجُ الوفد وفدٌ غيرُ مُنتظَرِ
اللوذعيُّ الذي في مِصرَ مَجلِسُهُ وذِكرُهُ لا يزالُ الدهرَ في سَفَرِ
جِهادُهُ في سبيلِ العلمِ مُلتزَمٌ وهمَّةُ الدرسُ في الآياتِ والسُوَرِ
قد جاءَني مدحُهُ عفوًا فحمَّلَني شُكرًا ثقيلاً عظيمَ القَدرِ والقدرِ
لَبستُ حُلَّةَ فخرٍ منهُ زاهرةً بالحُسنِ لكنَّها طالَتْ على قِصَري
راقَتْ بعينَيهِ أَبياتٌ قد انتشرت في مِصرَ كالخَشفِ المطروحِ في هجَرِ
هاتيكَ أَسعدُ أَبياتٍ ظَفِرتُ بها فإنَّها جعلَتني أَسعدَ البشَرِ
عينٌ قدِ استحسنتْ مرْأًى فطابَ لها واللهُ يعلَمُ سِرَّ العينِ في الصُوَرِ
أَخافُ إنْ قُلتُ لم يَصدُقْ لهُ نَظَرٌ مَن كانَ في كلِّ أَمرٍ صادقَ النَظَرِ

وقال في رسالةٍ الى محمد عاقل افندي وحَمَد محمود افندي
المذكورَين في الاسكندرية

بَكَى حتى بكَيتُ على بُكاهُ جَرِيحٌ عينُهُ نزَفَتْ دِماهُ
يُسائلُ أَينَ حلَّ ركابُ لَيلَى وينسَى أَنَّ لَيلَى في حَشاهُ
هَوَى قلبٍ تعلَّقَهُ اختيارًا فصارَ عَنِ اضطرارٍ منتَهاهُ
ونارُ الحُبِّ يوقِدُها غُرُورٌ ولكنْ ليسَ يخمِدُها انتباهُ
تَنُودُ بنا العواطِفُ راكباتٍ طَرِيقًا لا تُقيمُ على هُداهُ
فنهوَى مَن تَراهُ العينُ طَورًا ونهوَى تارةً مَن لا تَراهُ
هَوِيتُ النازلَينِ دِيارَ مِصرٍ وقلبي قد أَحلَّهما حِماهُ

Digitized by Birzeit University Library

هُما القمَرانِ في أَكنافِ أَرضٍ ... يَغارُ النَجْمُ منها في سَماهُ

كِلا الرَجُلَينِ من أَفرادِ عَصرٍ ... يُقصِّرُ كُلُّ عصرٍ عن مَداهُ

وكُلُّهما حُسامٌ مَشرَفيٌّ ... تَلُوحُ اذا اُستُطيرَ بهِ المِياهُ

أَصابا كُلَّ مَحمَدَةٍ وفَضلٍ ... لهُ بينَ الوَرَى شَرَفٌ وجاهُ

فذاكَ مُحَمَّدٌ يُثنى جميلاً ... عليهِ وذاكَ من حَمْدٍ ثَناهُ

يَصُولُ يَراعُ كلٍّ في يَدَيهِ ... بأَنفَذِ ما تَصُولُ بهِ قَناهُ

وأَبلغِ ما تُقَلِّبُهُ قُلوبٌ ... وأَفصَحِ ما تَفُوهُ بهِ الشِفاهُ

أَطاعَهُما القَريضُ فكانَ عَبدًا ... بأَسهارِ الليالي مُشتَراهُ

ولو عَرَفَتْهُما الأَعرابُ قِدْمًا ... لَخَرَّتْ نَجوَ شعرِهما الجِباهُ

على الإِسكَندَريّةِ كلَّ يومٍ ... سَلامُ اللهِ مُعتَنِقًا رِضاهُ

لَئِنْ يكُ فاتَها جَبَلٌ ففيها ... جِبالٌ في معارِجِها يُتاهُ

بها الجَبَلانِ من عِلمٍ وحِلمٍ ... وحَزمٍ قد أَقامَهُما الإِلهُ

عَلَينا قام ظِلُّهما مديدًا ... ونورُ الشمسِ يَسطَعُ من وَراهُ

نَهيمُ الى ضِفافِ النيلِ شَوقًا ... وإِنْ بَعُدَتْ علينا ضِفَّتاهُ

ونَرصُدُ كلَّ غاديةٍ عَساها ... تَرَشَّفَتِ المَواطِرَ مِنْ صَفاهُ

هِيَ الدُنيا تَغُرُّ بِها الأَماني ... وأَينَ مِنَ الذي غَرَّتْ مُناهُ

أَماتَتْ في هَواها كلَّ نفسٍ ... وكلَّ فُؤادِ صَبٍّ في هَواهُ

تَدُورُ بنا على عَجَلٍ رَحاها ... وداعي الموتِ قد دارَتْ رَحاهُ

Digitized by Birzeit University Library

اذا غَرَسَ الفتَى فيها رَجاءَ فلا يرجو الحَياةَ الى جَناهُ

وقال يمدح الشيخ سعيد ابن الشيخ بشير جنبلاط

لكلِّ كَرامةٍ زَمَنٌ يَعُودُ كما يَخضَرُّ بَعدَ اليُبسِ عُودُ
وإنَّ الدهرَ يَبخَلُ بعدَ جُودٍ وبعدَ البُخلِ نَظرُهُ يجودُ
لَئِنْ فاتَ البِلادَ قديمُ عَصرٍ فها قد جاءَها عَصرٌ جديدُ
وإنْ شَقِيَتْ بلادُ الشُوفِ قدمًا فإنَّ اليومَ صاحبَها سَعِيدُ
كريمٌ شادَ بينَ الناسِ ذِكرًا بهِ الآباءُ تَحيا والجُدُودُ
أَعادَ لنا البشيرَ وما كفاهُ فكانَ على مُجرَّدِهِ يَزيدُ
عَرَفناهُ على بُعدٍ ولكنْ تَعاظَمَ إذْ دَنا ذاكَ البَعيدُ
وما كَذَبَ السَماعُ بهِ ولكنْ تَزَكَّتْ عندَ رُؤيتِهِ الشُهودُ
رئيسٌ في عَشائرِ آلِ قَيسٍ تَسيرُ لَدَى مَواكبِهِ البُنودُ
يَشُبُّ النارَ في سِلْمٍ وحَربٍ وفي الحالَينِ ليسَ لها خُمُودُ
هُوَ الرُكنُ الذي لولاهُ كادت قواعدُ طُورِ لُبنانٍ تَميدُ
إذا كانتْ بِلادُ الشُوفِ تُدعَى جَوانِبَ خَيمةٍ فهُوَ العَمودُ

وقال يمدح بعض المشايخ المدرّسين

هَجَرتْ فبِتُّ بمُقلةٍ لم تَرْقُدِ فأنا على الحالَينِ راعي الفَرقَدِ
يا طالَما حَكَتِ النُجومَ بحُسنِها حتَّى حَكَتها في المَقامِ الأَبعَدِ

Digitized by Birzeit University Library

سُبحانَ من طَبَعَ القُلوبَ على الهوَى ... فتَراهُ يَقصِدُها وإنْ لم يُقصَدِ

لا خيرَ في قلبٍ بلا شُغلٍ ولا ... أَرَبٍ فذلكَ قِطعةٌ من جَلمَدِ

ولَقد وَقفتُ على المَنازلِ باكيًا ... بينَ العَقيقِ وبينَ بُرقةِ ثَهْمَدِ

ما كانَ من شِيَمي البُكاءُ وانما ... يأْتي الزمانُ بشيمةٍ لم تُعهَدِ

ولَرُبَّ طَيفٍ زارَني تحتَ الدُجى ... فلَقيتُهُ طَرَبًا بلَهْجةِ مَعبَدِ

وسأَلتُ زَورَتَهُ الغَداةَ فقالَ لي ... مَهْلاً اذا ما جَنَّ لَيلُكَ فارصُدِ

يا جائرينَ على ضَعيفٍ حائرٍ ... لا يَهتَدي ويَودُّ ان لا يَهتَدي

ما في يدي سيفُ الإمامِ ولا أَرَى ... قَلَمًا لشيخِ القُطرِ يَجري في يدي

العالمُ العلمُ الذي من ظِلِّهِ ... عَلَمٌ على تَيماءَ حتى المِربَدِ

يَلقاهُ طالبُهُ بمُقلةِ خاشعٍ ... ويَراهُ حاسدُهُ بمُقلةِ أَرمَدِ

قابلتُهُ فنَظَرتُ شخصًا رَيثَما ... جالستُهُ فاذا ببحرٍ مُزبِدِ

ولَكَمْ سَمعتُ بهِ فحينَ رأَيتُهُ ... ضَحِكَ العِيانُ على السَماعِ المُسنَدِ

رجلٌ لَدى الأَسماءِ يُحسَبُ مُفرَدًا ... لكن لَدى الأَفعالِ ليسَ بمُفرَدِ

لو أَنَّ نُسخةَ علمِهِ في عُمرِهِ ... لَرَجَوتُ أَنْ يَبقى لِيَومِ المَوعِدِ

أَرضَى الالهَ وخَلقَهُ كمُؤَلِّفٍ ... يوماً بنُونِ البحرِ ضَبَّ الفَدفَدِ

فيَظَلُّ يَجهَدُ في المَدارسِ يَومَهُ ... أَبَدًا ويُصبحُ عاكفًا في المَسجِدِ

أَهديتُهُ من آلِ عيسى غادةً ... أَلقَى بها الإعرابَ آلُ محمَّدِ

فاذا اقتَصرتُ فلا لِأَنَّ صِفاتِهِ ... نَفِدَتْ ولكنْ ضاقَ ذَرعُ المُنشِدِ

وقال في رسالة الى الامير خالد الوهّاب في اليمن عن لسان صديق له من الامراء

قِفْ بالديارِ وحيِّ القومَ عن كَثَبِ ... فكم لنا عندَ ذاكَ الحيِّ من أَرَبِ
دارٌ تركتُ بها قلبي على ثِقَةٍ ... من حفظهِ إنهُ في ذِمّةِ العَرَبِ
أَودعتهُ مَن يصونُ الجارَ مؤتمناً ... ولا أَمانَ بكفَّيهِ على الذهبِ
الحافظُ العهدِ تأبى الغدرَ شيمتهُ ... والصادقُ القولِ معصوماً من الكذبِ
هوَ الصديقُ السليمُ القلبِ من وَضَرٍ ... وهوَ الأميرُ الكريمُ النفسِ والنسبِ
ما خابَ راجيهِ في ضيقٍ وفي سعةٍ ... ومَنْ دعا خالدَ الوهّابَ لم يخبِ
انّي عقدتُ لهُ عهداً أَقومُ بهِ ... في القُربِ والبُعدِ بينَ الحَزْبِ والحَرَبِ
يَزُورُني منهُ طَيفٌ عندَ هجرتهِ ... فكانَ عني على الحالَينِ لم يغبِ
رُوحي الى اليَمَنِ الميمونِ طائرةٌ ... على جَناحٍ من الأَشواقِ مُضطَرِبِ
أَستخدِمُ الريحَ في حَمْلِ السلامِ لهُ ... مني فتخطفهُ الأَنواءُ في السُحُبِ
يا حبَّذا بُرَقُ الأَعرابِ من بُرَقٍ ... وحبَّذا هضبُ الأَعرابِ من هضبِ
وحبَّذا كلُّ رَبعٍ في منازلهِمْ ... كأَنما السُمْرُ فيهِ غابةُ القصبِ
وكلُّ مَرْعًى بهِ الأَنعامُ سائمةٌ ... كأَنها كُتُبٌ قامتْ على كُثُبِ
وكلُّ دارٍ بها الضِرغامُ مؤتلفٌ ... بالظَبْيِ بينَ عَرُوضِ البيتِ والطُنُبِ
يأْتونَ من نَحْرِ ذي الدِرعِ المنيعِ دُجًى ... ليلٍ الى نحرِ ذاتِ السَرْجِ والقَتَبِ
لا تَنطفي نارُهم الاّ على وَدَكٍ ... يجري فيفصلُ بينَ النارِ والحطَبِ

Digitized by Birzeit University Library

بَلَغتَ يا أَيُّها الوهَّابُ ما بَلَغُوا وفُقْتَهُمْ بجَمالِ اللُطفِ والأَدَبِ
وَرِثتَ خيرَ أَبٍ في المجدِ مُشتهِرٍ ولو عَدَاكَ أَبٌ أَورَثتَ خيرَ أَبِ
هٰذِهْ صَحيفةُ مُشتاقٍ يُذكِّرُكم عَهدًا لَنا عندكم من سالفِ الحِقَبِ
إنْ فاتَني الكاتبُ المحبوبُ مَنظَرُهُ فإنَّني اليومَ أَرضَى منهُ بالكُتُبِ

وله بديعيَّةٌ قد التزم فيها تسمية الجناس والنوع

عاجَ المتيَّمُ بالأَطلالِ في العَلَمِ فأَبرَعَ الدمعُ في استهلالهِ العَرِمِ
دمعٌ جرَى عن دمٍ او عَنْدَمٍ خَضِلٍ يَسقي الرِكابَ ولكنْ ليسَ بالشَبِمِ
حيٌّ على حيِّ مَيٍّ ميِّتٌ لَحِقتْ بذَيلِها نَفسُهُ لو تمَّ ريُّ ظَمِي
يَصبُو على الذِكرِ سُكرًا كيفما ذُكرتْ لهُ فقد أَنَّ أَنَّى اشتُقَّ لفظُ فمِ
ما لي أُفلِّقُ صُحفَ العُذرِ في طَرَفٍ من غَدرِ مَن فيهِ مالي لا يَفي بدَمي
قد أَطلقَ اللحظَ في لفظٍ يُحرِّفُهُ فراحتِ الرُوحُ بينَ الكَلمِ والكَلِمِ
وَقَى وَقَدْ وَقَدَ الأَحشاءَ سِرُّ هَوًى بها ليرفُو بِلَى الأَطماعِ في الذِمَمِ
من دُرِّ دُرْدُرِ ثَغرٍ طابَ مَرشَفُهُ كم سالَ سَلسالُ دمعٍ فيهِ مُرتكِمِ
ثَبَتُّ في فِتنةٍ شَبَّتْ فشِبْتُ ففي شَبيبتي شيبةٌ شَنَّتْ بني جُشَمِ
رَمَى هَوَى الغيدِ بي في البيدِ رافلةً عِيسُ النَوَى في النَواحي بي بلا خُطُمِ
آرامُ خَيفٍ كِرامٌ في أَساوِدِها بِيضٌ صِحاحٌ تُخيفُ الأُسْدَ في الأَكَمِ
قَضَتْ بخيبةِ جَفنٍ فَضَّ في شَجَنٍ دمعًا كدُرٍّ طُلاها اللامعِ العِصَمِ

Digitized by Birzeit University Library

لا عطَّلَ اللهُ دمعاً سالَ وَهْوَ دمٌ ... عَكْساً ولا حالَ وَردٌ لاحَ كالعلَمِ

يحلو الضنى في الهوَى عندي مُغايرَةً ... في العاشقينَ لمن يشكو من السقَمِ

هيهاتِ هيهاتِ ما أَرجوهُ من رَشإٍ ... وقد تكرَّرَ منهُ اليأْسُ في القِدَمِ

مهْما أَشارَ بهِ في اليومِ قلْتُ نعَمْ ... وليسَ لي عندَهُ في الدَّهرِ مِنْ نعَمِ

خطَّ العذارُ على مصقولِ عارضِهِ ... حسابَ أَسْراهُ توليداً من الرَّقَمِ

أَغمضتُ شكوايَ من جورٍ ففسَّرَها ... بجمعِنا منهُ بينَ الخصْمِ والحكَمِ

يا طالما مثَّلَتْ عيناي صورتَهُ ... كمنظرٍ في غديرِ الماءِ مُرتسِمِ

بكَيتُ فاُفترَّ فانْجابتْ لنا دُرَرٌ ... حتى تطابقَ منثورٌ بمُنتظِمِ

هازلتُهُ في اتِّساعِ الجِدِّ تَوْريةً ... فقالَ سَلْ مَنْ أَحلَّ الصيدَ في الحَرَمِ

قلتُ اقْضِ قالَ اعتزِلْ قلتُ امضِ قالَ أَقِلْ ... فأَبطَلَ القبضُ ما وَجَّهتُ في السَّلَمِ

قابلتُهُ خاشعَ الأَبصارِ مبتسِماً ... فصدَّ عنّي دلالاً غيرَ مبتسِمِ

لمَّا رَأَى مدمعي شبهَ الشقيقِ جرَى ... راعَى النظيرَ فغطَّى الوردَ بالعنَمِ

خيَّرتُهُ بينَ عيني والحشَا فثوَى ... عيني ليحجبَها عن سائرِ النسَمِ

طيُّ الهوَى نشَرتْهُ عبرةٌ عبرَتْ ... بزفرةٍ فمزَجتْ الماءَ بالضرَمِ

أَدمجتُ شكوايَ منهُ في العتابِ وما ... يُجدِي العتابُ ولا الشكوَى معَ الصممِ

أَمسَى يعنِّفُني اللاحي فقلتُ تُرَى ... أَما اكتفيتَ بما راجعتَ قال لَمِ

فقلتُ إنَّكَ فردٌ لا نظيرَ لهُ ... إذْ رُمتَ إبهامَ سِمْنِ الوصفِ بالوَرَمِ

ماذا تُحاوِلُ يا شعبانُ من رَجَبٍ ... بمعنويِّ مَلامٍ منكَ مُنْضَمِ

أَنتَ الصَبُورُ على ذَمٍّ تُصادِفُهُ ... في مَعرِضِ المدحِ ذو حِلمٍ عن التُهَمِ
أَبدَعتَ في اللومِ لُؤماً لم يُلِمَّ بهِ ... فَضلٌ من الحُكمِ او فَضلٌ من الحِكَمِ
لولا التَهَكُّمُ في نُصحي ائتَمَرتُ بهِ ... إِنَّ النَصيحةَ عِندي أَحسَنُ الشيَمِ
أَحكَمتَ في الخيرِ سِرًّا بارعاً حَسَناً ... فاترُكْ مُوَارَبَتي يا طاهِرَ الحُرَمِ
قد اشتَهَرتَ بتَسهيمِ الرُقى عَلَماً ... فأَنتَ أَشهَرُ من نارٍ على عَلَمِ
يا راحِلينَ انظُرونا نَقتَبِسْ طَرَفاً ... من نُورِكم فهو يَهدِي العينَ في الظُلَمِ
جَرَّدتُ قلبَ شَجيٍّ سارَ إِثرَكُمُ ... مُستَتبِعاً غُمضَ جَفنٍ بات لم يَنَمِ
أَطمَعتُ عيني برَصدِ الطَيفِ مُنتَظِراً ... زِيارةَ الزُورِ في ضِغثٍ من الحُلُمِ
حَصَرتُ مُلحِقَ أَجزاءِ الهَوَى فانا ... أَهلُ الهَوَى بمِلاحِ الأَرضِ كُلِّهِمِ
بَكَيتُ حَولاً ولكنْ غيرَ مُعتذِرٍ ... وغيرَ مُستدرِكٍ التَليحَ بالنَدَمِ
طَرَّزتُ زَهرَ الرُبَى بالدمعِ مُنسَجِماً ... في طَيِّ مُنسَجِمٍ في طَيِّ مُنسَجِمِ
في مَنزِلِ السِرِّ مِنّي فِتنةٌ هَتَكَتْ ... سِتري فأَردَفتُ دَمعي غيرَ مُحتَشِمِ
تَمَّمتُ في القلبِ صَفوَ الحُبِّ مُحترِساً ... مَعَ التَمَكُّنِ من سَعيٍ الى اللمَمِ
حتى عَصانيَ صَبري بعدَ طاعتِهِ ... وطاعني بذلُ دَمعٍ كانَ في عِصَمِ
وعَرَّضَ الحُبُّ نفسي للبَلاءِ ولَمْ ... أَكُنْ بمُتلِفِ نفسٍ غيرَ مُغتَرِمِ
سُهدٌ ووَجدٌ وتَعديدٌ أَنُوحُ بهِ ... وزَفرةٌ كأَجيجِ النارِ في الأَجَمِ
وأَدمُعٌ أَربعٌ ضَمَّنتُ مُزدَوِجاً ... منها فرائدَ ياقوتٍ فقلتُ عِمي

Digitized by Birzeit University Library

رَجَوتُ أن ترجِعَ الأيامُ تجمعُنا هيهاتِ لا تَنجَ أرجوهُ من العُقمِ
ذَيَّلتُ بالنوحِ دمعاً لا أُلامُ بهِ ومَن بكى لِفراقِ الإلفِ لم يُلَمِ
دَبَّجتُ صُفرةَ خدّي بالدموعِ جرَت حمراً وأسوَدُ رأسي أبيضَّ عن أَمَمِ
بالغتُ مُلتزماً ما ليسَ يلزَمُني حتى دُعيتُ إمامَ العشقِ في الأُمَمِ
فلو أطعتُ انسجامَ الدمعِ حينَ جرَى لأَغرقَ الرَكبَ فوقَ الأَينقِ الرُسُمِ
ولو تنفَّستُ فوقَ البحرِ حينَ غلا غليلُ صدري لَخُضتُ البحرَ بالقدَمِ
يا جيرةَ العَلَمِ المردودَ صاحبُها صدراً لعجزٍ يُنادي جيرةَ العَلَمِ
سارُوا وما التفتُوا نحوَ القتيلِ بهم نفسي فِداكُم كرِهتُم مَنظرَ الرِمَمِ
قالوا أَصبْنا فلا تُوجِبْ مَلامَتَنا نَعَمْ أصابُوا فُؤاداً بالسِهامِ رُمِي
يَكفِي عنِ السُهدِ طُولُ الليلِ بعدَهُمُ مُستطرِداً من قَصيرِ الذَيلِ كالهِمَمِ
قد أَطمَعَتْهُ بما أَرضاهُ عن كَثَبٍ سُهولةُ الظَرفِ فاقتادَتْهُ كالنَعَمِ
مُرضٍ فَدَعْ أَملاً لا يستحيلُ بهِ بلْ يحتَسي الآلَ ماءً عُدَّ في ضَرَمِ
هُمُ الكِرامُ لهم بينَ الكِرامِ هوًى منَ الكِرامِ وترديدٌ منَ الكَرَمِ
فطابَ ترصيعُ شِعري في الثنا لَهُمُ وخابَ تشريعُ فِكري في المُنى بِهِمِ
أَنَّى يُناقضُهمْ مَن لا يُماثلُهم حتى يَرُدَّ لهم عاداً الى إرَمِ
ما الزَهرُ والزُهرُ في أُفقٍ وفي أُفقٍ أَشهَى وأَشهرُ من تفريعِ ذِكرِهمِ
قِفْ وصِفْ جُملاً وانشدْ وطِبْ زَجلاً وانزلْ على حَرَمٍ من أَشطُرِ الحَيَمِ
لي بينَها قمرٌ في طَرفِهِ حَوَرٌ في ثَغرِهِ دُرَرٌ والسِمطُ من سَقَمي

Digitized by Birzeit University Library

سَاوَى على لَوحٍ ياقوتٍ لعارضِهِ ... سطرَينِ من خطِّ رَيحانٍ بلا قلمِ
أَبكي فأُودِعُ وَردًا ضِمنَهُ خجلاً ... إنَّ الحَيا يُنبِتُ الأَزهارَ في الأَكمِ
شبَّهتُ شيئينِ من أَعطافِهِ ودِما ... دمعي بشيئينِ موجِ البحرِ والدِيَمِ
وقلتُ هل كانَ لولا البحرُ من مطرٍ ... فصحَّ لو كانَ يجدِي مذهبُ الكلمِ
بَشَّرتُ طرفي بمرآهُ فبشَّرني ... مُشاكلاً بالعذابِ الهُونِ والنِقَمِ
مَن كانَ يبخَلُ عنّي بالكلامِ فهل ... أَرجوهُ في اجتماعِ الشملِ من كَرَمِ
أَهوَى العذولَ الذي أَمسَى يُعلِّلُني ... بذِكرِهِ فهوَ عندي خيرُ مُغتنَمِ
يُصوِّرُ الذِكرُ لي ميمونَ طلعتِهِ ... وَهمًا فيوضِحُ لي عن وَجهِهِ الوَسِمِ
يَحميهِ ماضي لِسانٍ طالَ مُنعطِفًا ... يَفوهُ باللُغزِ منسوبًا الى البَكَمِ
لو مرَّ من قمَرٍ شهرٌ ولم أَرَهُ ... لم ألقَهُ بعدَها إلاَّ بطَرفِ عَمي
رُمتُ الأَحاجي بخَدَّيهِ فقُلتُ لهُ ... رادفتَ رَحلَ لظًى يا ظَبيَ ذي سَلَمِ
لا عيبَ فيهِ سِوَى عينٍ اذا مُدِحتْ ... في معرِضِ الذمِّ عُدَّتْ من سيُوفِهِمِ
ووَجنةٍ ذاتِ آثارٍ تُرشِّحُها ... دمًا وقد خدَشتْها رِقَّةُ النَسَمِ
لمِعنَيَيهِ ائتلافٌ وهوَ قد فتَنَ الـ ... أَبصارَ بالحُسنِ والأَسماعَ بالرَنَمِ
تعطَّفَتْ فوقَ ذاكَ الردفِ قامتُهُ ... تعطُّفَ الغُصنِ لمَّا مالَ في القِمَمِ
يا بارعَ الحُسنِ لي فيكَ الشفاءُ وقد ... طلَبتَ قتلَ مريضٍ عن سِواكَ حمِي
أَراكَ تفتَنُّ في قتلي بلا سبَبٍ ... بُشراكَ قد نلتَ فخرًا كانَ لم يُرَمِ
سعَت الى عدَمي في مصرَعٍ قدَمي ... ولم تَنَلْ هِمَمي جُزءًا من الشَمَمِ

Digitized by Birzeit University Library

ما زالَ عقدُ يميني وَجهَ نادرةٍ ... كادَت تُؤثِّرُ فيهِ أَحرُفُ القَسَمِ
تأَلَّفَ اللفظُ بالمَعنَى لِواصِفِها ... كما تأَلَّفَ بالأَوزانِ في النَغَمِ
محظُورةُ الصيدِ من دُونِ الظِبا كَرَمًا ... لنُكتةٍ قِيلَ فيها ظَبيةُ الحَرَمِ
اذا تَزَاوَجَ دَمعي فافتَضَحتُ بهِ ... خافَتْ رقيبًا فصَدَّتْ صدَّ مُكتتِمِ
حيًّا لَيالي بُدُورٍ في الخُدُورِ لَقد ... أَعارَنا الدَّهرُ إِياها فلم تَدُمِ
لم تَلْقَ عَيني لها عَينًا ولا أَثَرًا ... فلاحَ في الوَهمِ رَأْيُ الشِرْكِ من أَلَمِ
تَظَلُّ بِيضُ الظُبَى تَحمي مَضاجِعَها ... فلا مَجازَ اليها دُونَ سفكِ دَمِ
أَلدَهرُ أَغرَبُ ما في الدهرِ من بِدَعٍ ... بَينُ فيهِ الصِبَى في قَبضةِ الهَرَمِ
شيخٌ لهُ الليلُ حِبرٌ والضُحَى وَرَقٌ ... يُنشِي فُنونَ اختِراعِ اللوحِ والقَلَمِ
أَحبابَنا في حَياةٍ نحنُ مُوجزَةٍ ... فيها الغِنَى بالرِضَى والذُخرُ في الرُّجمِ
فلا يَدُومُ علينا قَبضُ نائبةٍ ... ولا يَدُومُ لكم بَسطٌ من النِعَمِ
إِنّي تَجاهَلتُ في دُنيايَ مَعرفةً ... هل كانَ في أَهلها مَسٌّ من اللمَمِ
دارٌ قدِ استَخدَمتْ عن صَبوَةٍ غَلَبَتْ ... من عهدها المَلِكَ المخدومَ كالخَدَمِ
عَنيفةٌ وَزَعَتْ توشيعَ طاعتِها ... عَدلًا على المَعشَرَينِ العُربِ والعَجَمِ
تَنفي بإيجابِها الغاراتِ هُدْنَتُها ... فلا تَعُدُّ لَيالي الأَشهُرِ الحُرُمِ
بِكرٌ عَجُوزٌ وَلُودٌ حُرَّةٌ أَمَةٌ ... قامَتْ بتَنسيقِ وَصفٍ غيرِ مُلتئِمِ
يُريكَ عنوانَها في الناسِ مُطَّرِدًا ... كِسرَى بنُ ساسانَ ربُّ التاجِ والغَنَمِ
نَظَلُّ نُرسِلُها في لُؤمِها مَثَلًا ... ولا نَزالُ بها لَحمًا على وَضَمِ

Digitized by Birzeit University Library

هِيَ الدَنيّةُ نَدعوها لذلكَ بالْ دُنيا اتّفاقًا وما يُسمَى بحيثُ سُمّي
دارُ الخَرابِ خَرابُ الدار شيمتُها وعكسُ آمال آل المال والنعمِ
قد أوغلَ الناسُ في حُبّ الغِنى سَفَهًا وعاشقُ المال عبدٌ خادمُ الصنمِ
لا يَصحَبُ المرءُ شيئًا من غِناهُ ولو سلّمتُ ذاك لكانتْ صُحبةَ العدَمِ
تجانفَ القومُ عن تهذيبِ أنفسِهم فلا يُراعُون للتأديب من حُرَمِ
ما غيّرَ اللهُ عنهم عقدَ نِعمتِهِ الاّ وقد غيّرُوا ما في نفوسهمِ
كلٌ يَروحُ بلا زادٍ سِوَى عَمَلٍ حتّى المُلوكُ فلا تَستَثْنِ من أَرَمِ
أينَ الذين رَوَى الراوونَ من دُوَلٍ وأينَ مَن أرّخوهُ من ذَوي العِظَمِ
شيبٌ ومُردٌ وأجنادٌ وألويةٌ تَفنَى جميعًا كأنْ ما قام لم يَقُمِ
أجسامُهم للثَرَى تُعطَى وأنفُسُهم للهِ والمالُ للأعقاب في القِسَمِ
لا بُدَّ للجمعِ من داعٍ يُفرّقُهُ لكن تفاوُتُهُ في الطُرقِ والهِمَمِ
والأمسُ واليومُ في الترتيب مثلُ غدٍ لَهوٌ ولعبٌ يَزُجُّ السُمَّ في الدُسَمِ
بئسَ الحَياةُ التي طابت اوائلُها ان لم يكن طابَ منها حسنُ مُختتَمِ

وقال في واقعةٍ جرت

ماتَ الحبيبُ كانهُ لم يُولَدِ وسلا المُحِبُّ كانهُ لم يُفقَدِ
والحُزنُ يُنشِئُهُ الحبيبُ كما نَشا فاذا بَلِي كبلائهِ لم يَعتَدِ
يا مَن نَراهُ اليومَ يَغلبُهُ البُكا سنَراكَ يَعصِيكَ التباكي في غَدِ
هَبْ في فؤادِكَ من شُجُونِكَ جمرةً أرأيتَ وَيحَكَ جمرةً لم تَخمَدِ

Digitized by Birzeit University Library

كم يجهدُ الباكي المُعدِّدُ نَوحَهُ والميتُ لا يدري بنَوحِ مُعدِّدِ
المَيتُ لا يدريـ بحالة قائمٍ والحيُّ لا يدري بحال مُوسَّدِ
لو دام هذا الحُزنُ ألقى ربَّهُ في اللحدِ قبلَ بِلَى الحبيبِ المُلحَدِ
مَن غابَ عن عينٍ فسوفَ يَغيبُ عن قلبٍ فتلكَ وثاقُهُ في المَشهَدِ
لو أنصفَ الباكونَ أنفسَهم بكَوا حزنًا عليها في انتظار الموعِدِ
هل يأمَنُ الباكي هجومَ حِمامِهِ ما بينَ مَسحِ دموعِهِ المُتردِّدِ
ما لي تكلَّفتُ النصيحةَ مُرشِدًا في ما أعوزُ بهِ نَصيحةَ مُرشِدِ
جُملٌ أتيتُ بها اعتراضًا حيثُ لا عَمَلٌ فما قامت مقامَ المُفرَدِ
قد كُنتُ أرغبُ أن أرى قلبي كما أهوَى ولكن ليسَ قلبي في يدي
والقلبُ مثلُ العِهنِ إنْ جارَيتَهُ لكن اذا عاصَيتَهُ كالجَلمَدِ
آهًا لهذا الموتِ لا يرثي لمن يبكي ولا يحنو على المُتنهِدِ
كم شقَّ اكبادًا وأبكى أعيُنًا ولكم يَشُقُّ على المَدَى من أكبُدِ
والموتُ ليس بجيِّدٍ لكنَّما لولاهُ كانَ الحالُ ليسَ بجيِّدِ
لولا قديمُ الموتِ لاصطنعَ الوَرَى موتًا فماتَ الناسُ بالمُتجدِّدِ
لو قامَ من قتلتْهُ سطوةُ مثلِهِ ضاقت بكثرتِهِمْ رحابُ القَدْقَدِ
والقتلُ قبلَ الموتِ كان قديمًا اذ كان حتفُ الأنفِ لمَّا يبتدِي
ولقد رأيتُ الأُسدَ أحسنَ خلَّةً من جنسِ هذا الناطقِ المُتمرِّدِ
الناسُ تقتُلُ كلَّ يومٍ بعضَها والأُسدُ تقتُلُ غيرَها اذ تعتدِي
كلٌّ يخافُ من المَنونِ لوقتِهِ ونراهُ يجهدُ في الغِنى كمُخلَّدِ

Digitized by Birzeit University Library

هذا على حُكم الجُنُونِ وانما قد أَصبحَ المجنونُ غيرَ مُقيَّدِ
يا صاحِ ذَرْ عنك التغفُّلَ وانتبهْ لا تنظُرِ الدُنيا بطَرْفٍ أَرمدِ
سَفَرٌ بعيدٌ في مفاوِزِ قَفْرةٍ فالوَيلُ إِنْ سافرتَ غيرَ مُزوَّدِ

وقال يمدح خليل باشا وزير حلب اقترحها عليه
الخواجا نصرالله الخوري

أَتدري ما بقلبكَ من جِراحِ فتاةٌ طَرْفُها شاكي السلاحِ
تُديرُ على النُدامَى مُقلتاها كُؤُوسَ مَنيَّةٍ وكُؤُوسَ راحِ
مُفهفهةُ القوامِ رَنَتْ بعينٍ ذكرتُ بها الأَسِنَّةَ في الرِماحِ
تَسُلُّ اللحظَ من جَفْنٍ مَريضٍ كما تَفتَرُّ عن دُرَرٍ صِحاحِ
وَقفتُ ببَرْبَها فبكيتُ حتى تَباكَتْ وُرْقُهُ بعدَ النُواحِ
وَسَمْتُ الأَرضَ دمعاً إِثْرَ دمعٍ فبعضٌ كاتبٌ والبعضُ ماحِ
لَقد عِشْتُ بنا أَيْدِي اللَيالي فراحَ القومُ أَدراجَ الرياحِ
تَبطَّنَ كلَّ وادٍ كلُّ نادٍ تَطيرُ بهِ المَطِيُّ بلا جَناحِ
قَصَدنا مَنزلَ الشَهباءِ لَيلاً وقد سالت بنا خِلَلُ البِطاحِ
فأَغنَتنا النَسائمُ عن دَليل ونيرانُ الخليلِ عن الصَباحِ
اذا زُرتَ الوزيرَ على صَلاحٍ فقُلْ للرَكْبِ حَيَّ على الفَلاحِ
وقُلْ للدهرِ ما لَكَ من سبيلٍ علينا في الغُدُوّ وفي الرَواحِ
هو الظِلُّ الظَليلُ بأَرضِ قومٍ وَقاهُمْ حرَّ هاجرةِ الضَواحي

Digitized by Birzeit University Library

جَرَتْ سُودُ اليَراع براحَتَيهِ ... فإنْ قَصُرَتْ جرَتْ بيضُ الصفاحِ
اقامَ الرُعبَ في الأكبادِ حتى ... أحاطَ بكلِّ نفسٍ كالوِشاحِ
فأيقظَ كلَّ جفنٍ فيهِ غُمضٌ ... ونبَّهَ كلَّ قلبٍ غيرِ صاحِ
هُمامٌ قد تصدَّرَ في مقامٍ ... يَبينُ الجِدُّ فيهِ من المُزاحِ
قضَى حقَّ الوزارةِ فاقتضاها ... بحُكمِ العدلِ والحقِّ الصُراحِ
سليمُ القلبِ ذو عِرضٍ مَصونٍ ... كريمُ النفسِ ذو مالٍ مُباحِ
لهيبتهِ شكائمُ في الرَعايا ... تَرُدُّ الجامحينَ عن الجِماحِ
أتى كالغيثِ تَرْوَى كلُّ أرضٍ ... بهِ بينَ اغتباقٍ واصطباحِ
فصفَّقتِ الغُصونُ لهُ ابتهاجًا ... وأصبحَ باسماً ثغرُ الأقاحي
عرَفنا حمدَهُ في القلبِ لكن ... عجَزْنا في اللِسانِ عنِ امتداحِ
فليسَ على عُلاهُ منِ انحطاطٍ ... بذاكَ ولا علينا من جُناحِ
أيا مَنْ أفعمَ الحُسَّادُ ذُلاً ... وأفحمَ كلَّ معترضٍ ولاحِ
لقد وافاكَ نصرُ اللهِ فَوْرًا ... يُبشِّر بالمسرَّةِ والنجاحِ
فكُنْ باللهِ معتصماً رشيدًا ... مَهيبَ السُخطِ مأمولَ السماحِ

وقال يرثي الامير حيدر ابي اللمع الذي كان والياً في جبل لبنان

المَرْءُ في الدُنيا خيالٌ قد سَرَى ... والعَيشُ مثلُ الحُلمِ في سِنَةِ الكَرَى
والناسُ رَكْبٌ قد أناخَ بمَنزِلٍ ... فبَنَى على الطُرُقِ المَدائنَ والقُرَى
لا مَرحبًا إنْ جاءَتِ الدُنيا ولا ... أسَفًا اذا وَلَّتْ وما الدُنيا تُرَى

Digitized by Birzeit University Library

هيَ كالسَّرابِ يَزيدُ مُهجةَ وارِدٍ ظَمَأً ويَملأُ مُقلتَيهِ مَنظَرا
غرَّارةٌ يَسبي الحكيمَ خِداعُها مكرًا ويُطغي الفيلَسوفَ الأكبرا
لاحت لنا نارُ الحُباحِبِ في الدُجى منها نخِلنا أنَّها نارُ القِرى
عِشنا كأنَّا لم نعِشْ ونموتُ عن كَثَبٍ كأنَّا لم نكُنْ بينَ الورَى
ذَهَبَ الزَمانُ ومَنْ طَواهُ مُقدَّمًا وكذاكَ يَذهَبُ مَن يليهِ مؤخَّرا
نبكي ونَضحَكُ للمَنيَّةِ والمُنَى وكِلاهما عَبَثٌ يَدورُ مُكرَّرا
بِتنا نُنادي حيدَرًا ويَجيءُ وما يُجدي اذا بِتنا نُنادي حيدَرا
هذا الأميرُ قضى فسالَتْ أكبُدٌ ومَدامعٌ وجرَى القضاءُ بما جرَى
لم تَحمِهِ البيضُ الصوارمُ والقنا والشوسُ والجُرْدُ السلاهبُ والذُرى
هذا الذي كُنَّا نَعيشُ بظلِّهِ قد صار تحتَ ظِلالِ رَمسٍ أقفرا
هذا الذي ضبَطَ البلادَ بكفِّهِ قد باتَ مغلولَ اليدينِ معفَّرا
يا طالما أغنَى الفقيرَ بجُودِهِ واليومَ صار أضرَّ منهُ وأفقرا
أمسَى وحيدًا في جوانبِ حُفْرةٍ مَن كان يَجمَعُ في حِماهُ عَسكرا
منَّا السلامُ بكل تكرِمةٍ على مَن لم يَمُدَّ الى وَداعٍ خِنصِرا
قامت تُشيِّعُهُ الرجالُ مُشخَّصًا ومضَتْ تُشيِّعُهُ القلوبُ مُصوَّرا
أولَى العِبادِ برَحمةٍ مَن لم يكُنْ عرَفَ المَظالِمَ في العِبادِ ولا درَى
وأحَقُّ بالإحسانِ مَن لم يُهمِلِ الـ ـمعروفَ قطُّ ولم يُباشِرْ مُنكرا
بكَتِ الأراملُ واليَتامَى حَسرةً لمَّا رأَتْ قلبَ السماحِ تحسَّرا

Digitized by Birzeit University Library

وتنهّدَ المجدُ الذي ربّاهُ من صغرٍ فكانَ لهُ أباً ومدبّرا
سلَبَ الزمانُ منَ الأفاضلِ دُرّةً لو كلّفوهُ بمثلها لتعذّرا
ولربّما نفدَ الزمانُ وذِكرُهُ نُملي بهِ جُملاً ونكتبُ أسطُرا
قد كانَ عوْفاً في الوفاءِ ولم يزَلْ في الحلمِ معْناً والسماحةِ جعفَرا
واذا تفقّدتَ المحامدَ كلّها ألفيتَ كلَّ الصيدِ في جوفِ الفرا
كلٌّ يُبالغُ في المديحِ بشعرِهِ ويظلُّ مادِحُهُ الأمينُ مُقصّرا
ومتى طلبْنا ربيةً في نفسِهِ كانتْ لنا عنقاءَ مغربَ أيسرا
ذاكَ الذي لم يتّخذْ لكنوزِهِ عرَضاً من الدُنيا فصادفَ جوْهرا
حقٌّ على الخُطباءِ ذِكرُ صفاتِهِ مثَلاً شرُوداً حينَ تعلُو المنبرا
بحرٌ حواهُ النعشُ فوقَ مناكبٍ تسعَى ولم نعهدْ كذاكَ الأبحُرا
وفريدةٌ في الرمسِ قد دُفنتْ وكم من معدنٍ تحتَ التُرابِ تستّرا
ويلاهُ من هذي الحياةِ فانها كالظلِّ تحتَ الشمسِ يمشِي القهقرَى
إنّ الحياةَ هيَ الشبابُ وان تزدْ نقصتْ كلفظٍ بالزيادةِ صغّرا
نرجو من الدُنيا الدوامَ ونفسُها كحُطامِها مما يُباعُ ويُشترَى
دُوَلٌ وأجيالٌ تمرُّ وتنقضي فيها وتبقَى الكائناتُ كما ترَى
فسقَتْ غوادِي الفضلِ تُربةَ فاضلٍ ممّن يُؤرّخُ كانَ غوثاً للورَى
كُنّا نُؤرّخُ فضلَ منحةِ كفّهِ صرنا نؤرّخُ رمسَهُ تحتَ الثرَى

سنة ١٨٥٤ سنة ١٨٥٤

Digitized by Birzeit University Library

وقال يجيب خليل افندي الخوري عن ابياتٍ امتدحهُ بها

أَخَذَت نحوي سَبيلا فَسَقَتْني سَلْسَبِيلا
بِنتُ فِكْرٍ من خليلٍ قد شَفَتْ مني غليلا
ذُقْتُ مِنْها مَنَّ لَفْظٍ كان بالسلْوَى كفيلا
ومَعانٍ كنَسيم ال رَوضِ إِذْ هَبَّ أَصيلا
هيَّجَتْ عِندي شجونًا سكَنَتْ دَهرًا طَوِيلا
وبَنَتْ للشوقِ عِندي أَربُعًا كانت طُلولا
ما أَنا والشعرَ أَصبُو والصِبى جدَّ الرَحيلا
كُلَّما أَنشَدتُ بيتًا شِمْتُ لي منهُ عذُولا
ضاعَ هذا العُمْرُ وَيحي ومَضَى الاَّ قليلا
إِنْ قتَلْتُ الدهرَ خُبْرًا فلَكَمْ أَلقَى قتِيلا
انما نحنُ نَباتٌ يَنقضِي جِيلاً فجِيلا
كُلَّما جَفَّ نَضِيرٌ أَطْلَعَ الرَوْضُ بَدِيلا
يا هِلالاً قد أَرانا في الدُجَى وَجهاً جميلا
سوفَ نَلقَى منكَ بدرًا كاملاً يُدعَى خليلا

Digitized by Birzeit University Library

وقال يجيب المعلم مارون النقاش عن رسالةٍ
بعث بها اليهِ من ترسيس

نَزَعَ القَريضُ إلى حِمَى نقّاشِهِ ... كالطَيْرِ مُبتدِرًا إلى أعشاشِهِ
حمَلَتْهُ أَجْنِحَةُ الصَبابة فاستوَى ... مُتمتّعاً منها بلِينِ فِراشِهِ
يا حبَّذا ذاكَ المَزارُ فانهُ ... وِرْدٌ بِهِ يُرْوَى غليلُ عِطاشِهِ
خَلَعَ الحبيبُ عليهِ بَهْجَةَ أُنسِهِ ... وعلى منازلِنا دُجَى إيحاشِهِ
يا دارَ مَن أهواهُ حيّاكِ الصبا ... وسقاكِ مُزْنُ الصُبحِ صَفْوَ رَشاشِهِ
ان كانَ قدْ سكَنَتْ عليكِ رِحالُهُ ... فالقلبُ لم تسكُنْ بلابلُ جاشِهِ
طُبِعَ الزمانُ على تقلُّبِ حالِهِ ... وعلى تلوُّنِ وَجهِهِ ورياشِهِ
ما زالَ يَنصحُنا بنَكْبَةِ غيرِنا ... ويظُنُّهُ المنصوحُ من غُشّاشِهِ
لا يذكُرُ الإنسانُ امرَ معادِهِ ... اذ كان مُشتغِلاً بأمرِ معاشِهِ
يَستأْمِنُ الجزّارُ وهْوَ يَرَى المُدَى ... يَخْطِفْنَ حَوْلَ نِعاجِهِ وكِباشِهِ
يا مُسعِفاً دهري عليَّ بهَجْرِهِ ... لا تُسعِفِ البازي على خُفّاشِهِ
أَنعِمْ بتَرْداد الرسائل مُنعِشاً ... مَن أنتَ مُقتدِرٌ على إنعاشِهِ

وكتب اليهِ بعد ذلك

ماذا الوُقوفُ على رُسوم المَنزِلِ ... هيهاتِ لا يُجدِي وُقُوفُكَ فارحَلِ
تلكَ الأثافي في العِراصِ تخلّفتْ ... أظَنَنْتَ قلبكَ بينَها فتأمّلِ

Digitized by Birzeit University Library

دارٌ عفتْها الذارياتُ فأبرزَتْ فيها خُطوطاً مثلَ رَقْمِ الجُمَّلِ
ومتى سألتَ رُبوعَها عن أهلِها صَدَرَ الجوابُ عن الصبا والشمأَلِ
هيهاتِ ما دارُ الحياةِ بمنزلٍ يُرجَى ولا ماءُ الحياةِ بمنهلِ
ولطالما سَرَّتْ فساءت فانقضتْ فكأنَّ ذلكَ كلَّهُ لم يحصلِ
يا أيُّها النحريرُ جهبذُ عصرِهِ مالي أُثلِّثُ علمَ ما لم تجهلِ
ان المُقدِّمَ للحكيمِ إفادةً كمُقدِّمٍ للشمسِ ضوءَ المشعلِ
بَعُدَ المَزارُ على مشوقٍ لم يكنْ يُشفى على قُربِ المَزارِ الأوَّلِ
يُدني اليهِ الوَهْمُ دارَ حبيبِهِ حتى يكادُ يمسُّها بالأنمُلِ
للناسِ أيَّامٌ تمرُّ كأنَّها خيلُ البريدِ مُغيرةً في الهَوْجَلِ
ان كُنتَ تأمنُ جانبَ الماضي بها فالخوفُ بينَ الحالِ والمُستقبلِ
ذهبَتْ بما ذهبَتْ فما تركَتْ سِوَى ذِكرَى الحبيبِ ويومِ دارةِ جُلجُلِ
والذِكرُ قد يؤذي الفؤادَ وإن حلا كالمسكِ يصدعُ مَفرِقَ المُستعملِ
زادُ المُودِّعِ نظرةٌ فاذا انقضتْ وَقَفَ الرجاءُ على الحديثِ المُرسَلِ
إنْ كانَ قد بَعُدَ اللقاءُ لعلَّةٍ فابعَثْ اليَّ بلُهنةِ المُتعلِّلِ

وقال يمدح الامير عمر بن الامير هاشم التغلبي اقترحها عليهِ صديقٌ لهُ من اهل السياحة

أجارَتَنا هل للنسيمِ وُصولُ اليكِ فلي منهُ الغداةَ رَسُولُ

مَضَى وأَرَاهُ لم يَعُـدْ فلعَلَّـهُ قَضَى نَحْبَهُ اذ راحَ وَهْوَ عليلُ
تَمَنَّعتِ بينَ الشُوسِ والبيضِ والقَنَا وكُلٌّ بمنع الطارقينَ كفيلُ
وما كانَ يُجْدِي لو بَرَزتِ من الحِمَى وأَنتِ على عَهدِ النِفـارِ جَفُولُ
أَيا دارَها بالوَادِيَينِ قَريبةً نَراكِ ولكنْ ما اليكِ سَبِيلُ
لئن عَمِرَت منكِ البُيوتُ فانما لَدَيكِ قُلوبُ العاشقينَ طُلولُ
لَنا فيكِ خَوْدٌ تَحسُدُ السُمْرُ عِطْفَها فيبدو على أَعطافِهِنَّ ذُبولُ
عزيزةُ قومٍ حبُّها قـد أَذَلَّني نَعَمْ كلُّ مَن يَهوَى الجَمالَ ذليلُ
أَقامَتْ عُبيدَ الخالِ في الخَدِّ حارساً على الوَرْدِ أَنْ يَسطُو عليهِ جَهُولُ
وأَحرَزَتِ الدِرياقَ في الثَغرِ إِذ رَأَتْ أَفاعيَ ذاكَ الشَعرِ وَهْيَ تَجُولُ
تَذَكَّرتُ ما لم أَنسَ من وَقفةٍ لنا خِلالَ الثَنايا حينَ جَدَّ رَحِيلُ
بَكَتْ فاستَهَلَّ الكُحلُ في صَحنِ خَدِّها فحاكى صَدا الصَمْصامِ وَهْوَ صَقيلُ
تَقُولُ نِسـاءُ الحَيِّ إِنِّي خليلُها كَذَبنَ فما لِلغانياتِ خليلُ
لئن كانَ بعدَ البَينِ قد حالَ عهدُها فعهدُ الهَوَى في القلبِ ليسَ يَحُولُ
خليليَّ ان الخِلَّ في كلِّ بَلدةٍ كثيرٌ ولكنَّ الوفِيَّ قليلُ
اذا لم يكُنْ لي منكما اليومَ مُسعِدٌ فانَّ تَحيَّاتِ الصِحابِ فُضولُ
تُرِيدُ رِجالٌ نَجدةً ليَ بالمُنَى وتلكَ سِهامٌ ما لَهُنَّ نُصولُ
وكم قائلٍ في الناس ليسَ بفاعلٍ وكم فاعلٍ في الناس ليسَ يقولُ
وأَحسَنُ من نُطقِ الغَبِيِّ سُكوتُهُ وأَحسَنُ من مجدِ السَفيهِ خمولُ

Digitized by Birzeit University Library

ومَن رامَ مجدًا فليكُنْ كابنِ هاشمٍ ... وإلاَّ فلا كي لا يُقالَ دَخيلُ

منَ السادةِ الأَشرافِ أَمَّا بَنانُهُ ... فسُحْبٌ وأَمَّا جُودُهُ فسُيولُ

يُلبّي دُعاءَ المُستجيرِ وبينَهُ ... وبينَ المُنادي في المَسافةِ ميلُ

لهُ الكَرَمُ الجمُّ الذي شنَّ غارةً ... على الفقرِ حتى خرَّ وهْوَ قتيلُ

مديدٌ بسيطٌ وافرٌ مُتقارِبٌ ... سريعٌ خفيفٌ كاملٌ وطويلُ

اتيناهُ كلُّ الرَّكْبِ منَّا ربيعةٌ ... وكلُّ المطايا شَدْقَمٌ وجَديلُ

فكانَ كريْعانِ الضُحى كُلَّما دنا ... يزيدُ علينا بَسطةً ويَطُولُ

لئنْ فاتَ نجدًا ريفُ مِصرَ ونيلُها ... ففي نجدَ ريفٌ من نَداهُ ونيلُ

يلوحُ اذا جنَّ الدُجى ضوءُ نارِهِ ... فذلكَ داعٍ للقِرى ودَليلُ

كريمُ السجايا وَجهُهُ وثَناؤُهُ ... وصُنْعُ يديهِ كلُّهنَّ جميلُ

تَرحَّلُ عنهُ في الصَباحِ كَتيبةٌ ... وتَعشُو اليهِ هَجْمةٌ ورَعيلُ

اذا افتخَرَتْ عُرْبُ البوادي ففخرُها ... لهُ غُرَرٌ من تَغلبٍ وحُجُولُ

وهل كعَدِيٍّ في مَشارِفِ تُبَّعٍ ... وهل لكُليبٍ في الحِجازِ عديلُ

أَعادَ حِمى عَمرٍو حِمى وائلٍ لهم ... وأَضرَمَ تلكَ النارَ وَهْيَ تَهُولُ

أَشَمُّ يَهابُ السيفُ مَسَّ أَديمِهِ ... ويَرتَدُّ عنهُ الطَرْفُ وَهْوَ كليلُ

أَلَذُّ شَرابٍ عِندَهُ دَمُ فاتكٍ ... وأَطرَبُ صَوتٍ رَنَّةٌ وصَليلُ

وأَحمى دُرُوعِ القارعيهِ هَزيمةٌ ... وأَفضَلُ غُنمِ الطالبيهِ قُفولُ

خَزائنُهُ بِيضٌ وسُمْرٌ وأَدرُعٌ ... ونَبْلٌ وتُرسٌ مانعٌ وخُيولُ

Digitized by Birzeit University Library

وأَعجَبُ منهُ انهُ بنُضارِهِ كريمٌ ولكن بالحديدِ بخيلُ
كريمُ يدٍ لا يَنزِلُ البَكْرُ عندَهُ ولا يقتضي حقَّ الرَضاعِ فصيلُ
اذا نزَلَ العافي حِماهُ فانما آلُ نَزيلُ أَميرٌ والأَميرُ نزيلُ
تقومُ الرُدَينيّاتُ حولَ قبابِهِ كما قامَ في الرَبعِ الخَصيبِ نَخيلُ
وقومٌ اذا الداعي دعا يالَتغلِبٍ تَسابَقَ منهم فِتيةٌ وكُهولُ
زَجَوْنا اليهِ كالمَطايا قرائحاً عليهنَّ من نَسجِ القَريضِ حُمولُ
لَئِن قامَ عن تقصيرِنا منهُ عاذرٌ فمِنّا عليهِ ناصحٌ وعَذولُ
أَرَى الشعرَ مثلَ الماءِ يجري فبعضُهُ أُجاجٌ وبعضٌ بالزُلالِ يَسيلُ
وأَعذَبُهُ ما في معانيهِ عظمةٌ وفي اللفظِ منهُ رِقّةٌ وقَبولُ
وفي الشعرِ لفظٌ دونَ معنًى كأَنَّهُ فَعولٌ مفاعيلٌ فَعولٌ فَعولُ
تَناهَبَهُ أَهلُ الزمانِ الذي مَضَى فلم يَبْقَ الاَّ أَرسُمٌ وفُضولُ
وماذا تفي تلكَ الثُمالةُ حقَّ مَن لهُ كلُّ صعبٍ في القَريضِ ذَلُولُ
يَكادُ يَذُوبُ الشعرُ من خَجَلٍ بهِ لَديهِ فيُمحَى خطُّهُ ويَزُولُ

وقال في رسالةٍ الى الشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسي

بكلِّ ظَبيَةِ وَحشٍ ظَبيَةُ الأَنَسِ ماذا نُعادِلُ بينَ العَفوِ والفَرَسِ
ان كانَ في الجيدِ والعينَينِ بينَهما شبهٌ فأَينَ جمالُ الثغرِ واللعسِ
رَبيبةٌ من بني الزَيّانِ مُترَفةٌ ترنو بلَحظٍ لأُسدِ الغابِ مُفترِسِ

Digitized by Birzeit University Library

سُبحانَ من صاغَ ذاكَ الثغرَ من بَرَدٍ لَهـا وأَلهَبَ ذاكَ الخدَّ بالقبَسِ
فتاكةُ اللحظِ غرَّتني لَواحظُها لَمَّا رأَيتُ عليهـا فترةَ النعَسِ
تَبيتُ في حرَسٍ من لحظِ عاشقها يا وَيحَهُ وهوَ منها ليسَ في حرَسِ
يلُوحُ ضوءُ جبينٍ تحتَ طُرَّتها يا للعُجابِ اجتماعُ الصبحِ والغلَسِ
وتنتضي السيفَ من جفنٍ مضاربُهُ أمضى من السيفِ في كفِّ الفتى الشرِسِ
مليحةٌ قصَّرتْ عنها الحسانُ كما قد قصَّرتْ كلُّ مِصرٍ عن طرابُلُسِ
عن بلدةٍ زانَها اللهُ العليُّ بما أَفادَها من عطايا رُوحِهِ القُدُسِ
أَنشا بها كنزَ أَسرارٍ لسائلهِ أَشفى من المطرِ الهامي على اليبَسِ
فضَّاضُ مُشكلةٍ خوَّاضُ معضلةٍ رَوَّاضُ مسئلةٍ من كلِّ مُلتبِسِ
الناظمُ الناثرُ الشهمُ الكريمُ لهُ بالفضلِ يشهدُ طيبُ النفسِ والنفَسِ
سَهلُ الطباعِ سليمُ القلبِ من وَضَرٍ صافي الصفاتِ نقيُّ العرضِ من دنَسِ
يزُفُّ من كلمٍ كالدرِّ ساطعةٍ أَبكارَ فكرٍ كضوءِ الصبحِ منبجِسِ
خرائدٌ من بناتِ العربِ قد فُتِنَت بحُسنهنَّ بناتُ التركِ والفُرُسِ
اذا افاضَ لسانٌ منهُ في جدَلٍ مضَى فابلى لسانَ الخصمِ بالخرَسِ
لا يصطلي نارَ إبرهيمَ مجتهِدٌ ولا تنالُ علاهُ كفُّ مُلتمِسِ
يا غائباً بانَ عنا غيرَ مُلتفتٍ وذِكرُهُ في حِمانا غيرُ مُندرِسِ
ن لم تكُن نظرةٌ منكم أَفوزُ بها فنظرةٌ من كِتابٍ منك مُقتبَسِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال في جواب رسالةٍ بعث بها اليهِ محمد عاقل افندي
كاشف زاده في الاسكندرية

هذه رسالةُ صَبٍّ دائم القلَقِ ... الى حبيبٍ جميلِ الخَلْقِ والخُلُقِ
تَضمَّنتْ نارَ شوقٍ بينَ أَضلُعِهِ ... فأعجَبْ لهُ كيفَ يُهدِي النارَ في الوَرَقِ
عليلةُ اللفظِ والمعنى مجرَّدةٌ ... صحيحةُ العَزْمِ في الأَسفارِ والطُرُقِ
راحت تَخُوضُ اليهِ البحرَ خائفةً ... من نقدِهِ اذ يَراها لا من الغَرَقِ
هذا الصديقُ الذي تَبقَى مَوَدَّتُهُ ... للدهرِ خالصةً من شُبهةِ المَلَقِ
تَمضِي اللَيالي ولا تُلقِي بهـا اثرًا ... الاَّ كما أَثَّرَ الصَمصامُ في الدرَقِ
محمـدُ العاقلُ المشهورُ تسميةً ... بالحمدِ والعقلِ طِبقَ الذاتِ في النَسَقِ
يتلولنا سُورةَ الإِخلاصِ منطِقُهُ ... وَوجهُهُ ظَلَّ يتلو سُورةَ الفَلَقِ
لَئِنْ تكُنْ عينُ تلكَ الشمسِ غائبةً ... فقد أَقامَتْ علينا رايةَ الشَفَقِ
رِسالةٌ كبياضِ العينِ رُقْعتُها ... وذلكَ الخَطُّ فيها أَسوَدُ الحَدَقِ
تِجارةٌ بيننَا واللهِ قـد رَبِحَتْ ... مِمَّن أَرَى فَضلَهُ كالطوقِ في عُنُقِي
يُهدِي اللآلي ويُهدَى بعدَها خَرَزًا ... منا فلا زالَ رَبَّ الفَضلِ والسبَقِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى صديقٍ لهُ

قِفْ بالعَقيقِ وسَلْ نَسيمَ رياحِهِ ... هل من سَلامٍ تحتَ طَيِّ وِشاحِهِ
ولَعلَّـهُ بالجزْعِ بـاتَ عَشِيَّةً ... فتوَسَّدَ الرَيحانَ بينَ بطاحِهِ
دارَ الأَحِبَّةِ جادَ مَغناكِ الحَيـا ... وكَساكِ بُرْدَ خِزامِهِ وأَقاحِهِ

Digitized by Birzeit University Library

ان كانَ بانَ الرَّكْبُ عنكِ بعينهِ فقلوبُنا لم تخلُ من أشباحهِ
طُبِعَ الزمانُ على العنادِ فلم يزَلْ يغتالُ بينَ غُدُوِّهِ ورَواحهِ
فالويلُ بينَ صباحهِ ومَسائهِ والعولُ بينَ مَسائهِ وصباحهِ
للدهرِ في الأحكامِ بابٌ مُغلَقٌ لا يهتدي أحدٌ الى مفتاحهِ
شَهْدٌ وصابٌ في مشاربِ أهلهِ والكلُّ يرتشفونَ من أقداحهِ
يتقلَّبُ الثكلانُ في أحزانهِ كتقلُّبِ الجذلانِ في أفراحهِ
فيطيبُ للجذلانِ صوتُ غنائهِ ويطيبُ للثكلانِ صوتُ نُواحهِ
ولقدْ غزَتْ قلبي الهمومُ بجيشها دهرًا فكانَ الصبرُ خيرَ سلاحهِ
والصبرُ يكفي القلبَ جُرحًا حادثًا ان كانَ لا يشفي قديمَ جراحهِ
رَوَّضتُ نفسي بالرضى منذُ الصبى فجنيتُ طيبَ النفسِ من أدواحهِ
والنفسُ كالمُهرِ الجموحِ اذا نشا في جهلهِ أعياكَ ردُّ جماحهِ
ان انتَ لم تُصلِحْ طريقكَ يافعًا فاذا كبرتَ عجزتَ عن إصلاحهِ
والجهلُ مثلُ الداءِ يرسخُ في الفتى فيسدُّ عن بقراطَ نهجَ فلاحهِ
وبمهجتي شوقٌ قديمٌ لم يزَلْ لقديمِ حبٍّ حالَ دونَ براحهِ
شوقي الى تلكَ الديارِ وأهلها شوقُ الطروبِ الى النديمِ وراحهِ
ربعٌ يسرُّ الناظرينَ بحسنهِ ويبشِّرُ العافي بحسنِ نجاحهِ
الفخرُ بينَ بُرُوجهِ وسُرُوجهِ والنصرُ بينَ سيوفهِ ورماحهِ
ولقد كتبتُ الى الحبيبِ رسالةً تشتاقُ صفحتُها اغتنامَ صفاحهِ

Digitized by Birzeit University Library

لو طارَ شوقٌ قبلَها بصحيفةٍ طارَتْ اليهِ على خفُوقِ جناحِهِ
ضمَّنتُها مما تضمَّنهُ الحشا ما يعجزُ المنطيقُ عن إيضاحِهِ
حسْبُ اللبيبِ إشارةٌ يغنى بها داعيهِ بالإيماءِ عن إفصاحِهِ
هيهاتِ لا يهدِي ضياءَ الصبحِ مَنْ لا يهتدي بالضوءِ من مِصباحِهِ

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من الشيخ عبد الهادي نجا الابياري احد علمآء الجامع الازهر بالقاهرة

تقولُ لقلبي ربَّةُ الأعينِ النُجْلِ أفِقْ لا تقِفْ بينَ الصوارمِ والنبْلِ
قدِ استعبدَتْهُ عينُها وهْيَ عبدةٌ فيا ويلَ عبدِ العبدِ ذُلٌّ على ذُلِّ
فتاةٌ يغارُ العقدُ من حسنِ جيدِها وتضحكُ عُجباً مُقلتاها على الكُحلِ
بكيتُ وقد أرْخَتْ سُدولَ قناعِها فقالَتْ جرَتْ هذي السحابةُ بالوَبْلِ
مُهفهفةُ الأعطافِ تخطرُ كالقنا بمُعتدلٍ لا شيءَ فيهِ من العدْلِ
تكادُ لهضْمِ الكشحِ تجعلُ عقدَها نطاقاً كما يُستبدَلُ المثْلُ بالمثلِ
أسالَتْ على وردِ الخدودِ ذُؤابةً لخوفِ ذُبولٍ قد تلقَّتْهُ بالظلِّ
وخطَّتْ لخوفِ العينِ بالوشمِ رُقيةً على معصَميها كالفرندِ على النصْلِ
تبدَّتْ وما أعمامُها من قُضاعةٍ تُعدُّ ولا أخوالُها من بني ذُهلِ
ومارَفضَتْ منهم سوَى الجودِ والوفا ولاحفظَتْ منهم سوَى النهبِ والقتلِ
يلومونني ان احملَ الذُلَّ في الهوَى كأنهمُ لم ينظُروا عاشقاً قبلي

Digitized by Birzeit University Library

اذا لُمتَ من لا تكسرُ القيدَ رجلهُ فانك اولى بالملامةِ والعذلِ
الى الله اشكو جَوْرَ فاتنتي التي لَئِنْ رَضِيَت قلبي فقد زِدْتُها عقلي
واشكرُ مولانا الكريمَ الذي بهِ غَدَت مهجتي عن كلِّ ذلكَ في شُغلِ
إمامٌ من الأفراد قُطبُ زمانِهِ ومالكُ رِقِّ العلمِ في العقلِ والنقلِ
عليهِ من الهادي الذي هُوَ عبدُهُ سلامٌ عِدادَ القطرِ او عددَ الرملِ
هو العالمُ العلّامةُ العاملُ الذي لَدى ربِّهِ قد قامَ بالفرضِ والنفلِ
اذا ما رَقِي متنَ المنابرِ خاطباً تقولُ رسولٌ جاءَ في فترةِ الرسلِ
أتاني كتابٌ منهُ أحيا بوفدِهِ فؤادي كفيضِ النيلِ في البلدِ المحلِ
أحبُّ الى الأسماعِ من لحنِ معبدٍ وأعذبُ في الأفواهِ من عسلِ النحلِ
تفضّلَ بالمدحِ الذي هُوَ أهلُهُ فلم أستطعْ شكراً على ذلكَ الفضلِ
لئن لم يُصبْ ذاكَ الثناءُ فجَدُّا تكلُّفُ مثلِ الشيخِ ذلكَ من أجلي
لكَ اللهُ يا مَن جلَّ ذِكراً ومنّةً فحُقَّ لهُ التفضيلُ في الإسمِ والفعلِ
ويا مَن تُلبّيهِ القوافي مُغيرةً بأخفى على الأبصارِ من مدرجِ النملِ
اليكَ عَروساً تستحي منكَ هيبةً لِذاكَ قد التفّتْ وسارت على مَهلِ
قد استُودِعَت قلبي الكليمَ وما درَتْ فكانَ كذاكَ الصاعِ في ذلكَ الرحلِ
أتوقُ الى تلكَ الديارِ وأهلِها جميعاً كما تاقَ الغريبُ الى الأهلِ
واني لأرضى بالكتابِ على النوى اذا لم يكنْ لي من سبيلٍ الى الوصلِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من بعض المشايخ في الاسكندرية

لمن الخيامُ ومن هُنالكَ نازلُ ... أتُرى بهِنَّ ربيعةٌ ام وائلُ

كذَبتْكَ نفسُكَ بل غطارفةُ الحِمَى ... قومٌ لديهِمْ ذِكرُ تُبَّعَ خاملُ

هذهِ خيامُ الهاشميَّةِ حولَها ... ملءُ العيونِ منازلٌ ومناهلُ

ومناصلٌ وذوابلٌ وجحافلٌ ... وقنابلٌ ورواحلٌ وقوافلُ

غرّتْ الوشاحِ لها قوامٌ رامحٌ ... تغزو القلوبَ بهِ وطرفٌ نابلُ

ومن العجابِ نرى قتيلاً ساقطاً ... يبغي اللقا فيفرُّ منهُ القاتلُ

أفدي المُحجَّبةَ التي مِن دونِها ... للدمعِ في عيني حجابٌ سادلُ

يا طالما ردَّتْ أُميمةُ سائلاً ... أفلا يُردُّ اليومَ هذا السائلُ

يا ظبيةً في الحيِّ نبغي صيدَها ... فتصيدُنا عنفاً وليس تُخاتلُ

لا سهمَ غيرُ لحاظِها ترمي بهِ ... قنصاً ولا غيرَ الفروعِ حبائلُ

أنتِ الجميلةُ فوقَ كلِّ جميلةٍ ... فالحقُّ أنتِ وكلُّهنَّ الباطلُ

قد قامَ عُذري في هواكِ فليسَ لي ... في الناس غيرَ الحاسدينَ عواذلُ

اهواكِ لا عارٌ عليَّ لأنَّني ... أهوى الكرامَ فما يقولُ القائلُ

مارستُ أخلاقَ الحليمِ فخانني ... دهرٌ لأخلاقِ السفيهِ يُشاكلُ

وعدلتُ عن شيمِ الجهولِ فظنَّ بي ... جهلاً لأنّي عن هواهُ ناكلُ

واذا أتتني مِدحةٌ من جاهلٍ ... فهيَ المذمَّةُ لي بأنّي جاهلُ

Digitized by Birzeit University Library

رُمتُ الوَفآءَ من الزمانِ واهلهِ فظَفِرتُ منهُ بما يجودُ الباخلُ
وسألتُ عن ذِمَمِ الوِدادِ فقيلَ لي مَهلاً كأنَّكَ عن مُحمَّدَ غافلُ
ذاكَ الصديقُ وان تَنآءَت دارُهُ عنا وان حالَ الزَمانُ الحائلُ
انَّ ابْنَ وُدِّكَ مَن يَراكَ بقلبهِ لا مَن يَراكَ بعينهِ فيُغازِلُ
قد قيَّدَت قلبي على بُعد المَدَى بالحُبِّ من تلك السُطورِ سلاسلُ
القلبُ يَعلَمُ أنَّهُنَّ جواهرٌ والعينُ تَزعُمُ أنَّهُنَّ رسائلُ
الشاعرُ القَطِنُ اللبيبُ الكاتبُ ال لَبِقُ الأَديبُ اللوذَعيُّ الفاضلُ
في كَفِّهِ البيضآءُ سِمْرُ يَراعةٍ لَعِبَتْ لها بالمُعرَباتِ عواملُ
حُلوُ الفُكاهةِ والقريضِ مُهذَّبٌ أقلامُهُ عسَّالةٌ وعواسلُ
لو كانَ ماءُ النيلِ مِرًّا آجِنًا حلَتْهُ أنفاسٌ لهُ وشمائلُ
طَودٌ لَدَيهِ كلُّ طَودِ رِبوَةٌ بَحرٌ لديهِ كلُّ بحرٍ ساحلُ
يَنتابُنا بالمَكرُماتِ تبَرُّعًا والمَكرُماتُ فرائضٌ ونوافلُ
بيني وبَينَكَ يا مُحمَّدُ شُقَّةٌ تُطوَى اليها في البلادِ مراحلُ
وفواصلُ الأَوطانِ غيرُ مُضِرَّةٍ ان لم يكن بين القُلوبِ فواصلُ
تاهَتْ بكَ الإسكندريَّةُ عِزَّةً فبَدَتْ عليها للسُرورِ دلائلُ
ان كانَ في جيدِ الصَعيدِ قلائدٌ منها فما جيدُ العَواصمِ عاطلُ
يا كَعبَةَ الأَدبِ التي حجَّت لها من كل فجٍّ للقريضِ قبائلُ
أغرَقتَنا في بحرِ فضلكَ جُملةً فكأنَّنا ضَربٌ وانتَ الحاصلُ

Digitized by Birzeit University Library

جئنا بأبيات لديكَ سخيفة لولاكَ ما عمرت لهنّ منازلُ
شامية نقصت معانيها وان أهدى بها في اللفظ بحرٌ كاملُ
ما أكثرَ الشعراءَ حينَ تعدّهم سرداً ولكنّ الفحولَ قلائلُ

وقال في رسالة كتب بها الى الشيخ عبد الهادي نجا الابياري بالقاهرة

قفْ بالديارِ اذا الليلُ البهيمُ سجا وقُلْ طريدٌ الى نار الفريقِ لجَا
ترَى الصوارمَ شُهباً تستضيءُ بها فان بدَتْ ميّةٌ فالصبحُ قد بلَجا
يا دارَ ميّةَ حيّاكِ الحيآءُ وان لم نرتشفْ منك قطراً ينعشُ المُهجا
ان يمنعِ القومُ إلمامي فما منعُوا أنْ أنظرَ الحيَّ او أستنشقَ الأرَجا
لي فيكِ فتانةٌ لام العذولُ بها جهلاً فقلتُ هو الأعمى فلا حرَجا
أجلتُ عينيَّ كبراً بعدَ رُؤيتها عن رؤيةِ الغير حتى البدرِ جنحَ دُجى
خودٌ لها طيبُ أنفاسٍ اذا ارتجزَت غنّت لها الوُرقُ في عيدانها هزَجا
معسولةُ الثغرِ في لألآئهِ فلَجٌ دمعي النضيدُ بأبهى ذلكَ الفلَجا
شكَوتُ من ضيقِ تلك العينِ ظالمةً قالت اذا اشتدَّ ضيقٌ فانتظرْ فرَجا
وان أردتَ نجاةَ الرأيِ من سفَهٍ فاذهبْ ونادِ بأعلى الصوتِ يا ابنَ نجَا
ذاك الذي لا يروعُ الوجدُ مهجتهُ ولا يُناظرُ طرفاً للهَى غنجا
ذاك المحبُّ بياضَ الصُحفِ لا نعجاً في عارضٍ وسوادَ الحبرِ لا الدعجا
ذاك الإمامُ الحصيفُ الكاملُ العلمُ الـ ـفردُ الذي لا ترَى في خُلقهِ عوجا

Digitized by Birzeit University Library

مُستجمعُ الفضلِ في علمٍ وفي عملٍ تألّفا فيهِ كالبحرَينِ قد مرجا
هانت على قلبهِ الأيّامُ صاغرةً اذ كانَ يعرف ما في طيّها درجا
فلا تراهُ لدَى الإيسارِ مبتهجًا ولا تراهُ لدَى الإعسار منزعجا
وَداعةٌ في وقارٍ عزّ جانبُهُ كالماءِ بالراح في الأقداح قد مزجا
وهمّةٌ من بقايا الدهرِ قد أخذت سبعَ الطباقِ الى محرابها درجا
تُدبّجُ الصحفَ بالأقلام راحتُهُ فتلكَ بيضُ خدُورٍ تلبسُ السبجا
قد أزهرَ الأزهرُ الضاحي بطلعتهِ كالبدرِ من مشرقِ الافلاك قد خرجا
لقاؤهُ في عيونِ الكاشحينَ قذًى ولفظُهُ في صدُورِ الحاسدينَ شجا
طَوْدٌ ترَى في ضواحي مصرَ موقفَهُ وظلُّهُ في رُبَى لُبنانَ قد نسجا
عهدِي بها النيلُ يسقي ريفَها تُرعًا فصارَ آخرُ يسقي أرضنا خلجا
يا كعبةَ العلمِ لم تحججْ لها قدمي لكنَّ قلبي قضَى في خيفِها حججا
إنْ كانَ قد جاءَ منكِ الخيرُ منفردًا فطالما جاءَ منكِ الخيرُ مزدوجا

وقال في رسالةٍ الى محمود افندي نسيب ناظر ديوان دمشق

لِمَنْ طَلَلٌ بوادي الرمل بادِ تخطُّ بهِ الرياحُ بلا مِدادِ
وَقفتُ بناقتي فيهِ فكنّا ثلاثةَ أرسمٍ في ظلِّ وادِ
على مَن لا سَلامَ لها علينا سلامٌ لا يُردُّ على البعادِ
تعشّقْنا الحجازَ وقد سمعْنا بمنزلها على ذاتِ الإصادِ

Digitized by Birzeit University Library

نَوُومٌ عينُها سَلَبَتْ منامي ... فصارَ لها رُقادٌ في رُقادِ
رَضيتُ بطيفِها لو زارَ حيناً ... وكيفَ يَزُورُ طيفٌ في السُهادِ
كحيلةُ مُقلةٍ برَزَتْ كسيفٍ ... فجاءتها الغدائرُ بالنجادِ
رَأَيْتُ دمي بوَجنتِها فأَرْخَتْ ... ذُؤابتَها تُشيرُ الى الحِدادِ
لعَينكِ يا أُميَّةُ ما برأسي ... وما في مُقلتَيَّ وفي فُؤادي
تَطيبُ لأَجلِها بالشيبِ نفسي ... فقد صارت تَخافُ منَ السَوادِ
أَمِنتُ على فُؤادي من حَريقٍ ... بحُبِّكِ حينَ صار الى الرَمادِ
وقد أَمِنَت قُرُوحَ الدَمعِ عيني ... لأَنَّ الدَمعَ صار الى النَفادِ
دَعَوتُ بني الصفاءِ لكَشفِ ضَرٍّ ... أَذُوبُ لهُ فكانوا كالجَمادِ
وما كلُّ امْرِئٍ يا أُمَّ عَمْرٍو ... بمحمودٍ اذا هَتَفَ المُنادي
هَوِيتُ من البلادِ دِمَشْقَ لَمَّا ... هَوِيتُ ابْنَ النَسيبِ منَ العبادِ
ولَيسَ ابْنُ النَسيبِ اليومَ فيها ... سِوَى جَبَلٍ على كَبِدِ الوِهادِ
نَسيبٌ من نَسيبٍ من نَسيبٍ ... كأَكعابِ القَناةِ على اطِّرادِ
كِرامٌ لو تَقَصَّاهُمْ نَقيبٌ ... لَعَدَّ كِرامَهُمْ من عَهدِ عادِ
اذا قَلَّبتَ في محمودَ طَرْفًا ... تَرَى قَمَرًا تَبَوَّأَ صَدْرَ نادِ
تَراهُ في المعاني قَيسَ عَبْسٍ ... وفي الألفاظِ قُسَّ بني إيادِ
كريمُ الخُلقِ ممدوحُ السَجايا ... كريمُ النفسِ محمودُ الأَيادي
أَرَقُّ من الزُلالِ العَذْبِ لُطفًا ... وأَثبتُ من ثَبيرٍ في الوِدادِ

Digitized by Birzeit University Library

فتىً لا يَزْدَهيهِ التيهُ كِبْرًا ولو أَمسَى على السَبْعِ الشِدادِ
تَحِلُّ المَكرُماتُ حِماهُ شَوقًا وقد سارَتْ اليهِ بغيرِ حادِ
أَصَحُّ الناسِ في الغمَراتِ رَأْيًا وأَهداهُمْ الى سُبُلِ الرَشادِ
وأَشجاهم بِسَلَّةِ لَحْصِمٍ وأَرواهم بفائدةٍ لِصادِ
يَهُبُّ الشَوقُ في قَلْبي اليهِ هُبوبَ الرِيحِ في رِجلِ الجَرادِ
ويَعذُبُ ما تيسَرَ منهُ عِندي كمَسغَبَةٍ تُحَبِّبُ كُلَّ زادِ
أَلا يا مُنعِماً بقديمِ وَصلٍ بَدَأْتَ فهل لبَدْئِكَ من مَعادِ
لَئِنْ حَجَّتْ اليكَ العينُ يوماً فإنَّ القلبَ دامَ على الجِهادِ

وقال في جواب رسالةٍ من محمد عاقل افندي المذكور آنفاً

أَتَتْني بلا وَعدٍ من المَنزِلِ الأَسنى رَبيبةُ خِدرٍ تَجمَعُ الحُسنَ والحُسنى
فَرَشْتُ لها بيضَ القُصورِ مَطارِفًا فلم تَرْضَ الاَّ أَسوَدَ القلبِ للسكنى
رَقيقةُ معنىً صيَّرَتْني رقيقَها لما أَبْرَزَت من رِقَّةِ اللفظِ والمَعْنى
دَنَتْ فتَدَلَّت دانياتُ قُطوفِها عليَّ فكانت قابَ قَوْسَينِ اوأَدنى
أَتَتْنا تَخُوضُ البَحرَ جاهدةَ السُرى من البَحرِ لكنْ صادَفَتْ عندَنا حَزْنا
وَفاتَتْ مياهَ النيلِ تطلُبُ قَفرَةً تُعيضُ الصَدَى عن ذلكَ المَوردِ الأَهنى
مُخدَرَةٌ لَمياءُ غَرْثَى الوِشاحِ لو رَأَى قَيسُ لُبْنى حُسنَها صَدَّ عن لُبْنى
لَقَدْ لَبِسَتْ ثوبَ البياضِ وَخَتَّمَتْ عَقيقًا بهِ عن طَرْفِ أَخلاقِها يكْنى
عقيلةُ قومٍ زَفَّها اليومَ عاقلٌ كريمٌ يَشُوقُ القلبَ والعينَ والأُذْنا

Digitized by Birzeit University Library

أتتني على بُعدِ المَزارِ تعودُني وقد علِمتْ أنّي لوَجْدِي بهِ مُضنى
كريمُ الثنا أثنى عليَّ بوَصفِهِ ومَن لي بأنْ أُثني عليهِ كما أثنى
انا الآلُ لكنْ لا أقولُ غَرَرتُهُ ولكنَّ عينَ الحُبِّ قد تخلُقُ الحُسنا
وَجَدنا بهِ الخِلَّ الوَفيَّ فلم تكن عن الغُولِ والعَنقاءِ أطماعُنا تُثنى
يَزيدُ على طولِ الزمانِ ودادُهُ فينمو نُموَّ الغَرْسِ في الرَوضةِ الغنّا
أديبٌ لبيبٌ شاعرٌ ناثرٌ لهُ جواهرُ أبياتُ القَريضِ بها تُبنى
لطائفُ معناهُ أرَقُّ منَ الصبا وأطربُ من صوتِ الهَزارِ إذا غنّى
أصابتْ يداهُ اليُمنَ واليُسرَ في الوَرى فأيمنتِ اليُسرى وأيسرتِ اليُمنى
هو العُمَريُّ الطاهرُ النَسبِ الذي تمتّعَ بالألطافِ مِنْ مَنِّ مَنْ منّا
ضَمِنتُ لهُ حِفظَ المَوَدَّةِ طائعاً وأودعتُ ذاكَ القلبَ في يدِهِ رَهنا

وقال مجيباً الشيخ ابرهيم الاحدب عن ابياتٍ
ارسلها اليهِ من طرابلس سنة ١٢٧١

لاحتْ فقلنا كوكبُ الصُبحِ بانْ قالتْ نَعَمْ لكنْ على غُصنِ بانْ
جميلةُ الطَلعةِ وَضّاحةٌ صارت بها السَبعُ الدراري ثمانْ
هَيفاءُ في وَجنتِها وَردةٌ يامَنْ رأى الوَردَ على الخَيزُرانْ
قد تَلِفَتْ في يَدِها مُهجتي عَمْدًا ولم يَثبُتْ عليها الضَمانْ
ما بينَ عينَيها وأكبادِنا داهيةٌ بِكرٌ وحَربٌ عَوانْ
اذا شَكَونا ما لَقينا بها نَقولُ قد قُدِّرَ هذا فكانْ

Digitized by Birzeit University Library

في خدّها نارُ المجوسِ التي ... قامَ لديها الخالُ كالمُوبَذانْ
او نارُ إبرٰهيمَ مشبوبةً ... في مُهَجِ الحُسّادِ ذاتِ الدُخانْ
هذا خليلُ اللهِ والناسِ في آلِ ... دينٍ وفي الدُنيا فنِعْمَ القِرانْ
أشَمُّ ماضي العزمِ ماضي اليدِ آلْ ... بيضاءِ ماضي الرأيِ ماضي اللسانْ
الشاعرُ الواري الزنادِ الذي ... تحكي قوافيهِ عقودَ الجُمانْ
يصدَعُ من أقلامِهِ عاملٌ ... للحقِّ فيهِ والهُدى تَرْجُمانْ
يستبِقُ المعنى الى قلبهِ ... واللفظُ كالفرسانِ يومَ الرِهانْ
في كلِّ فنٍّ من بلاغاتهِ ... يحلو بيانُ السحرِ سحرَ البيانْ
مُهذَّبُ الأخلاقِ ميمونُها ... رَيّانُ طَلْقُ الوجهِ طَلْقُ البَنانْ
ثناؤهُ لم يخلُ منهُ فمٌ ... وذِكرُهُ لم يخلُ منهُ مكانْ
رَقّت معانيهِ ودقّت كما ... رَقّت نُسيماتُ الصبا في الجِنانْ
يُنسي جريرًا نَظمُ أبياتهِ ... ونثرهُ يُنسي بديعَ الزمانْ
ربَّ القوافي المُطرباتِ التي ... سُكري بها لا بسُلافِ الدِنانْ
تُقيِّدُ القلبَ بأسبابِها ... اذا الْتقاها الطَرْفُ طَلْقَ العِنانْ
وربَّ حسناءِ المُحيّا انْجلَتْ ... مثلَ اللآلي في نُحورِ الحِسانْ
البَسَها ثوبَ سوادٍ بهِ ... تاهتْ فعافتْ حُلّةَ الأُرجوانْ
يا أُنسَ يومٍ قد أتتني ضُحًى ... أشهى من النيروزِ والمِهرجانْ
وهبتُها عيني وأذني فلم ... ترضَ لها إلاّ صميمَ الجَنانْ

يا خيرَ مَن صامَ وصلّى ومَن ... قامَ خطيباً وارتدى الطيلسانْ
اليكَ عذراءُ سعتْ نحوكمْ ... بقدمِ الصبِّ وقلبِ الجبانْ
خافتْ منَ الذنبِ بتقصيرها ... فأقبلتْ تطلبُ منك الأمانْ

وقال يجيب فتى من اصحابهِ عن ابياتٍ امتدحهُ بها

رأى قصبَ السباقِ بنو الزمانِ ... فجدّوا مثلَ أفراسِ الرهانِ
ولكن قلَّ سابقهم اليها ... كما قلّتْ صناديدُ الطعانِ
تناولَ رتبةَ الفضلاءِ بعضٌ ... براحتهِ وبعضٌ باللسانِ
ولو كانَ الكلامُ يقيمُ شأناً ... لكانتْ كلُّ نفسٍ ذاتَ شانِ
تفانى اليومَ اهلُ النقدِ حتى ... رأينا الزجَّ قدّامَ السنانِ
فهم لا ينظرونَ الى كلامٍ ... ولكن ينظرونَ الى فلانِ
رجالُ الدهرِ مثلَ الدهرِ تمضي ... ويخلفُ أوّلٌ منها بثانِ
فلا يخلو زمانٌ من رجالٍ ... ولا تفنى الرجالُ من الزمانِ
أصابَ الشعرُ نوبةَ آلِ عيسى ... فأعطاهمْ نصيباً في المعاني
لئنْ لمْ يشربوا بدنانِ رومٍ ... فقد يروي الظما رشحُ الدنانِ
وفي بيروتَ غصنٌ ليسَ يدعى ... بغصنِ البانِ بل غصنِ البيانِ
اذا أعطى النموَّ فعن قليلٍ ... نراهُ دوحةً تعطي المجاني
أتاني بالقريضِ فتىً شجاعٌ ... يزنّحُ معطفَ الشيخِ الجبانِ

Digitized by Birzeit University Library

تكلَّفَ لي مديحاً لستُ منهُ ... فكانَ كأنهُ خصمٌ هجاني

فتىً في الصدرِ منهُ فؤادُ كهلٍ ... وفي بُرْدَيهِ غصنُ الخيزُران

رأينا عندهُ خطَّ القوافي ... وخطَّ عذارِهِ يتسابقانِ

اذا الآدابُ لم تكُ بالسجايا ... فليستْ بالزمانِ ولا المكانِ

وان أعطى المؤدِّبُ فضلَ علمٍ ... فلا يُعطي الحذاقةَ في الجنانِ

ولا يُعطي الفخارَ أبٌ كريمٌ ... اذا طرحتْكَ نفسُكَ في الهوانِ

فكُنْ من رهطِ باهلةٍ أديباً ... ولا تكُ من بني عبدِ المدانِ

وقال يرثي صديقهُ المعلم مارون النقاش حين توفي في ترسيس سنة ١٨٥٥

مَنْ كانَ منكَ أميرًا أيُّها الرِمَمُ ... ومَن همُ الجُندُ والأتباعُ والخَدَمُ

ومَن هُوَ البَطَلُ الحامي الديارِ ومَن ... كانت لهُ الخُطَبُ الغرَّاءُ والحِكَمُ

اينَ الذي كانتِ الدُنيا تَضجُّ بهِ ... رُعباً وكان عليهِ الجيشُ يزدحِمُ

مَن كانَ يهزِمُ أبطالَ الرجالِ تَرَى ... هل كانَ من وَجهِ ذاكَ الدودِ ينهزِمُ

الكُلُّ صاروا تُراباً لا قِوامَ لهُ ... يَدوسُهُ في الطريقِ الخُفُّ والقدَمُ

قد استوَى العبدُ والمولَى على نَسَقٍ ... وضاعَ بين التُرابِ السيفُ والقلَمُ

بِئسَ الحَياةُ التي موجودُها عدَمٌ ... يالَيتَ لا كانَ موجودٌ ولا عدَمُ

حُلمٌ رآهُ الفتَى في طَيِّ رَقدتهِ ... لَيلاً فأصبحَ لا نومٌ ولا حُلُمُ

كم غرَّتِ الناسَ واستهوَتْ أفاضلَهُم ... فتاهَ في قَفرِها العلاَّمةُ العلَمُ

Digitized by Birzeit University Library

زاغت عن الرُشدِ فيها كلُّ باصرةٍ واستهلكت في هواها العُربُ والعجمُ
لا أوحشَ اللهُ داراً من أحبتنا كانت معاهدُها بالأُنس تبتسمُ
بلى قد استوحشتْ منهم ونحن على آثارهم نُؤنسُ الأجداثَ حيثُ هُمُ
هيهاتِ ما للمنايا هُدنةٌ أبداً كلاَّ ولا عندهُنَّ الأشهرُ الحُرُمُ
هُنَّ الأبيّاتُ لا يطمعنَ في سلَبٍ فما لهُنَّ سوى الأرواح مُغتنمُ
ويلاهُ قد هُدِمَت أركانُنا عَبَثاً وهل على الأرضِ رُكنٌ ليس ينهدِمُ
نرجو من الدهرِ أنْ يرعى لنا ذِمماً يا ويحنا ومتى كانت لهُ ذِممُ
ماتَ الحبيبُ الذي ماتَ السرورُ بهِ منَ القُلوبِ وعاشَ الحزنُ والضرَمُ
من بعدهِ صار صوتُ النوحِ يُطربُنا وجداً وتزعجُنا الأوتارُ والنغمُ
مضى وفي كلِّ قلبٍ بعدهُ كمدٌ يبقى وفي كل جسمٍ بعدهُ سقمُ
كأنهُ من قُلوبِ الناسِ مُقتطَعٌ فكلُّ قلبٍ بهِ من فقدهِ ألمُ
لم تخلُ من صوبِ دمعٍ بعد مصرعهِ عينٌ ولم يخلُ من ذِكراهُ قطُّ فمُ
ولم نجدْ قبلهُ من أُمةٍ رجلاً بكتْ عليهِ شعوبُ الناسِ والأُممُ
قد كُنتُ أشكو بعادَ الدارِ من قِدمٍ فهذا اليومَ ذاكَ البُعدُ والقدمُ
وكانت الدارُ ترجو أن تراهُ غداً كالأمسِ فاغتصبتها شخصهُ الرجمُ
يا من قضى نحبهُ في دار غُربتهِ أنتَ الغريبُ اذا ما عُدتَ الشيمُ
ما أنصفتكَ جفوني وهيَ باكيةٌ دمعاً فمثلُكَ من يُبكى عليهِ دمُ
أيُّ الفضائلِ ليست فيكَ كاملةً وأيُّ عيبٍ نراهُ فيكَ يتهمُ

Digitized by Birzeit University Library

فيك التُقى والنقا والعلمُ مجتمعٌ والحلمُ والحَزْمُ والإحسانُ والكَرَمُ
نَرثيكَ بالشعرِ يانقّاشَ بُردتِهِ والشعرُ يَرثيكَ حتى تَنفَدَ الكَلِمُ
تبكي عليك القوافي والمحابرُ وآل أقلامُ والصُحفُ والآراءُ والهِمَمُ
وكلُّ دِيوانِ شعرٍ كُنتَ تَنظِمُهُ وكلُّ دِيوانِ قومٍ فيكَ يَنتظِمُ
وكلُّ طالبِ علمٍ فاتَهُ مَدَدٌ وكلُّ طالبِ رِفدٍ فاتَهُ نِعَمُ
حَقٌّ علينا رِثاءٌ فيكَ نُنشِدُهُ لكن أَحبُّ الى أَسماعِنا الصَمَمُ
أَكادُ من فَرْطِ لَهفي حينَ أَكتبُهُ أَمحو المِدادَ بدمعي وَهوَ يَنسَجِمُ
قُصِفتَ ياغُصنَ بانٍ في الصِبى أَسفاً لَمّا اُثنَيتَ وقد مالَت بكَ النَسَمُ
كُنّا نُرَجّي ثِمارًا منكَ يانعةً فسابَقَتْنا المنايا وَهيَ تَقتَحِمُ
وَيحي تُرى هل لنا في الأَرضِ مُجتَمَعٌ وهل تُرَى شَمْلُنا في الدهرِ يلتئِمُ
وهل نَرَى ذلكَ الوَجهَ الذي نَسَخَت أَنوارَهُ تحتَ أَطباقِ البِلى الظُلَمُ
ان كُنتَ قد سِرتَ عن دارِ الفَناءِ فقد نِلتَ البقا حيثُ لا شَيبٌ ولا هَرَمُ
ان السعيدَ الذي كانت عَواقِبُهُ بالخيرِ في طاعةِ الرحمٰنِ تُختَتَمُ

وقال ايضاً يرثيه

لا تَجزَعي يانفسِ من حكمِ الرَدى إِن كانَ ما لا بُدَّ منهُ ولا فِدَى
لا خيرَ في هٰذي الحياةِ فإِنَّها تَزدادُ سُوءًا كُلَّما طالَ المَدَى
سُحقًا لها من سَكرةٍ لا تَنجلي إِلاَّ وحادي البينِ فينا قد حَدا

Digitized by Birzeit University Library

حُلمٌ يُسَرُّ بِهِ الفَتَى في نومِهِ جهلاً ويَضحَكُ حينَ يَذكُرُهُ غدا
هيهاتِ ليسَ مُهذَّبٌ بينَ الوَرَى زاغَ الحكيمُ ومَنْ بحِكمتِهِ اقتدَى
لا يَصرِفُ الإنسانُ قيمةَ دِرهَمٍ عبثًا ويَصرِفُ عُمرَهُ الغالي سُدَى
نَسعَى لنمتلكَ الحُطامَ لغيرِنا من قومنا ولقد يكونُ منَ العِدَى
ومنَ العجائبِ أن يقومَ خطيبُنا يَهدي العبادَ بحيثُ ضلَّ فما اهتدَى
قد شابتِ الدُنيا وشابَ زمانُها معَها وظلَّ الموتُ فيها أمرَدا
سيفٌ على طولِ المَدَى يفري ولا ينبُو ولا يَشكو الفُلولَ ولا الصدا
والعيشُ بعدَ الموتِ في دارِ البقا لا قبلَهُ فالموتُ يُحسَبُ مَولِدا
والموتُ يختارُ النفيسَ لنفسِهِ منَّا كما نختارُ نحنُ فما اعتدَى
قد نالَ منَّا دُرَّةً مكنونةً كانت لبهجتِها الدراري حُسَّدَا
كَنْزٌ ذَخَرناهُ لنا فاغتالَهُ لِصُّ المنيةِ خاطفًا متمرِّدا
هذا شقيقُ الرُوحِ فارقَ في الحَشَا بيتًا لهُ قد صارَ شطرًا مُفرَدا
ليلي لوَحشتِهِ طويلٌ أسودٌ ولو استطعتُ جعلتُ صُبحي أسودا
أسفي على النقّاشِ نُخبةِ عصرِهِ في كلِّ فنٍّ مُطلقًا ومُقيَّدا
أسفي على غُصنِ النقا أسفي على بدرِ الدُجى أسفي على بحرِ الندَى
نُوحي عليهِ يا حَماماتِ اللوَى معنَا وسكِّتنَ الهزارَ اذا شدَا
وابكِي عليهِ يا غَماماتِ الضُحَى عنَّا فإنَّ الدمعَ منَّا استُنفِدا
نوحي عليهِ أيُّها الدارُ التي كانت ببهجتِهِ تنادي معبَدا

Digitized by Birzeit University Library

نُوحي عليهِ ايها الكُتُبُ التي كانت أَعزَّ جليسهِ حيثُ أُنتدَى
تَسقي بيروتَ المَدامعُ دارَهُ وثَراهُ في ترْسيسَ يَسقيهِ النَدَى
خافت عليهِ أَن يُبارِحَ وَجْهَها فتبطَّنتْهُ بقلبها مُتوطِّدا
يا أَيُّها الذَهَبُ المُصفَّى جوهرًا مالي رأَيتُكَ في الثرَى مُترمِّدا
يا أَيُّها الحَجَرُ الكريمُ المُصطفَى مالي رأَيتُكَ صِرتَ عظماً أَجرَدا
يا أَيُّها السيفُ الصقيلُ المُنتضَى مالي رأَيتُكَ في تُرابٍ مُغمَدا
أَرثيكَ ثُمَّ أَراكَ تطلُبُ فوقَ ما أَرثي فأَغترِمُ الرثاءَ مجدَّدا
منا السَلامُ عليك لكن ياتُرَى هل مَن يُبلِّغُكَ السَلامَ مُرَدَّدا
هل تَسمَعُ الداعي اليك مُلبِّياً أَم يستجيبُ صُراخَهُ رَجْعُ الصَدَى
نبكي عليك ولو رأَيتَ بُكاءَنا لَبَكيتَ انتَ لأَجلنا مُتنهِّدا
لم تترُكِ الأَحزانُ قلباً سالماً منا فكيفَ نُطيقُ أَن نتجلَّدا
مارونُ خُذْ بيدِي فإِني ساقطٌ ان كانَ أَبقَى الدهرُ منك لَنا يدا
ما كانَ ضَرَّكَ لو سمحتَ بنَظْرةٍ قبلَ الفِراقِ بها اكونُ مُزوَّدا
هَلاَّ بعثتَ مُبرِّدًا أَشواقَنا برِسالةٍ نُرْوِي برُؤْيتها الصَدَى
مالي رأَيتُكَ لا تقومُ بموعِدٍ ولقد عهِدتُكَ ليس تُخلِفُ موعِدا
قد كُنتُ أَنتظِرُ المُبشِّرَ باللقا فإِذا بناعيك المُبكِّرِ قد غدا
يا وَيحَ قلبي هل تعُودُ الى الحِمَى هيهاتِ ليس العَودُ عندكَ أَحمَدا
مَن كان يبغي أَن يراكَ فقُلْ لهُ مَهلاً فانك في الطَريقِ على هُدَى

Digitized by Birzeit University Library

ان كُنْتَ عِفْتَ اليومَ جيرتَنا فقد جاورتَ رَبَّكَ في عُلاهُ سَرْمَدا
او غِبتَ عن نظَرٍ فقد خَلَّفتَ بالْ تأريخِ ذِكرًا في القلوبِ مُخلَّدا

سنة ١٨٥٥

وقال في جواب تقريظٍ بعث بهِ اليهِ السيد عبد الله افندي مصيب من بغداد

شَوقٌ يَهيجُ وقلبٌ طالما خفَقا ومُقلةٌ في الدُجى عَلَّمتُها الأَرَقا
ومُهجةٌ في الهَوَى العُذريّ ذائبةٌ اذا جرَى الدمعُ زادتْ نارُها حرَقا
مَن مُنصفي يا لَقومي في المحبَّةِ من ظَبيٍ أَنا عبدُهُ وَهوَ الذي أَبقا
لَمَّا تَوارَى مُحيَّاهُ بَكَيتُ دمًا كالشمس غابتْ فأَبقتْ بعدَها شفَقا
مُهفهفُ القدِّ لَدْنُ العطفِ معتدلٌ كالغُصنِ قد حمَلَ الدِباجَ لا الوَرَقا
خطَّتْ يَدُ الحُسنِ في مَصقولِ جبهتِهِ سطرًا مُلخَّصُهُ سُبحانَ مَنْ خلَقا
جرَحتُ خدَّيهِ بالألحاظِ عن خطإٍ فاقتصَّ من كَبِدي ظُلمًا وما رَفقا
وطالَما سَرقَتْ عَيناي نَظرَتَهُ فقالَ لا بُدَّ لي من قطعِ مَنْ سرَقا
لَمَّا رأَى سِحرَ عَينَيهِ العذارُ طَوَى كَشحًا وخطَّ لهُ في عارضَيهِ رُقَى
تلكَ الأَساطيرُ شاقَتني محاسنُها حتى رَأَيتُ سُطورًا تبهرُ الحدَقا
قلائدٌ خلتُها حبرًا على وَرَقٍ فكانتِ الدرَّ لا حبرًا ولا وَرَقا
منظومةٌ بيدٍ كالبحرِ زاخرةٍ مَن خاضَ لُجَّتَها لا يأمَنُ الغرَقا
نفسي الفِداءُ لعبدِ اللهِ من رَجُلٍ كالغيثِ مُندفِقًا والصبحِ منبثِقا

Digitized by Birzeit University Library

أَصَحُّ مَن خَطَّ قِرطاسًا وأَبلَغُ مَن ... أَملَى وأَفصَحُ مَنْ بالضادِ قد نَطَقا
هُوَ المُصيبُ الذي لم يُخطِ مَنطِقُهُ ... الاَّ بمَدحٍ أَتاني منهُ مُختَلَقا
لَئِنْ تَسَربلتُ من عُجْبي بهِ حُلَلاً ... فقد تَعلَّمتُ من أَلطافهِ خُلُقا
سَقَى الحَيا أَرضَ زَوراءِ العِراقِ كما ... سَقَت رُبَى الشامِ منها وابلاً غَدَقا
عَلِمتُ أَنَّ الصِبا من نَحوِها خَطَرَت ... لَمَّا رَأَيتُ شَذا أَنفاسِها عَبِقا
شَوقي الى رَبعِها الميمونِ طائرُهُ ... شوقُ العَليلِ الى ما يُمسِكُ الرَمَقا
رَبعٌ هوَ الفَلَكُ الأَعلَى فقد طَلَعَت ... فيهِ النُجومُ اللَواتي تَصدَعُ الغَسَقا
يا حَبَّذا نَهلَةٌ تُروي الحُشاشَةَ من ... نَهرِ السَلامِ الذي قَلبي بهِ عَلِقا
ان لم أَنَل جُرعَةً منهُ فوا ظَمَأي ... ولو سَقاني هَتونُ الغَيثِ مُندَفِقا

وقال يرثي البطريرك مكسيموس مظلوم حين وفاتهِ بالاسكندرية

نادَى مُنادي البينِ حَيَّ على السُرَى ... فتَنَبَّهوا يا غافلين منَ الكَرَى
سَفَرٌ طويلٌ شاسعٌ فتَزَوَّدوا ... زاداً يُبلِّغُكم الى وادي القُرَى
هذا هُوَ الحَقُّ اليَقينُ فما لكم ... تَلهُونَ عنهُ كالحديثِ المُفتَرَى
كم تَرقُدونَ وعينُهُ سَهرانةٌ ... ولَكَمْ تَراكم مُقلتاهُ ولا يُرَى
يَخشَى الفتَى من حيثُ يَدري نَكبةً ... وتُصيبُهُ من حيثُ لم يكُ قد دَرَى
يَبغي الفِرارَ من المَنيَّةِ جاهداً ... والى المَنيَّةِ كلَّ يومٍ قد جَرَى
قُلْ للذي رامَ الفَخارَ بنفسِهِ ... أَنتَ الثَرَى ومنَ الثَرَى والى الثَرَى

Digitized by Birzeit University Library

مَن يَفتَخِرْ فبصالحِ العَمَلِ الذي ... كُنَّا نَعُدُّ لهُ الرئيسَ الأَكبَرا

السَّيِّدُ الحبرُ المُعظَّمُ شأنُهُ ... ومَكانُهُ المرفوعُ في أَعلَى الذُرَى

العالِمُ العَلَمُ الإِناءُ المُصطَفَى ... والكاشفُ الخَطبَ الشديدَ اذا اعتَرَى

ذاكَ المُكلَّلُ تاجُ قَيصَرَ رأسَهُ ... شَرَفاً وليسَ عليهِ دَولةُ قَيصَرا

ذاكَ الذي بيمينهِ قامَتْ عَصا ... مُوسَى التي منها الجَمادُ تَفجَّرا

ذاكَ الذي شَقَّ القُلوبَ فكادَ أَنْ ... يُجري منَ الأَجفانِ بحراً أَحمَرا

ذاكَ الذي أَبكى هياكلَ بيعةٍ ... قد كانَ يُضحِكُها وأَبكى المِنبَرا

ذو الهِمَّةِ العُليا التي أَضحَى بها ... فَرداً يقودُ الى النوائبِ عسكرا

وخليفةُ الرُسُلِ الذي هيهاتِ أَن ... يُؤتَى لهُ بخليفةٍ بينَ الوَرَى

المُهتَدِي الهادي الامينُ لشَعبِهِ ... كالماءِ يَجري طاهِراً ومُطَهِّرَا

ذو الغَيرةِ العُظمَى التي أَنقَدتَ بهِ ... مثلَ اللظَى بينَ الهَشيمِ تَسعَّرا

دَقَّت مَعانيهِ ورَقَّ نسيمُها ... وسَمَت على أَوهامِنا أَنْ تُحصَرا

فاذا طَلَبناها فقد رُمنا السُهَى ... واذا ذَكَرناها فَتَقْنا العَنبَرا

رُكنٌ هَوَى بديارِ مِصرَ فأَوشَكَتْ ... منهُ رُبى لُبنانَ أَن تَتفطَّرا

ضَجَّت بهِ الإِسكَندريَّةُ هَيبةً ... فكأَنَّ أُفوقَ سريرِهِ الإِسكَندَرا

يا أَيُّها الطَورُ الذي عَشِيَتْ بهِ ... أَيدي المَنونِ فمالَ محلولَ العُرَى

غَدَرَت بكَ الأَيَّامُ مظلوماً كما ... تُدعَى فأَلقَتْ في التُرابِ الجوهرا

يجري القَضاءُ بما أَرادَ ولم يكن ... مِمَّنْ يُراعِي ما نُريدُ اذا جرى

Digitized by Birzeit University Library

كأسٌ اذا فاتَ النديمَ مُقدَّماً ذَكَرَ العُهودَ فلم يَفُتْهُ مُؤخَّرا
هذا فِراقُ الدهرِ لا نُحصي لهُ عددَ السنينَ ولا نَعُدُّ الأَشهُرا
من أَجلِهِ خُلِقَ الزمانُ وأَهلُهُ وكِلاهُما يَمضي عليهِ كما تَرى

وقال يهنيء الخواجا سليم بسترس بعودتهِ من سفر وسلامتهِ من مرض

غُضِّي جُفونَكِ يا عُيونَ النَرْجِسِ إِنَّ المَلاحةَ للعُيونِ النُعَّسِ
لا تَنظُري وَجهَ الحبيبِ فطالما فَتَنَ العُيونَ مُنكِّساً للأَرؤُسِ
إِنْ كان هذا الوَردُ يحكي خدَّهُ فلِمَ اُستَظَلَّ بكِمّهِ في المَجلِسِ
واذا اُدَّعَتْ سُمرُ الرِماحِ قَوامَهُ صَدَقَتْ ولكن أَينَ لينُ المَلمَسِ
رَشَأٌ تجلَّى في رفيعِ أَطلسٍ كالبدرِ يَطلُعُ في الرَقيعِ الأَطلَسِ
حَسَدَتْ مَراشِفَهُ السُلافةُ واستحى من حُسنِ بَهجَتِهِ طِرازُ السُندُسِ
نَسَجَ العِذارُ على صفائحِ خدِّهِ زَرَدًا يَقيهِ نواظرَ المُتفرِّسِ
وذَكا اللهيبُ بهِ فقال لثَغرِهِ لا يَطمَعِ الظامي ببَرْدِ الأَكؤُسِ
يا مَن أَرَتْني وَجنتاهُ صَحيفةً كانت عليَّ صحيفةَ المُتلَمِّسِ
أَنكرتُ صَدًّا من حبيبٍ مُوحِشٍ فأَصبْتُ رَدًّا من حبيبٍ مُؤنِسِ
عادَ الحبيبُ الى الديارِ عَشيَّةً تَرَكَ الحِجارةَ كالجواري الكُنَّسِ
أَلقَى عليها فضلَ بَهجَتِهِ كما تَغشَى الجليسَ بفَضلِ ذَيلِ البُرنُسِ
فَرعٌ كريمٌ يُستطابُ وانما طيبُ الفُروعِ بحَسْبِ طيبِ المَغرَسِ

Digitized by Birzeit University Library

يزهو القريضُ بهِ ويحلو نظمُهُ فيروحُ بين مُشطَّرٍ ومُخمَّسِ
شُغِفَت بهِ العللُ التي قد شاهدت شَغَفَ القلوبِ بهِ وحُبَّ الأنفسِ
لو كانَ يَستَشفي العليلُ بنفسهِ أغناهُ لُطفُ صفاتهِ عن رُوفُسِ
هذا ابنُ موسى الخالدِ الذكرِ الذي في كل سفرٍ ذكرُهُ لم يُطمَسِ
اثرٌ تيمَّنا بهِ من بعدهِ كالبعض من آثار بيتِ المقدسِ
يا أيُّها الرَجلُ السليمُ فؤادُهُ أنتَ السليمُ فلم تزَلْ في محرَسِ
لا زلتَ معجزةً لكلِّ كريهةٍ مثلَ الكلام على لسانِ الأخرسِ

وقال يهنئهُ ببناء دارٍ لهُ

كثيبٌ فوقهُ غُصنٌ رطيبُ وبُرجٌ فيهِ بدرٌ لا يَغيبُ
يَرُدُّ ضياؤهُ الأبصارَ عنهُ فليسَ يخافُ من عينٍ تصيبُ
على أركانهِ نصرٌ عزيزٌ وفي أبوابهِ فتحٌ قريبُ
ومن وَجهِ الإلهِ لهُ كفيلٌ ومن عين السعودِ لهُ رقيبُ
تُناظرُهُ الثريَّا وهيَ تجري دُجًى فتكادُ من حسدٍ تذوبُ
وتلقاهُ الصبا سَحَرًا فتمضي ومنهُ فكاهةٌ فيها وطيبُ
اذا ضاقت جوانبهُ بوفدٍ توسَّعَ صدرُ صاحبهِ الرحيبُ
تُرافقُها الصبابةُ من حماهُ ولكن لا تُرافقُها القلوبُ
سليمُ القلب ممدوحُ السجايا لهُ من اسمهِ السامي نصيبُ

تجمعتِ المحاسنُ فيهِ جمعاً ... صحيحاً وانتفتْ عنهُ العيوبُ
وفيُّ العهد ذو قولٍ كفعلٍ ... فلا مذقُ اللسانِ ولا كذوبُ
اذا حلمتْ لهُ عينٌ بوعدٍ ... وفاهُ قبلَ أنْ يأتي الغروبُ
صفالكَ يا ابنَ موسى إرثُ موسى ... فانكَ بعدهُ الخلفُ النجيبُ
لديكَ المنُّ والسلوى جميعاً ... وهذا الطورُ عندكَ واللهيبُ

وقال يرثي الشيخ محمد الحوت المتوفى سنة ١٢٧٦

قفْ فوقَ رابيةٍ تجاهَ المسجدِ ... وقلِ السلامُ على ضريحِ محمدِ
واتلُ الفواتحَ فوقَ تربتهِ التي ... حفَّتْ بأملاكٍ تروحُ وتغتدي
هذا صفيُّ اللهِ خيرُ عبادهِ ... وأبرُّ كلِّ موحدٍ متعبدِ
ما زالَ يسعى كلَّ يومٍ باحثاً ... في يومهِ عمَّا يحاسبُ في غدِ
علمٌ من الأقطابِ أصبحَ مفرداً ... في العالمينَ بفضلهِ المتعددِ
قد صحَّ وضعُ الحوتِ في لقبٍ لهُ ... اذ خاضَ في بحرِ العلومِ المزبدِ
صافي السريرةِ مخلصٌ لله في ... عملٍ سليمُ القلبِ عذبُ المورِدِ
متواضعٌ فوقَ الكرامةِ كلَّما ... قامتْ علاهُ يقولُ للنفسِ اقعدي
لم تغوهِ الدنيا فكانَ نصيبهُ ... نصبَ العبادةِ لا نصابَ العسجدِ
حزنَ القريبُ عليهِ ملتاعاً كما ... حزنَ البعيدُ على الحديثِ المسندِ
لم تبقَ عينٌ في البلادِ عليهِ لم ... تدمعْ ولا شفةٌ لهُ لم تحمدِ
بيروتُ نوحي في الأصائلِ والضحى ... حزناً عليهِ ولا أقولُ تجلدي

Digitized by Birzeit University Library

قد غاب عنك وفيكَ بدرٌ مُشرقٌ ... بدرُ التمامِ إذا بدا كالفرقدِ
بدرٌ يدورُ على العيونِ فتنجلي ... أبصارُها وعلى القلوبِ فتهتدي
ما عيبَ قطُّ بريبةٍ اذ لم يزَلْ ... طولَ الحياةِ لنفسهِ بالمرصدِ
يُشكى اليهِ ليسَ منهُ فانهُ ... عن كل سوءٍ كانَ مكفوفَ اليدِ
يا أيُّها الميتُ الذي يبقى لهُ ... في ارضنا ذِكرٌ ليومِ الموعدِ
قد متَّ في الدُنيا كأنَّكَ لم تمُتْ ... والبعضُ ماتَ كأنَّهُ لم يُولَدِ

وقال يرثي صديقاً لهُ

أرثي وياليتَ شعري مَنْ سيَرْثيني ... قد حانَ ذلكَ ام يبقى الى حينِ
كُلٌّ أسيرُ المَنايا لا فِداءَ لهُ ... فيُحسَبُ الحيُّ ميتاً غيرَ مدفونِ
قُلْ للذي تاهَ في دُنياهُ مُفتخراً ... ضاعَ افتخارُكَ بينَ الماءِ والطينِ
اذا تفقَّدتَ في الأجداثِ معتبراً ... هُناكَ تنظُرُ تيجانَ السلاطينِ
ويلاهُ من هذهِ الدُنيا وزهرتِها ... فتلكَ أضعفُ من زهرِ البساتينِ
نُمسي ونُصبحُ في الدُنيا على خطرٍ ... فليسَ يومٌ ولا ليلٌ بمأمونِ
قد مَلَّ قلبي حياةً لا جمالَ لها ... الاَّ مشوباً بتشويهٍ وتهجينِ
قلبٌ أرى في ديارِ الشامِ منزلهُ ... وصبرهُ في ديارِ الهندِ والصينِ
في كلِّ يومٍ بلاءٌ غيرُ محتسَبٍ ... ولوعةٌ بفراقٍ غيرِ مظنونِ
لم يتركِ الدهرُ عيناً من أحبَّتنا ... لكنَّهُ تركَ الآثارَ تُشجيني

Digitized by Birzeit University Library

لَهفي على ذلكَ البدرِ الذي كَسَفَت جَمالَهُ الأَرضُ لو يبقى كعُرْجُونِ
من بعدِهِ أَظلَمَتْ أَبصارُنا فرأَتْ نَهارَ أَيلُولَ فيها ليلَ كانونِ
ويلاهُ كم في صُروفِ الدهرِ من عَجَبٍ وأَنتَ في البحثِ عنها غيرُ مأْذونِ
يُعطِي ويمنَعُ لا حمدَ الكريمِ ولا عُذْرَ البخيلِ ولا حفظَ القوانينِ
كم سادَ في الدينِ والدُنيا بجوزتِهِ مَن ليسَ يصلُحُ للدُنيا ولا الدينِ
ومات من تشتهي الدُنيا سلامتَهُ وعاشَ من موتُهُ أَشْهَى الرياحينِ
هذا قضاءُ الذي في عرشِ قُدْرَتِهِ يُصرِّفُ الامرَ بينَ الكافِ والنونِ
فاصبِرْ وإِن شِئتَ فاجزَعْ إِن قدَرْتَ على دفعِ البلاءِ وتعديلِ الموازينِ

وقال يمدح الامير امين رسلان الوالي في جبل لبنان

لِمَنِ الهوادجُ في عَرَاءِ الهَوْجَلِ تحتَ القِبابِ تَشُقُّ ذَيلَ القَسطَلِ
يَتتبَّعُ الآثارَ قلبي خلفَها فلوِ اثنَيْنَ وطِئنَهُ بالأَرجُلِ
ابراجُ أَقمارٍ تغيبُ نهارَها فيها وتطلُعُ في الظلامِ المُقبِلِ
حمَّلْنَني ما لو تحمَّلَ بعضَهُ حِمْرُ النِياقِ لَما نَهَضْنَ بمَحمِلِ
لي ذاتُ خِدرٍ بينَهُنَّ أَنا لها وأَوَدُّ لو رَضِيَتْ فقالَتْ أَنتَ لي
قامَتْ تَصُولُ منَ الرِماحِ بأَبيَضٍ ومنَ السُيوفِ بأَسوَدٍ لم يُصقَلِ
ولقد أَقُولُ لمَنْ أَقامَ بمَرْصَدٍ ما كانَ ضَرَّكَ لو أَقمتَ بمَعْزِلِ
أَقصِرْ عَناكَ وحيثُ حلَّتْ نعمةُ ال رُوحِ الأَمينِ على مُحمَّدَ فانزِلِ

Digitized by Birzeit University Library

زُرْ ذلكَ الرَبْعَ الخصيبَ وقِفْ بهِ ... يوماً وُقوفَ الآملِ المُتأمِّلِ

يومٌ يَحِقُّ لهُ التذكُّرُ بعدَ ما ... طالَ المَدَى لا يومُ دارةِ جُلْجُلِ

هذا ابنُ رِسلانَ التنوخيُّ الذي ... هُوَ في السَراةِ منَ الطِرازِ الأوَّلِ

هذا الذي تُروَى مآثرُهُ كما ... يُروَى الحديثُ عنِ النبيِّ المُرسَلِ

مولىً يَظَلُّ السعدُ يخدُمُ بابَهُ ... ويَسيرُ حولَ رِكابهِ في الجَحفَلِ

غَلَبَ الطوالعَ نجمُهُ فتضاءلت ... كالشمسِ تُزري بالسِماكِ الأعزَلِ

فاذا مَشَى تمشي المواكبُ خَلفَهُ ... واذا استقرَّ يَحُلُّ صدرَ المَحفِلِ

واذا تكلَّمَ يُنصِتونَ كأنهُ ... يدعو بآياتِ الكِتابِ المُنزَلِ

متوقِّدُ الأفكارِ لو برزَتْ لنا ... أغنَتْ عنِ المِصباحِ بالصُبحِ الجَلي

يرمي صُروفَ الحادثاتِ بأسهُمٍ ... منْ لحظِهِ فيُصيبُ عينَ المَقتَلِ

ما زالَ يفعَلُ ما يقولُ وإنَّني ... في المدحِ لستُ أقولُ ما لم يفعَلِ

ما زلتُ كالراوي الأمينِ وربَّما ... غَلَبَ الهُيامُ فكنتُ كالمُتغزِّلِ

بمُحمَّدٍ وأبي مُحمَّدَ أشرقَتْ ... دارُ الإمارةِ كالثُريَّا تنجلي

فرعٌ نشا من خيرِ أصلٍ طاهرٍ ... والشهدُ لا يأتي بمآءِ الحنظَلِ

قابلتُهُ فاذا غُلامٌ أمردٌ ... وخبرتُهُ فاذا بشيخٍ أكمَلِ

يَروي حديثَ الأوَّلينَ كأنهُ ... من عهدِ طَسمٍ شاهدٌ لم يَغفُلِ

أبصرتُ من ألطافهِ ما لم يَسَعْ ... لفظُ الرُواةِ فكانَ ما لم يُنقَلِ

ورأيتُ سرَّ ابيهِ فيهِ مُصوَّرًا ... كالشخصِ يبدو من ورآءِ سَجنجَلِ

Digitized by Birzeit University Library

ان لم تُصبْ قدمي الحُلولَ بدارِهِ فالقلبُ فيها نازلٌ لم يرحلِ
هيَ أفضلُ الأوطانِ عندي رُتبةً ولذاكَ قد خصَّصتُها بالأفضلِ
دارٌ بها نيلُ الفوائدِ والمُنى ولها العوائدُ في الجميلِ الأجملِ
لا غيَّرَ الرحمٰنُ عادتَهُ على مَن لم يُغيِّرْ عادةً لمؤمِّلِ

وقال في رسالةٍ كتب بها الى ابرهيم بك كرامة في القسطنطينية

أعرفتَ رسمَ الدارِ ام لم تعرفِ بينَ العقيقِ وبينَ دارةِ رَفْرَفِ
دارٌ عهدناها مراتعَ للظبا فغدتْ مسارحَ للضواري الخُطَّفِ
خطَّتْ صفائحَها الرياحُ فنقَّطَتْ أيدي السحائبِ غفْلَ تلكَ الأحرُفِ
فترَى الرُسومَ تلُوحُ حولَ خُطوطِها مثلَ الجداولِ حولَ خطِّ المُصحفِ
ولقد وَقفتُ على المنازلِ وَقفةً نصبَتْ لعيني هَولَ يومِ الموقفِ
ناديتُها كالمستجيرِ وانما ماذا يُفيدُ نداءُ قاعٍ صفصفِ
يا أيُّها الرَكبُ الذينَ تحمَّلوا هل كانَ يثقلُكم فؤادُ المُدنفِ
تبِعَ الركابَ فما استطاعَ لحاقَها وبغَى الرُجوعَ فلم يجدْ من مَصرِفِ
خلَتِ الديارُ فلا كرامةَ عندَها تُرجَى ولا ابنُ كرامةٍ للمُغتفي
هيهاتِ إنَّ ابنَ الكرامةِ حلَّ في دارِ الخلافةِ بالمقامِ الأشرفِ
سبحانَ ذي العرشِ المجيدِ فقد بدَتْ في شخصِ إبرهيمَ صورةُ يوسُفِ
أصلَى بنارِ فراقِهِ قلبي ولا بَرْدٌ هُناكَ ولا سلامَ فتنطفي

Digitized by Birzeit University Library

ذاكَ الكريمُ ابنُ الكِرامِ ومَنْ لهُ ال ... ذِكرُ الشهيرُ ومَنْ لهُ اللُطفُ الخَفي
وَرِثَ الكَرامةَ عن أَبيهِ وجدِّهِ ... لكنَّهُ بتليدِها لا يكتفي
شَهِدَت لهُ الأَتراكُ بالفضلِ الذي ... شَهِدَت بهِ الأَعرابُ دُونَ تكلُّفِ
قد نالَ ما هوَ أَهلُ ما هوَ فوقَهُ ... فانظُرْ لأَيِّهما الهَنآءُ وأَنصِفِ
سِمَةٌ تليقُ بهِ فنِعمَ المُصطفَى ... مَنَّ الكريمُ بها فنِعمَ المُصطفِي
يا راحلاً لو تستطيعُ دِيارُهُ ... رَحلَت اليهِ بحيثُ لم تتوقَّفِ
إن كُنتَ أَنتَ صَرَفتَ وَجهَكَ نائياً ... عنّا فذِكرُكَ عندَنا لم يُصرَفِ
منّي اليكَ رِسالةٌ في طَيِّها ... شَوقُ الشَجِي وتَحيَّةُ الخِلِّ الوَفي
أَشحَنتُها كالفُلكِ في فُلكٍ على ... بحرٍ الى بحرٍ لذيذِ المَرشَفِ
عَلِمتُ بأَنَّ القلبَ نجوَكَ قدمَضَى ... فسعَتْ على آثارِهِ كالمُقتَفِي

وقال يرثي بعض الفضلاء وكان قد تُوُفي بالداء الاصفر كتب بها الى رئيس قومهِ

يا راحلينَ الى الديارِ الباقيَهْ ... لا تعمُرُوا دارَ الخَرابِ الفانيَهْ
تلكَ الديارُ هي المُقامُ وانما ... هذي الديارُ مَراحلٌ في الباديَهْ
وَيحي متَى تُصحُونَ من سُكرٍ بلا ... خمرٍ ومن نومٍ بعينٍ ساهيَهْ
ان كانَ غرَّكُمُ الغُرورُ بأَمرِكم ... فتذَكَّروا امرَ القُرونِ الخاليَهْ
يا سائرًا والموتُ ملءُ طَرِيقِهِ ... إحذَرْ فأَنتَ على شَفِيرِ الهاويَهْ
واعلَمْ بأَنَّكَ ليس تخطو خَطْوَةً ... مأْمونةً من أَنْ تكُونَ القاضيَهْ

Digitized by Birzeit University Library

يلهو الجهولُ عنِ المنيَّةِ زاعماً ... أنَّ المنيَّةَ عنهُ أمستْ لاهيهْ
الناسُ أمثالُ الفرائسِ حولَها ... رُسُلُ المنيَّةِ كالذئابِ الضاريهْ
يتجنَّبُ المرءُ البلاءَ وطالما ... فاتتهُ داهيةٌ فصادفَ داهيهْ
واذا تعافى مُدنفٌ من علَّةٍ ... فعليهِ أُخرى ليسَ منها عافيهْ
أشكو مصابكَ يا شكورًا لم تكنْ ... يوماً لهُ في الدهرِ نفسٌ شاكيهْ
يا طائعاً أمرَ الالهِ وزاجرًا ... عن تركِ طاعتهِ النفوسَ العاصيهْ
ياصاحبَ القلبِ السليمِ كأنهُ ... قد صيغَ من عذبِ المياهِ الصافيهْ
والصادقَ الكلمِ التي لسدادِها ... كانت تقودُ الى الهُدى بالناصيهْ
والناصحَ البرَّ الودودَ المُستوي ... قولاً وفعلاً خُفيَّةً وعلانيهْ
واللازمَ التهذيبِ في أعمالهِ ... مثلَ التزامِ الشعرِ حرفَ القافيهْ
لمَّا دعاكَ اللهُ من فردوسهِ ... لبَّيتَ ممتثلاً بنفسٍ راضيهْ
ما كانَ ذاكَ العزمُ إلاَّ ليلةً ... حتى نزلتَ بدارهِ في الثانيهْ
سكبَ الإلهُ عليكَ رحمتهُ كما ... كانت مراحمُ قلبكَ المتواليهْ
لم تبكِ عينٌ منكَ قطُّ بسوءةٍ ... وعليكَ صارت كلُّ عينٍ باكيهْ
جبلٌ رفيعٌ هزَّهُ ريحُ القضا ... والريحُ يعصفُ بالجبالِ العاليهْ
ريحٌ توهمَ فيهِ لوناً أصفرًا ... من ظنَّ فيهِ لهيبَ نارٍ حاميهْ
هو زبدةُ الأمراضِ في جمهورها ... مثلَ الخلاصةِ من بيوتِ الكافيهْ
فلو اتَّخذتَ اليهِ في أفعالهِ ... نسباً لكانَ البحرَ وهيَ الساقيهْ

Digitized by Birzeit University Library

تَبًّا لَها من ضَربـةٍ فتّاكةٍ ... كثُرتْ لوَقْعتِها الشِجاجُ الداميه
فبَكَتْ به ولعلَّها اعتذَرتْ لنـا ... اذ لم تكُنْ وَقعَتْ برأسِ الزاويهْ
أنتَ المُرادُ ولا أُسمّي غُنيـةً ... مِني عَنِ اسمِكَ بالصفاتِ الغانيهْ
وإذا سلِمتَ فأنتَ شمسٌ قد كفَتْ ... عن ضوءِ كلِّ الأنجُمِ المُتواريهْ

وقال يمدح الامير امين رسلان

عُنوانُ كلِّ مديحٍ راسخِ القدَمِ ... تركُ التغزُّلِ والتمويهِ في الكلِمِ
فإن مدَحتَ الأمينَ المُستغاثَ بهِ ... فالهَجْ بليثِ الشرَى لاظَبْيِ ذي سلَمِ
قلْ للأميرِ جزاكَ اللهُ مكرُمةً ... فأكرَمُ الناسِ عندَاللهِ ذو الكرَمِ
والناسُ ضربانِ ذوسيفٍ وذو قلَمٍ ... وأنتَ تجمَعُ بينَ السيفِ والقلَمِ
أُثني عليكَ بلفظٍ لستُ أحسِبُه ... مدحاً لكم بل حديثاً عنكَ في الأُمَمِ
وأحسنُ المدحِ ماصحَّ الحديثُ بهِ ... وصدَّقتْهُ شهودُ الفعلِ والشيَمِ
وأفضلُ الحاكمينَ القائمينَ فتىً ... ذو حكمةٍ فيزينُ الحُكْمَ بالحِكَمِ
قدِ اعترَكتْ صُروفُ الدهرِ مُختبِراً ... سيفَ العزائمِ والآراءِ والهِمَمِ
فكنتَ معقِدَ تاجٍ فوقَ هامتِها ... بعدَ الجهادِ وكانتْ موطِئَ القدَمِ
مَدَدتَ راحةَ قنّاصٍ يُعاضِدُها ... حظٌّ سعيدٌ يصيدُ الصقرَ بالرَخَمِ
فما هممتَ بأمرٍ غيرَ مُقتدِرٍ ... ولا بدأتَ بأمرٍ غيرَ مُختتَمِ
يا أثبتَ الناسِ في قولٍ وفي عمَلٍ ... على التمادِي وأوفَى الناسِ بالذِمَمِ

Digitized by Birzeit University Library

بيني وبينكَ عهدٌ في عشائرنا يجري على سنّةِ المخدومِ والخدمِ
انا على عادةِ الأجنادِ من قدمٍ فكُنْ على عادةِ السادات من قدمِ

وقال يمدح محمد باشا وزير تونس اقترحها عليه بعض اصحابه

الى المغاربِ تسعى الشمسُ والقمرُ فذاكَ فخرٌ بهِ تزهو وتفتخرُ
أرضٌ مباركةُ الأقطارِ صالحةٌ اذا أتى الريحُ منها أقبلَ المطرُ
سَلْ أرضَ مصرَ إذا ما جئتَ ساحتها من أينَ فيضُ مياهِ النيلِ ينتظرُ
إن كانَ في مصرَ نهرٌ شابهُ كدرٌ فضمنَ تونسَ بحرٌ ما بهِ كدرُ
هوَ الوزيرُ الذي أضحى يُشدُّ بهِ أزرُ الكرامِ ويُرجى عندهُ الوطرُ
تهوي على ذيلهِ الأفواهُ لاثمةً كانهُ ركنُ بيتِ اللهِ والحجرُ
محمدُ الأحمدُ المحمودُ نائلهُ وسعيهُ حيثُ يرضى اللهُ والبشرُ
الباسمُ الثغرِ والأبطالُ عابسةٌ والثابتُ القلبِ والاكبادُ تنفطرُ
اذا انتضى يومَ حربٍ صارماً ذكرًا فليسَ أفتكَ منهُ الصارمُ الذكرُ
أعزُّ شيءٍ عليهِ متنُ سابحةٍ تجري وأهونُ شيءٍ عندهُ البدرُ
مؤيدٌ بيمينِ اللهِ مقتدرٌ يرعى العبادَ بعينٍ نومها السهرُ
لو لم يكنْ صدرهُ بحرًا لما برزتْ لمشهدِ الناسِ من ألفاظهِ الدررُ
كرامةٌ في بلادِ الغربِ مشرقةٌ ونعمةٌ للرعايا ساقها القدرُ
تهدى اليهِ القوافي وهيَ سافرةٌ من مشرقِ الأرضِ يجلو وجهها السفرُ

Digitized by Birzeit University Library

يا ناسخَ الظُّلمِ من أقطارِ دولتِهِ كظُلمةِ الليلِ يمحو جنحَها السَحَرُ
قد قُمتَ بالبِرِّ والعدلِ القويمِ بها كأنَّما أنتَ عبدُ اللهِ او عُمَرُ
لكَ التهانِي بما أُوتيتَ من ظفرٍ بل للرعايا التي أَولَى بها الظفَرُ
أَنلتَهُمْ زهرةَ الدُنيا فكانَ لَهُمْ عَرْفُ النَسيمِ وفي الأُخرَى لكَ الثمَرُ

وقال في جواب رسالةٍ من الشيخ عبد الهادي نجا الابياري

اسُ العِذارِ على خدَّيهِ قد كَتَبا حديثَ فتنتِهِ الكُبرَى فما كذَبا
ما زالَ يخضَرُّ ذاكَ الآسُ مُزدَهِيًا وكيفَ يخضَرُّ نبتٌ جاوَرَ اللهَبا
فتىً منَ العَرَبِ العَرْباءِ منطقُهُ لكنْ شمائلُهُ لا تعرفُ العَرَبا
غضُّ الصبا ليِّنُ الأعطافِ معتدِلٌ لهُ فكاهةُ ريحانٍ ولُطفُ صبَا
ما زالَ وَجدِي بهِ ينقادُ عن سببٍ حتَّى رأَيتُ لزُهدِي في الهوَى سبَبا
لَهَوْتُ عن غزَلٍ فيهِ بعارضةٍ من النَسيبِ بخَوْدٍ تفتِنُ الأُدبا
رسالةٌ من ضواحي مِصرَ قد وَرَدَتْ كأنَّها فلَكٌ قد ضُمِّنَ الشُهبا
بديعةُ النَظمِ خُطَّت بالمِدادِ ولو أَصابَ كاتبُها أَجرَى لها الذهَبا
للهِ من كاتبٍ أَقلامُهُ نظَمَتْ عِقْدَ اللآلي بلا سِمطٍ فواعجَبا
يَفتَنُّ في فتنةِ الألبابِ مُبتدِعًا اذا قضَى او روَى او خطَّ أَو خطَبا
مُهذَّبٌ ترفَعُ الأوهامُ حِكمتَهُ حزمًا اذا قامَ للتدريسِ منتصِبا
يُقضَى لهُ حينَ يُفتِي في مجالسِهِ بالسبقِ ممَّن رأَى في كفِّهِ القصَبا

Digitized by Birzeit University Library

عبدٌ أُضيفَ الى الهادي فنالَ هُدًى ... منَ المُضافِ اليهِ كانَ مُكتَسَبا
أَقوَى الوَرَى سَنَدًا أَعلى الذُرَى عُمُدًا ... أَندَى الكِرامِ يدًا خيرُ الأَنامِ أَبَا
طَلْقُ اليَراعةِ طَلْقُ الوَجهِ طَلْقُ يَدٍ ... طَلْقُ اللسانِ اذا السيفُ الصَقيلُ نَبا
كالبَحرِ مُندَفِقًا والصُبحِ مُنبَثِقًا ... والسَهمِ مُنطَلِقًا والغيثِ مُنسكِبا
سَهلُ الخلائقِ لا يَهتاجُهُ غَضَبٌ ... حتى تَوهَّمَهُ لا يَعرِفُ الغَضَبا
يُغضِي عنِ الجَهلِ من حِلمٍ ومَكرُمةٍ ... عَينًا لها الحَظاتُ تَخرُقُ الحُجُبا
أَرادَ للنفسِ وَضعًا من وَداعتِهِ ... يومًا فطارَتْ بها فوقَ العُلى رُتَبا
لا يَبرَحُ المَرءُ حيثُ اللهُ يَجعَلُهُ ... ومَنْ رأَى النَجمَ تحتَ الماءِ قدرَسَبا
متى تَزُرْ شَيخَنا المُفتي الكبيرَ تَرَى ... أَبا حَنيفةَ في محرابِهِ انتَصَبا
تَرَى التَلاميذَ تَستَملي فوائدَهُ ... كأَنَّهُ البحرُ يَسقي ماؤُهُ السُحُبا
كَنزُ العُلومِ الذي يَغنى الفقيرُ بهِ ... منَ العطايا ويَبقى فوقَ ما ذَهَبا
بحرٌ على أَرضِ مِصرٍ مَدَّ لُجَّتَهُ ... فنالَتِ الشامَ حتى جاوَزَتْ حَلَبا
أَهدَى الينا بُيوتًا كُلَّما ضَرَبَتْ ... طَيَّ الحَشا وَتِدًا مَدَّت لهُ سَبَبا
تلكَ العَذارى التي في الريفِ قد وُلِدَت ... وأَثبَتَ اليَمَنُ الأَقصى لها النَسَبا
بِتنا نَتُوقُ الى مِصرٍ لرُؤيتِهِ ... ونَرصُدُ الريحَ هل تأْتي لَنا بِنَبا
يُمثِّلُ الوَهمُ هاتيكَ الديارَ لنا ... حتى كأَنَّا وَرَدْنا نيلَها العَذِبا
عَزَّ اللقاءُ فرَدَّدْنا رَسائلَنا ... كمن تَيَمَّمَ حيثُ الماءُ قد نَضَبا
من ليسَ يَقدِرُ في وَصلِ الأَحبَّةِ أَنْ ... يَستَخدِمَ الخيلَ فَليَستَخدِمِ الكُتُبا

Digitized by Birzeit University Library

وقال يهنئ البطريرك اكليمنضوس بحدوث بارقة آئه كرسيّ البطريركية سنة ١٨٥٦

أَقولُ اليومَ صارَ الشَرْقُ شَرْقا ... فشمسُ الحقّ حلّتْ منهُ أُفقا
وإنَّ اللهَ يصنعُ كلَّ عدلٍ ... فيُعطي كلَّ عبدٍ ما اسْتَحَقّا
تهلّلَ ذلكَ التاجُ ابتهاجًا ... فكانَ مُسبّحًا لو حازَ نُطقا
وأَوشكتِ العصا تخضرُّ خصبًا ... فتُعطينا منَ الثمراتِ رزقا
لقد خلفَ الزمانُ اليومَ عمّنْ ... مضى عنّا وأيُّ الناس يبقى
كواكبُ لا يغيبُ البعضُ حتى ... نرى في مُرتقاهُ البعضَ يرقى
تقلّدَ بالرعايةِ خيرُ راعٍ ... رعاياهُ بماءِ البرِّ تُسقى
يسدُّ على ضواريهِ القفرِ بابًا ... ويفتحُ للمراعي الخُضرِ طُرقا
نراهُ أبرَّ أهلِ اللهِ قلبًا ... وأحسنَ خَلقِهِ خَلقًا وخُلقا
اذا كلّلتَ مفرقهُ بتاجٍ ... رأيتَ جبينهُ أجلى وأنقى
تردّى بالسوادِ فقلتَ بدرٌ ... ودامَ كمالُهُ فوجدتُ فرقا
وخلنا صدرهُ بحرًا فلمّا ... رأينا الدرَّ تمَّ الشبهُ طبقا
بيُمناهُ العزيزةِ صولجانٌ ... يحطّمُ هامةَ الطاغوتِ سحقا
لهُ طرفٌ بأقصى الشامِ يبدو ... واخرُ في أقاصي مصرَ يُلقى
أرى الإسكندريةَ كلَّ يومٍ ... تهنّئُ بعدَ حسرتِها دمشقا
تطهّرَ قلبُها من كلِّ حزنٍ ... وقد فاضَ السرورُ عليهِ دفقا

Digitized by Birzeit University Library

أَتى الكُرْسِيَّ رافعهُ افتخارًا ومالكُ أَمرِهِ فَتقًا ورَتْقَا
يُعيدُ سَلامةً ويَكُفُّ حربًا ويَهدِمُ باطِلاً ويُقيمُ حقَّا
ويُضحِكُ أُنسهُ مَنْ كانَ يبكي ويُسعِدُ لُطفهُ مَن كانَ يَشقَى
فيُشرِقُ منهُ بالتاريخِ صُبحٌ يقولُ اليومَ صارَ الشَرقُ شَرقا

١٨٥٦

وقال في جواب رسالةٍ الى عبد الباقي افندي العمري في بغداد

أَسأَلتَ بانَ الجزْعِ وَهوَ يُصفِّقُ كيفَ الثَنِيَّةُ بَعدَنا والأَبرَقُ
وهلِ الأَجارعُ أُمطِرَت بعدَ النوَى يوماً وهل تلكَ الخَمائلُ تُورِقُ
ياجيرَةَ الحَيِّ الذينَ تحمَّلوا ما كُنتُ أَحسبُ أَنَّنا نتفرَّقُ
أَستغفرُ اللهَ العظيمَ بأَنني فارَقتُكم وبقيتُ حيًّا يُرزَقُ
ولَقد بكَيتُ على الديارِ فسآءني دَمعٌ لهُ سَعَةٌ وطَرْفٌ ضَيِّقُ
والدمعُ من بعضِ المياهِ قليلُهُ يُروِي ولٰكنَّ الكثيرَ يُغرِّقُ
هل مُبلِغٌ عَنِّي التحيَّةَ ظبيةً عن مسكِ نَكهَتِها اللطائمُ تُفتَق
تلقَى معاطِفَها الغُصونُ فتثنِي خَجَلاً وتلقاها النُجومُ فتخفِقُ
بدَويَّةٌ من آلِ مُرَّةَ قد حلا نهبُ القلوبِ لها بطَرْفٍ يَسرِقُ
مِن خالِ وَجنتِها بلالٌ أَسودٌ من وَشمِ بُلجتِها عدُوٌّ أَزرَقُ
يا دُرَّةَ الغوَّاصِ طيَّ خبائِها ويحي متى هذا الحِبآءُ يُمزَّقُ

Digitized by Birzeit University Library

لو تُطبعُ الأحداقُ فيهِ رأيتَهُ كالدرعِ من حدقِ اليهِ تُحدِّقُ
إنْ لم تُصبْ قدمٌ اليكَ تطرُّقاً خوفَ الرقيبِ فللقلوبِ تطرُّقُ
قد كانَ لي قلبٌ فطارَ بهِ الهوى فأنا بلا قلبٍ أهيمُ وأعشقُ
وجدٌ توقَّدَ في خلالِ أضالعٍ قد كانَ يُحرقُها فصارتْ تُحرقُ
قد أيمنَ الصبرُ الذي أعددتُهُ للنائباتِ وركبُ شوقي مُعرقُ
شوقٌ يهيجُ الى الذي ينسى بهِ شوقَ الجمالِ الهائمُ المُستغرقُ
العالمُ الصدرُ الكبيرُ الشاعرُ الـ فطنُ الشهيرُ الكاتبُ المُتأنِّقُ
علمٌ يمدُّ على العراقِ رواقَهُ وبهِ العواصمُ تستظلُّ وجلَّقُ
أبقى لهُ الباقي الذي هوَ عبدُهُ شيئاً من الفاروقِ لا تتفرَّقُ
منها الوداعةُ والزهادةُ والتُقى والعدلُ والحلمُ الذي لا يقلقُ
بدرٌ بأفقِ الشرقِ لاحَ وضوءُهُ في الخافقينِ مُغرِّبٌ ومُشرِّقُ
ما زالَ في شرفِ الكمالِ فلم يكُنْ نقصٌ ولا خسفٌ بهِ يتعلَّقُ
هوَ ذلكَ الرجلُ الذي آثارُهُ لا تُقتفى وغبارُهُ لا يُلحقُ
ولهُ الفتوحُ اذا تمرَّدَ مارِدٌ في كلِّ معضلةٍ وعزَّ الأبلقُ
تأتي نفائسُهُ اليَّ سوابقاً وهوَ الذي في كلِّ فضلٍ يسبقُ
ولعلَّها كالصبحِ يسبقُ شمسَهُ والشمسُ تدنو بعدَ ذاكَ فتُشرقُ
سُرَّتْ برؤيةِ خطِّهِ العينُ التي أبدًا لرؤيةِ وجهِهِ تتشوَّقُ

Digitized by Birzeit University Library

أَثَرُ الأَحِبَّةِ يُستَلَذُّ بِهِ كما يَلتَذُّ وَسنانٌ بطَيْفٍ يَطرُقُ
غَمَرَتْ فَوائِدُهُ البَعيدَ بنَيْلِها مثلَ القَريبِ ونيلُها يَتَدَفَّقُ
كالبحرِ يُهدِي من جَواهِرِهِ الى مَنْ لا يَراهُ كمَنْ بِهِ يَتَعمَّقُ
يا أَيُّها القَمَرُ الذي من دُونِهِ طَبَقُ المَفاوِزِ لا السَحابُ المُطبِقُ
ان كُنتَ قد أَبعَدتَ عنّا نازحاً فالبُعدُ أَشجَى للقُلُوبِ وأَشوَقُ
أُثني عليكَ كأَنَّني مُتَفَضِّلٌ ولكَ التَفَضُّلُ عندَ مَن يَتَحقَّقُ
لو لم يَكُن لكَ ما نَطَقتُ بِمَدْحِهِ فتُرَى بِماذا كانَ شِعرِي يَنطِقُ

وقال في جواب تقريظٍ لكتابهِ مجمع البحرين من الشيخ شهاب الدين العمري في بغداد

سَلِ ابْنَةَ القَومِ هل تَدري بما صَنَعَتْ أَلحاظُها بفُؤادٍ فيهِ قد رَتَعَتْ
مَليحةٌ قَطَعَتْ من مُهجتي طَرَفاً وليتَها حاسَبَتْني بالذي قَطَعَتْ
صُبحٌ اذا سَفَرَتْ غُصنٌ اذا خَطَرَتْ ظَبيٌ اذا نَفَرَتْ مِسكٌ اذا سَطَعَتْ
أَجفانُها خَلَعَتْ سُقماً عَليَّ ولا لَومٌ عَليها فمن أَثوابِها خَلَعَتْ
لَئِن تَكُنْ عن سَوادِ العينِ غائبةً فإِنَّها في سَوادِ القلبِ قد طَلَعَتْ
وإِن أَتى من شِهابِ الدينِ مُقتَبِساً كِتابُ أُنسٍ وقد غابَتْ فلا رَجَعَتْ
حيّاً الحَيا أَرضَ زَوْراءِ العِراقِ ضُحًى فتلكَ أَرضٌ لأَهلِ الفضلِ قد جَمَعَتْ
لَئِن مَضَتْ دَولةُ المُلكِ القديمِ بها فدَولةُ العِلمِ منها قَطُّ ما انقَطَعَتْ

Digitized by Birzeit University Library

فيها الرجالُ المشاهيرُ الذينَ بهِمْ ... منارةُ العلمِ فوقَ النجمِ قد رُفعتْ
من كلِّ أبلجَ واري الزندِ في يدِهِ ... أقلامُ صدقٍ بأمرِ اللهِ قد صدعتْ
كلُّ البلادِ وان جلَّتْ محاسنُها ... عقدٌ فريدتُهُ بغدادُ قد وُضعتْ
تسعى اليها القوافي السائراتُ كما ... تسعى الى الكعبةِ الحجَّاجُ حينَ سعتْ
أرضٌ تتوقُ الى مرآى محاسنِها ... عيني لكثرةِ ما أُذني بها سمعتْ
حسبتُها فلكاً إذ قيلَ إنَّ بها ... ذاكَ الشهابَ الذي أنوارُهُ لمعتْ
ماذا أُقرِّظُ من ذاكَ المقامِ على ... تقريظهِ لمقاماتي التي طُبعتْ
ليسَ الشهادةُ من ضعفٍ بنافعةٍ ... لكن شهادتُهُ تلكَ التي نفعتْ

وقال يجيب اسعد افندي طراد عن ابيات ارسلها اليه

أتتني بلا وعدٍ وقد نضتِ الحُجْبا ... فهاتيكَ أحلى زورةٍ تنعشُ الصبّا
بذلتُ لها عيني وقلبي كرامةً ... فصارتْ لها عيناً وصارتْ لهُ قلبا
مضمَّخةٌ بالمسكِ معسولةُ اللمى ... منعَّمةُ الخدَّينِ تُصبي ولا تُصبى
أقولُ لها عندَ الزيارةِ مرحباً ... ويا حبَّذا لو صادفتِ منزلاً رحبا
حبانا بها عذراءَ مترفةَ الصبى ... فتىً نالَ حلمَ الشيخِ من قبلِ أن شبّا
أتتنا بمدحٍ لم تكنْ صدقتْ بهِ ... وتغضبُ إن قُلنا لقد نطقتْ كذبا
لقد سبقَ القومَ الطرادِيُّ أسعدٌ ... الى قصبِ السبقِ الذي حازهُ غصبا
تلقَّفَ فنَّ الشعرِ من قبلِ درسهِ ... وخاضَ المعاني قبلَ أن يقرأَ الكُتبا

Digitized by Birzeit University Library

يُطارِحُني الشعرَ الذي فرَّ من يدي ... وقد سلَّ شيبي فوقَ مفرِقِهِ عضبا
اذا شابَ رأسُ المرءِ فالشيبُ لاحقٌ ... بهمَّتِهِ حتَّى يوسِّدَها التربا
رعَى اللهُ أيَّامَ الصبا فإنَّها ... من العيشِ غصنٌ كانَ معتدلاً رطبا
وما كلُّ ذي روحٍ بحيٍّ حقيقةً ... فمَنْ عاشَ في نحبٍ كمَنْ قد قضَى نحبا
سقَى ابنَ ابي الخيرِ السحابُ فإنَّهُ ... هُوَ الخيرُ نستسقي بطلعتِهِ السُحْبا
اذا ما تأمَّلْنا جمالَ صفاتِهِ ... نرَى عجباً فيهِ وليسَ نرَى عجبا
لقد كثُرَتْ في الناسِ حُسَّادُ فضلِهِ ... ولكنْ لعمري ما حسِبْنا لهُمْ ذنبا
على مثلِ ما قد نالَهُ يُحسَدُ الفتَى ... وماذا يضرُّ الحاسدُونَ فلا عتبا
اذا أوجبَ اللهُ الكريمُ لعبدِهِ ... عطاءً فمَنْ ذا يستطيعُ لهُ سلبا

وقال يجيب السيّد حسين بيهم عن ابيات امتدحهُ بها

كثيرُ العُمرِ في الدُنيا قليلُ ... فماذا ينفَعُ العُمرُ الطويلُ
وأحوالُ الفتى في الدهرِ شتَّى ... ولكنْ ايُّ حالٍ لا تحُولُ
لقد هانَ الغنى والفقرُ عندي ... لعلمي أنَّ كلَّهما يزولُ
اذا ظفرَتْ يدي بكفافِ عيشٍ ... فماذا بعدهُ تلكَ الفضُولُ
أسرُّ العيشِ في الدُنيا حياةٌ ... رضيتَ بما لهُ فيها حصولُ
وأتعبُ حالةٍ همٌّ طوالٌ ... وليسَ وراءها باعٌ طويلُ
وأطيبُ كلِّ كأسٍ كلُّ كأسٍ ... اليها طبعُ شاربِها يميلُ

Digitized by Birzeit University Library

وأحسنُ ما يُسَرُّ بهِ خليلٌ ... سُطورٌ قد حباهُ بها الخليلُ
حبا الحسنَ الحُسينُ فقلتُ هذا ... جميلٌ قد أتاكَ بهِ الجميلُ
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ ... لهم في المجدِ فرضٌ لا يعولُ
يُقابلُنا بوجهٍ فتىً ولكنْ ... تُقصّرُ عن مدارِكهِ الكهولُ
وما صغرُ الجسومِ يضرُّ شيئاً ... اذا كبُرتْ بجانبهِ العقولُ
تهلَّلَ بالمكارم أريحيٌّ ... كمنْ لعبتْ بعطفيهِ الشمولُ
لهُ اللطفُ الذي قد رقَّ حتى ... يكادَ على معاطفهِ يسيلُ
توسَّعَ في العلومِ فقلتُ ريفٌ ... وأوسعَ في الكلامِ فقلتُ نيلُ
اليهِ كلَّما شئنا سبيلٌ ... وليسَ الى معارجهِ سبيلُ
لهُ في كل شنشنةٍ حسودٌ ... وليسَ لهُ بشنشنةٍ عذولُ
رأينا درَّةً في نظمِ عقدٍ ... وسوفَ الى فريدتهِ تأولُ
نرَى فيها الأدلةَ كلَّ يومٍ ... وحسبُ الحكمِ أنْ يردَ الدليلُ

وقال يمدح الامير امين رسلان معرّضاً بذكر واقعةٍ جرت

مضَى زمنُ الصبى فدَعِ التصابي ... ولا تبغِ الشرابَ منَ السرابِ
ودعني من أَماني النفسِ إني ... رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ
ظلمتُ عنِ ارتكابِ العارِ نفسي ... وعفتُ دلالَ سلمى والرَّبابِ
اذا هجرَ الحبيبُ لغيرِ ذنبٍ ... فذاكَ الذنبُ أولى بالعقابِ

Digitized by Birzeit University Library

اذا زُرتُ الصديقَ ولم يَزُرْني ... فذلكَ كالخطابِ بلا جوابِ
اذا كَثُرَت خبائثُ جارِ سَوْءٍ ... ففُرْقتُهُ أَجَلُّ منَ العتابِ
على الدُنيا السلامُ فإنَّ قلبي ... عن الأَهواءِ مشغولُ الشعابِ
لقد ألقى الأميرُ عليَّ ظِلاً ... فقلبي عن سِواهُ في حجابِ
انا عبدٌ لدولتهِ ولكن ... أَعيبُ عليهِ تحريرَ الرقابِ
أُردِّدُ مدحَهُ مثلَ المُصلّي ... يمرُّ مُردِّدًا أُمَّ الكتابِ
وانّي غرسُ نعمتهِ قديماً ... نشأتُ بها كأَغصانِ الرَوابي
سقاني ماؤُها كأساً طَهُورًا ... فما أَسقي على مطَرِ السحابِ
كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ ... فقد سُمِّي أَمينًا بالصوابِ
وليسَ يخُلُّ في الدُنيا بشيءٍ ... لغيرِ المالِ من حفظِ الصحابِ
يعيشُ بظلِّهِ مَن عاشَ منّا ... ويقضي تحتَهُ ميتُ التُرابِ
ويُدرِكنا نداهُ حيثُ كُنّا ... على حالِ ابتعادٍ وافتِرابِ
وتُكسِبُنا مكارمُهُ ارتفاعا ... كصفرٍ زادَ في رَقمِ الحسابِ
فدامَ نداهُ يقرَعُ كلَّ بابٍ ... ويأتيهِ الثنا من كلِّ بابِ

وقال في جواب ابياتٍ بعث بها اليهِ محمد عاقل افندي
كاشف زاده من الاسكندرية

لَمّا رأَيتُكَ ترعى ذِمّةَ العَرَبِ ... علِمتُ أَنَّكَ منها خالصَ النَسَبِ
وكيفَ تُنكَرُ في الأَعرابِ نِسبتُهُ ... فتىً لهُ عُمَرُ الفاروقُ خيرُ أَبِ

Digitized by Birzeit University Library

يا حافظَ العهدِ في سرٍّ وفي عَلَنٍ ... وحافظَ الوُدِّ عن بُعدٍ وعن كَثَبِ
أَرَى رَسائِلَكَ البَيضاءَ لو عُصِرَتْ ... منها المَوَدَّةُ سالَتْ بالنَّدَى الرَّطِبِ
بَيني وبَينَكَ عَهدٌ لا يُغَيِّرُهُ ... بُعدُ الدِيارِ وهَولُ الحَرْبِ والحَرَبِ
إن لم يَكُنْ بَيننا في قَومِنا نَسَبٌ ... قِدمًا فقد جَمَعَتْنا نِسبةُ الأَدَبِ
ما لي وللدارِ إنْ شَطَّت مَغارِسُنا ... طَيُّ التَرائِبِ لا مَطويَّةُ التُرَبِ
اذا ظَفِرتُ بقَلبٍ غيرِ مُبتَعِدٍ ... فما أُبالي بِرَبعٍ غيرِ مُقتَرِبِ
لا أَوحَشَ اللهُ مِمَّن ظَلَّ يُؤنِسُني ... طُولَ المَدَى بوُرودِ الرُسْلِ والكُتُبِ
لو كُنتُ أَدري لهُ شَخصًا أُمَثِّلُهُ ... لَكانَ في الوَهمِ عن عَيني لم يَغِبِ
يا عاقِلاً عَقَلَتْ قَلبي مَوَدَّتُهُ ... لا أَطلَقَ اللهُ هذا الأَسرَ في الحِقَبِ
مَلَكْتَني ببديعِ اللُطفِ منكَ فإنْ ... بَغَى سِواكَ اقتِناصي كُنتُ كالسَلَبِ
يا حَبَّذا أَرضُ مِصرٍ والَّذينَ بها ... وحَبَّذا نَهلةٌ من نيلِها العَذِبِ
وحَبَّذا نَسَماتٌ طابَ عُنصُرُها ... وإن يَكُنْ عُنصُرُ الأَيَّامِ لم يَطِبِ
صَبرًا على نَكَدِ الدُنيا التي طُبِعَت ... على مُعاقَبَةِ الأَحداثِ والنُوَبِ
والصبرُ أَنفَعُ ما داوَى الجريحُ بهِ ... جُرحَ الفُؤادِ وأَهدَى الطُرقِ للأَرَبِ
ما ليسَ تَقطَعُهُ الأَسيافُ يَقطَعُهُ ... مَرُّ الزَمانِ كقَطعِ النارِ للحَطَبِ

وقال في جواب رسالةٍ بعث بها اليهِ صديقٌ لهُ من البلاد الافرنجية

قد عاهَدَ الدهرُ أَهليهِ فما غَدَرا ... أَنْ لا يُديمَ لَهُم صَفوًا ولا كَدَرا
دَهرٌ يُقلِّبُ أَحوالَ العِبادِ ومَن ... رأَى تَقَلُّبَهُ في نفسِهِ عَذَرا

Digitized by Birzeit University Library

شمسٌ تَغيبُ و يبدُو بعدَها قمرٌ وتارةً لا نرَى شمساً ولا قمرا

والناسُ بين نزيلٍ إثرَ مُرتحلٍ وراحلٍ يقتفي الباقي لهُ أثرا

يا ذاهباً حيثُ لا ندري لهُ خبرًا تفدِي لنا ذاهباً ندري لهُ خبرا

قد أوحشَ الشرقَ لمَّا غابَ عنهُ كما ألقَى على الغربِ أُنساً حيثُما حضرا

هو الحبيبُ المُحبُّ الصادقُ الثقةُ الـ ـوافي الذي بين أهلِ الحُبِّ قد ندرا

فُؤادُهُ الماءُ ليناً غيرَ أنَّ بهِ عهداً كنقشٍ قدِ استودعتهُ حجرا

يزيدُ مرُّ الليالي في مودَّتهِ كالغصنِ يوماً فيوماً طالَ وانتشرا

وإن غفلتُ لضعفي هبَّ منتبهاً وإن نسيتُ مواثيقَ الهوَى ذكرا

جاءت رسالتهُ الغرَّاءُ يحملُها فُلكُ الدُخانِ كغيمٍ يحملُ المطرا

أروَت ظمَا القلبِ لكنِّي غرقتُ بها في بحرِ منَّتهِ الطامي الذي زخرا

هيَ الكتابُ الذي سمَّيتهُ صدَفاً فيها الكلامُ الذي سمَّيتهُ دُررا

قامت تُمثِّلُ لي أُنسَ اللقاءِ بهِ من حيثُ كانت تَسُرُّ السمعَ والبصرا

يا أيُّها الرَّاحلُ الميمونُ طائرُهُ أرَى وِدادَكَ لا يستعملُ السفرا

لكَ المُطوَّلُ من شوقِ المُحبِّ وإنْ كانَ الكتابُ الذي يُهديهِ مختصرا

وقال في جواب ابياتٍ بعث بها اليهِ الشيخ ابرهيم
سراج الدين من علماءِ الازهر

هل للذي في حشاهُ حُزنُ يعقوبِ من حُسنِ يوسُفَ يُرجَى صبرُ أيوبِ

وكيفَ صبرٌ بلا قلبٍ يقومُ بهِ فقلبُ كلِّ مُحبٍّ عندَ محبوبِ

Digitized by Birzeit University Library

مَضَى الزمانُ على أهلِ الهوَى عَبَثًا فلم يَكُفُّوا ولا فازُوا بمطلوبِ
تَطيبُ أنفُسُهمْ تحتَ الظلامِ على وَعدِ الخيالِ وتَنسَى وَعْدَ عُرقوبِ
كلُّ الملاحِ فِدَى خَودٍ ظَفِرتُ بها تحلو عذوبتُها من كُلِّ تعذيبِ
يَزينُها الحِبرُ فوقَ الطِرسِ لا حِبَرٌ تحتَ الحلَى وطِرازٌ في الجلابيبِ
محجوبةٌ تحتَ أستارٍ تغيبُ بها ونُورُها كالدراري غيرُ محجوبِ
علِمتُ أنَّ عَروسًا ضِمْنَ هودجِها لَمَّا تَنسَّمتُ منهُ نَفْحةَ الطيبِ
هديَّةٌ جادَ مُهديها عليَّ كما تُهدَى عِطاشُ الرُبَى قَطْرَ الشآبيبِ
جاءَت على غيرِ ميعادٍ لزَوْرَتِها وأعذبُ الوَفْدِ وَفدٌ غيرُ محسوبِ
كريمةٌ من كريمٍ عزَّ جانبُهُ يا حبَّذا كاتبٌ منهُ كمكتوبِ
أثنَى عليَّ بما لا أستطيعُ لهُ شُكرًا فألقِي اليهِ عُذرَ مغلوبِ
حيَّا الصبَا أرضَ مِصرٍ والذينَ بها وجادَها كلُّ هتَّانِ الأساكيبِ
في أرضِها غابةُ العلمِ التي سَمَحَتْ لغيرِها بالشظَايا والأنابيبِ
على الخليلِ سَلامُ اللهِ نَقرَأُهُ ملائكُ العَرشِ من أعلَى المحاريبِ
ومَن لَنا بسلامٍ نَلتَقِيهِ بهِ وبَرْدِ شوقٍ كتلكَ النارِ مَشبُوبِ
هُوَ الأديبُ الذي رَقَّتْ شمائلُهُ وصانَهُ اللهُ من لَوْمٍ وتَثْريبِ
مُنزَّهٌ عن فُضولِ القولِ مَنطِقُهُ في النظمِ والنثرِ مقبولُ الأساليبِ
وأحسنُ الشعرِ ما رَاقَتْ مَواردُهُ مستوفيًا حقَّ تهذيبٍ وتأديبِ
ومن أقامَ على الفاظِهِ حرَسًا مِثلَ الشكائمِ للجُرْدِ السراحيبِ

Digitized by Birzeit University Library

وَمَن اذا عَرَضَتْ في الناسِ تَجْرِبةٌ أَغنتْهُ عن شَقِّ نفسٍ في التجاريبِ
اليكَ يا ابْنَ سِراجِ الدينِ قدوَفَدَتْ تبغي الضياءَ فتاةٌ للأعاريبِ
خَطَّارةٌ في سخيفِ البُرْدِ عاطلةٌ مدَّت اليكَ بَنانًا غيرَ مخضوبِ
رَفعتَ قَدْري بمدحٍ قدخَفَضْتُ لهُ رأسي فناظِرُهُ سَمْعي بمنصوبِ
عليَّ شُكرُكَ مفروضٌ أَقُومُ بهِ يامَن عليهِ مَديحي غيرُ مندوبِ

وقال في مثل ذلك للشيخ محمود نوّار احد تلامذة مدرسة الاسكندرية

على رَسمِ هاتيكَ الديارِ البَلاقِعِ بَقايا سَلامٍ من بَقايا الأَضالعِ
بَلِينَ وأَبلانا الزمانُ فكُلُّنا رهينُ البِلَى حتَّى شُؤُونُ المَدامعِ
نَزَلنا لرَبَّاتِ البَراقعِ معهَدًا وأَجفانُنا من دَمعِها في بَراقعِ
تَنُوحُ حَمامُ الأَيكِ عِندَ بُكائنا ونَبكي على نَوحِ الحَمامِ السَواجعِ
نَهارٌ تَغشَّاهُ ظَلامٌ تَشقُّهُ لنا زَفَراتٌ كالبُرُوقِ اللوامعِ
ولم يَكشِفِ الظَلْماءَ من وَحشةٍ سِوَى شِهابٍ منَ الإسكندريَّةِ طالعِ
كِتابٌ دَعوناهُ شِهابًا لأَنَّهُ تَجلَّى بِنُورٍ لِابنِ نوَّارَ ساطعِ
أَتاني على بُعدٍ فأَدَّى وَدائعًا اليَّ وكانَ الشوقُ إِحدَى الوَدائعِ
أَجَلُّ رِجالِ الحُبِّ في مَذهَبِ الهَوَى مُحِبٌّ على بُعدِ الديارِ الشَواسعِ
وخيرُ كريمٍ مَن يُكافي صَنيعةً وأَكرَمُ منهُ مَن بَدَا بالصَنائعِ
تَحمَّلتُ من مَحمودَ أَكبرَ مِنَّةٍ عَجَزتُ بها عن حَمدِهِ المُتَتابعِ
تَصفَّحَ مطبوعًا فأَثنَى بطَبعِهِ جَميلاً فأَنشا صَبْوةً للمَطابعِ

Digitized by Birzeit University Library

حَبَاني على بُعدِ المَدَى برِسالةٍ تَناوَلتُها بالقلبِ لا بالأَصابعِ
مَنَعتُ انصرافَ العينِ عنها تَصبُّبًا كما حالَ دُونَ الصَّرفِ بعضُ الموانعِ
أَتَتْ تَجلِي بينَ اثنتينِ وليسَ لي سِوَى مَهدِ قلبٍ من صغارِ المَضاجعِ
ضعيفٌ يُبارِي قُوَّةً من جماعةٍ فوَهْنٌ على وَهنٍ الى الوَهنِ راجعِ
تَفضَّلَ بالمدحِ الذي هوَ أَهلُهُ جَميلُ ثَنَاءٍ للمَدائحِ جامعِ
فكانَ لهُ فَضلانِ فَضلٌ على الثَنا وفضلٌ على خُلقِ الرِضَى المُتواضِعِ
أَلا يا بَعيدَ الدارِ قَلبُكَ قد دَنا الينا بملءِ العينِ ملءِ المَسامعِ
اذا لم يَكُنْ بينَ القُلوبِ تَقَرُّبٌ فإنَّ اقترابَ الدارِ ليسَ بنافعِ

وقال في مثل ذلك جوابًا للشيخ حسن ابن الشيخ علي اللقاني
مفتي الحنفية في الاسكندرية

سَرَى جنحَ ليلٍ والعُيونُ هواجعُ خَيالٌ كَذُوبٌ عندَهُ العَهدُ ضائعُ
خَيالُ التي لو أَنذِرَت بمَسيرِهِ أَقامَتْ عليهِ أَلفَ بابٍ يُمانِعُ
فَتاةٌ حَكَتْ بدرَ الدُجَى غيرَ أَنها تَبيتُ وَراءَ الحُجبِ والبدرُ طالعُ
قِداحٌ سُتُودِعَت قلبي فَضاعَ وياتُرَى مَتَى حُفِظَت عندَ الحِسانِ الوَدائعُ
وأَينَ تُرَى الحُسنَى منَ الحَسَنِ الذي بطَلعَتِهِ الإِحسانُ للحُسنِ شافعُ
هُوَ الصادقُ الخِلُّ الوَفيُّ الذي لهُ أَيادٍ جِسامٌ عِندَنا وصنائعُ
لهُ من قوافي الشعرِ جَيشٌ عَرَمْرَمٌ أَتَتنا الى بيروتَ منهُ طلائعُ
قَوافٍ قَفاها أُنسُهُ تابعًا لها كما تَبِعَتْ ما قَبلَهُنَّ التوابعُ

Digitized by Birzeit University Library

هيَ الزَهرُ لكنَّ الطروسَ كمائمٌ هيَ الزُهرُ لكنَّ السُطورَ مطالعُ
لها منظرٌ في العينِ أسودُ حالكٌ ولكنَّهُ في القلبِ أبيضُ ناصعُ
حبانا بها طلقُ البنانِ مهذَّبٌ كريمٌ هداياهُ اللآلي السواطعُ
أديبٌ بآياتِ البلاغةِ مفردٌ لبيبٌ لأشتاتِ الفضائلِ جامعُ
أخو الحزمِ ماضي الرأيِ في كلِّ أمرِهِ فليسَ لهُ في فعلِهِ من يضارعُ
يظلُّ اليهِ مسندًا كلُّ طالبٍ وذاكَ لهُ بينَ البريَّةِ رافعُ
جزى اللهُ ماءَ النيلِ خيرًا فإنَّهُ شرابٌ منَ الفردوسِ للناسِ نابعُ
شرابٌ لأهلِ اللهِ يروى بهِ الظما ويروى بما يرويهِ دانٍ وشاسعُ
كفى اللهُ مصرًا عن منافعِ غيرِها وفي غيرِها تنبثُّ منها المنافعُ
محطُّ رحالِ العلمِ في كلِّ حقبةٍ هيَ الأمُّ والأقطارُ منها رواضعُ
أتوقُ الى تلكَ الديارِ ومن بها وهيهاتِ مالي في اللقاءِ مطامعُ
إذا قيلَ إنَّ المستحيلَ ثلاثةٌ فهذا لهاتيكَ الثلاثةِ رابعُ

وقال عند رجوع الخواجا نعمة الله الخوري من سفرٍ لواقعةٍ جرت لهُ

ماذا يؤمِّلُهُ الحسودُ بجهدِهِ اذ يقصدُ المولى كرامةَ عبدِهِ
واذا أرادَ اللهُ عونَ موفَّقٍ جعلتْ ملائكةُ السماءِ كجندِهِ
للهِ سرٌّ في العبادِ وحكمةٌ تدعُ الرشيدَ كعائبٍ عن رشدِهِ
يقضي بما يهوى فسلْ عن فعلِهِ إنْ شئتَ لكنْ لا تسلْ عن قصدِهِ

Digitized by Birzeit University Library

والدهرُ كالبُستانِ بينَ رجالِهِ لابُدَّ يُؤذي الشوكُ قاطفَ وردِهِ
لو لم نكُنْ ذُقنا مرارةَ صبرِهِ بالأمسِ لم نعرفْ حلاوةَ شهدِهِ
لا تحمدِ الأمرَ الذي أبصرتَهُ حتّى يتمَّ فقُمْ هُناكَ بحمدِهِ
واذا قبضتَ منَ الصداقةِ درهَماً كلِّفْ تجاريبَ الزمانِ بنقدِهِ
إنَّ الصديقَ هوَ المُقيمُ على الوفا في وقتِ ضنكَ العيشِ لا في رغدِهِ
أهلُ الصداقةِ في النحوسِ قلائلٌ والكلُّ أصحابُ الفتى في سعدِهِ
ليسَ الجميلُ لمنْ يُعاهدُ صاحباً إنَّ الجميلَ لمنْ يقومُ بعهدِهِ
لا يحفظُ الودَّ السليمَ لربِّهِ مَن لم يكُنْ للناسِ حافظَ ودِّهِ
يا نعمةَ اللهِ الذي لكَ نعمةٌ من فضلِهِ وكرامةٌ من عندِهِ
وعدَ الإلهُ الصابرينَ بعونِهِ لا تحسبَنَّ اللهَ مُخلفَ وعدِهِ
كم قد تجرَّدَ سيفُ رجزٍ قاطعٌ سحراً فأمسى نائماً في غمدِهِ
ولكَمْ تمزَّقَ من سحابٍ فارغٍ قد كانَ يرجفُ برقُهُ من رعدِهِ
مَن عاشَ في هذا الزمانِ يعوزُهُ صبرٌ على حرِّ الزمانِ وبردِهِ
لا يحزنُ المرضُ الفتى بقدومِهِ يوماً عليهِ كما يسرُّ بفقدِهِ
إنْ كُنتَ أحسنتَ الوفاءَ فهكذا قد أحسنَ الملكُ العظيمُ بردِهِ
شاركتَهُ بالأمسِ في أتعابِهِ واليومَ أنتَ شريكُهُ في مجدِهِ

وقال يمدح الامير امين رسلان

ما بالُ تلكَ الشامةِ الخضراءِ في النارِ وهيَ كأنَّها في الماءِ

ومنَ العجائبِ أنَّ نارًا قد بدَت ... في جنَّةٍ حُميَت عنِ الشُهداءِ

يا ظَبيةً في الحيِّ حولَ كناسِها ... سُمْرٌ حفَفْنَ بصعدةٍ سمراءِ

ما نَرتجي والحربُ دائرةٌ إذا ... قابلتِنا بالرايةِ البيضاءِ

لا تفتخِر عيناكِ في سفكِ الدما ... فلَنا عيونٌ سافكاتُ دِماءِ

ودَعي مُفاخرَتي بحُمرةِ وَجنةٍ ... فقدِ انقلبتُ بوَجنةٍ حمراءِ

في الخيمةِ الزرقاءِ بتِّ كأنَّما ... أمسيتِ فوقَ القُبَّةِ الزرقاءِ

ورأيتِ عينَكِ في سَوادِ ملابسٍ ... فظننتُها صارتْ منَ الخُلفاءِ

مهلاً عليكِ فإنَّ حسنَكِ دولةٌ ... ظلَمتْ فليسَ لها طويلُ بقاءِ

قد سُدتِ أطرافَ الرجالِ فكيفَ لو ... سُدتِ الكرامَ كسيِّدِ الأُمراءِ

الوارثُ الشرَفَ الذي يُغنيهِ عن ... إنشاءِ مرتبةٍ ورفعِ بناءِ

والمُنشئُ الحسَبَ الذي يُغنيهِ عن ... شرَفٍ توارثَهُ منَ الآباءِ

أوفى وزادَ على القديمِ حديثُهُ ... كصناعةِ التخميسِ للشعراءِ

وتألَّفتْ أقلامُهُ وسيوفُهُ ... فتشابهتْ في هيبةٍ ومضاءِ

قد علَّمتهُ المكرُماتِ جدُودُهُ ... فاستخدمَ التعليمَ للأبناءِ

يجري على طُرقِ الأمينِ محمَّدٍ ... كالشبلِ يقفُو الليثَ في البيداءِ

في الشرقِ غربٌ للبلادِ كشرقِها ... يجلو بهِ القمرانِ عينَ الرائي

قمرانِ ما للشمسِ يُفرَضُ منهُما ... صبحٌ ولا للبدرِ وقتُ مساءِ

شوقي الى تلكَ الربوعِ ومَنْ بها ... شوقُ العليلِ الى شفاءِ الداءِ

Digitized by Birzeit University Library

تُهدِي لَنا أَرَجَ النَسيمِ فلا نَقُلْ ... أَرَجُ النَسيمِ سَرَى منَ الزَوراءِ
أَصفيتُ ساكِنَها العزيزَ مَوَدَّتي ... وعلى محبَّتِهِ عقَدتُ وَلائِيَ
لاَ يَستطيعُ شِراءَ قلبي غيرُهُ ... فلَهُ بقلبي شُفعةُ الشُرَكاءِ
إِنْ لم أَزُرْهُ فقد تزُورُ رَسائلي ... شوقًا بكلِّ وَصيفةٍ عذراءِ
فَرْضٌ كتسليمِ المُصلِّي عِندنا ... إِهداءُ تَسليمٍ لهُ ودُعاءِ
أَكثرتُ من مدحِ الأَميرِ فقالَ لي ... أَسرَفْتَ فاترُكْ فضلةً لِسوائي
فأَجبتُهُ دَعْ في المَناقِبِ فضلةً ... للناسِ واحكُمْ بعدَها بخطائي
يا ظالمَ الأَشرافِ اذ قاسَمْتَهُم ... فأَخذتَ كلَّ سَجيَّةٍ غرَّاءِ
اني رأَيتُ الشعرَ فيكَ يُطيعُني ... فأَراكَ تُسعِفُني على الإِنشاءِ
تُبدِي ليَ المَعنَى الذي أُثني بهِ ... وأَنا أَصوغُ عليهِ لفظَ ثَنائي
فلكَ الجميلُ فذاكَ رُوحٌ جِسمُها ... لَفظٌ يُعدُّ بها منَ الأَحياءِ

وقال يمدحه

لِلشعرِ في كُلِّ عصرٍ مَرْكَبٌ خَشِنُ ... لا يَستَقِلُّ عليهِ الراكبُ الوَهِنُ
يَغُرُّ بالفارسِ الطاغي فيَركَبُهُ ... لكنْ تَرَدِّيهِ عنهُ لَيسَ يُؤتَمَنُ
غارَ الرجالُ على أَبياتِهِ طَمَعًا ... فكانَ أَكثَرُهم من حَظِّهِ الدِمَنُ
نَعُدُّ منهم أُلوفًا ما بها حَسَنٌ ... حتَّى يُصادَفَ منهم واحدٌ حَسَنُ
إِنَّ الجميلَ قليلٌ عزَّ مَطلَبُهُ ... من كُلِّ ما تَشتَهِيهِ العينُ والأُذُنُ

Digitized by Birzeit University Library

فلا ترى من حصى الياقوتِ واحدةً ... حتّى ترى ألفَ صخرٍ ما لهُ ثمنُ
هذا هوَ الأمدُ الأقصى الذي قصرت ... عنهُ الجيادُ وكلّت دونهُ الهجُنُ
في كلِّ فنٍّ سواهُ كلُّ طائفةٍ ... قلَّ التفاوتُ فيها حينَ نقترنُ
أنا الخبيرُ بما في القومِ من سخفٍ ... لا يجهلُ السقمَ من بالسقمِ يمتحنُ
واللهُ يعلمُ أنَّ الصمتَ أجملُ بي ... لولا حقوقٌ بهنَّ القلبُ مرتهنُ
عليَّ ما لا أكافيهِ بصنعِ يدٍ ... فقد أكافيهِ مما تصنعُ اللسنُ
مدائحٌ هيَ فرضٌ لا انفكاكَ لهُ ... عندي وما دونها الأنفالُ والسننُ
أسوقُها نحوَ بابٍ شادَ دولتهُ ... ملكُ العراقِ وشادت مجدهُ اليمنُ
غربيةٌ حيثما حلّت فإنْ نزلتْ ... بدارهِ فهناكَ الأهلُ والوطنُ
تلقى الأميرَ الذي تلقى بساحتهِ ... شخصاً هوَ الروحُ في أرضٍ هيَ البدنُ
ذاكَ الأمينُ الذي يرعى رعيّتهُ ... بعينِ يقظانَ لا يلهو بها الوسنُ
قد جدّدت لبني رسلانَ همّتهُ ... في أرضِ لبنانَ ما لم تنسهُ عدنُ
ألقتْ لهُ الدولةُ العظمى بعصمتها ... فليسَ من همّهِ قيسٌ ولا يمنُ
مهذّبُ الخلقِ ما في خلقهِ أودٌ ... مطهّرُ العرضِ ما في عرضهِ درنُ
في صدرهِ إذْ تحلُّ النائباتُ بهِ ... بحرٌ منَ الرأيِ فيهِ تغرقُ السفنُ
لي كلَّ يومٍ بهِ في الشعرِ قافيةٌ ... فليسَ ينفدُ حتّى ينفدَ الزمنُ
خرائدٌ منْ بناتِ العربِ سافرةٌ ... قبولُها منّةٌ ممّنْ لهُ المننُ
مازلتُ أمدحُ نفسي حينَ أمدحهُ ... بأنّني صادقٌ في القولِ مؤتمنُ

Digitized by Birzeit University Library

إنّي تعوّدتُ قولَ الصدقِ مُلتزمًا حتّى تطابقَ عندي السرُّ والعلنُ
لا أمدحُ المرءَ مهما عزَّ جانبُهُ الا بما فيهِ كالقسطاسِ إذ يزنُ
عيبٌ عليَّ وعيبٌ أن يُصدّقني إذا كذبتُ عليهِ الحاذقُ الفطنُ

وقال يمدح الشيخ سعيد جنبلاط وكان قد توجه اليهِ في حاجةٍ سنة ١٢٧٣

لِمَنِ المَضاربُ في ظِلالِ الوادي مثلُ الجبالِ تُشدُّ بالأوتادِ
تكسو الذبائحُ كلَّ يومٍ أرضَها بدمٍ فتسترُهُ بثوبِ رمادِ
حُفَّتْ بغاباتِ الرماحِ وإنّما تلكَ الرماحُ عريشةُ الآسادِ
تخشى اشتعالَ العودِ منها اذ ترى ليلاً أسنّتَها كورْيِ زنادِ
تلكَ الديارُ ديارُ طيٍّ حوْلَها أحياءُ جلهمةٍ وربعُ إيادِ
حفَّت بها زُمَرُ الكُماةِ كأنّها دارُ السعيدِ تُحفُّ بالأجنادِ
دارٌ بأرضِ الشوفِ قام بناؤها وظلالُ هيبتِها على بغدادِ
إن لم تكنْ كلَّ البلادِ فإنّها نصفُ البلادِ وفخرُ كلِّ بلادِ
هيَ كعبةُ القصّادِ بل هيَ منهلُ الـ ـوُرّادِ بل هيَ غصّةُ الحسّادِ
كتبتْ يمينُ الحقِّ في أبوابِها لا تنسَ أنَّ اللهَ بالمرصادِ
يمّمتُ صاحبَها السعيدَ فقيلَ لي أنتَ السعيدُ ظفرتَ بالإسعادِ
إن كنتَ طالبَ حاجةٍ فقدِ انقضتْ ما لم تكنْ ملطوخةً بفسادِ
أهديتُهُ مثلَ العروسِ قصيدةً لكنّها طلعتْ بثوبِ سوادِ

Digitized by Birzeit University Library

حزنت لذل الشعر حتى أيقنت ... بمماته فتسربلت بحداد
ولقد همت بتركه لو لم تكن ... غلبت علي صبابة بفؤادي
ما كنت أعرف قبل معرفتي به ... نفسي فكان كتوأم الميلاد
قد قل في هذا الزمان رواجه ... حتى أبتلي مع رخصه بكساد
ولئن تكن كثرت معايبه فقد ... سترت عليها قلة النقاد
يا واحداً غلب الألوف فأصبحت ... رتب الألوف رهينة الآحاد
من كان يجهد في قتالك نفسه ... فبسيف ذل لا بسيف عناد
إني دعوتك فاستمعت إجابة ... بالقلب قبل الأذن عند بعادي
حاشاك أن لا تستجيب منادياً ... ونرى الإله يجيب حين تنادي

وقال يرثي الامير سعيد ابن الامير خليل ابن الامير بشير الشهابي العظيم وكان قد توفي بغتة

اذا طلع النهار أرى الرجالا ... كما أبصرت في الليل الخيالا
وأعجب كيف تطوي الأرض ناساً ... لو اجتمعوا بها كانوا جبالا
كرور الدهر ينسخ كل حي ... كنور الشمس اذ نسخ الظلالا
تمر الناس شخصاً بعد شخص ... كما ترمي عن القوس النبالا
اذا أغلقت دون الموت باباً ... تناول ألف باب كيف جالا
ومن حذر المنية عن يمين ... تدور به فتأخذه شمالا
من الله السلام على أمير ... دفناً المجد معه والجلالا

Digitized by Birzeit University Library

كأنَّ الموتَ لم يجسُرْ عليهِ ... مُجاهرةً ففاجأهُ اغتيالا

فتىً كالسيفِ إرهاباً وقطعاً ... ومثلُ الرُمحِ قدّاً واعتدالا

ومثلُ البدرِ إشراقاً وحُسناً ... ومثلُ الغيثِ جوداً وابتذالا

أجلُّ بني الكرامِ أباً وجدّاً ... وأكرمُ رهطِهم عمّاً وخالا

وأحسنُهم وأجملُهم فعالاً ... وأوفقُهم وأصدقُهم مقالا

كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ ... بنَوا في المجدِ أعمدةً طِوالا

اذا عدَّ النقيبُ لهُمْ سراةً ... بيتُ بجهدِهِ يشكو الكَلالا

سليلُ أميرِ لُبنانَ المُنادي ... أنا لُبنانُ لمّا ملتُ مالا

اذا قُلتَ الأميرُ ولم تُسمِّ ... فلا يحتاجُ سامعُكَ السؤالا

دعَوناهُ الأميرَ فما وفَينا ... ولو قُلنا الوزيرُ لما استحالا

سألْنا تختَ معنٍ عن نظيرٍ ... لهُ هل قامَ فيهِ فقالَ لا لا

ستندُبهُ البلادُ ومَنْ عليها ... الى أنْ تستعيضَ لهُ مثالا

وتُحصي الناسُ ما فعلَتْ يداهُ ... ولكنْ بعدَ أنْ تُحصي الرمالا

رضينا بالذينَ تخلّفوهُ ... فما رضيَ الزمانُ ولا أقالا

ولا تركَ الخليلَ لنا شهاباً ... ولا تركَ السعيدَ لنا هلالا

لعينكَ يا سعيدُ عيونُ قومٍ ... سفكنَ منَ الجفونِ دماً حلالا

لبستَ اليومَ ثوباً من بياضٍ ... فزادَ جمالكَ الباهي جمالا

الى دارِ السعادةِ سرتَ فوزاً ... كأنكَ عاشقٌ يبغي الوصالا

Digitized by Birzeit University Library

رأيتَ العيشَ في الدُنيا طريقاً لها فاخترتَ أقربَهُ مجالا

وقال يجيب الامير محمد ابن الامير امين رسلان عن ابياتٍ ارسلها اليهِ

هٰذهِ عَرُوسُ الزهرِ نقَّطها الندَى بالدُرِّ فابتسمتْ ونادتْ معبدَا
لمَّا تفتَّقَ سترُها عن رأسِها عبثَ الحياءُ بخدِّها فتوردَّا
فتحَ البنفسجُ مُقلةً مكحولةً غمزَ الهزارَ بها فقامَ وغرّدا
وتبرَّجتْ وُرقُ الحمامِ بطوقِها لمّا رأينَ التاجَ يعلو الهُدْهُدا
بلغَ الأزاهرَ أنْ وردَ جنانِها ملكُ الزهورِ فقابلتْهُ سُجَّدا
فرنا الشقيقُ بأعينٍ محمرَّةٍ غضباً وأبدى منهُ قلباً أسوَدا
بسطَ الغديرُ الماءَ حتَّى مسَّهُ بردُ النسائمِ قارصاً فتجعَّدا
ورأى النباتَ على جوانبِ أرضهِ مهداً رطيباً لينّاً فتوسَّدا
يا صاحبيَّ تعجَّبا لملابسٍ قد حاكَها من لم يمدَّ لها يدا
كلُّ الثيابِ يحولُ لونُ صباغِها وصباغُ هٰذهِ حينَ طالَ تجدَّدا
مابالُ هذا النهرِ يضربُ صدرَهُ ركضاً ويهدرُ كالبعيرِ معربدا
هل غارَ من كفِّ الأميرِ محمَّدٍ كم حاسدٍ حسدَ الأميرَ محمدَّا
هذا الذي قتلَ العدوَّ بكيدهِ وأذابَ من حرِّ الصدورِ الحُسَّدا
أعطاهُ خالقُهُ الذي لم يعطهِ أحداً فإنْ حسدَ الحسودُ فما اعتدى
أعطاهُ حلمَ الشيخِ في سنِّ الفتَى حتَّى لقد خلناهُ أشيبَ أمردا

Digitized by Birzeit University Library

وتقى عيوبَ الناسِ عنهُ جامعاً ... أطافهُمْ في شخصهِ فتفرّدا
عجباً تزيدُ على استماعِ حديثهِ ... عطشاً ونشهدُ أنهُ ريُّ الصدى
ونرى حلاوتهُ ونشهدُ أنهُ ... بحرٌ صدقنا إنهُ بحرُ الندى
ما زالَ كاللآلِ ينثرُ درّهُ ... طوراً وينظمُ حينَ شاءَ منضّدا
ينهى عنِ السكرِ المعيبِ جليسهُ ... ويبيحُ ذاكَ اذا تغنّنَ منشدا
الكاتبُ اللبقُ الذي في كفّهِ ... قلمٌ رأى آياتهِ فتشهّدا
كلُّ السوادِ ضلالةٌ لظلامهِ ... إلاّ سوادَ مدادهِ فهوَ الهدى
ياذا الذي يعطي الوفودَ لسانهُ ... دُرَراً وتعطي راحتاهُ العسجدا
وفدتْ اليكَ قصيدةٌ خيّرتُها ... فتخيّرتْ درَّ الجوابِ مقلّدا
هل أنتَ ترضاني بصدقِ مودّةٍ ... عبداً فإني قد رضيتُكَ سيّدا
ما زلتُ مستندًا اليكَ محدّثاً ... فكأنني خبرٌ وأنتَ المبتدا

وقال يرثي فارس بن طنوس الشدياق وكان غلاماً باهر النباهة

أسفاً لمنْ قد ماتَ قبلَ مماتهِ ... لا بل لعمري ماتَ قبلَ حياتهِ
لم يدرِ طعمَ العيشِ منتبهاً لهُ ... كالحيِّ حتّى ذاقَ طعمَ وفاتهِ
هذا غلامٌ كالكهولِ فكيفَ لو ... بلغَ الشبابَ وخاضَ في فلواتهِ
ما زالَ ينحتُ ذهنهُ من قلبهِ ... حتّى براهُ فكانَ شرَّ عداتهِ
نهنهْ دموعكَ يا أباهُ فقد جرى ... ما قد جرى ومضى على علاّتهِ
أشقى الورى عيناً وأضيعُ مدمعاً ... من قد بكى للأمرِ بعد فواتهِ

Digitized by Birzeit University Library

قد كانَ قبلَ البَينِ أهلاً للبُكا اذ لم يَكُنْ أَمَلٌ بطُولِ ثَباتِهِ
عَهدِي بِهِ أَنْ لا يَعِيشَ نَظِيرُهُ فَحسبتُهُ قد جفَّ مُنذُ نَباتِهِ
اذ لم يَجِدْ في الناس أَمثالاً لهُ طَلَبَ المَلائكَ فَهْيَ من طَغَماتِهِ
ولَقد رَآهُ الدَهرُ من آحادِهِ فلذاكَ لم يُدْخِلْهُ في عَشَراتِهِ
يا صاحبَ السَبعِ السِنِينَ ودُونِها ماذا تَرَكتَ لشَيخِنا في ذاتِهِ
أَنتَ الغريبُ كما نَراكَ وهكذا شَمْلُ الغريبِ يكونُ قُربَ شَتاتِهِ
قد ضاقَ جِسمُكَ عن مَدَى النَفسِ التي ضَغَطَت هَيَا لِها جميعَ جِهاتِهِ
فَمَضَت الى الموعودِ من غاياتِها ومَضَى الى المعهودِ من غاياتِهِ
هذا الذي تَرَكَ الأَبُ الأَقصَى لنا لكن كَحَظِّ بَنِيهِ حَظُّ بَناتِهِ
كأْسٌ على الغِلمانِ يَعرِضُ تارةً قبلَ الشُيوخِ لسُوءِ رأْيِ سُقاتِهِ
يا أَيُّها القبرُ الذي أُستُودِعتَهُ أَبشِرْ فما من قائلٍ لَكَ هاتِهِ
إِعطِفْ عليهِ فأَنتَ حَقًّا أُمُّهُ وأُزجُرْ ثَراكَ مُؤَدِّبًا حَشَراتِهِ
وأُحرِصْ على ذاكَ اللِسانِ فإِنَّهُ قد كانَ يَسقِي الشَهدَ من كَلِماتِهِ
لَكَ أُمُّهُ رَبَّتْهُ فاشكُرْ فَضلَها واشكُرْ أَباهُ فذاكَ من حَسَناتِهِ
يا طالما سَهِرَت عليهِ فقُلْ لها ها قد أَمِنتِ اليومَ من يَقَظاتِهِ
لا تَخلَعِي ثوبَ السَوادِ لأَجلِهِ ما دامَ تحتَ اللَحدِ في ظُلُماتِهِ
لمّا رآكِ وقد دَعَوتِ بفارسٍ سَبَقَ الرِجالَ وجَدَّ في خَطَواتِهِ
لا تُنكِري هذا القَضاءَ بموتِهِ فلَقَد جَرَى فيهِ على عاداتِهِ

Digitized by Birzeit University Library

بَلَغَ الكَمالَ كطاعنٍ في سِنِّهِ فيَكُونُ ذلكَ مُنتَهَى أَوقاتِهِ

وقال يرثي بعض الفضلاء

ان لم يَكُنْ لَكَ في نَقْدِ الرِجالِ يَدُ فأَنظُرْ الى الموتِ كيفَ الموتُ يَنتَقِدُ
يَدُورُ في الارضِ حَوْلَ الناسِ مُلتمِساً كريمَ قومٍ ولا يَرضَى بما يَجِدُ
جَبَّارُ صَيدٍ يُريدُ الصقرَ مُفتخِراً بهِ فان لم يَجِدْهُ يُرْضِهِ الصُرَدُ
اذا أُنتضَى سيفَهُ فالرأسُ مَوردُهُ وان رَمَى السهمَ فليستهدِفِ الكَبِدُ
يا أَيُّها المَلِكُ المرهوبُ جانبُهُ هذا هوَ المَلِكُ المرهوبُ اذ يَفِدُ
يا أَيُّها الأَسَدُ الجاني بسَطْوَتِهِ على ضَواري الفَلا هذا هُوَ الأَسَدُ
يا أَيُّها البَطَلُ الشاكي السلاحِ تُرَى أَينَ السلاحُ وماذا يَمنَعُ الزَرَدُ
قد خانَ عَهْدَكَ ما تَرجُوهُ من عُدَدٍ اذا أَتى المَوتُ يوماً ماتتِ العُدَدُ
مازالَ كلُّ أَبنِ أُنثَى مُنذُ فِطرَتِهِ فَريسةً بينَ أَيدي الموتِ تَرتَعِدُ
يامَنْ يقولُ غَداً دَعْ عنكَ ذِكرَ غَدٍ فليسَ للمَرْءِ في هذا الزمانِ غَدُ
للموتِ كلُّ أَبٍ فوقَ التُرابِ مَشَى وكلُّ أُمٍّ وما رَبَّتْ وما تَلِدُ
الى تُرابٍ جُبِلْنا منهُ مَرجِعُنا نَظيرَ ماءٍ اليهِ يَرجِعُ البَرَدُ
نَهتَمُّ في خِصبِ أَجسامٍ نُنَعِّمُها ويَشكُرُ الدودُ مِنَّا ما بهِ نَعِدُ
مَناحةٌ في دِيارِ المَيتِ قائمةٌ ودَعوةٌ في دِيارِ القبرِ تَحتَشِدُ
للدهرِ في كلِّ عينٍ دَمعةٌ قَطَرَتْ منهُ وفي كلِّ قلبٍ جَمرةٌ تَقِدُ
متى تُرِدْ ان تَعُدَّ السالمينَ فضَعْ صِفرًا على الطِرسِ حتى يَحدُثَ العَدَدُ

Digitized by Birzeit University Library

أَستَودِعُ اللهَ مَن بالأَمسِ وَدَّعَني ... كُرهًا فَوَدَّعَ قلبي الصبرَ والجَلَدُ

ما زالَ يَصحَبُنا دَهرًا ويُؤنِسُنا ... فما لهُ صارَ عنا اليومَ يَنفَرِدُ

قد نازَعَتْنا المَنايا شَخصَهُ حَسَدًا ... وَيلاهُ حتّى المنايا عِندَها الحَسَدُ

نَسطُو علينا بلا كَفٍّ ولا عَضُدٍ ... وليسَ يَنفَعُ مِنّا الكَفُّ والعَضُدُ

قد غابَ في الشَرقِ بدرٌ في الضُحى عَجَبًا ... فأَبصَرَ الناسُ منهُ غيرَ ما عَهِدوا

لو أَنصَفَتْهُ دَراري الأُفقِ ما طَلَعَتْ ... حُزنًا عليهِ وغَشّى أُفقَها الكَمَدُ

يا أَيُّها المَضجَعُ الميمونُ طالعُهُ ... هل ضَمَّ قَصرٌ كمَنْ تَحويهِ أَو بَلَدُ

أَكرِمْ لَكَ اللهُ ضَيفًا قد ظَفِرتَ بهِ ... فطالَما أَكرَمَ الضيفانَ اذ وَفَدوا

وأَعرِفْ جَلالَةَ شخصٍ فيكَ قد عَرَفَتْ ... مَقامَهُ كُبَرآءُ الناسِ والعُمَدُ

واحرِصْ على كلِّ عَظمٍ مِن مَفاصِلِهِ ... فذاكَ من أَشرَفِ الآثارِ يعتَقَدُ

يا مَن سَكِرتَ وليسَ السُكرُ عادتَهُ ... بخَمرَةٍ لم يُفِقْ من سُكرِها أَحَدُ

أَراكَ بالقُربِ مني غيرَ مُبتَعِدٍ ... وأَنتَ أَبعَدُ مَن في الأَرضِ يَبتَعِدُ

ما نَومَةٌ لَكَ يومُ الحَشرِ موعِدُها ... وَيحي وما غَيبَةٌ ميعادُها الأَبَدُ

ما بالُ عَينِكَ لا تَنفَكُّ مُغمَضَةً ... جُفونُها وبِعَيني لا بِها الرَمَدُ

هذِهِ هيَ النَظرَةُ الأُخرى نُزَوِّدُها ... فهل بزادِ حَدِيثٍ مِنكَ نُفتَقَدُ

وهل تَرُدُّ على بُعدٍ تَحِيَّتُنا ... وهل تُؤَدّي رِسالاتٌ لنا تَرِدُ

عَلَوتَ يا أَيُّها العالي الى فَلَكٍ ... قد طالَ مِنكَ الى ما فَوقَهُ الرَصَدُ

أَنتَ الغَريبُ ومَن لي ان يكونَ لَنا ... غرائبٌ في أَساليبِ الرِثا جُدُدُ

Digitized by Birzeit University Library

جادَتْ على قبرِكَ الأنواءُ باكيةً كأنّما قد عراها الغمُّ والنكدُ
هذا هوَ المنزلُ الباقي وعُدَّتُهُ هيَ الذخيرةُ لا مالٌ ولا وَلَدُ

وقال يمدح الخواجا ابرهيم سيُّور الدمشقي حين حضر من الاسكندرية الى بيروت

دَعْ يومَ أمسِ وخُذْ في شأنِ يومِ غدِ واعدِدْ لنفسكَ فيهِ أفضلَ العُدَدِ
واقنعْ بما قسمَ اللهُ الكريمُ ولا تبسُطْ يديكَ لنيلِ الرزقِ من أحدِ
والبسْ لكلِّ زمانٍ بُرْدةً حضرَتْ حتى تُحاكَ لكَ الأُخرى منَ البُرَدِ
ودُرْ معَ الدهرِ وانظُرْ في عواقبِهِ حذارَ أنْ تُبتلَى عيناكَ بالرمدِ
متى ترَ الكلبَ في أيّامِ دَوْلتِهِ فاجعلْ لرجليكَ أطواقاً منَ الزردِ
واعلَمْ بأنَّ عليكَ العارَ تلبسُهُ من عضّةِ الكلبِ لا من عضّةِ الأسدِ
لا تأمُلِ الخيرَ من ذي نعمةٍ حدَثَتْ فهوَ الحريصُ على أثوابِهِ الجُدُدِ
واحرِصْ على الدرِّ أنْ تُعطي قلائدَهُ مَنْ لا يميّزُ بينَ الدرِّ والبَرَدِ
أعدى العُداةِ صديقٌ في الرخاءِ فان طلَبْتَهُ في أوانِ الضيقِ لم تجدِ
وأوثقُ العهدِ ما بينَ الصحابِ لمَنْ عاقدْتَ قلباً بقلبٍ لا يدّاً بيدِ
عليكَ بالشكرِ للمُعطي على هبةٍ ودَعْ حسودَكَ يشوي فلذةَ الكبدِ
لو كانَ يفعلُ في ذي نعمةٍ حسدٌ لم ينجُ ذو نعمةٍ من غائلِ الحسدِ
محضتُكَ النصحَ عن خبْرٍ وتجربةٍ واللهُ سبحانَهُ الهادي الى الرشدِ
فاختَرْ لنفسكَ غيري صاحباً فأنا شُغِلتُ عنكَ بما قد جدَّ في البلدِ

Digitized by Birzeit University Library

قد شرَّفَ اليومَ إبرٰهيمُ بلدتَنا ... كأنَّهُ الروحُ قد فاضتْ على الجسدِ
أهدتْ الينا ضواحي مصرَ جوهرةً ... من مالنا فهيَ قد جادتْ ولم تجدِ
مازالتِ الشامُ تشكو طولَ وحشتِهِ ... كالأمِّ طالتْ عليها غربةُ الولدِ
سُرَّتْ بزورتِهِ يوماً ونغَّصها ... خوفُ الفراقِ فلم تسلمْ من الكمدِ
عليلةٌ من دواعي الشوقِ حينَ درَى ... من لُطفِهِ ما بها واقى كمُنتقدِ
لئن يكُنْ من حماها غيرَ مُقتربٍ ... فقلبُهُ عن هواها غيرُ مُبتعدِ
كريمُ نفسٍ يُراعي عهدَ صاحبِهِ ... فلا يُقصِّرُهُ طولٌ من المُددِ
مُهذَّبٌ ليسَ في أقوالِهِ زللٌ ... وليسَ في فعلِهِ عيبٌ لمُنتقدِ
يقومُ بالأمرِ بينَ الناسِ مُنفرداً ... والغيرُ قد كلَّ عنهُ غيرَ مُنفردِ
ويحطِمُ المَنكبَ الأعلى بهمَّتِهِ ... من قوَّةِ الرأيِ لا من قوَّةِ العضُدِ
من الرجالِ رجالٌ عدُّهم عبثٌ ... وواحدٌ قد كفَى عن كثرةِ العددِ
ما لي وما لنُجومِ الليلِ أحسبُها ... اذا ظفرتُ بوجهِ البدرِ في الجلَدِ
أهديتُهُ بنتَ فكرٍ قد فتحتُ لها ... من حُسنِ أوصافِهِ كنزاً بلا رصَدِ
تمكَّنتْ بعدَ ضعفٍ من نفائسِهِ ... حتَّى ابتنتْ كلَّ بيتٍ شامخِ العمُدِ
كلُّ الملابسِ تبلَى مثلَ لابسِها ... وملبسُ الشعرِ لا يبلَى الى الأبدِ
وأفضلُ المدحِ ما وازنتَ صاحبَهُ ... وزنَ العروضِ فلم تنقُصْ ولم تزدِ

وقال في رسالةٍ الى صديقٍ لهُ معرِّضاً باغراضٍ في نفسهِ

مَنْ يقربِ النارَ لا يسلَمْ من الحرَقِ ... فابعُدْ عنِ الناسِ واحذرْهم ولا تثقِ

Digitized by Birzeit University Library

واصبرْ على نَكَدِ الدُنيا وكُنْ بَطَلاً ... يَلقَى السيُوفَ غَداةَ الحربِ بالدَرَقِ
إن كُنتَ قدضِقْتَ ذَرْعًا عن نوائبِها ... فلا تَخَفْ إنَّ لُطفَ اللهِ لم يَضِقِ
يَستدرِكُ المَرْءُ ما يَبدُو لناظِرِهِ ... واللهُ يَصنَعُ ما يَخفَى على الحَدَقِ
كم أَرعَدَ الجَوُّ فاهتزَّتْ جوانِبُهُ ... ثُمَّ انتهَى الرَعدُ لم يَفعَلْ سِوَى القَلَقِ
وربَّما أَطبَقَت سُحْبٌ فما قَطَرَت ... إلاَّ كما يَنقَضِي البُحرانُ بالعَرَقِ
لا يَأْسَنَّ مريضٌ من سَلامتِهِ ... ما دامَ في جِسمِهِ شيءٌ منَ الرَمَقِ
كم ماتَ مَن كانَ يُرجَى عيشُهُ فقضَى ... وعاشَ من كانَ يُخشَى موتُهُ فبَقِي
لِكلِّ لَيلٍ صَباحٌ نَستضِيءُ بهِ ... فلا تَدُومُ علينا ظُلمَةُ الغَسَقِ
وآخِرُ الأَمرِ في ضُعفٍ كأَوَّلِهِ ... كما نَرَى الشبهَ بينَ الصُبحِ والشَفَقِ
تَخالَفَ الناسُ في الدُنيا فما اتَّفقوا ... إلاَّ على حُبِّها الخالي من المَلَقِ
تَسابَقَت نحوَ كَسبِ المالِ أَنفُسُهم ... ورِفعةِ الجاهِ مثلَ الخيلِ في الطَلَقِ
والفقرُ أَفضَلُ من مالٍ حَمَلتَ بهِ ... ثِقلاً منَ الهَمِّ يُبلِي العينَ بالأَرَقِ
والذُلُّ أَحسَنُ من مجدٍ لَبِستَ بهِ ... ذَمًّا منَ الناسِ مثلَ الطَوقِ في العُنُقِ
لا خيرَ في خَمرةٍ تَحلُو لشارِبِها ... طَعمًا ولكن تَليها غُصَّةُ الشَرَقِ
مَن لا يُقلِّبُ طَرفًا في عَواقِبِهِ ... فلَيسَ تَأمَنُ رِجلاهُ منَ الزَلَقِ
قُل للذي مزَّقَ الدِيباجَ مُعتمِدًا ... وباتَ يَرقَعُ منهُ بالِيَ الخِرَقِ
لا تَفتَحِ البابَ للضِرغامِ مُحترِزًا ... منَ البَعُوضِ فهذا أَعظَمُ الحُمُقِ
شَرُّ الجَهالةِ ما كانَت على كِبَرٍ ... تُسوِّدُ الشيبَ مثلَ الحِبرِ في الوَرَقِ

Digitized by Birzeit University Library

وأيسرُ الجهلِ ما يرتدُّ صاحبُهُ عنهُ كمن هبَّ مُنتاشاً منَ العُمُقِ
لا تعجبَنَّ لسكرانٍ تراهُ صحا لكنْ لِمَنْ غاصَ في سكرٍ فلم يُفِقِ
إنَّ الثباتَ على عيبٍ أقمتَ بهِ عيبٌ جديدٌ سوى المغروسِ في الخُلُقِ
الناسُ بالوضعِ أشباهٌ وقد نشبتْ فيهم مُباينةٌ من أكثرِ الطُرُقِ
ماذا نُؤمِّلُ من نفعٍ اذا اتَّفقتْ أسماؤنا والمُسمَّى غيرُ متَّفقِ
يا ليتَ لي بحرَ شكرٍ كي أخوضَ بهِ لكنْ أخافُ على نفسي منَ الغرقِ
شكرُ الذي ما بهِ عيبٌ سوى نعمٍ تتابعتْ منهُ مثلَ العطفِ ذي النسقِ
ذاكَ الذي كلَّما رُمتُ اللحاقَ بهِ في الحبِّ ألفيتُهُ قد جدَّ في السبقِ
وكلَّما كدرتْ عينُ الزمانِ صفا وكلَّما دنستْ نفسُ الزمانِ نقي
دلَّتْ على وُدِّهِ الصافي صنائعهُ كالمسكِ دلَّتْ عليهِ نفحةُ العبقِ
والحبُّ إنْ كانَ لا يأتي بفائدةٍ فذاكَ كالغصنِ لا يجني سوى الورقِ
نرى منَ الناسِ أقواماً مودَّتهُمْ ترضي الفتى بلسانٍ خادعٍ ملقِ
تلكَ الجرادةُ في بحرٍ وإيمتنا من فاتهُ اللحمُ فليشبعْ منَ المرقِ

وقال يمدح احمد افندي الصلح

أتحسبُ من حُمرِ الشقيقِ خدودُها ومن بعضِ رُمَّانِ الجنانِ نهودُها
دهشتَ لما شاهدتَ منها مولَّهاً فأنقصتها من حيثُ جئتَ تزيدُها
فتاةٌ لعينيها جفونٌ مريضةٌ لكثرةِ ما تغزو وهنَّ جنودُها

Digitized by Birzeit University Library

سَمِعتُ بأَنَّ الحالَ يُحسَبُ عبدَها ... فأَمَلْتُ أَنْ تدنُو كذاكَ عبيدُها

أَرى كلَّ حربٍ فيهِ للقومِ هُدنةٌ ... سِوَى حربِ مَن تسطو على البيضِ سُودُها

وكلُّ مريضٍ يتَّقي اللهَ تائباً ... سِوَى جفنِها الطاغي بما لا يُفيدُها

نَحيلةُ خَصرٍ مثلَ جسمي منَ الضنَى ... ترِفُّ عليهِ مثلَ قلبي بُنودُها

رأَيتُ قَضيبَ الخَيزُرانةِ ذابلاً ... فأَيقنتُ أَنَّ الخَيزُرانَ حسُودُها

هَوِيتُ التي كم عندَها من دمٍ لنا ... تحلَّى بهِ مثلَ القلائدِ جيدُها

ومالَتْ بعِطفي صبوَةٌ لو تلاعبَتْ ... بخَيمتِها الشمَّاءِ مالَ عَمُودُها

ولكنَّني ممن أَعدَّ لدَهرِهِ ... كتائبَ صبرٍ ليسَ يُحصَى عَديدُها

وعندِي وَقارٌ من خلائقِ أَحمدٍ ... فجُزتُ ولم تُمطِرْ عَلَيَّ رُعودُها

خَلائقُ تزدانُ السجايا بحُسنِها ... كما زَينَتْ بيضَ النُحورِ عُقودُها

اذا كانتِ الأَفلاكَ فَهْيَ نُجومُها ... وان كانتِ الأَقمارَ فَهيَ سعودُها

كريمُ صِفاتٍ لا يَمُرُّ قَديمُها ... على مِسمعٍ حتى يلُوحَ جَديدُها

اذا أَصبحَتْ دُهْمُ الأُمورِ مريضةً ... شفَاها بإِذنِ اللهِ حينَ يعودُها

لهُ هِمَّةٌ في الحادثاتِ بعيدةٌ ... اذا راضتِ الأَعمالَ يدنو بَعيدُها

تأَلَّفَ حُسنُ الخَلْقِ والخُلقِ عندَهُ ... وتلكَ اختصاصاتٌ عزيزٌ وُجودُها

على وَجهِهِ نُورُ الجَمالِ يَزينُهُ ... طَلاقةُ بِشرٍ فوقَهُ يَستفيدُها

ومن ذِهنِهِ ماءُ السيُوفِ وحَدُّها ... ومن عزمِهِ في النائباتِ حَديدُها

لَقد صَلَحَ ابنُ الصُلحِ للمَدحِ صادقاً ... فكانَ أَميراً للقوافي يَقودُها

Digitized by Birzeit University Library

لها بين أيديهِ الكرام مواقفٌ صحاحٌ دعاويها عدولٌ شهودُها
وقد شقَّ نظمُ الشعرِ عندي لعلةٍ يشقُّ على قلبي الصبورِ جحودُها
من الشعرِ مدحٌ قلَّ من يستحقُّهُ وصنعةُ هجوٍ لستُ ممن يريدُها

وقال يجيب احد اصحابهِ عن ابياتٍ بعث بها اليهِ من البلاد الافرنجية

لعمرُكَ ليسَ فوقَ الأرضِ باقِ ولا ممَّا قضاهُ اللهُ واقِ
وما للمرءِ حظٌّ غيرُ قوتٍ وثوبٍ فوقهُ عقدُ النطاقِ
وما للميتِ إلاَّ قيدُ باعٍ ولو كانتْ لهُ أرضُ العراقِ
وكم يمضي الفراقُ بلا لقاءٍ ولكنْ لا لقاءَ بلا فراقِ
أضلُّ الناسِ في الدُنيا سبيلاً محبٌّ باتَ منها في وثاقِ
وأخسرُ ما يضيعُ العمرُ فيهِ فضولُ المالِ تجمعُ للرفاقِ
وأفضلُ ما اشتغلتَ بهِ كتابٌ جليلٌ نفعهُ حلوُ المذاقِ
وعشرةُ حاذقٍ فطنٍ حكيمٍ يفيدُكَ من معانيهِ الدقاقِ
هُناكَ المجدُ ينهضُ من خمولٍ بصاحبهِ الى أعلى الطباقِ
ويُنشي الذكرَ بينَ الناسِ حتَّى يقومَ بهِ على قدمٍ وساقِ
مضى ذكرُ الملوكِ بكلِّ عصرٍ وذكرُ السوقةِ العلماءِ باقِ
وكم علمٍ جنى مالاً وجاهاً وكم مالٍ جنى حربَ السباقِ
وما نفعُ الدراهمِ مع جهولٍ يُباعُ بدرهمٍ وقتَ النفاقِ

Digitized by Birzeit University Library

اذا حُمِلَ النُضارُ على نِياقٍ ... فأَيُّ الفخرِ يُحسَبُ للنِياقِ
وأَقبحُ ما يكونُ غِنَى بخيلٍ ... يَغَصُّ وما وَعَاهُ مِلءُ الزِقاقِ
اذا مَلَكتْ يداهُ الفلسَ أمسَى ... رقيقاً ليسَ يَطمعُ في العَتاقِ
أَلا يا جامعَ الأَموالِ هَلاَّ ... جَمَعتَ لها زماناً لِافتراقِ
رأَيتُكَ تطلُبُ الأَبجارَ جَهلاً ... وأَنتَ تكادُ تَغرَقُ في السواقي
اذا أَحرزتَ مالَ الأَرضِ طُرًّا ... فما لَكَ فوقَ عَيشِكَ من تَراقِ
أَتأْكُلُ كُلَّ يومٍ أَلفَ كَبشٍ ... وتلبَسُ أَلفَ طاقٍ فوقَ طاقِ
فُضولُ المالِ ذاهبةٌ جُزافاً ... كماءٍ صُبَّ في كأْسٍ دِهاقِ
يَفيضُ سُدًى وقد يسطو عليها ... فيُنقِصُ مِلأَها عندَ اندِفاقِ
مَضَتْ دُوَلُ العُلومِ الزُهرِ قِدماً ... وقامَتْ دولةُ الصُفرِ الرِقاقِ
وأَبرَزَتِ الخَلاعةُ معصَمَيها ... وباتَ الجَهلُ ممدودَ الرِواقِ
فأَصبحَ يدَّعي بالسبقِ جهلاً ... زَعانِفُ يعجِزُونَ عنِ اللحاقِ
اذا هَلَكَتْ رِجالُ الحَيِّ أَضحَى ... صَبِيُّ القومِ يَحلِفُ بالطَلاقِ
أَسَرُّ الناسِ في الدُنيا جَهولٌ ... يُفكِّرُ في اصطِباحٍ واغتِباقِ
وأَتعبُهم رئيسٌ كلَّ يومٍ ... يكونُ لكلِّ ملسوعٍ كراقِ
وأَيسَرُ كلِّ موتٍ موتُ عبدٍ ... فقيرٍ زاهدٍ حسَنِ السِياقِ
فليسَ لهُ على ما فاتَ حُزنٌ ... وليسَ بخائفٍ مِمَّا يُلاقي

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح بعض الرؤساء

الناسُ لولا سَجايا النفسِ أشباهُ ... فإنّما كُلُّهُمْ تُرْبٌ وأمواهُ

والبعضُ يُفرَقُ عن بعضٍ بجوْهَرِهِ ... كاللفظِ يُفرَقُ عن لفظٍ بمعناهُ

هذا الذي دارَ بين الناسِ من قِدَمٍ ... وهكذا قد اقامَ اللهُ دُنياهُ

لو كانتِ الناسُ خَلْقاً واحداً بَطَلَتْ ... مَصالحُ العيشِ وانْدَكَّتْ زَواياهُ

لولا السماجةُ ضاعَ الحُسنُ مُنكسِرًا ... فلم يكن لمليحٍ في الورَى جاهُ

للهِ في الخَلْقِ سِرٌّ ليسَ نُدرِكُهُ ... وكيفَ يُدرِكُ عبدٌ سِرَّ مَوْلاهُ

لكلِّ أمرٍ رِجالٌ يَصْلُحُونَ لهُ ... وكلُّ مَرْءٍ لهُ أمرٌ تَوَلاّهُ

نالَ الرئاسةَ مَولانا الرئيسُ ولو ... رأَى لها غيرَهُ المُعطِي لأعطاهُ

سيفٌ اذا ما فَرَى عُنقاً سَواهُ بهِ ... فَرَتْ بهِ الصخرَ عندَ الضربِ يُمناهُ

يَقضِي الحَوائجَ إفراداً وتَثْنِيةً ... ولا يُثنّي المُنادِي حينَ ناداهُ

وتَنقُضُ البُؤسَ بعدَ العَقْدِ راحتُهُ ... وتَنظُرُ السرَّ قبلَ الجهرِ عَيناهُ

ما زالَ يجلو ظَلامَ الظُلمِ مُجتهِداً ... كاللّيلِ حينَ ضياءُ الصبحِ يَلْقاهُ

ويَنصُرُ العدلَ حتماً وَهْوَ يَحسَبُهُ ... دَيناً لدُنياهُ او دِيناً لأُخراهُ

يُمسِي الأمانُ ويُضحِي تحتَ رايتِهِ ... كأنّما في حِماها كانَ مَنْشاهُ

مرفوعةٌ بعَمودٍ تحتَ أجنحةٍ ... منَ المَلائكِ رَفَّتْ فوقَ أعلاهُ

جِئنا نُهنّيهِ بالفَوْزِ الجليلِ ومَنْ ... أصابَ في الرأيِ هَنّانا وهَنّاهُ

فلا يزالُ قريرَ العينِ مبتهِجاً ... يَرعَى العِبادَ وعينُ اللهِ تَرْعاهُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح الامير امين رسلان

وَقَفْتُ مَدحي فلا يَطْمَعْ بِهِ أَحَدُ ... على الَّذي مثلَهُ في الناس لا أَجِدُ
وليسَ مَدحي لهُ حُبًّا وتَكْرِمَةً ... لكنَّني غيرَ وِرْدِ الحَقِّ لا أَرِدُ
عَيبٌ عليَّ اذا أَنشدتُ قافيةً ... في غيرِهِ او جرَتْ لي باليَراعِ يدُ
ومَن تَيَمَّمَ حيثُ المَاءُ مُندفِقٌ ... فذاكَ قد ضاعَ منهُ الحزمُ والرَشَدُ
هذا الذي عندَهُ للشعرِ من أَدَبٍ ... جاهٌ وعندَ سِواهُ حَظُّهُ الكَمَدُ
هل يَستوي من يَظُنُّ الشعرَ طَلْسَمَةً ... ومَن يَرُوضُ مَعانيهِ ويَنتَقِدُ
اذا كَتَبْنا لهُ في الطِرْسِ قافيةً ... كادَتْ تَطيرُ اليهِ وَهْيَ تَجتهِدُ
وإِنْ سَعَينا على بُعدٍ لِزَورتِهِ ... خِلنا منَ القُربِ يَسعَى نحوَنا البَلَدُ
يَذِلُّ عندَ أَميرِ الناسِ أَكبَرُهُم ... وعندَهُ يُرفَعُ الأَدنى الذي يَفِدُ
تُنسي مكارمُهُ الأَضيافَ منزلَهم ... فلا يَشُوقُهمُ أَهلٌ ولا وَلَدُ
مُبارَكُ الوَجهِ بادي اللُطفِ باهِرُهُ ... تَكادُ تَحلُّ من ذِكرِ اسمِهِ العُقَدُ
إِنْ حاضَرَ الناسَ قُلْنا إِنَّهُ مَلَكٌ ... او باشَرَ الحربَ قُلْنا إِنَّهُ أَسَدُ
قد مارَسَ الصبرَ في الأَيّامِ عن جَلَدٍ ... حتَّى تَعَجَّبَ منهُ الصبرُ والجَلَدُ
فنالَ ما تَشتَهيهِ النفسُ مُقتدِرًا ... ولم تَنَلْ منهُ ما يُشفَى بهِ الكَبِدُ
قد جَدَّدَتْ لبَني رَسْلانَ دَولتَهُم ... يَدُ الأَمينِ التي باللهِ تَعتَضِدُ
مَن كانَ من أُمَرآءِ الناسِ مَولِدُهُ ... فإِنَّهم من مُلوكِ الناسِ قد وُلِدُوا
آلُ المَنازِرَةِ القومِ الذينَ غَدَت ... منهم فرائِصُ أَهلِ الأَرضِ ترتَعِدُ

Digitized by Birzeit University Library

هذا هُوَ النَسَبُ العالي الذي شَهِدَت ... بهِ الرُواةُ فصحَّ النَقلُ والسَنَدُ
أَكادُ أَشكُوكَ يا مَن قد حُسِدتُ بهِ ... فقد تَخَوَّفتُ أَنْ يُؤذِيَنِي الحَسَدُ
رَفَعتَ قَدري بما أَبدَيتَ من عَمَلٍ ... بِمِثلِهِ ينبغي أَنْ تُرفَعَ العُمُدُ
رَأَيتُ نَظرَةَ حُبٍّ منكَ صادقةً ... لو كانَ بي رَمَدٌ لم يَلبَثِ الرَمَدُ
ونِعمةً طَوَّقَتْ عُنقي قَلائِدُها ... بالأَمسِ واليومُ موصولٌ بهِ وغَدُ
أَستغفرُ اللهَ قد طالَ الزمانُ وما ... وَفَيتُ شُكرًا عليهِ كُنتُ أَعتَمِدُ
وازَنتُ نِعمَتَكَ العُظمَى بهِ عَدَدًا ... حتى اُستَطالَتْ فضاعَ الوَزنُ والعَدَدُ
لو لم تُغنِني بما يُعطي الفَتى مَدَدًا ... على الثَنا لم يَكُنْ لي في الثَنا مَدَدُ
وربَّما ساعَدَ الممدوحُ مادِحَهُ ... اذ كانَ يَصلُحُ للمَدحِ الذي يَرِدُ
والصِدقُ أَهوَنُ ما يَجري اللِسانُ بهِ ... مِثلَ الصِراطِ أَمامَ العينِ يَطَّرِدُ

وقال يمدحهُ ايضًا

تَناقَضَ الرَأيُ بينَ الناسِ والعَمَلُ ... والكُلُّ يَرضَى بما فيهِ ويَقتَبِلُ
إن كانَ ذلكَ مَقبُولاً بِرُمَّتِهِ ... فليسَ بينَ الوَرَى عَيبٌ ولا زَلَلُ
الناسُ في الأَرضِ كالأَشجارِ قامَ بها ... حُلوٌ ومُرٌّ ومُعوَجٌّ ومُعتَدِلُ
وكُلُّ صِنفٍ لهُ وَقتٌ يُرادُ بهِ ... فلا يَصِحُّ لهُ من غَيرِهِ بَدَلُ
مَن كانَ في الناسِ مولودًا على صِفَةٍ ... فليسَ للناسِ في تَغييرِها أَمَلُ
اذا تَمكَّنَ خُلقُ السوءِ في رَجُلٍ ... كما اذا استَحكَمَتْ في جِسمِهِ العِلَلُ

Digitized by Birzeit University Library

لا يستطيعُ بخيلٌ أنْ يجُودَ ولو ... حَوَى من المالِ ما لا تحمِلُ الإبلُ
وكُلَّما رُمتَ تشديدَ الجَبانِ على ... شجاعةٍ زادَ فيهِ الجُبنُ والفشَلُ
انَّ الكريمَ الذي لا مالَ في يدِهِ ... مثلُ الشُجاعِ الذي في كفِّهِ شلَلُ
والمالُ مثلُ الحَصَى ما دامَ في يدِنا ... فليسَ ينفعُ الاَّ حينَ ينتقِلُ
انَّ الذي قسَمَ الأخلاقَ قد قسَمَ ال ... أرزاقَ تجري الى أن يُقسَمَ الأجلُ
يا رُبَّ قومٍ سعَوا بالجهلِ فانتصَروا ... ورُبَّ قومٍ سعَوا بالعقلِ فانخذَلوا
وقلَّ مَن طابقَتْ دُنياهُ حِكمَتَهُ ... مثلَ الأمينِ الذي اعتزَّت بهِ الدُوَلُ
ذاكَ الذي يجمَعُ السيفَينِ سيفَ يدٍ ... وسيفَ رأيٍ وكُلٌّ ما بهِ كَلَلُ
بالجدِّ قومٌ وقومٌ بالجُدودِ لهُم ... فخرٌ وهذا على الأمرَينِ يشتمِلُ
من آلِ رَسلانَ من لخمٍ لهُ نسَبٌ ... الى تنُوخَ الى قحطانَ يتَّصِلُ
سقَتْ شقائقَ نُعمانٍ بمنبتِهِ ... ماءُ السماءِ التي يجري بها المَثَلُ
قُلْ للخَورَنقِ قد أنشا الزمانُ لنا ... مَنْ ربُّهُ اللهُ لا مَنْ ربُّهُ الهُبَلُ
مَنْ يقرَعُ الذِكرُ والأورادُ مسمَعَهُ ... لا ناقةُ العَطَنِ الهوجاءُ والجَمَلُ
تلكَ المُلوكُ أساسٌ قامَ منتصِباً ... عليهِ قصرٌ بناهُ الخالقُ الأزَلُ
خُلاصةٌ قد تصفَّت من عشائرِها ... كما تصفَّى لنا من شهدِهِ العسَلُ
لقد وجَدنا بني رَسلانَ طائفةً ... مثلَ الأهِلَّةِ بالتدريجِ تكتمِلُ
أليومَ نالت كمالَ البدرِ فاقتصَرت ... اذ لا كمالَ الى ما فوقَهُ يصِلُ
كُنَّا نُعظِّمُ إسمعيلَ من قِدَمٍ ... فصغَّرَ الدهرُ ما تستعظِمُ الأوَلُ

Digitized by Birzeit University Library

قد كانَ ذلكَ فوقَ الغربِ رايةً واليومَ هذا على كُلِّ الرُبى جبَلُ
هُوَ الكريمُ الذي تُملا القُلوبُ بهِ أُنساً وتُجلى بِرَأْى وَجهِهِ المُقَلُ
لا تَسبِقُ الفعلَ من إنجازِهِ عِدَةٌ ويَسبِقُ السيفَ من إنصافِهِ العَذَلُ
رَحيبُ صَدرٍ تَضيعُ النائباتُ بهِ ولا تَضيقُ على آرائِهِ السُبُلُ
تَخفى على مِثلِنا أَسرارُ حِكمتِهِ كما تَحجَّبَ عن أَبصارِنا زُحَلُ
أَلبَستُهُ من مديحي خاتَماً نَقَشَتْ فيهِ شَهادَتَها الأَملاكُ والرُسُلُ
نَقشٌ الى الدهرِ لا يُمحى لهُ أَثَرٌ حتى تَزُولَ وتُمحَى السبعَةُ الطُوَلُ
قُلْ للأَميرِ الذي من نَقدِهِ وَجَلٌ يَغشَى القَوافي ومن تَقصيرِها خَجَلُ
عارٌ علينا مديحٌ فيكَ مُنتحَلٌ وأَنتَ في الناسِ بِدْعٌ ليسَ تَنتَحِلُ
يا سيفَ دَولةِ قَيسٍ تَقتَضي رَجُلاً كابنِ الحُسَينِ واني ذلكَ الرَجُلُ
سَهَّلتَ لي الشعرَ حتى لو نَطَقتُ بهِ في النومِ جاءَ صحيحاً ما بهِ خَلَلُ
رَوضٌ تَقَلَّبتُ فيهِ من شمائِلِكُم فكيفَما مِلتُ يَملاَ راحتي النَفَلُ

وقال حين زارهُ الى منزلهِ

لو كانَ للدارِ نُطقٌ سَبَّحتْ عَجَبا او راحةٌ صَفَّقَتْ من بَهجةٍ طَرَبا
قد زارَها اليومَ مَنْ عَزَّتْ بِزَورتِهِ كأَنهُ قد طَلَى حيطانَها ذَهَبا
كادت مَنازِلُها تَلقاهُ راقِصةً لكنَّها حَفِظَتْ قُدَّامَهُ الأَدَبا
هذا الأَمينُ الذي لُبنانُ في يَدِهِ أَمانةُ اللهِ يَرعاها كما وَجَبا

Digitized by Birzeit University Library

ساسَ البلادَ بلُطفٍ من خلائقهِ واللُطفُ اقطعُ من سيفٍ لمن ضَرَبا
مُبارَكُ الوجهِ يأتي الخِصبُ حيثُ أتى ويذهبُ السعدُ معهُ حيثُما ذهبا
يغزو الخُطوبَ برأيٍ غيرِ مُتلِمٍ لو كانَ نارًا لكانتْ عندهُ حطَبا
لئن تأخرَ في أيامهِ زمنًا فقد تقدَّمَ في أجيالهِ رُتبا
قد اختباهُ الى اليومِ الزمانُ كما يَخبا الحريصُ الى الشيخوخةِ النُجبا
أهديتُ أبياتَ شعري مَن به افتخرتْ أبياتُ داري فظنَّتْ نفسَها شُهبا
علَّقتُها اليومَ في محرابِ دولتهِ فخرًا فباهيتُ في تعليقها العربا

وقال يمدح بعض الاكابر في الديار المصرية

رَضيتُ من عينِ ذاكَ الحيِّ بالأثرِ حتى رَضيتُ بسَمعِ الذكرِ والخبرِ
وهامَ قلبي بما يحويهِ مُنشغفًا حتى بما فيهِ من ترْبٍ ومن حجرِ
أستقبلُ الريحَ من واديهِ مُعتنقًا كأنَّها لي صديقٌ جاءَ من سفرِ
ويُؤنسُ البرقُ عيني إذْ يلُوحُ لها منَ الكثيبِ فتجني لذَّةَ النظرِ
يا حبَّذا أرضُ عُسفانَ التي شرَقتْ بالبيضِ والسُمرِ بينَ البيضِ والسُمرِ
وحبَّذا القُبَّةُ الزرقاءُ من فلَكٍ فإنَّها اشتملَتْ ليلاً على القمرِ
ربيبةٌ في بُرودِ البدْوِ طالعةٌ تُغني محاسنُها عن زينةِ الحضرِ
ترنو بطرْفٍ غضيضِ الجفنِ منكسرٍ فلا نراها بقلبٍ غيرِ منكسرِ
بتنا على خطرٍ من سُخطِها ولقد تأتي السلامةُ أحيانًا منَ الخطرِ

Digitized by Birzeit University Library

اذا تكدّرَ ماءُ النيلِ مُضطرباً فإنّ صفوَ الورَى في ذلكَ الكدرِ

وفي زيارةِ مصرٍ لو ظفرتُ بها مشقّةٌ تُعقبُ الأتعابَ بالنفرِ

مَن لي بزورةِ هاتيكَ الديارِ لكي أقضي الحقوقَ التي يُقضى بها حرجُ

مودّةٌ بيننا بالأمسِ قد غُرِستْ واليومَ طالبتُ ذاكَ الغرسَ بالثمرِ

عليَّ حقٌّ لمن يُغضي بمنّتِهِ عن القصورِ ويعفو عفوَ مغتفرِ

الطاهرُ القلبِ لا عيبٌ يُدنّسُهُ والراشدُ السعيِ عندَ اللهِ والبشرِ

اذا استطاعتْ يداهُ في الورَى ضرَرًا فإنّ في قلبهِ عجزًا عنِ الضررِ

وحيثُ لا يتّقي في الناسِ من حذرٍ يكونُ من ربّهِ في غايةِ الحذرِ

ان كنتُ قصّرتُ في مدحي لهُ سلفًا فالقطرُ يأتي قليلاً أوّلَ المطرِ

ورُبَّ مختصرٍ في اللفظِ نحسبُهُ مطوّلاً في المعاني غيرَ مختصرِ

نالَ الإمارةَ من لاقتْ بمنصبِهِ من دولةٍ نقدتْهُ نقدَ مختبرِ

قد أعطتِ القوسَ باريها على ثقةٍ لكنّها غيرُ ذاتِ السهمِ والوترِ

قُلْ للكريمِ الذي سادَ الكرامَ لقد أسرفتَ اذ لم تدعْ فخرًا لمفتخرِ

ما زلتَ ترقى الى أنْ نلتَ منزلةً تُعدُّ من طبقاتِ الأنجمِ الزُهرِ

يا عُمدةَ الدولةِ العظمى التي بعثتْ الى المشارقِ منها كوكبَ السحرِ

قد ناظرتْكَ على قصدٍ مراتبُها فهنّ يكبرْنَ مهما ازددتَ في الكبرِ

هذه هيَ الدولةُ الغرّاءُ ننظرُها ما طال تأريخُها جاءتكَ بالغررِ

وقال يمدح الشيخ خضر الرعد صاحب بلاد الضنّية حين
حضر الى بيروت سنة ١٢٧٤

يا أيُّها السفْحُ ماذا يَصنَعُ البانُ ... اذا اثْنَتْ من قُدودِ الحَيِّ أغصانُ
وأنتَ يا أيُّها الحامي العشيرةَ مَن ... يَحميكَ إنْ بَرَزَتْ للفتكِ أجفانُ
يا أيُّها الحيُّ ذاكَ الحيُّ الذي اجتمعَت ... في طَيِّ أبياتِهِ أُسْدٌ وغِزلانُ
للأعينِ الغيدِ شكلٌ من ظِباءِ وفي ... ظُباهُ من وَجَناتِ الغيدِ ألوانُ
رَبعٌ اليهِ قُلوبُ الناسِ ظامئةٌ ... من وَجدِها وهْوَ بالأنواءِ رَيَّانُ
كأنَّ خِضرَ بنَ رَعدٍ حلَّ ساحتَهُ ... فأرعدَتْ مُزنةٌ واخضرَّ بُستانُ
ذاكَ الكريمُ الذي في ظِلِّ رايتِهِ ... أمْنٌ وفي أُنسِهِ رَوْحٌ وريحانُ
قد زارَ بيروتَ فاخضرَّت جوانبُها ... من شدَّةِ الخِصبِ حتى اخضرَّ لُبنانُ
ذاكَ الذي يُجتَنى في السِلمِ من فمِهِ ... دُرٌّ ومن سيفِهِ في الحَربِ مَرجانُ
اذا انطفَتْ نارُ حربٍ في النهارِ لهُ ... قامَتْ لصُنعِ القِرَى في الليلِ نيرانُ
الطاعنُ الخيلَ قد ألقَى فوارسَها ... عنها فهُنَّ على الفُرسانِ فُرسانُ
قد علَّمَ السيفَ بَذلَ الجُودِ من يدِهِ ... فالوَحشُ من حولِهِ والطيرُ ضيفانُ
مُؤيَّدٌ بيمينِ اللهِ مُقتدِرٌ ... لهُ مَلائكةُ الرحمٰنِ أعوانُ
تُمسي السعودُ قياماً تحتَ رايتِهِ ... كأنَّها عندَهُ جُندٌ وغِلمانُ
كأنَّ مَنزلَ خِضرٍ ذاتُ فاكهةٍ ... مِنَ الجِنانِ بها نَخلٌ ورُمَّانُ
يستأمِنُ الخائفُ اللاجي اليهِ كما ... يَغنَى الفقيرُ ويُكسَى الخَزَّ عُريانُ

Digitized by Birzeit University Library

مُهذَّبُ النُطقِ لا لَغْوٌ يُعابُ بهِ ... وللمعـاني كما لِلَّفظِ مِيزانُ
حَوَى الإصابةَ في حُكمٍ وفي حِكَمٍ ... فكانَ في الكُلِّ يُدعَى يا سُلَيمانُ
يا مَن بَغَى أَن يراني تلكَ مَكرُمَةٌ ... لهـا على كَرَمِ الأَخلاقِ بُرهانُ
لَقد عَرَفناكَ بالأَسماعِ عن بُعدٍ ... وكيفَ تجهلُ صَوتَ الرَّعدِ آذانُ
هـذهِ عُجالةُ مَدحٍ لو وَفيتُ لهُ ... بما اقتضى لم يكُنْ يكفيهِ ديوانُ
قَطَفتُ من طيبِ رَوضٍ زَهرةً وكَفى ... إذْ ليسَ يَقطِفُ كلَّ الزَّهرِ إنسانُ

وقال في رسالةٍ كتب بها اليهِ

أَعَلِمتِ ما بالقلبِ من نارِ الجَوَى ... يا ظَبيةً بينَ المُحجَّرِ واللِوَى
وَرَدَ الهوَى منكم عَليَّ وهكذا ... كانَ اشتعالُ النارِ من ذاكَ الهَوَى
قالت تَميلُ الى السوَى فأَجَبتُها ... أَينَ السوَى ولَعَلَّ في الدُنيا سِوَى
لو كُنتُ أَعلَمُ عندَ غَيرِكِ بُلغَةً ... لكَرِهتُ أَن أَطوي حَشايَ على الطَوَى
وبِمُهجتي شَوقٌ أَقامَ كأَنَّهُ ... مَلِكٌ على عَرشِ الفُؤادِ قد استَوَى
أَطعَمتُهُ قلبي الكليمَ فما اكتَفَى ... وسقيتُهُ دمعي السجيمَ فما ارتَوَى
قد كُنتُ أَحسَبُهُ كَضَيفٍ نازلٍ ... فاذا انا ضَيفٌ اليهِ قد أَوَى
ولَقد سَمَحتُ لهُ بأَن يكوي الحَشا ... فكَوَى ولكنْ ما رَضِيَ حتى شَوَى
ولَرُبَّ طَيفٍ زارَني فوَجَدتُهُ ... داءً عليَّ وكُنتُ أَحسَبُهُ دَوا
وافى فحيَّا مُؤنِساً يُروي الظَما ... ومَضى فوَدَّعَ جارِحاً يُوهِي القُوَى

Digitized by Birzeit University Library

صارت تخافُ النومَ عيني بعدَهُ لا تجزعي ذاكَ الكتابُ قدِ انطوَى
شغلَت فؤادي عن مغازلةِ المهَى شيمٌ لوَت قلبي اليها فالْتوَى
للخضرِ أخلاقٌ يكادُ ثناؤُها يخضرُّ منهُ كلُّ عودٍ قد ذوَى
طابت مواردُها فتبهجُ من رأَى وتسرُّ من سمعَ الحديثَ ومن روَى
قُلْ للذي يزهو بمكرُمةٍ لهُ هذا الذي كلُّ المكارمِ قد حوَى
يقضي حقوقَ الدينِ والدُنيا معًا في الجهرِ والنجوَى على حدٍّ سوَا
هُوَ رُكنُ بيتِ الرعدِ وهوَ عمودُهُ فيهِ الجلالُ بجانبِ التقوَى ثوَى
طُويَت على الإخلاصِ نيةُ قلبِهِ ولكلِّ عبدٍ عندَ ربِّكَ ما نوَى
سادَ البلادَ فكانَ ربَّ عشيرةٍ بينَ العشائرِ باتَ مرفوعَ اللوا
أعيا المظالمَ أنْ تجوزَ بلادَهُ يومًا ولو طارَتْ اليها في الهوا
يا أيُّها الرعدُ الذي في الحربِ لو وقعَتْ صواعقُهُ على جبلٍ هوَى
ملأَ المسامعَ منكَ صيتٌ قارعٌ والرعدُ يقرعُ كلَّ سمعٍ اذ دوَى
لا يستطيعُ البعدُ حجبَ جمالِهِ كالصبحِ ليسَ يصدُّ شهرتَهُ النوَى
يا معشرَ الشعراءِ تلكَ صفاتُهُ ما ضلَّ صاحبكُم بهنَّ وما غوَى
إني نطقتُ بما رأيتُ وبعضُهُ مما سمعتُ فما نطقتُ عنِ الهوَى

وقال يمدح الامير محمد رسلان عائدًا لهُ من مرضٍ كان بهِ سنة ١٢٧٥

تذكَّرَ المنحنى فانهلَّ مدمعُهُ صبابةً وانثنَتْ للشوقِ أضلُعُهُ

Digitized by Birzeit University Library

وباتَ من وَلَهٍ يرعَى النُجومَ فما دَرى أَفي الأَرضِ امْ في الأُفقِ مَضجعُهُ

صَبٌّ مَضَى النَومُ من أَجفانِهِ فَجَرَتْ في إِثرِهِ عَبرةٌ منها تُشيِّعُهُ

اذا سَرَتْ نَسَماتُ الغَورِ خَرَّ لها وَجداً فكانَ نَسيمُ الريحِ يَصرَعُهُ

يا لابِساً كُلَّ يومٍ ثَوبَ زَخرَفةٍ أَلبَستَ مُضناكَ ثوباً ليسَ يَخلَعُهُ

لئن تَكُنْ نَظرَةٌ جَرَّتْ لهُ ضَرَرًا مُنذُ القديمِ فتلكَ اليومَ تَنفَعُهُ

اذا تَعمَّدَ أَنْ يَسلوكَ عارَضَهُ قلبٌ اليهِ بِذاكَ الحينِ تَرجعُهُ

وكُلَّما أَطبَقَتْ للنومِ مُقلَتُهُ جَفناً بَعَثتَ خَيالاً منكَ يَقرَعُهُ

ما كانَ يَرضَى حديثاً منكَ عن طَمَعٍ فَصارَ يَرضَى حديثاً عنكَ يَسمَعُهُ

ان كانَ لا يَملكُ الظَمآنُ نَهلَتَهُ مِنَ المياهِ فقَطرُ الماءِ يُقنِعُهُ

آمَنتُ باللهِ ما هذا الهَوَى فلَقد أَذابَ ما ليسَ حَرُّ النارِ يَلذَعُهُ

لا تَلبَسِ الدِرعَ يا شاكي السِلاحِ اذا زُرتَ الحِمى فلِحاظُ الغيدِ تَقطَعُهُ

قُلْ لِلمَليحِ الذي يَجفي فنَعذِرُهُ في ما جَناهُ وذاكَ العُذرُ يُطمِعُهُ

كُلُّ البُدورِ التي في الشَرقِ مَطلِعُها تَفدي الأَميرَ الذي في الغربِ مَطلَعُهُ

في غَربِ لُبنانَ من أَرضِ المَشارِقِ لا في مَغرِبِ الارضِ مَنشاهُ ومَربَعُهُ

لَهُ الثُريّاتُ بُرجٌ حَلَّهُ قَمَرٌ لذاكَ كانَ تُجاهَ البحرِ مَوقِعُهُ

شَهمٌ يَغارُ على الآدابِ يَجمَعُها ولا يَغارُ على الدينارِ يَجمَعُهُ

يَسطُو على شَمْلِ بيتِ المالِ مُقتَطِعاً كأَنَّهُ بيتُ شعرٍ إِذْ يُقطِّعُهُ

رَدَّ الزَمانُ لهُ المَجدَ القديمَ كما رُدَّتْ على عَقِبِ الكِندِيِّ أَدرُعُهُ

ومَن وَفى الناسَ في ما كان مؤتمناً وَفى لهُ الدهرُ في ما كانَ يُودِعُهُ
تُرى متى تَشتفي الحُسَّادُ من رَجُلٍ تُريدُ خَفضاً لهُ واللهُ يَرفَعُهُ
اذا قَضى اللهُ امراً لا يُرَدُّ وإنْ أَجرَى عَطاءً فَمَنْ في الارضِ يَمنَعُهُ
مَلائكُ العرشِ تغدو بالسَّلام على مُحمَّدٍ ورِضَى الرَّحمٰنِ يَتبَعُهُ
هذا الذي بَعَثَ اللهُ الكريمُ بهِ للناسِ حتى يقولوا جلَّ مُبدِعُهُ
لا تَعجَبوا من سَقامٍ قد تَعوَّدَهُ فَمَنْ رآهُ يَدُمْ فيهِ تَوَلُّعُهُ
مَنْ كانَ يَشفي منَ الأَوجاعِ مَنظَرُهُ ولُطفُهُ كيفَ هذا الداءُ يُوجِعُهُ
لا بُدَّ للضيقِ أَنْ يَمضي الى فَرَجٍ لكنْ لَعَلَّ أَشدَّ الضيقِ أَسرَعُهُ
اذا كَسا اليومُ نَصْلَ السيفِ ثوبَ صَدًا رَجَوتُ أَنَّ غَداً لا بُدَّ يَنزِعُهُ

وقال في حادثةٍ اصابت الخواجا نصرالله الخوري من حلب
وسلم ولدهُ الخواجا شكرالله منها سنة ١٨٥٨

ان كُنتَ باللهِ في دُنياكَ تَعتصِمُ فلا تَكُنْ خائفاً ان زَلَّتِ القَدَمُ
واطلُبْ لنفسكَ غيرَ الأَرضِ منزِلةً إنْ كُنتَ تَبغي نَعيماً ما بهِ أَلَمُ
مَن عاشَ في الأَرضِ لا تُرجَى سَلامتُهُ من نَكبةٍ وبَلايا الدهرِ تَزدَحِمُ
وكيفَ يا مَنْ من لَطْمِ المياهِ لهُ مَن خاضَ في البحرِ والأَمواجُ تَلتطِمُ
حوادثُ الدهرِ تَختارُ الكرامَ فما زالت على حسَبِ الأَقدارِ تَنقسِمُ
وهَمُّ كلٍّ على مِقدارِ هِمَّتِهِ فلا هُمومَ لقومٍ ما لهم هِمَمُ

Digitized by Birzeit University Library

الناسُ للناسِ كالأعداءِ ما بَرِحَتْ ... في أكثرِ الأمرِ تأتي منهمُ النِّقَمُ
ان لم يكن ضرُّهم عمدًا فعن خطإٍ ... وقد يكونُ بقصدِ النفعِ ضرُّهمُ
غنيمةُ العيشِ في الدنيا تجنُّبهمْ ... لكنَّ ذلكَ مما ليسَ يُغتنَمُ
هم كالطعامِ الذي لا بدَّ منهُ لنا ... بهِ نعيشُ ومنهُ يحدثُ السقمُ
كلُّ الجواهرِ أعراضٌ رزيتُها ... تهونُ اذ تسلمُ الأعراضُ والشيمُ
والمالُ مثلُ نسيمِ الريحِ ان سلمتْ ... بقدرةِ اللهِ في أبداننا النَّسَمُ
ليسَ البكاءُ لفقدٍ بعدهُ خلفٌ ... ان البكاءَ لفقدٍ بعدهُ عدمُ
قد ينبتُ المالُ مثلَ الظفرِ تقطعهُ ... وثلمةُ المالِ مثلَ الجرحِ تلتحمُ
ما دامَ للأجدلِ القنّاصِ أجنحةٌ ... لا يفلتُ الصيدُ منهُ حيثُ ينهزمُ
والخيرُ يعرفُ طرقًا قد تعوَّدها ... فلا يضلُّ ولو قامتْ بها الظُّلَمُ
أجلُّ للمرءِ من مجدِ الغنى شرفًا ... مجدُ الوفاءِ تقوى اللهِ والكرمُ
وأرفعُ الناسِ عندَ اللهِ منزلةً ... مَنْ لم يكنْ لحقوقِ الناسِ يهتضمُ
للهِ في الخلقِ سرٌّ ليس نُدركهُ ... وحكمةٌ بطلتْ من دونها الحكمُ
لا يُرزقُ العبدُ الاَّ ما قضاهُ ولا ... يُصيبهُ غيرُ ما يجري بهِ القلمُ
سيجبرُ اللهُ قلبًا باتَ منكسرًا ... وليسَ يتركُ جمرًا كانَ يضطرمُ
لا ضيقَ في الدهرِ الا بعدهُ فرجٌ ... ولا شبيبةَ الاَّ بعدها هرمُ
اذا رمى اللهُ يُمنى العبدِ في عسمٍ ... يُبقي الشمالَ فلا يغتالها العسمُ
إن لم تدمْ عندَ نصرِ اللهِ نعمتهُ ... فقد تعاهدَ شكرُ اللهِ والنعمُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح الامير امين رسلان عائدًا له من مرض كان به

أَطُوفُ الأَرضَ في شَرقٍ وغَربِ ... وقلبي نازلٌ بديارِ صَحبي
فلي قلبٌ هُناكَ بغيرِ جِسمٍ ... ولي جِسمٌ هُناكَ بغيرِ قلبِ
أَحِنُّ الى الديارِ وساكنيها ... على بُعدٍ وان بَخِلَتْ بقُربِ
فيَصدُقُ من يقولُ هُناكَ داءي ... ويَصدُقُ من يقولُ هُناكَ طِبّي
وفي تلكَ الخُدُورِ مَهاةُ إنسٍ ... مُمنَّعةٌ بحُجبٍ بعدَ حُجبِ
تَصيدُ ولا تُصادُ اذا غَزَونا ... فلا تُسبَى لذلكَ وَهْيَ تَسبي
فَتاةٌ وَجهُها من آلِ بَدرٍ ... ولكن عينُها من آلِ حَربِ
تُصيبُ سِهامُها من غيرِ رَشقٍ ... ويَقطَعُ سَيفُها من غيرِ ضَربِ
أَرَتْني من خِلالِ السَجفِ طَرْفًا ... قَرأْتُ عليهِ إنَّ اللهَ حَسبي
ووَجهًا لو ظَفِرتُ بوَجنَتَيهِ ... كَتَبتُ عليهما سُبحانَ رَبّي
جَفَتْني حينَ قُلتُ الشعرَ فيها ... وقالَتْ قد جَلَبتَ عليكَ عَتبي
تَعُدُّ عليَّ نظمَ الشعرِ ذَنبًا ... نَعَمْ لِسِوَى الأَميرِ الشعرُ ذَنبي
مَنَحتُ أَبا مُحمَّدَ كُلَّ شِعري ... فكانَ لِمَنْ سِواهُ مالَ سَلَبِ
ومَن كأَبي مُحمَّدَ يَلتقيهِ ... بوَجهٍ مُبشِّرٍ وفُؤادٍ صَبِّ
ومن كأَبي مُحمَّدَ حينَ يُروَى ... لَدَيهِ يَرِنُّ منهُ كلُّ ضَربِ
ومَن كأَبي مُحمَّدَ أَهلُ مَدحٍ ... يُنزِّهُ صِدقُهُ عن شَينِ كَذبِ
طَلَبتُ العفوَ عن جَهلي لأَنّي ... طَلَبتُ نظيرَهُ والجَهلُ دأبي

Digitized by Birzeit University Library

فأدّبني بسعيٍ ضاعَ هدرًا ... كريمٌ كلّما أدعو يلبّي
بعيدُ الصيتِ يعبقُ من ثناهُ ... أريجُ المسكِ في عُجْمٍ وعُرْبِ
تُقِرُّ لهُ العِدى بالفضل رَغماً ... فتحملُ منهُ غصباً فوقَ غصبِ
اذا حاضرتَهُ يُرضيكَ حتّى ... ترى عجباً بهِ من غيرِ عُجْبِ
وإن فارقتهُ يدعوكَ شوقٌ ... اليهِ قائداً بزمامِ جذْبِ
نلومُ السُقمَ اذ يأتي اليهِ ... وهل ظامٍ يُلامُ بوِرْدِ عذْبِ
ونَطمعُ في السلامةِ من أذاهُ ... فقد وافى على قدمِ المُحبِّ
شفاكَ اللهُ من كَرْبٍ تراهُ ... كما يَشفي بلُطفكَ كلَّ كَرْبِ
فإنّكَ في بلادِ الشرقِ رُوحٌ ... وإن تكُ نازلاً منها بغَرْبِ

وقال يمدحهُ ويهنئهُ ببناءِ دارٍ لهُ

في ساحةِ الحيِّ من تيماءَ غِزلانُ ... لهُنَّ في الخدرِ لا في الغابِ أوطانُ
تحمي حِماها رِجالٌ من بني مُضَرٍ ... في السلمِ إنسٌ وفي يومِ الوَغى جانُ
حيٌّ طَرَقناهُ والنيرانُ ساطعةٌ ... فيهِ وللشوقِ في الأكبادِ نيرانُ
أمسى يُديرُ لنا كأسَ المُدامِ فتًى ... بوَجههِ يُهتدى والنجمُ حيرانُ
في كفّهِ الناييُ يَسقيهِ الرُضابَ فلا ... تعجَبْ اذا مالَ فيها وهوَ نشوانُ
قد سخّرَ الريحَ ينهاها ويأمُرُها ... كأنّما هوَ في الدُنيا سُليمانُ
يا جيرةَ الحيِّ أنتم عُربُ باديةٍ ... فكيفَ ضاعتْ لكم في الحيِّ جيرانُ

Digitized by Birzeit University Library

لنا ذِمامٌ مِنَ الأَسيافِ عِندَكُمُ ولا ذِمامَ لِمَنْ تغزُوهُ أَجفانُ
قِفُوا اسمَعُوا اليومَ ما أَنشا لنا ولكم مَنْ كُلَّ يومٍ لهُ في خَلْقِهِ شانُ
أَنشا لنا اللهُ شَخصاً من عَشائِرِكم لهُ إِيادٌ أَبٌ والجَدُّ قَحْطانُ
أَعطاهُ حاتمُ إِرثَ الجُودِ مَكرُمةً والحِلمَ معَنٌ وجاهَ المُلكِ نُعمانُ
وَهوَ الرَبيعُ وقَيسٌ في نَباهتِهِ وفي فَصاحتِهِ قُسٌّ وسَحبانُ
إِنْ جُزتَ في غَربِ لُبنانَ الخَصيبِ فقُلْ يا آلَ رَسلانَ ها قد قامَ رَسلانُ
ان لم يكُنْ شخصهُ قد عادَ منتشرًا فمجدُهُ عادَ حيًّا وَهوَ رَيَّانُ
شادَ الأَمينُ بِناءَ المجدِ فارتفعَتْ عِمادُهُ واستقامَتْ منهُ أَركانُ
فان بَنَى الدارَ في أَرضٍ فعادتُهُ في ذِروةِ الأُفقِ تأْسيسٌ وبُنيانُ
قد شادَها كَعبةً للوَفدِ في حَرَمٍ لِلْمُتَجينَ بهِ للحَقِّ مِيزانُ
في جَنَّةٍ تحتَها الأَنهارُ طافحةٌ تَجري وفي بابِها المَيمونِ رِضوانُ
من قَصرِ غُمدانَ محرابٌ لَها وبها من صُنعِ كِسرَى أَنوشِروانَ إِيوانُ
وفوقَها نُورُ صافي القَلبِ خُطَّ بهِ ما خَطَّ في اللوحِ ذو النُورَينِ عثمانُ
هذا الأَميرُ الذي للأَمرِ في يَدِهِ أَزِمَّةٌ ولعُنقِ الدهرِ أَرسانُ
ان كانَ يُعطي وزيرٌ غيرَهُ رُتَباً مِنَ الوُلاةِ فقد اعطاهُ سُلطانُ
مَولىً يَسُودُ على الساداتِ خاضعةً لأَمرِهِ أَوجُهٌ منها وأَعيانُ
راضَ الصِعابَ التي انقادَتْ فكانَ لهُ في القَفرِ والبَحرِ بُستانٌ ومَيدانُ
ليسَ الشُجاعُ الذي انقادَ الجَبانُ لهُ إِنَّ الشُجاعَ الذي طاعتهُ شُجعانُ

Digitized by Birzeit University Library

وفارسُ الخيلِ مَن خاضَ العجاجَ بها وحولَهُ من كُماةِ القومِ فُرسانُ
يا أيُّها الجبلُ الراسي على جبلٍ فخرًا فأنتَ على لُبنانَ لُبنانُ
لي فيكَ وحدكَ ديوانٌ نظمتُ بهِ مدحًا وفي مدحِ باقي الناسِ ديوانُ
فأنتَ عندي نِصفُ الناسِ واعجبا ان كانَ يُحسبُ نِصفُ الناسِ إنسانُ

وقال يمدحهُ ايضًا

لاحتْ بوجهٍ بديعِ الأُنسِ ميمونِ غيداءُ فيها نِفارٌ غيرُ مأمونِ
وقطَّبتْ عندَ زجرِ الصبِّ حاجبَها لأنَّها تعهدُ التأكيدَ بالنونِ
حسناءُ ظالمةُ العُشَّاقِ ما تركتْ لهم نصيبًا منَ الدُنيا ولا الدينِ
رشيقةٌ كلُّ لينٍ في معاطفِها وليسَ في قلبِها شيءٌ منَ اللينِ
قولوا لريحانةٍ في الحيِّ قد عبقتْ سينقضي عاجلاً طيبُ الرياحينِ
قد قلَّ في الناسِ مَن تصفو مودَّتُهُ ما أبعدَ الصفوَ بين الماءِ والطينِ
مَن رامَ في الدهرِ ميزانًا لصُحبتِهِ فإنَّ ميزانَهُ طَرْحُ الموازينِ
مودَّةُ المرءِ في الدُنيا لحاجتِهِ لا للصديقِ ولو دامتْ الى حينِ
ويلاهُ قد ضاعتِ الأيَّامُ ذاهبةً في غفلةِ اللهوِ أطويها وتطويني
إن فاتني نهيُ نفسي ليسَ ينفعُني نهيٌ ولو جاءَ مع موسى وهارونِ
مَن عاشرَ الناسَ لا يأمَنْ غوائلَهم نكائضَ البحرِ في أنوائِهِ كانونِ
وطالبُ الخيرِ من غيرِ الكرامِ كمَنْ يرومُ بَردًا من الرمضاءِ في الصينِ

Digitized by Birzeit University Library

بينَ الكِرام كريمٌ عِندَهُ كَرَمٌ ... صافي المَوارِدِ عَذْبٌ غيرُ ممنونِ

ذاكَ الأَمينُ ابنُ رَسلانَ الأَميرُ على ... لُبنانَ تعنو لهُ شُمُّ العرانينِ

الفاعلُ الخيرَ لا نَقصٌ يُعابُ بهِ ... والقائلُ الحقَّ يُجلَى بالبراهينِ

تملا المَسامعَ والأَبصارَ طَلعتُهُ ... اذا تصدَّرَ في صَدرِ الدواوينِ

مُؤيَّدٌ بيمينِ اللهِ مُعتضِدٌ ... ترعاهُ عينٌ تولَّتْ حِفظَ ذي النُونِ

سعودُهُ فوق افلاكِ العُلَى ارتفعتْ ... وذِكرُهُ دقَّ أَبوابَ السلاطينِ

شَهْمُ الفُؤادِ حَصيفٌ ليسَ يَشغلُهُ ... سَمعُ القوانينِ عن حِفظِ القوانينِ

تَكِلُّ عن رأْيهِ الآراءُ قاصرةً ... حتى تَرَى كلَّ فوقٍ صار كالدُونِ

في قلبهِ حِكمةٌ فاضت جداولُها ... حتى سَرَتْ مع دِماهُ في الشَرايينِ

يَستدرِكُ الأَمدَ الأَقصى بها ويَرَى ... خَفيَّ سِرٍّ بقلبِ المَرءِ مكنونِ

في كلِّ فَنٍّ لهُ باعٌ يطولُ فخُذْ ... معهُ بما شِئتَ في أَيِّ الأَفانينِ

يُرنِّجُ الشِعرُ عِطفَيهِ فيُطربُهُ ... اذ كانَ يَعرِفُ منهُ كلَّ مضمونِ

طارَتْ اليهِ قوافينا فقلتُ لها ... لا يَرتَعُ الطيرُ الاَّ في البساتينِ

والشِعرُ كالضيفِ يأْتي من يُكرِّمُهُ ... ولا يُباعُ لديهِ بيعَ مغبونِ

وقال يرثيهِ وكان قد توفي ليلة عيد رمضان في مقام
الامام الاوزاعي سنة ١٢٧٥

ماذا جَلَبتِ لنا يا ليلةَ العيدِ ... غيرَ البُكاءِ لأَمرٍ غيرِ مردودِ

وَيلٌ لنا منكِ قد هَيَّمتِنا طَرَبًا ... من رَنَّةِ النَوحِ لا من رَنَّةِ العُودِ
لا آخَذَ اللهُ قلبًا لم يَطِرْ أَسَفًا ... مني لشَخصٍ عظيمِ الشأنِ مفقودِ
قَدَّمتُ عنهُ غَداةَ البينِ تَعزِيَةً ... للحَزمِ والعَزمِ والإقدامِ والجُودِ
هذا الأَميرُ امينُ اللهِ مُضطجعٌ ... في طَيِّ رَمسٍ منَ الأَبراجِ محسودِ
قد أَودَعَ اللهُ فيهِ خيرَ جوهرةٍ ... في خيرِ كَنزٍ بعينِ اللُطفِ مرصودِ
هذا الذي كانَ رُكنًا يُستَجارُ على ... كيدِ الزمانِ بظِلٍّ منهُ ممدودِ
يُعطي الأُلوفَ ويَقتادُ الصفوفَ ولا ... يَخشَى الحُتوفَ ويَلقَى كُلَّ صِنديدِ
هذا الذي كانَ في آرائهِ سَعَةٌ ... كانتْ تَضيقُ عليها ساحةُ البِيدِ
هذا الكريمُ الذي كانت مواهبُهُ ... تُحيطُ بالناسِ مثلَ العِقدِ بالجِيدِ
يا غَرْبَ لُبنانَ لا تَهتَزَّ مُضطَرِبًا ... وارفُقْ فإنَّ التَّناهي غيرُ محمودِ
صبرًا على نَكَدِ الدُنيا التي اختَرَمَتْ ... عادًا وغالت سُلَيمانَ بنَ داودِ
لا تَنتزِعْ عنكَ أَثوابَ الحِدادِ على ... مَن كانَ جودُ يَدَيهِ غيرَ محدودِ
لا تَنسَ من كانَ لا يَنسَى الصَديقَ ولا ... تَغفُلْ مَدَى العُمرِ عن نَوحٍ وتَعديدِ
قد خانَكَ الدَهرُ غَدرًا في تَقَلُّبِهِ ... حتى ابتَدَلتَ الليالي البِيضَ بالسُودِ
كانت ليالي الهَنا معدودةً فمَضَتْ ... وخَلَّفَتْ حُزنَ دَهرٍ غيرِ معدودِ
وَيلاهُ من هذهِ الأَيامِ ما تَرَكَتْ ... قلبًا سليمًا ورُكنًا غيرَ مهدودِ
لا تَجمَعُ الشَملَ الا كي تُبَدِّدَهُ ... ما كانَ أَغناهُ عن جَمعٍ وتبديدِ
هذهِ ذَخيرَتُنا يا أَرضُ فاحتَفِظي ... بها الى مَوقِفٍ للبَعثِ مشهودِ

Digitized by Birzeit University Library

أَنت الأَمينُ على هذا الأَمينِ فلا ... تُسلّمي نُورَ ذاكَ الوَجهِ للدُودِ
يا أَيُّها القبرُ هذا اليومَ فيكَ ثَوَى ... أَجلُّ ميتٍ وأَبهى كُلِّ مولودِ
إِحفَظْ كَرامةَ من كانت كَرامتُهُ ... تجري على الضيف جَرْيَ الماءِ في العُودِ
أَلقَى اليكَ حِمَى لُبنانَ وا أَسَفَا ... مَن كانَ يُلقَى اليهِ بالمقاليدِ
مَن شادَ مَجْدَ بني رَسلانَ من قِدَمٍ ... مُجدِّدًا مُلكَ لَخْمٍ أَيَّ تجديدِ
ما زِلتُ أَطمَعُ في طُولِ الحَياةِ لهُ ... فكُنتُ أَخدَعُ نفسي بالمواعيدِ
وصارَ نظمُ المراثي بعدَ فَجْعَتِهِ ... مَكانَ نظمِ التهاني والأَغاريدِ
يا مَن يَعِزُّ علينا أَنْ نَصُوغَ لهُ ... شِعرًا بغيرِ مديحٍ فيهِ معهودِ
صارَتْ لكَ اليومَ أَمثالٌ مُضاعفةٌ ... وكانَ مِثلُكَ قبلاً غيرَ موجودِ
هذا الذي يَجعَلُ الأَلبابَ خاشعةً ... ويَصدَعُ القلبَ من صُمِّ الجلاميدِ
مَنْ لم تُفِدْهُ منَ الأَحياءِ مَوعِظةٌ ... يُصغِي لوَعظٍ منَ الأَمواتِ مسرودِ

وقال يعزي الامير محمد رسلان بعد وفاة ابيهِ في التاريخ المذكور وكان قد تسلم الولاية بعدهُ

ما دامَ هذا اليومُ يَخلُفُهُ الغـدُ ... لا تُنكِروا أَنَّ القَدِيمَ يُجدَّدُ
لم تُقطَعِ الأَغصانُ من شَجَراتِها ... الاَّ رأَينا غيرَهـا يَتولَّـدُ
هذا الأَمينُ مَضَى فقامَ مُحمَّدٌ ... خَلَفًا فنابَ عن الأَمينِ مُحمَّدُ
حَدَثٌ لهُ في العينِ يومٌ أَبيضٌ ... يُجلَى بهِ في القَلبِ يومٌ أَسوَدُ

Digitized by Birzeit University Library

مَن عاشَ في الدُنيا تَفطَّرَ قلبُهُ غَمًّا بِها ان كانَ لا يَتجلَّدُ
ان كانَ عيني كُلَّما رأَتِ البلا سَهِرَتْ فطُولَ حَياتِها لا تَرقُدُ
في كُلِّ يومٍ للحَوادِثِ غارةٌ فينا تقولُ العودُ عندي أَحمَدُ
ان لم يَكُنْ للمرءِ عندَ لِقائِها سيفٌ يُسَلُّ فدِرعُ صبرٍ تُسْرَدُ
فَقْدُ العزيزِ بَلِيَّةٌ وأَخفُّها ما صادَفَ التعويضَ عمَّا يُفقَدُ
عزَمَتْ على الإِنصافِ دُنيانا التي سَلَبَتْ يدٌ منها وأَعطَتْنا يَدُ
بَدَلٌ لشَخصِ أَبيهِ حلَّ محلَّهُ فهُوَ الذي يُنحى اليهِ ويُقصَدُ
لم تَهدِ العُليا فتًى كمُحمَّدٍ في الناسِ وهْيَ لَدَيهِ مِمَّا يُهمِدُ
أَلِفَ الولايةَ من صِباهُ كِلاهُما إِلفٌ لصاحِبِهِ عليهِ مُعوَّدُ
نَظَرَتْ مَناقِبَهُ الحِسانَ فأَدرَكَتْ سِرًّا تَكادُ تَراهُ مِمَّا يُعبَدُ
هيَ في حِماهُ رَبيبةٌ لا تَنثني عن بابِهِ ونَزيلةٌ لا تُطرَدُ
وضَجيعةٌ في مَهدِهِ ورَدِيفةٌ في سَرجِهِ وجَليسةٌ اذ يَقعُدُ
رَيَّانُ في نَظَرِ البصائرِ أَشيبٌ عَجَبًا وفي بَصَرِ النَواظِرِ أَمرَدُ
تَزوَرُّ عن مِرآةِ عينِ حَسودِهِ كشُعاعِ شَمسٍ يَتَّقيهِ الأَرمَدُ
خَلَفٌ كريمٌ أَشبَهَ السَلَفَ الذي كانَتْ لهُ كلُّ الخَلائقِ تَشهَدُ
ما كانَ يُوجَدُ كالأَمينِ بعَصرِهِ واليومَ مِثلُ مُحمَّدٍ لا يُوجَدُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدحه ويهنئه بتقرير الولاية عليه من لدن الدولة وكان ذلك
على اثر عيد الاضحى في التاريخ المذكور

مَلِلتُ منَ القريضِ وقلتُ يكفي ... لأمرٍ شابَ قوَّتَهُ بضعفِ
أُحاولُ نُكتةً في كلِّ بيتٍ ... وذلكَ قد تُقصِّرُ عنهُ كفّي
أَجلُّ الشعرِ ما في البيتِ منهُ ... غرابةُ نُكتةٍ او نوعُ لُطفِ
وبئسَ الشعرُ بيتٌ ليسَ فيهِ ... أمامكَ غيرُ حيطانٍ وسقفِ
رأيتُ الشعرَ بعضٌ مثلُ وقرٍ ... على أُذنٍ وبعضٌ مثلُ شنفِ
وفوقَ الشعرِ فرقُ الناسِ حتى ... ترَى من ذاكَ ضعفاً فوقَ ضعفِ
اذا برزَ الأميرُ ظننتَ شخصاً ... كباقي الناسِ اذ يبدو لطرفِ
وما يُدريكَ كم رجلاً يُساوي ... اذا استقريتَ صفّاً بعدَ صفِّ
نرَى في كلِّ مسئلةٍ خلافاً ... سوَى تفضيلهِ في كلِّ وصفِ
وهل في الصبحِ بينَ الناسِ خُلفٌ ... فيُثبتَ بعضُهم والبعضُ ينفي
قدِ اجتمعَتْ قلوبُ الناسِ طُرًّا ... عليهِ وأجمعَتْ من دونِ خُلفِ
فلم يكُ لاختلافٍ حرفُ نفيٍ ... ولم يكُ لاشتراكٍ حرفُ عطفِ
تحقَّقَ ولايةٌ شرعاً وعُرفاً ... لراعي الحقِّ في شرعٍ وعُرفِ
لمَنْ لو فارقَتْهُ بكَتْ وحنَّتْ ... حنينَ الإلفِ عندَ فراقِ إلفِ
سليمُ القلبِ ذو فعلٍ صحيحٍ ... يُصرَّفُ دونَ إعلالٍ وحذفِ
لهُ في المجدِ تأسيسٌ قديمٌ ... منَ الأقيالِ ردفاً بعدَ ردفِ

Digitized by Birzeit University Library

أقُولُ اذا خَتَمتُ المدحَ فيهِ ... قدِ استوفَيتُ منهُ كلَّ حرفِ
وأَرجعُ إذْ أُراجعهُ كأَنّي ... فَطِنتُ بواحدٍ من بينِ أَلفِ
أَنا عبدٌ لهُ لي رَفعُ رأسٍ ... بذاكَ وللحواسدِ رَغمُ أَنفِ
وكُنتُ لهُ قديمًا مِلْكَ إِرْثٍ ... فصِرتُ لهُ حديثًا مِلْكَ وَقْفِ
أَهيمُ بذِكرِهِ طَرَبًا كأَنّي ... مَعاذَ اللهِ نَشوانٌ بصِرْفِ
وأَستَبِقُ الرياحَ اليهِ حتّى ... أَسيرَ أَمامَها وتَسيرَ خَلْفي
أَقامَ اللهُ دولتَهُ فكانَتْ ... كنُورِ البدرِ يُجلَى بعدَ خَسْفِ
تَقاسَمْنا الهناءَ بها ولكنْ ... طَمِعتُ فكانَ سَهْمي فَوْقَ نِصفِ

وقال يمدحهُ

عُوجا على غَرْبِ لُبنانَ الذي اشتَهَرا ... فذلكَ الغَرْبُ شَرْقٌ أَطلَعَ القَمَرا
قد مَدَّ للبَرِّ كَفًّا فاجتَنَى ثَمَرًا ... ومَدَّ للبحرِ كَفًّا فاجتَنَى دُرَرا
لئن تَكُنْ ارضُهُ أَدنَى بِلادِكما ... فتلكَ أُسٌّ عليهِ البَيتُ قد عَمَرا
والأَصلُ أَدنَى منَ الأَغصانِ مَنزِلةً ... وَهْوَ الذي يُرفِدُ الأَغصانَ والثَمَرا
اذا بَدا لَكُما وجهُ الأَميرِ بهِ ... فسَبِّحا اللهَ إِرغامًا لِمَنْ كَفَرا
لا تَصرِفا طَيِّباتِ الشِعرِ في غَزَلٍ ... بُحُبِّ ظَبيٍ وشَكوَى صاحِبٍ هَجَرا
اذا رأَينا بديعَ اللُطفِ مُنفرِدًا ... عن رُتبةِ الناسِ عِفْنا مَذهَبَ الشُعَرا
وناظِمُ الشِعرِ نَسّاجٌ يَحُوكُ بهِ ... لِكُلِّ قومٍ على مِقدارِهِمْ حِبَرا

Digitized by Birzeit University Library

لَقد مدَحتُ اباهُ قبلهُ فسطَتْ ... على يَراعي دُيونُ المَدحِ فانكسَرا
فصارَ عندِي لهُ مَدحٌ يحقُّ لهُ ... كسباً ومدحٌ بحقِّ الإرثِ قد غبَرا
مَن للشيُوخِ بأَنْ يُعطوا فُؤَادَ فتىً ... كأَنَّهُ قلبُهم في الدهرِ قد فُطِرا
نالَ الكَمالَ الذي عندَ الشيُوخِ وقد ... خلَّى لهم بعد ذاكَ الشَيْبَ والكِبَرا
أَستغفرُ اللهَ إِنّي لستُ أَمدحُهُ ... كما زَعمتُ أَطالَ القولُ ام قصُرا
هُوَ الذي نالَ ما قد نالهُ وأَنا ... أُذيعُ للناسِ عن اخلاقهِ خبَرا
لَقد طَلَبتُ لهُ مثلاً فأَجهَدَني ... هذا الطلابُ فمَنْ يُلقِي معي نَظَرا
ومَن تُرَى عِندَنا مثلُ الأَميرِ فمَنْ ... سأَلتَهُ قالَ مَن مِثلُ الأَميرِ تُرَى
يزورُهُ الشعرُ مُلتاحاً على خَجَلٍ ... فيَستَظِلُّ بطَيِّ الصُحفِ مُستَتِرا
في كلِّ يومٍ على وَجهٍ نُقلِّبُهُ ... لَفظاً ومعنىً ولا نَقضي بهِ وَطَرا
يا ابنَ الأَمينِ الذي أَعطَتكَ شِيمتُهُ ... خَمساً فزِدتَ عَلَيهِنَّ اثنَتَيْ عشَرا
ليسَ اللبيبُ الذي يأتيكَ مُمتدِحاً ... إِنَّ اللبيبَ الذي يأتيكَ معتذِرا
قد فُقتَ مَن كانَ فوقَ الناسِ مكرُمةً ... فأَنتَ قد صِرتَ فوقَ الفوقِ مُقتدِرا
كأَنَّما الدهرُ فينا شاعرٌ فطِنٌ ... وأَنتَ في نفسِهِ معنىً قد ابتُكِرا

وقال يمدحهُ بعد عودتهِ من سفرٍ

غابَ الأَميرُ فما تمادَى المَرجِعُ ... كالبَدرِ في فلَكٍ يَغيبُ فيطلُعُ
أَلقَى على غَرْبِ البِلادِ قُدومُهُ ... طَرَباً عليهِ متنُها يتوجَّعُ

رَجُلٌ تُصاحِبُهُ السُعودُ إذا مَضَى ... وإذا أَقامَ ففي حِماهُ تَرتَعُ

ما ضَيَّعَ الرَحمٰنُ إسمَ مُحَمَّدٍ ... فيهِ وإنَّ اللهَ ليسَ يُضيِّعُ

وَرِثَ الأَمينَ أَباهُ مُتَّخِذًا لهُ ... من عِندِهِ أَصلاً فصارَ يُفرِّعُ

فكأَنَّهُ أَعطاهُ مالَ تِجارةٍ ... أَضحَى غِناهُ بِرِبحِها يَتَوَسَّعُ

يا مَن تِجارتُهُ مَكارمُ نفسِهِ ... أَبدًا فغيرَ المجدِ لا يَستبضِعُ

تَرضَى بِمَيسورِ المَنافِعِ قانعًا ... لكنْ بِمَيسورِ العُلَى لا تَقنَعُ

ما أَنتَ من أَهلِ الزَمانِ وان تَكُنْ ... فيهِ فإنَّكَ لَستَ مِمَّن يَتبَعُ

عَمَرَتْ رُبوعُ العِلمِ عِندَكَ بَعدَما ... كادَتْ تُمزِّقُها الرياحُ الأَربَعُ

إنَّا لَفي زَمَنٍ تَدِبُّ على العَصا ... فيهِ العُلومُ وقد تَقومُ فتُصرَعُ

أَلقَى عليها المالُ هَيبةَ سَيفِهِ ... فَمَضَتْ تَصيحُ ووَيحَها مَن يَسمَعُ

هذا هُوَ المَلِكُ العظيمُ فإنَّهُ ... في الأَرضِ تَخدِمُهُ الخلائقُ أَجمَعُ

وهوَ القديرُ الآمِرُ الناهي الذي ... في كلِّ أَهواءِ النُفوسِ تَصنُّعُ

ولِكُلِّ شَهوةِ راغبٍ شِبَعٌ سِوَى ... إلاَّ هَواهُ فليسَ فيهِ تَصنُّعُ

حاشا الأَميرِ مِنَ المَلامِ فانَّهُ ... مَن يَشتَهِيهِ فانهُ لا يَشبَعُ

لا تَحسَبَنَّ المُستحيلَ ثَلاثَةً ... في غيرِ كَسبِ فضيلةٍ لا يَطمَعُ

يا أَيُّها العَلَمُ الرفيعُ مَقامُهُ ... فنظيرُهُ للمُستحيلِ يُربِّعُ

إنْ قُلتَ هذا شاعرٌ يَغلُو فإنْ ... في كلِّ أَمرٍ وَهوَ لا يَترَفَّعُ

شَهِدَتْ معي الدُنيا فماذا تَصنَعُ

وقال يجيب الشيخ محمد الموقّت عن ابياتٍ ارسلها اليهِ

من كانَ كاتبَ نُونِ هذا الحاجبِ ... هيهاتَ ليستْ من صناعةِ كاتبِ
ومنِ الذي خضبَ الخدودَ بحُمرةٍ ... يامَيُّ أم ليستْ بصبغةِ خاضبِ
بأبي التي من آلِ بدرٍ وَجهُها ... ولحاظُها من رَهطِ آلِ محاربِ
تغزو كما تغزو الكُماةُ وانما ... تدعُ العِدى وتُريدُ غزوَ الصاحبِ
قُلْ للتي نَهبَتْ فُؤادَ محبِّها ... بئسَ الغنيمةُ نهبُ قلبِ ذائبِ
نَهبَتْ خُلاصةَ مالها من بيتها ... نفسي فِداكِ فأينَ ربحُ الناهبِ
كم بينَ مَن يجمو الخليطَ وبينَ مَن ... يصبو الى حُبِّ البعيدِ الغائبِ
مَن كانَ يهوَى فليكُنْ كمحمّدٍ ... يهوَى ويهوَى بالخليقِ الواجبِ
ذاكَ الذي منهُ المحبَّةُ نحوَنا ... قطعَتْ سباسبَ أُردِفَت بسباسبِ
كلُّ الصحابِ نُريدُ تجربةً لهم ... وهوَ الغنيُّ عنِ امتحانِ تجاربِ
أهدَى اليَّ رسالةً آمنتُ عن ... ثِقةٍ بها لما أتَتْ بعجائبِ
حمَلَتْ على ضعفٍ بها من صَبوةٍ ... ما ليسَ تحملُهُ متونُ نجائبِ
عربيّةٌ جاءَت بلُطفِ حواضرٍ ... من رِقّةِ المعنَى ولفظٍ أعاربِ
نقشَتْ سوادًا في البياضِ كأنهُ ... نقشُ الغوالي في وُجوهِ كواعبِ
يا مَن دعا فأجابَ قلبي طائعًا ... لبّيكَ من داعٍ عزيزِ الجانبِ
ذاكَ ابتداءُ مالهُ من ناسخٍ ... ولهُ ارتفاعٌ مالهُ من ناصبِ
أنتَ الوفيُّ الصادقُ الحُبِّ الذي ... يبقَى على طولِ الزمانِ الكاذبِ

Digitized by Birzeit University Library

ولقد توازنت المحبة بيننا كتوازن الأجزاء في المتقارب
حملتني من فضل جودك منة عظمت ولكن ليس تثقل غاربي
منن الكرام على الرجال خفيفة اذ ليس من عيب بهن لعائب

وقال يجيب جبرائيل افندي صدقة عن بديعية امتدحه بها

خود من العرب عافت شيمة الكرم تضن حتى بحرف النفي في الكلم
قد أتهمتني بذنب لست أعرفه وأكثر الظلم في الدنيا من التهم
عاتبتها فأشاحت غير ناطقة كأنها من بنات الفرس والعجم
وما عجبت فقد كان العذول بها يقول سبحان من أبلاك بالصمم
ما لي وما لكلام العاذلين فكم من ناصح يتلقى البرء بالسقم
وأكثر القول ظن لا ثبات له وأكثر الظن وهم زاهق القدم
من يصحب الدهر يعرف حالتيه ومن يعاجل الأمر لا يخلو من الندم
ومن يسل عن أخ يرعى الذمام فقل جبريل من صدقات الله ذي النعم
ذاك الصديق السليم القلب من وضر والصادق البارع الآداب والشيم
له على الدهر عهد غير منتقض قربا وبعدا ووده غير منثلم
مهذب العقل لا يحتاج معذرة ويقبل العذر من لطف ومن كرم
ولا يضيق له صدر بنائبة ولا يميل له عطف مع النسم
هو البديع الذي فاق البديع وقد أهدى البديع كدر منه منتظم

Digitized by Birzeit University Library

قد حمَّلَ القلبَ شُكرًا ليسَ يحملُهُ فهبَّ مُستنجدًا باللوحِ والقلمِ
أَولى الجميلِ بحمدٍ ما بدأْتَ بهِ اذا أَضفْتَ اليهِ حُسنَ مختتمِ
وأَحسنُ الأَمرِ ما سرَّتْ عواقبُهُ كالصبحِ يُنسي ضياهُ سالفَ الظُلَمِ
زِدْني منَ الشعرِ يا جبريلُ فاكهةً ودَعْ ثناكَ لمَنْ لاقَ الثنا بهمِ
مَنْ عوَّدتْ أُذنهُ سَمْعَ المديحِ لهُ تعوَّدَ الناسُ منهُ سَمْعَ مَدْحِ فَمِ

وقال يمدح الامير محمد رسلان و يهنئهُ بعيد الفطر

خُذُوا حِذرَكم من طَرْفِهِ فهْوَ قتَّالُ ولا تطمعوا في عِطفِهِ فهْوَ ميَّالُ
ولا تعجبُوا للنَّدِّ في صَحْنِ خدِّهِ فمن فوقِهِ نُونٌ ومن حولِهِ دالُ
مَليحٌ تُباعُ الرُوحُ في سوقِ حبِّهِ وليسَ سِوَى تلكَ اللواحظِ دلَّالُ
منَ الغيدِ بَرْدٌ لا سلامٌ بثغرِهِ فأَصبحَ فيهِ يُجمَعُ الماءُ والآلُ
جرَى عرَقٌ في خدِّهِ لالْتهابِهِ فذلكَ ماءُ الوَردِ في الخدِّ سيَّالُ
وقد قطَرَتْ اذ خطَّتِ السحرَ عينُهُ منَ الحبرِ فيهِ نُقطةٌ إِثمُها الخالُ
غزالٌ تغزَّلْنا بغازلِ طَرْفِهِ فغازلَنا منهُ غزالٌ وغزَّالُ
طَمِعْنا على جهلٍ بعسَّالِ ثغرِهِ وكم دُونَ عسَّالِ المراشفِ عسَّالُ
يَقُولونَ لي ما أَنتَ والغزَلَ الذي عليكَ بهِ أَهلُ الشهامةِ عذَّالُ
عليكَ حقُوقٌ للأَميرِ فقُمْ بها ودَعْ عنكَ هذا اللغوَ يا نِعْمَ ما قالوا
سلامٌ على وَجهِ الأَميرِ محمَّدٍ يُحيَّا بهِ من أَجلِهِ الصحْبُ والآلُ
عزيزٌ علينا كلُّ ما ينتمي الى عزيزٍ فدَتْهُ النفسُ والأَهلُ والمالُ

Digitized by Birzeit University Library

أَتُوقُ الى تِلكَ الدِيارِ كأَنني ... غريبٌ عليهِ طالَ في الدَهرِ تَرحالُ
وأَطرَبُ لليومِ الذي نلتقي بهِ ... كمجهودِ شهرِ الصومِ إِذْ هلَّ شوَّالُ
تغرَّبتُ عن غربٍ هُوَ الشرقُ عندنا ... فما الشرقُ إِلاَّ حيثُ للصبحِ إِقبالُ
هُنالِكَ صبحٌ لا ظلامَ وراءَهُ ... يلوحُ بهِ وَجهٌ وقولٌ وأَعمالُ
فياوطَني إِنْ فاتَنيكَ سابقٌ ... من الدهرِ فلينعَمْ لساكنِكَ البالُ
ويا دارَهُ بالغربِ إِنَّ مزارَها ... بعيدٌ ولكن دُونَهُ ليسَ أَهوالُ
لَنا من أَبيهِ نعمةٌ طالَ ذيلُها ... فما برِحَتْ منهُ تُجرَّرُ أَذيالُ
ظَنَنَّا الليالي لا تَجودُ بمثلِهِ ... فجادَتْ بمثلٍ لا تُدانيهِ أَمثالُ
أَصحُّ كلامٍ مَدحُهُ فهْوَ مذهبٌ ... لَنا فيهِ قولٌ واحدٌ ليسَ أَقوالُ
وأَشهرُ شيءٍ أَنَّهُ فرْدُ عصرِهِ ... فذلكَ تدريهِ شيُوخٌ وأَطفالُ
يُخبِّرُ عن أَيَّامِ عادٍ وجُرهُمٍ ... كمَنْ مرَّ أَجيالٌ عليهِ وأَجيالُ
ويحفَظُ ما يبقى على لوحِ صدرِهِ ... كخبرٍ بهِ في اللوحِ يُرسَمُ تِمثالُ
لهُ في أَفانينِ الكلامِ تصرُّفٌ ... وفي الشعرِ إِحسانٌ وفي النثرِ إِجمالُ
ونفعٌ وضرٌّ عندَهُ غيرَ أَنَّهُ ... الى النفعِ معجالٌ عنِ الضرِّ مكسالُ
نهنيهِ بالعيدِ الخليقِ لهُ الهنا ... بهِ فعليهِ منهُ للزَهوِ سِربالُ
ولو كانَ هذا العيدُ يملكُ أَمرَهُ ... أَتى كلَّ يومٍ زائرًا وهوَ يختالُ
قسَمْنا جميلَ القولِ والفعلِ بيننا ... فمِنِّي لهُ قولٌ ولي منهُ أَفعالُ
ولكن تقاسَمْنا فجارَ فكلَّما ... أَتى دانقٌ مِنِّي أَتى منهُ مثقالُ

وقال يرثي السيد عمر بيهم

زُرْ تُربةً في الحِمَى يا أَيُّها المَطَرُ ... وقُلْ عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ
ان كنتَ تُنبِتُ زهراً حولَ مَضجَعِهِ ... فليسَ تَكثُرُ فيهِ الأَنجُمُ الزُهُرُ
هذا الذي كانَ رُكناً يُستعانُ بهِ ... على الخُطوبِ ويُرجَى عِندَهُ الظَفَرُ
وكانَ بحراً ولكنْ غيرَ مُضطرِبٍ ... وكانَ فخراً ولكنْ ليسَ يَفتَخِرُ
في شَخصِهِ الدِينُ والدُنيا قد اجتمعا ... وذاكَ يَندُرُ أَنْ تَحظَى بهِ البَشَرُ
يَرعَى اذا اتَّفقا هذا وتلكَ فإنْ ... تَخالَفا فلِهذا عِندَهُ النَظَرُ
مُهذِّبُ الخُلقِ ما في خُلقِهِ أَوَدٌ ... مُطهَّرُ القلبِ ما في قلبِهِ وَضَرُ
أَرضى الالهَ فأَرضاهُ بمِنَّتِهِ ... مُنذُ الحَداثةِ حتى مَسَّهُ الكِبَرُ
كانت مَنِيَّتُهُ للناسِ مَوعِظةً ... اذ كانَ طَوْداً عظيماً دَكَّهُ القَدَرُ
لم يحمِهِ الشَرَفُ الأَعلى بجُرمتِهِ ... والآلُ والصَحبُ والأَملاكُ والبِدَرُ
ساروا بهِ فوقَ نَعشٍ بَلْ حاملَهُ ... من ماءِ دَمعٍ عليهِ كانَ يَنحدِرُ
حتى أَفاضُوا الى ارضٍ مُبارَكةٍ ... تُتلَى بها فوقَهُ الأَورادُ والسُوَرُ
حديقةٌ طَبَّقَتها الناسُ من بَلَدٍ ... خلا فلم يبقَ في أَبياتِهِ نَفَرُ
طافوا بتابوتِهِ مثلَ الحجيجِ بها ... كأَنَّها حَرَمٌ في وَسطِهِ الحَجَرُ
مضى الى رَبِّهِ الغفّارِ مُعتصِماً ... بلُطفِهِ تحتَ ذيلِ العَفوِ يَستترُ
وأَقفرَتْ منهُ دارٌ اظلَمَتْ كَمَداً ... حتى أَستوَى في ذَراها الليلُ والسَحَرُ
يا أَيُّها الناسُ قد طالَ الرُقادُ على ... عينٍ لقد حانَ أَنْ يَنتابَها السَهَرُ

Digitized by Birzeit University Library

لا تغفلوا طمعاً في العيش وانتبهوا ... إنَّ المنايا على الأبواب تنتظرُ
في كل يومٍ من الموتى لنا عبرٌ ... تبدو ويا حبذا لو تنفعُ العبرُ
قُمنا على سكرةِ الدنيا الغرورِ فما ... نُفيقُ الا وداعي الموتِ ينتهرُ
كلٌّ من الناسِ يهواها فتخدعهُ ... حتى يموتَ ولا يُقضى لهُ وطرُ
شابَ الزمانُ وشبنا وهْيَ يافعةٌ ... لم يبدُ للشيبِ في فرعٍ لها أثرُ
يا مغرمينَ بها ان لم يكنْ لكمُ ... خبرٌ يفيدُ فهل لم يأتكم خبرُ
كلُّ الغرامِ مضرٌّ قالَ مزدوجاً ... تأريخهُ هل غرامٌ مالهُ ضررُ
١٢٧٦ ١٢٧٦

وقال يمدح فؤاد باشا عند حضورهِ الى بيروت لاصلاح سورية

قد مدَّ خطُّ عذارهِ فأجادهُ ... يا ليتَ ذوبَ القلبِ كانَ مدادهُ
رشأٌ تقلَّدَ من شفارِ جفونهِ ... سيفاً ذوابتهُ تكونُ نجادهُ
طرفٌ غدتْ كاللامِ منهُ أضلعي ... لمَّا رأتْ عيني السخينةُ صادهُ
ألقى على رأسي السخيفِ بياضهُ ... ورمى على حظي الضعيفِ سوادهُ
متحجبٌ جعلَ المدامعَ في الهوى ... ماءً لمن جعلَ الصبابةَ زادهُ
ما زلتُ أسألُ عن مريضِ جفونهِ ... ماذا على طرفي ترى لو عادهُ
في خدهِ النارُ التي قد أحرقتْ ... قلبي ولم تردُدْ عليَّ رمادهُ
أهديتُ وجنتهُ فؤادي مثلما ... أهدى لنا البابُ العليُّ فؤادهُ

Digitized by Birzeit University Library

هذا فُؤادُ المُلكِ أدرَكَ قُطرَنا ... بالشامِ يُصلِحُ بالرَشادِ فَسادَهُ

نادَى مُنادِي العَرشِ يومَ قُدومِهِ ... أَليومَ قد رَحِمَ الالهُ عِبادَهُ

وَعَدَ الالهُ لكلِّ كَرْبٍ فَرْجَةً ... واللهُ ليسَ بمُخلِفٍ ميعادَهُ

مَوْلًى يُؤَدِّبُ عبدَهُ بجِراحِهِ ... لكنْ يُهَيِّئُ قبلَ ذاكَ ضِمادَهُ

طُبِعَ الأَنامُ على الخِصامِ سَجيَّةً ... في كلِّ شَعْبٍ وارثًا أَجدادَهُ

لايَستَبيحُ الوَحشُ قتلَ نظيرِهِ ... والإِنسُ يَقتُلُ تارةً أَولادَهُ

قَدِمَ الوزيرُ وقد تَضرَّمَتِ اللظَى ... في الأَرضِ اذ أَورَى الفَسادُ زِنادَهُ

فأَفاضَ لُجَّتَهُ على أَركانِها ... فَورًا فأَطفأَ جَمْرَها وأَبادَهُ

خَطْبٌ شديدٌ قد تَلقَّاهُ القَضا ... بأَشدَّ منهُ هادمًا ما شادَهُ

قد كانَ مَرصودًا على أَقفالِهِ ... واليومَ فَكَّ مُحمَّدٌ أَرصادَهُ

مسعودُ وَجهٍ حيثُ سارَ رِكابُهُ ... كانَتْ مَلائِكةُ السما أَجنادَهُ

هَيْهاتَ أَنْ يُنجي الفِرارُ طَريدَهُ ... يومًا ولو كانَ البُراقُ جَوادَهُ

قد أَرقَدَ الأَجفانَ تحتَ أَمانِهِ ... جَفْنٌ لهُ طَرَدَ الحِفاظُ رُقادَهُ

يَقْظانُ يَستقصي الأُمورَ بنَظْرَةٍ ... تَطوي وتَنشُرُ شَرْقَنا وبِلادَهُ

عَمَّ البَلاءُ رِجالَهُ وعِيالَهُ ... وجِبالَهُ ورِمالَهُ ووِهادَهُ

فأَتاهُ مَنْ أَعطى الأَمانَ لخائفٍ ... واخافَ مَنْ كانَ الأَمانُ وِسادَهُ

أَلقَى على نارِ الضَغينةِ بَرْدَهُ ... والى العُراةِ بُرودَهُ ومِهادَهُ

قد أَصبَحَتْ كلُّ البِلادِ عِيالَهُ ... اذ كانَ يَرزُقُ كلَّها إِمدادَهُ

Digitized by Birzeit University Library

هٰذا أَمينُ الدولةِ الراعي الذي جعلَ الصيانةَ حجَّهُ وجهادَهُ
أَعطاهُ معْنٌ حلمَهُ لٰكنَّهُ لم يُعطِ معْناً حزْمَهُ ورَشادَهُ
كلٌّ يُلاحظُ في الحياةِ معاشَهُ يا مَن يُلاحظُ قبلَ ذاكَ معادَهُ
أَللهُ يفعلُ ما يُريدُ بخلْقِهِ واذا أَرادَ فمَنْ يَرُدُّ مُرادَهُ
لكَ ينبغي الشعرُ الذي لا ينبغي لسِواكَ يامَن قد رَفعتَ عمادَهُ
هيَّجتَ لي شوقًا اليهِ وكُنتُ قد أَهملتُهُ لمَّا رأَيتُ كَسادَهُ
قد قلَّ مَن أَنشدتُهُ شعرًا فلم أَندمْ عليهِ مُحرِّمًا إِنشادَهُ
حتى أَتيتَ فقالَ لي مِضمارُهُ نَبِّهْ يَراعَكَ أَنْ يَجُدَّ طِرادَهُ

وقال مؤرخًا تقليدهُ منصب الصدارة العظمى

دَعِ الحزنَ في الدُنيا وبَشِّرْ عبادَها فعبدُ العزيز اليومَ فكَّ حِدادَها
قدِ اختارَهُ اللهُ الذي هوَ عبدُهُ خَليفتَهُ عن حِكمةٍ قدأَرادَها
فقامَ بأَمرِ اللهِ في عرشِ دولةٍ أَعزَّ مبانيها وأَعلى عِمادَها
وألقى لدى تاريخِهِ عينَ جودِهِ فقرَّرَ في صدرِ البلادِ فؤادَها
سنة ١٢٧٧

وقال يهنئهُ بشفائهِ من رفسة جوادٍ اصابت رجلهُ

شكا مَن أَذهبَ البلوى وزالت بحكمتِهِ شكاياتُ البلادِ
وما قدَرَ الزمانُ على يديهِ فصادمَ رِجلَهُ بيدِ الجوادِ

Digitized by Birzeit University Library

تحجَّبَ كالسرارِ فعادَ بدْرًا ... وكانَ لِقاهُ أشهى في المَعادِ
وما احتجبَتْ لوائحُهُ فكانت ... كضوءِ الفجرِ دُونَ الشمسِ بادِ
رَسولٌ رُدَّ قومًا عن ضلالٍ ... فقادَهُمُ الى سُبُلِ الرَشادِ
ونادَى بينَهم يا قومُ إنّي ... أخافُ عليكمُ يومَ التنادِ
عَبَثتم بالكِتابِ وقد لَطَختم ... بياضًا للحنيفةِ بالسوادِ
وقُمتُم في البلادِ كقومِ عادٍ ... ولَستُم في شريعةِ قومِ عادِ
أتى الأعرابَ من أبناءِ تُركٍ ... سَمِيُّ مُحمَّدٍ للخَلقِ هادِ
تلقَّى ما بهِ الأعجامُ فاهت ... وما نَطقَتْ بهِ عُربُ البَوادي
لهُ في الناسِ حُسَّادٌ على ما ... يَرَونَ بهِ وليسَ لهُ أعادِي
يُجازِي كلَّ ذي ذَنبٍ بعَدلٍ ... فيعذِرُهُ ويبقَى في الوِدادِ
وَزيرٌ في طريقِ اللهِ يَسعَى ... فليسَ يُريدُ ظُلمًا للعِبادِ
بهِ عاشَتْ بقايا آلِ عيسى ... كذاكَ العَيشُ يَحصُلُ بالفُؤادِ

وقال في رسالةٍ بعث بها اليهِ

غابَ الفُؤادُ ولم تَغِبْ آثارُهُ ... ذاتُ الجَمالِ ولم يَغِبْ إمدادُهُ
تَرَكَ البلادَ كأنَّهُ القَلَمُ الذي ... تَرَكَ الكِتابَ وقامَ فيهِ مِدادُهُ
وَلّى وآثارُ العَدالةِ زادُنا ... منهُ وأَدعِيَةُ المَوَدَّةِ زادُهُ
نقَشَ اسمَهُ لُبنانُ فوقَ صُخورِهِ ... لا يَنمَحِي حتى يَذُوبَ جَمادُهُ

Digitized by Birzeit University Library

أَلقى عليهِ وَحشةً في طَيِّها شَوقٌ طويلٌ تَشتَكيهِ بِلادُهُ
لا تسأَلوا عن حالها من بعدِهِ ما حالُ من قد غابَ عنهُ فُؤَادُهُ

وقال يمتدح خليل افندي ايوب كاتب يد الوزير المشار اليهِ

جَمَعتَ من أَفضَلِ الأَسماءِ في القِدَمِ بينَ الخليلِ وأَيُّوبٍ لدى الأُمَمِ
ونِلتَ في اللُطفِ سِرًّا طابَ عُنصُرُهُ فكانَ من حاسِديهِ أَلطَفُ النَسَمِ
هذا البَراعُ الذي استَخدَمتَ عاملَهُ قامَتْ لَدَيهِ سُيُوفُ الهندِ كالخَدَمِ
لَوِ ابتَغَى لكَ ياقوتٌ مُفاخَرَةً لكذَّبتهُ شُهُودُ النُونِ والقَلَمِ
قَدِ اصطَفاكَ فُؤَادُ المُلكِ مُنتَخِبًا وَهوَ الدليلُ على ما فيكَ من شِيَمِ
وظاهرُ الفِعلِ بُرهانٌ لصاحِبِهِ أَقوَى وأَجلَى من البُرهانِ في الكَلِمِ
أَعطاكَ رُتبَةَ فخرٍ أَنتَ مَوضِعُها إِنَّ الكريمَ لَيَدري مَوضِعَ الكَرَمِ
عظيمةٌ من عظيمٍ كانَ مَصدَرُها الى عظيمٍ فكانَتْ مَجمَعَ العِظَمِ
يا مَن يَليقُ بهِ منا الثَنآءُ كما للهِ لاقَ بهِ شُكرٌ على النِعَمِ
لم أَمتدِحْ لكَ فضلاً قَصدَ شُهرَتِهِ فذاكَ أَشهَرُ من نارٍ على عَلَمِ
أُهدِي لكَ ابنَةَ فِكرٍ بِنتَ لَيلَتِها فإِنْ وَجَدتَ بها قِصرًا فلا تَلُمِ
تَضمَّنَتْ من صِفاتِ المدحِ أَفضَلَها اذ قالَتِ الحقَّ واستَغنَتْ عنِ التُهَمِ

وقال وقد كتب بها الى احد اصدقائهِ في دمشق على اثر الفتنة التي حدثت بها سنة ١٨٦٠ يشير فيها الى واقعةٍ جرت لهُ

الحمدُ للهِ مَنَّ اللهُ بالفرجِ ... على المُصابِ بلا إثمٍ ولا حرجِ
على الذي لم يكن ذنبٌ عليهِ سوى ... صَوْنِ المنازلِ والأموالِ والمُهجِ
مَنْ لم تزلْ مثلَ إبرهيمَ جيرتُهُ ... وَسْطَ اللهيبِ ولا تُؤذى من الوهجِ
مَنْ همُّهُ في اصطناعِ الخيرِ مجتهداً ... وهَمُّ مَنْ دونَهُ في فعلهِ السمجِ
مُحمَّدُ الأحمدُ المحمودُ مَخْبَرُهُ ... بينَ الورَى بلسانٍ صادقٍ لهجِ
طَلْقُ الجبينِ كريمُ الراحتينِ لهُ ... عظيمُ شأنٍ بروحِ اللطفِ ممتزجِ
غضُّ الصبى تخجلُ الأشياخَ حكمتُهُ ... مؤيَّدُ النطقِ بالبرهانِ والحُججِ
شرابُهُ العلمُ في كتبٍ تُنادمُهُ ... سِرًّا فيطربُ لا بالعودِ والهزجِ
كم من أيادٍ لهُ ما زلتُ أذكرُها ... ونعمةٍ لستُ أنساها مدى الحججِ
أنا لهُ كيفما دارَ الزمانُ بهِ ... ومعهُ حيثُ استوى فيهِ من الدرجِ

وقال يجيب سليمان افندي الصولي عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ

تذكَّرتُ صفوَ زمانٍ عبرْ ... فأنكرتُ تبديلَهُ بالكدرْ
ولكنْ رضيتُ بحكمِ القضاءِ ... وسلمتُ أمري لحكمِ القدرْ
صبرتُ على الدهرِ مستصغرًا ... لما فيهِ واللهُ مع مَنْ صبرْ
وماذا ترى فيهِ من واقعٍ ... وماذا ترى فيهِ من منتظرْ
نهارٌ يزولُ فيأتي الظلامُ ... وشمسٌ تغيبُ فيبدو القمرْ

Digitized by Birzeit University Library

وما بينَ ذلكَ زيدٌ يقيمُ ... زماناً وعمروٌ يريدُ السفرْ
وما بينَ هذا وذاكَ ترى العينَ م تمضي ويمضي وراها الأثرْ
وليسَ على الأرضِ باقٍ سوى ... خبايا التُّقى في كُنوزِ البشرْ
تولّى على الناسِ حُكمُ الغرورِ ... فتاهوا ضلالاً وغضُّوا النظرْ
يهونُ عليهمْ خطابُ الخطيبِ ... وقدهانَ خطبُ اعتبارِ العبرْ
ومنْ لا يبالي بوخزِ الرماحِ ... فكيفَ يبالي بغرزِ الإبرْ
نرى البعضَ يهوى جمالَ البدورِ م والبعضَ يهوى نوالَ البدرْ
ويندرُ منْ كانَ يهوى العلومَ ... ولا حكمَ يبنى على ما ندرْ
تولّى سليمانَ وجدٌ بها ... ومدَّ اليها حديدَ البصرْ
وقدغاصَ في أبحرِ الشعرِ منذُ ... صباهُ يريدُ التقاطَ الدررْ
طليقُ الأعنّةِ في لفظِهِ ... رقيقُ المعاني شهيُّ السمرْ
يُشنّفُ أسماعنا بالفنونِ ... إذا جالَ في نظمِهِ او نثرْ
يلبّيهِ خاطرُهُ مسرعاً ... كتلبيةِ العُربِ أهلِ الوبرْ
ويبغي لألفاظِهِ رقةً ... كما تبتغي شعراءُ الحضرْ
كساني رداءَ الثناءِ الذي ... غلا في التوسّعِ فوقَ القدرْ
تجدّدَ من صبوتي ما مضى ... وآنسَ من خاطري ما نفرْ
أثارَ بقلبي القريضَ الذي ... يثيرُ السحابَ وينسى المطرْ
هوَ العودُ لا ثمرٌ عندهُ ... وما ينفعُ العودُ دونَ الثمرْ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح السلطان عبد العزيز حين جلوسهِ على سرير المملكة

ماذا شعوبُ بني عثمانَ تنتظرُ ... قد عادَ منتصباً في ملكهِ عمرُ
وجدَّدَ اللهُ في أيَّامِ دولتهِ ... عهدَ الصحابةِ حيثُ العدلُ ينتشرُ
هذا هوَ الملكُ المحيي العبادَ كما ... يحيي البلادَ ويعطي خصبها المطرُ
ما قامَ في ارضنا من قبلهِ ملكٌ ... يرضى بهِ اللهُ والأملاكُ والبشرُ
في الارضِ عبدُ العزيزِ اليومَ زينتها ... ومثلهُ في السماءِ الشمسُ والقمرُ
ان كانَ قد أظلمتْ أيَّامُنا قدماً ... فقلْ لها ستبشري قد أشرقَ السحرُ
خليفةُ اللهِ ظلٌّ في خليقتهِ ... ظلَّت بهِ تتقي الدنيا وتستترُ
لا ترتضي غيرهُ الدنيا لها ملكاً ... لو كانَ جبريلُ يأتيها أو الخضرُ
مهذَّبُ النفسِ صافي القلبِ طاهرهُ ... مؤيَّدُ العزمِ ماضي الأمرِ مقتدرُ
ينالُ بالصحفِ والأقلامِ حاجتهُ ... من الجيوشِ فتلكَ البيضُ والسمرُ
لا يلحقُ الفعلَ من أفعالهِ ندمٌ ... ولا يُلامُ على أمرٍ فيعتذرُ
ولا يُعابُ لهُ سرٌّ ولا علنٌ ... ولا يزيغُ لهُ سمعٌ ولا بصرُ
مقلَّدٌ فوقَ أثوابٍ مضاعفةٍ ... من خشيةِ اللهِ سيفاً صاغهُ القدرُ
مذَّربُ النصلِ مكتوبٌ بصفحتهِ ... اذا دنا أجلٌ لا ينفعُ الحذرُ
كلُّ السلاطينِ في أجيالها شجرٌ ... عبدُ العزيزِ على أغصانها ثمرُ
ملائكُ العرشِ ترعاهُ وتخدمهُ ... والسعدُ في بابهِ يمسي ويبتكرُ
تثني عليهِ بأقلامٍ وألسنةٍ ... لكنْ مطوَّلها في الحقِّ مختصرُ

Digitized by Birzeit University Library

إذا طَلَبْنا منَ الباري لَنا وَطَرًا فليسَ إلاَّ بقَاهُ عِندَنَا وَطَرُ

وقال في عيد مولده

يا أَيُّها الناسُ هذا مَولِدُ القَمَرِ في نِصفِ شَعبانَ يُهدِي البِشْرَ للبَشَرِ
قد أَولَدَ اللهُ سَعدًا يومَ مَولِدِهِ لَنا كما تَقتَضيهِ حِكمَةُ القَدَرِ
يومٌ جَرَى منهُ نَحوَ المُلكِ صاحِبُهُ جَرْيَ البُدُورِ الى نُورٍ منَ الغُرَرِ
قد أَوجَدَ اللهُ فيهِ رَحمةً ظَهَرَتْ في كلِّ أَرضٍ ففاقَتْ رَحمةَ المَطَرِ
عِيدٌ لعبدِ العزيزِ اليومَ قد ضُرِبَتْ فيهِ البشائِرُ بينَ السَمعِ والبَصَرِ
كَسا الجِبالَ بأَثوابِ البَياضِ كما كَسا السُهولَ بِثَوبِ الخُضرةِ النَضِرِ
عيدٌ بِهِ قامتِ الأَنوارُ ساطِعةً في ليلةِ البَدرِ حتى مَطلعِ السَحَرِ
نابَتْ عَنِ الشمسِ فاستَخفَى بِبَهجَتِها ما كانَ للبَدرِ من ضَوءٍ عنِ النَظَرِ
قد صارَتِ الأَرضُ فيها كالسَماءِ بها بَرقٌ ورَعدٌ وشُهبٌ ضَخمةُ الشَرَرِ
وسَبَّحَتْ خُطَبَاءُ الناسِ حاكيةً مَلائكَ العَرشِ في الآصالِ والبُكَرِ
للهِ دَرُّ بني عُثمانَ من فئةٍ جَلَّتْ فما تَرَكَتْ فخرًا لمُفتخِرِ
اذا مَضَى كوكبٌ منها أَتى قَمَرٌ وان مَضَى قَمَرٌ فالشمسُ في الأَثَرِ
قد قامَ من أَصلِها عبدُ العزيزِ لَنا فَرعًا كريمًا عظيمَ الخُبرِ والخَبَرِ
اذا ذَكرنا مُلوكَ العَصرِ كانَ لهم صَدرًا كفاتحةٍ في أَوَّلِ السُوَرِ
يدعولهُ كلُّ مَن صَلَّى لخالقِهِ بالسعدِ والعِزِّ والإقبالِ والظَفَرِ

Digitized by Birzeit University Library

فلا يَزالُ بحَوْلِ اللهِ مُقتدِرًا وطالما أَرَّخوهُ بالغَ الوَطَرِ

سنة ١٢٧٩

وقال يمدحهُ ايضًا

نادَى حِمَى المُلكِ حسْبي عِزَّةً وكَفَى الى متَى وبماذا أَطلُبُ الشَرَفا
عبدُ العزيزِ تولاَّني فكُنتُ بهِ كصاعدٍ دَرَجًا لَمَّا انتَهَى وقَفا
قُلْ للَّذي يشتكي غَدْرَ الزمانِ بنا مَهلاً أَلَسْتَ تَرَى كيفَ الزمانُ وَفَى
أَفادَنا فوقَ ما ترجوهُ أَنفُسُنا حتى أَقامَ علينا أَفضَلَ الخُلَفا
هل مِثلُ عبدِ العزيزِ اليومَ من مَلِكٍ كلاَّ ولا كانَ في الدهرِ الذي سَلَفا
شخصُ الكَمالِ كأَنَّ اللهَ صوَّرَهُ من معدِنِ اللُطفِ لا طِينًا ولا خَزَفا
أَحيَا الصَحابةَ عَدلاً عصرُ دولتِهِ كأَنَّما فيهِ صُورُ البَعثِ قد هتَفا
لو أَمكنَ البَحرَ أَنْ يُهدِيهِ جوهرَهُ لم يُبقِ في جوفِهِ دُرًّا ولا صَدَفا
هذا الخليفةُ ظِلُّ اللهِ منبَسِطًا في أَرضِهِ لِعبادِ اللهِ مُكتنِفا
عِنايةُ اللهِ ترعى مَجْدَ دولتِهِ والسعدُ في بابِهِ المرفوعِ قد عكَفا
الواسعُ المُلكِ قد عَمَّتْهُ رَحمتُهُ فلم تَفُتْ وَسَطًا منهُ ولا طَرَفا
والثاقبُ الفِكرِ لو كانت إِنارتُهُ في البدرِ ما مَسَّهُ نَقصٌ ولا خُسفا
في كَفِّهِ سيفُ عَدلٍ طالَ قائمُهُ في غِمدِ حِلمٍ بخَلقِ اللهِ قد لَطَفا
فحيثُما وَجَبَ الفَتكُ الرَهيبُ سَطا وحيثُما احتُمِلَ الصفحُ الجميلُ عفا
يا من بهِ تُضرَبُ الأَمثالُ في زَمَنٍ قد طابَ فيهِ لَنا كأسُ الهَنا وَصَفا

Digitized by Birzeit University Library

لقد تقدّمتَ ما بينَ المُلوكِ كما تُقدّمُ الناسُ بينَ الأَحرُفِ الأَلِفا
تَرُومُ وَصفَكَ في ما أَنتَ حائزُهُ فتغلبُ الوَصفَ منّا والذي وَصَفا
فلا تزَلْ غالباً باللهِ منتصِراً تُولي الجميلَ وتستولي الثنا خَلَفا

وقال مؤرّخاً جلوسهُ بهذين البيتين

عبدُ العزيزِ رَوَى جاهاً مُؤرّخُهُ يُهدِي حِسابَ جَميلِ البِشْرِ للبَشَرِ
فَرْعاً لعُثمانَ مُلكُ الآلِ عزَّ بِهِ لازالَ بالخيرِ يُهدَى كاملَ الوَطَرِ

وهما يتضمّنان ثمانية وعشرين تاريخاً . وذلك ان كل مصراعٍ منهما برُمّتهِ تاريخ . والحروف المُعجمة من كل مصراعين من مصاريعهما الاربعة تاريخٌ . ومثلها الحروف المُهملة ، فيجتمع من ذلك ستة عشر تاريخاً . وكذلك المُعجمة مع المُهملة والمُهملة مع المعجمة فيجتمع اثنا عشر . ويكون المجموع ثمانية وعشرين كما يظهر بالامتحان

وقال يهنّئ الامير مجيدًا الشهابيَّ بتقليدهِ الولاية

اليومَ رَبُّكَ أَعطَى القوسَ باريها وأَسكَنَ الدارَ بعدَ الهجرِ بانيها
وجدَّدَ الدولةَ الشَهباءَ مُرتجِعاً ما غابَ بالأَمسِ عنّا من دراريها
لا يَترُكُ الدهرُ عيناً لادُموعَ بها ولا دُموعاً بلا مَسحٍ يُؤاتيها
يَنامُ حيناً ولكنْ بعدَ نَومتِهِ لا بُدَّ من يقظةٍ يصحو لنا فيها
يا طُورَ لُبنانَ لاتَشكُ الظَماءَ فقد عادَتْ مياهُكَ تَجري في مجاريها
عادَ الشِهابُ الى أَنوارِ طَلعتِهِ في أَرضِكَ اليومَ فاْبيضَّتْ لياليها

Digitized by Birzeit University Library

هُوَ المَجيدُ الشِهابُ اسمًا على لَقَبٍ ... يَجري وألفاظُهُ تَحكي مَعانيها
رأسُ العَشائِرِ في لُبنانَ قاطبةً ... اليهِ تبسُطُ عن طوعٍ أياديها
لا يَستحي أحدٌ من لَثْمِ راحتِهِ ... في أرضِ لُبنانَ من أعلى نواصيها
ولا يَرَى أحدٌ عيبًا بطاعتِهِ ... فيها وتدعوهُ مَولانا مَواليها
نَسلُ البَشيرِ الذي الدُنيا بهِ لَهِجَتْ ... وذِكرُهُ شاعَ دهرًا في أقاصيها
يَفنى الزمانُ ويبقى ذِكرُ دولتِهِ ... في الارض يَنشُرُ أجيالًا ويَطويها
يا أيُّها القائمُ المرفوعُ منصبُهُ ... من دولةٍ نَظَرُ الرَحمنِ راعيها
بُشرَى البِلادِ التي أصبحتَ حاكمَها ... بُشرَى منازِلِها بُشرَى أهاليها
أنتَ الأميرُ الذي مازالَ يأمُرُ بالـ ... ـمعروفِ نفسًا عنِ الأوزارِ ناهيها
رُكنُ البِلادِ الذي اعتادتْ سيادتَهُ ... دهرًا فكانتْ كبعضٍ من رَواسيها
فتحٌ قريبٌ منَ اللهِ الكريمِ أتى ... لِبابِ دولةِ مجدٍ صِرتَ والِيها
نَشرتُ صُحفًا منَ التأريخِ شائعةً ... في نَظمِ تأريخِهِ ضاءَت لآليها

سنة ١٨٦١ سنة ١٢٧٨

وقال يمدح الخديوي اسمعيل باشا حين تولى تخت القاهرة

دَعِ النَسيبَ وجانِبْ جانِبَ الغَزَلِ ... فإنَّنا بالتَهاني اليومَ في شُغُلِ
بِشارةٌ طَفَحَتْ من أرضِ مِصرَ على ... جوانبِ الشامِ فوقَ السَهلِ والجَبَلِ
قامَ المُظفَّرُ إسماعيلُ مُنتَصِبًا ... في عرشِها كقِيامِ الشمسِ في الحَمَلِ

Digitized by Birzeit University Library

لاحتْ طوالعُهُ فيها فقلتُ لها ... يا أسعدَ الارضِ هذه أسعدُ الدُوَلِ
هذا العزيزُ ابنُ إبرٰهيمَ نسبتُهُ ... تُصاغُ من أولياءِ اللهِ والرُسُلِ
فيها الخليلُ وإسمٰعيلُ قبلهما ... مُحمَّدٌ جاءَ مضموماً اليهِ عَلِي
هذا ابنُ مَن صيتُهُ قد طارَ منتشراً ... في الشرقِ والغربِ مثلَ السبعةِ الطُوَلِ
لو كانَ في أرضنا طُرْقٌ الى زُحَلٍ ... كانَ انتهى صيتُهُ منها الى زُحَلِ
واليومَ قد قامَ إسمٰعيلُ يخلفُهُ ... في الحزمِ والعزمِ بينَ القولِ والعملِ
كانتْ شمائلُهُ كالزهرِ نافحةً ... فأنتجتْ من جناها صفوةَ العسلِ
خليفةُ اللهِ رأسٌ والعزيزُ لهُ ... يدٌ تساعدُهُ بالمالِ والحولِ
اذا تداعتْ خطوبُ الدهرِ بادرَها ... كالنارِ عندَ هبوبِ الريحِ في القُلَلِ
قد كانَ في مصرَ نيلٌ واحدٌ قدماً ... فزادَها اللهُ نيلاً مُطفِئَ الغُلَلِ
في كلِّ عامٍ لنا عيدٌ نُسَرُّ بهِ ... وعيدُها كلَّ يومٍ منهُ لم يزَلِ
يا مصرُ قاهرةَ الدُنيا بسطوتِها ... قد جدَّدَ اللهُ من أيَّامِكِ الأُوَلِ
دارُ الخلافةِ عادت فيكِ قائمةً ... كما اقتضتْ حكمةُ الرحمٰنِ في الأزَلِ
لكِ الهنا بعزيزٍ عزَّ جانبُهُ ... كأنَّهُ ملَكٌ في صورةِ الرجُلِ
ولْيغتنمْ ربعُكِ المسعودُ حينَ مشَى ... عليهِ من قدميهِ فرصةَ القبَلِ
ان فاتَكِ المطَلُ المحيي برحمتهِ ... فان راحتَهُ تُغني عن المطَلِ
وان تأخرَ فيضُ النيلِ عنكِ فلا ... ترِدْ عليكِ دواعي الهمِّ والوجَلِ
من صامَ فيكِ وصلَّى فليقُمْ سحَراً ... يدعوهُ بامتدادِ الجاهِ والأجَلِ

Digitized by Birzeit University Library

لا زالَ مُعتَصِماً باللهِ وَهوَ لدى مُؤَرِّخِيهِ سعيدٌ بالغُ الأَمَلِ

سنة ١٢٧٩

وقال مؤرخاً بناء دار الخواجا يوسف الجُدَيّ وهي اجمل دارٍ في الاقطار الشامية

لِيُوسُفَ ابنِ الجُدَيّ اليومَ قد عَمَرَت دارٌ مُبارَكَةٌ دارَ الهَنا فيها
بلابلُ الأُنسِ تشدو في جوانبها وأَنجُمُ السعدِ تزهو في أَعاليها
فَريدةٌ في دِيارِ الشرقِ شيَّدَها فَريدُ ذاتٍ بهِ طابت لَياليها
فكانَ تأْريخُها منّي الدُعاءَ لهُ دامَتْ ودامَ بحِفظِ اللهِ بانيها

سنة ١٨٦٢

واقترح عليهِ ابيات استغاثةٍ يكتبها في الدار المذكورة فقال

عليكَ كلُّ اعتمادي أَيُّها الصَمَدُ قد فازَ عبدٌ على مَولاهُ يَعتَمِدُ
أَنتَ اللطيفُ الخبيرُ المُستَغاثُ بهِ عندَ الخُطوبِ ومنكَ العَونُ والمَدَدُ
اذا التَوَت نُوَبُ الأَيّامِ وانعقَدَت فعندَ لُطفِكَ لا تَستَغلِقُ العُقَدُ
إنْ لم تكُنْ عُدَّةً للمَرءِ يَذخَرُها فليسَ يَنفَعُهُ ذُخرٌ ولا عُدَدُ
يا واحداً لم يَكُنْ كُفْواً لهُ أَحَدٌ سِواكَ في كلِّ أَمرٍ ليسَ لي أَحَدُ
إنْ لم يَمُدَّ اليكَ المُستَجيرُ يَدًا فمَنْ تُمَدُّ اليهِ في الوُجودِ يَدُ
أَنتَ القديرُ الذي الأَفلاكُ في يَدِهِ تُطوَى ومنهُ جِبالُ الارضِ تَرتَعِدُ
سُبحانَكَ اللهَ رَبًّا لا شريكَ لهُ في المُلكِ وَهوَ الإلهُ الواحدُ الصَمَدُ

Digitized by Birzeit University Library

لكَ السماواتُ والدُنيا مُسبِّحةٌ وكلُّ ما وَلَدَتْ أُنثى وما تَلِدُ
أَنتَ الكريمُ الذي من لُطفِهِ سَنَدٌ لكلِّ عبدٍ ضعيفٍ ما لهُ سَنَدُ
إنْ أَصبحَ العبدُ يوماً عنكَ مُبتعِداً فإنَّ حِلمَكَ عنهُ ليسَ يَبتعِدُ
أَنتَ المُعينُ لنا في كلِّ نائبةٍ لا يُستَطاعُ عليها الصبرُ والجَلَدُ
اذا أَرَدْنا سِوَى مَلْجاكَ ليسَ نَرَى وإنْ طَلَبْنا سِوَى جَدْواكَ لا نَجِدُ
يا مَن يُميتُ ويُحيي كلَّ ذي جَسَدٍ أَنتَ الحَياةُ ومنكَ الروحُ والجَسَدُ
اذا نَصَرْتَ فما الأَعداءُ صانعةٌ وإنْ وَهَبْتَ فماذا يصنعُ الحَسَدُ
أَنتَ المُيسِّرُ في قولٍ وفي عَمَلٍ ومن عِنايتِكَ التوفيقُ والرَّشَدُ
فاجْعَلْ لِما نَبْتَنيهِ منكَ أَعمِدةً يا مَنْ بَنيتَ سَماءً ما لها عَمَدُ
يا مالكَ المُلكِ هَبْ لي منكَ مَغفِرةً تمحو الذُنوبَ التي لم يُحصِها عَدَدُ
وَعَدتَ بالعَفوِ عَمَّنْ تابَ مُرتجِعاً وأَنتَ لا تُخلِفُ المِيعادَ اذ تَعِدُ

وقال يرثي الخواجا حنانيا عُبيد

يا أَيُّها القبرُ فيكَ الناسُ قد رَقَدُوا مُنذُ القديمِ ولكنْ لم يَقُمْ أَحَدُ
فيا لهُ سَفَرًا ما كانَ أَطوَلَهُ ويالَها فُرقةً ميعادُها الأَبَدُ
قدِ استوَى العبدُ والمَولَى على قَدَرٍ تحتَ الثَرَى فتَساوَى الدُرُّ والبَرَدُ
وليسَ يُعرَفُ مملوكٌ ولا مَلِكٌ فلم تَكُنْ غَيْرةٌ فيهِمْ ولا حَسَدُ
الناسُ في الجِسمِ أَشباهٌ قَدِ اتَّفَقَتْ والفرقُ في النفسِ اذ لا يُفرِقُ الجَسَدُ

Digitized by Birzeit University Library

كُنَّا نَرَى ٱبنَ عُبيدٍ بيننَا رَجُلاً ... لكنْ يُساوي رِجالاً ما لَهُمْ عَدَدُ
كانَ التُّقَى والنَّقا والحِلمُ مُجتمِعاً ... في شَخصِهِ وٱصطناعُ الخَيرِ والرَّشَدُ
فلم يكُنْ طِيبُ خُلقٍ لا نَراهُ بِهِ ... ولم يكُنْ فيهِ عَيبٌ حينَ يُنتَقَدُ
قد كانَ غَوْثَ اليَتامى من مكارِمِهِ ... فلا يُهَمُّ لفَقْدِ الوالِدِ الوَلَدُ
وكانَ كَهْفَ العُفاةِ اللائذينَ بهِ ... تُثنى يدُ الدهرِ اذ تَمتَدُّ منهُ يَدُ
فُؤادُهُ كزُلالِ الماءِ حينَ صَفا ... وغَيرَةٌ فيهِ مثلَ النارِ تَتَّقِدُ
يبغي رِضَى اللهِ مُهتماً بطاعتِهِ ... وفي مَنافعِ خَلقِ اللهِ يَجتهِدُ
هذا عَمُودُ هُدًى من أَوجِ رِفعتِهِ ... على البَسيطةِ فٱهتَزَّتْ لهُ العُمُدُ
قامَتْ لهُ ضَجَّةٌ في مِصرَ فٱندَفَعَتْ ... بحيثُ لم يَخلُ من إرجافِها بَلَدُ
مَضَى الى اللهِ مسرورًا بغايتِهِ ... وفي الديارِ أَقامَ الحُزنُ والنَّكَدُ
من بعدِهِ أَدمُعُ الأَجفانِ قد كَثُرَتْ ... وقَلَّ عندَ القلوبِ الصبرُ والجَلَدُ
هذا الطريقُ الذي لا بُدَّ يَسلُكُهُ ... جميعُ ما وَلَدَتْ أُنثى وما تَلِدُ
اذا طَلَبْنا لجُرحِ القلبِ فائدةً ... تَشفي فغيرَ جَميلِ الصبرِ لا نَجِدُ

وقال يرثي شبلي افندي ايوب

لو أَنصَفَ الراثي وسارَ على هُدًى ... جعَلَ الرِّثاءَ لنفسِهِ وبها ٱبتَدا
فٱبكِي لنفسِكِ ألفَ دَمعٍ جُملةً ... يامَنْ بَكَى لأَخيهِ دَمعًا مُفرَدا
وَدِّعْ أَخاكَ مُشمِّرًا لطريقِهِ ... ولَقَدْ يكونُ اليومَ ذلكَ أَو غَدا

Digitized by Birzeit University Library

ليسَ المُوفَّقُ مَن يَسيرُ مؤخَّرًا ... إنَّ الموفَّقَ من يَسيرُ مزوَّدا

يا بانيَ القصرِ الجميلِ لبُرْهةٍ ... قُمْ فابْنِ قبرًا تقتنيهِ مؤبَّدا

يا راقدًا فوقَ السريرِ غفلتَ عن ... كَهْفٍ يكونُ الى القيامةِ مَرْقَدا

يا جامعَ الأموالِ هل تَمضي بها ... وإذا مَضيتَ فهل تَمدُّ لها يَدا

يا صاحبَ الجاهِ الذي لا بدَّ أنْ ... تبقى أسيرًا في الضريحِ مُقيَّدا

قُمْ تعرفِ الميْتَ الذي ذاقَ البِلَى ... هل كانَ عبدًا خادمًا ام سيِّدا

مَنْ كانَ فتَّانَ الجمالِ ومَنْ تُرَى ... هُوَ ذلكَ البَطَلُ الذي قهرَ العِدى

أينَ الذينَ على العبادِ تسلَّطوا ... وسطَوْا على أقصى البلادِ تمرُّدا

الكُلُّ صاروا كالهباءِ فلا تَرَى ... عينًا ولا أثرًا لعينٍ قد بدا

دارٌ غُرابُ البَينِ فيها ناعقٌ ... قد حامَ فوقَ رُؤوسِنا مُتَرَدِّدا

لا يَتَّقي ملَكًا ولا أسَدًا ولا ... شبلاً فهذا الشبلُ أدركَهُ الرَّدى

صبرًا بني أيُّوبَ فالصبرُ انتمى ... للبيتِ قِدْمًا فاحفظُوهُ مجدَّدا

صبرُ الرزيَّةِ كالدواءِ معادِلاً ... للداءِ فهْوَ يُشَدُّ حينَ تَشدَّدا

إنِّي لأندبُ فقدَهُ متشاغلاً ... عن وَصفِ شيمتِهِ الذي لن يُفقَدا

تدري جميعُ الناسِ وصفَ كمالِهِ ... فيروحُ جهدُ الواصفينَ لهُ سُدى

هذا هُوَ العَلَمُ الشهيرُ كأنَّهُ ... عَلَمٌ على جبَلٍ بهِ الساري اهتدى

نالَ الكمالَ فكانَ أعذبَ مَوردًا ... وأقلَّ أعداءً وأكثرَ حُسَّدا

جمعَتْ يداهُ المكرُماتِ فصانَها ... وجنَتْ قناطيرَ النُضارِ فبدَّدا

Digitized by Birzeit University Library

يـا أَيُّها الشِبلُ النزيلُ بقَفرةٍ ... شِبلُ الأُسودِ على القِفارِ تعوَّدا
يا أَبيضَ الوَجهِ الجميلِ ثناؤُهُ ... ها قد جعلتَ الصُبحَ بعدَكَ أَسوَدا
قد كُنتَ تدعوالمُستغيثَ مناديًا ... فَغدا يَصيحُ وليسَ تَستمعُ النِدا
ولَكَم فَديتَ منَ المُصيبةِ بائسًا ... واليومَ مَن ذا يَستطيعُ لكَ الفِدى
يا راحلاً رَحلَ السُرورُ لِفقدِهِ ... وأَقامَ فينا ذِكرُهُ طُولَ المَدى
مِنَّا السَلامُ عليكَ غيرَ مُودَّعٍ ... وعلى ضريحٍ بتَّ فيهِ مُوسَّدا
ظَلَّتْ ملائكةُ السَماءِ تَزُورُهُ ... وانهَلَّ فوقَ ترابِهِ قَطرُ النَدى

وقال يمدح خورشيد باشا والي ايالة صيدا

في قُبَّةِ الأَفلاكِ شمسٌ تَطلعُ ... وبأَرضِنا شَمسٌ أَجَلُّ وأَنفعُ
هاتيكَ تَطلعُ في النهارِ وشَمسُنا ... أَنوارُها في كلِّ حينٍ تَسطعُ
قَدِمَ الوزيرُ فياعبادُ استَبشِروا ... بالصالحاتِ وبالسَلامِ تمتَّعوا
جادَ الزمانُ بهِ فكَذَّبَ مَن شَكا ... بُخلَ الزمانِ مُعطِلاً ما يَصنعُ
ياوَحشةَ القُدسِ الشريفِ فإِنَّهُ ... لو يَستطيعُ لَسارَ مَعهُ يُشيعُ
وسُرورَ بيروتَ التي أَبراجُها ... كادَتْ تُصفِّقُ والحمائمُ تَسجعُ
هذا المُقلَّدُ بالحُسامِ وعَزمُهُ ... أَمضَى منَ السيفِ الصقيلِ وأَقطعُ
تَستغرقُ الأَلفاظَ منهُ كلمةٌ ... ويُديرُ قُطرَ الشامِ منهُ اصبعُ
يَقظانُ فيهِ لِكلِّ عُضوٍ مُقلةٌ ... يَزنو بها ولِكلِّ عُضوٍ مسمعُ

Digitized by Birzeit University Library

رَحُبَتْ ولايتُهُ ولكنْ صدرُهُ أفضى وأرحبُ في الأُمورِ وأوسعُ
فصلُ الخطابِ على سواهُ فراسخٌ لكنْ عليهِ اذا تطاولَ أذرعُ
يرمي البعيدَ بلحظهِ فيقودُهُ وتصكُّ همَّتُهُ الحديدَ فتقطعُ
شكرًا لدولتنا التي لم يخلُ من شكرٍ لها في كلِّ قُطرٍ موضعُ
خافتْ علينا من ظلامِ زمانِنا فجلَتْ علينا نورَ شمسٍ يلمعُ

وقال مؤرخًا حضورهُ الى بيروت سنة ١٢٨٠

أهدى الكريمُ الى بيروتَ جوهرةً تمَّ الجمالُ بها والفخرُ والشرفُ
قد أصبحَتْ جنَّةً قامتْ بها غُرَفٌ من فوقِها قامَ في تأريخها غُرَفُ

وقال بهنئهُ بالعيد

لنا عيدٌ يدومُ لنا جديدًا وعيدُ الناسِ ليسَ لهُ دوامُ
وبهجةُ عيدِ كلِّ الناسِ يومٌ وبهجةُ عيدِنا عامٌ فعامُ
وفي الأفلاكِ شمسٌ كلَّ يومٍ تغيبُ وبعدها يأتي الظلامُ
وفي بيروتَ شمسٌ كلَّ حينٍ تلوحُ فلا غروبَ ولا قتامُ
تولَّى ثغرَها خُرشيدُ سعدٍ فلاحَ من الضياءِ لهُ ابتسامُ
فليسَ سوى السحائبِ فيهِ باكٍ وليسَ بنائحٍ الاَّ الحمامُ
لنا منهُ سلامٌ مستمرٌّ نعمْ ولهُ من اللهِ السلامُ
مدائحُهُ افتتاحُ مورِّخيهِ وإيفاءُ الدعاءِ لهُ ختامُ

سنة ١٢٨٠

وقال يمدح ولده سليمان بك

الشمسُ والبدرُ في أُفقِ العُلى افترقا ... وهٰهنا اجتمعا للناسِ في دارِ
شمسٌ علتْ عن كسوفٍ أن يُلِمَّ بها ... وبدرُ تمٍّ علا عن خسفِ اقمارِ
فرعٌ على أصلِهِ دلَّت شمائلُهُ ... والأصلُ نعرفُهُ من طيبِ أثمارِ
سرٌّ سرَى من أبيهِ فيهِ مندرجًا ... في نفسهِ كدمٍ في جسمهِ سارِ
أعطاهُ مولاهُ من فضلٍ على صغرٍ ... ما ليسَ تُعطى شيوخٌ ذاتُ أدهارِ
مواهبُ الناسِ مثلَ الناسِ باطلةٌ ... فلا عطيَّةَ الاَّ منحةُ الباري

وقال يرثي ابرهيم افندي مشاقة

قوموا بنا نسألُ الأمواتَ في الرُّجَمِ ... ما يذكرونَ منَ اللذَّاتِ والألَمِ
قد كانَ ما كانَ حُلمًا فانقضَى ومضَى ... كأنَّ رائيهِ لم يحلُمْ ولم ينَمِ
العيشُ في الأرضِ وهمٌ أهلُهُ عدَمٌ ... وما الذي يا ترَى نرجو من العدَمِ
بالأمسِ قد كانَ إبرٰهيمُ صاحبَنا ... واليومَ في التُربِ أضحَى صاحبَ الرِمَمِ
كأنهُ لم يكُنْ رُكنًا لطائفةٍ ... ولا مَنارًا لدارِ العلمِ والحِكَمِ
أجابَ طوعًا دُعاءَ اللهِ حينَ دعا ... وتلكَ شيمةُ إبرٰهيمَ في القِدَمِ
كسا الحِدادَ سوَى القرطاسِ مُصطحِبًا ... بياضهُ حينَ جفَّتْ عبرةُ القلَمِ
وعاهدَ العينَ لا تُجري مدامعَها ... عليهِ ما لم تكُنْ ممزوجةً بدَمِ
مضَى سريعًا فلم تثبُتْ لهُ قدَمٌ ... مَن كانَ في كلِّ فنٍّ ثابتَ القدَمِ

Digitized by Birzeit University Library

وراحَ كَهْلاً كأنَّ اللهَ عاجَلَهُ ... شَوقاً اليهِ فلم يَلبَثْ الى الهَرَمِ
بكَى عليهِ ذَوُو الحاجاتِ من أسَفٍ ... ومَن بكَى قاضيَ الحاجاتِ لم يُلَمِ
وكادتِ الصُّحُفُ تبكي بعدَ مَصرَعِهِ ... لولا مَخافةُ مَحْوِ الدمعِ للكَلِمِ
بنى مُشاقةَ إنَّ الصبرَ حاجتُهُ ... عندَ البَلا كاحتياجِ الطِبِّ للسَقَمِ
هذا الذي كلُّ مولودٍ يُصابُ بهِ ... فلا حِمَى عندَنا منهُ سِوَى العُقُمِ
لا يَشتَكِ المَرءُ غدرَ البينِ متَّهِماً ... اذ ليسَ بينَهُما شيءٌ من الذِمَمِ
هذا الذي خُلِقَتْ كلُّ النُفوسِ لهُ ... فتُحسَبُ الناسُ مَوْتَى قبلَ موتِهِمِ
هذا هوَ المَلِكُ الجَبَّارُ مُقتدِراً ... على المَمالِكِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ
والعادلُ الحَكَمُ لا يُرتَشَى على عَمَلٍ ... وليسَ يَفرُقُ مخدوماً عن الخَدَمِ
منَّا السَلامُ على مَن لا سَلامَ لَنا ... منهُ ولا بَرْدَ يُطفي غُلَّةَ الضَرَمِ
وَلَّى وقد سارَ عنَّا غيرَ مُلتفِتٍ ... نبكي فيَضحَكُ منَّا غيرَ مُبتَسِمِ
ضاعَ النُواحُ كما ضاعَتْ مَدامعُنا ... عندَ الذي قد رَماهُ البينُ بالصَمَمِ
قد أدرَكَ الحقَّ يَمشي في الضياءِ بهِ ... والقومُ في باطلٍ يَمشُونَ في الظُلَمِ
يا أيُّها الناسُ هَيُّوا الزادَ وانتَبِهوا ... فالموتُ للناسِ كالجَزَّارِ للغَنَمِ
مَن رامَ أنْ لا يَرَى فَقْداً لصاحِبِهِ ... يَسبِقْ الى المَوتِ كي يَنجو كمُنهَزِمِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى بعض اصحابهِ

مَن عاشَرَ الدهرَ لا يَخلو من الهَوَسِ ... لِما يَرَى من دواعي خُلقِهِ الشَكِسِ

Digitized by Birzeit University Library

كَأَنَّهُ شاخَ حتي صارَ من خَرَفٍ ... لا يُدرِكُ الفَرقَ بينَ الماءِ والقَبَسِ

بِتْنا نُعاتِبُهُ جَهلاً ويَلحَظُنا ... بعَينِ ساهٍ عَرَتْها غَفلَةُ النَعَسِ

اذا شَكَوتَ لِمَنْ في أُذْنِهِ صَمَمٌ ... رأَيتَ لافرقَ بينَ النُطقِ والخَرَسِ

دَهرٌ تَرَى كُلَّ أَمرٍ فيهِ مُلتَبِساً ... ولا تُصادِفُ حُكماً غيرَ مُنعكِسِ

تَجري القَضايا على غيرِ القِياسِ بِهِ ... فانظُرْ تَبِجتَها واسمَعْ ولا تَقِسِ

كم جاهلٍ لو أَرادَ الدُرَّ يَطبُخُهُ ... وعالِمٍ يشتهي كَفّاً منَ العَدَسِ

وذي غِنىً لا يُساوي منهُ خَرْدَلَةً ... وفارسٍ ليسَ يَسْوَى حافرَ الفَرَسِ

لَقد رَضِينا بحُكمِ الدَهرِ كيفَ جَرَى ... لو دامَ ما نَشتَكي من عَيشِنا الجَنِسِ

صُبحٌ يلوحُ ويأتي بعدَهُ غَلَسٌ ... ونَحنُ نَذهَبُ بينَ الصُبحِ والغَلَسِ

في ذِمَّةِ اللهِ مِنّا راحلٌ رَحَلَتْ ... مَعَهُ فَكاهَةُ رَغدِ العَيشِ والأُنُسِ

وَدَّعتُهُ عندَ مَسراهُ فوَدَّعَني ... صبري وخَلَّفَ ضيقَ النَفسِ والنَفَسِ

مَلَّتْ نُجومُ الدُجى مِمّا أُراقِبُها ... حتّى كأَنّي منَ الأَرصادِ والحَرَسِ

واستَنكَفَ الشوقُ من مَثواهُ في بَدَنٍ ... كأَنَّهُ طَلَلٌ في الأَربُعِ الدُرُسِ

يَصولُ وَجدي على السَلْوَى فيَحطِمُها ... مِثلَ العَجوزِ تُجاهَ الفاتِكِ الشَرِسِ

ظَلَّتْ تَمُدُّ اليهِ كَفَّ مُلتَمِسٍ ... وظَلَّ يُلقي عليها كَفَّ مُفتَرِسِ

حَيّا الحَيا طِيبَ عَصرٍ مَعْ أَحِبَّتِنا ... قد كانَ من فُرَصِ الأَيّامِ كالخُلَسِ

أَحلَى اللياليِ التي بالوَصلِ تَقطَعُها ... وأَفضَلُ الوَصلِ ما يخلو منَ الدَنَسِ

ديوان

العالم العلاَّمة الشاعر المشهور
الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني
رحمهُ الله تعالى

النبذة الثالثة

وهي المعروفة بثالث القمرين

طُبعت بنفقة الفقير اليهِ تعالى ميخائيل ابرهيم رحمة
مصححةً بقلم العلاَّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي

حق الطبع محفوظ

المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٣

Digitized by Birzeit University Library

قال يمدح خورشيد باشا والي ايالة صيدا سابقاً حين تولى نظارة المالية بالاستانة على اثر امدادٍ ورد اليهِ عن يدهِ لطبع بعض مصنفاتهِ

هٰكَذَا هٰكَذَا والاَّ فـلا لا ... ليسَ كُلُّ الرِّجالِ تُدعَى رِجالا
هكذا مَن وَفَى وبرَّ وصـافَى ... فاعلاً في غـدٍ كما امسِ قالا
جادَ قومٌ بالمَكرُماتِ لِسانـاً ... ففتلنا منَ ٱلهَبآءِ حِبـالا
زرعوا الوعدَ في اراضي مِطالٍ ... فحصدنـا من المُحال مُحالا
ما لِخُرشيدَ في ٱلكِرَامِ مِثالٌ ... مَن تُراهُ للشمس يبغي مِثالا
حافظُ ٱلعهدِ للصديقِ امينٌ ... صادقٌ يُتبِـعُ ٱلمَقالَ فعَـالا
ناظرُ ٱلمالِ نظرةٌ منهُ تُغني ال ... ناس حتَّى تكونَ للناسِ مالا
هِيَ إكسيرُنا الذي حيثما صا ... دَفَ صُفرًا الى ٱلنُّضار استحالا
ضابطٌ كلَّ مـا تولَّى بعينٍ ... منهُ تطوي أبصارُهـا الأَميالا
ويمينٍ تكون كلُّ يمينٍ ... عنـد أعمالِها لديها شِمالا
ويحَ بيروتَ ما أعتراها من ٱلغـمِّ الذي عمَّ سهلَهـا والجِبالا
لو درَى مآؤُها بما هيَ فيهِ ... جفَّ او صخرُها لَذابَ وسالا
غابَ عنها مَن ذِكرُهُ دامَ فيها ... وثَناهُ يطولُ مـا الدهرُ طالا
ذاكَ شمسٌ حلَّت زَمانًا فغابت ... وكذا الشمسُ نَزْلةً وانتقالا
انَّ عبدَ ٱلعزيزِ رأسٌ تولى ... من ذويهِ ٱلأَعضآءَ والأَوصالا
مَلِكٌ يقهرُ ٱلأُلوفَ اذا قا ... مَ ويُعطِي ٱلأُلوفَ رِزقًا حَلالا

Digitized by Birzeit University Library

اسيئُ شكرٍ بهِ أقومُ لقومٍ حمّلوني من الجميلِ جبالا
هم لعمري من أحسنِ الناسِ فعلاً جعلوني من أحسنِ الناسِ حالا

وقال يمدح الامير حيدر رسلان وولده الامير ملحماً والي جبل الشوف

سلامٌ على من لا نمرُّ ببابهِ فإذا ترى أطماعنا في وصالهِ
ولم يكْفهِ ما قد حملْناهُ في الهوى منَ الذُّلِّ حتّى زادَ حملَ دلالهِ
مليحٌ شهدنا أنَّ ناراً بخدّهِ لأنّا وجدنا بينها فحمَ خالهِ
أباحَ فؤادي للهوى وهو باخلٌ يعزُّ عليهِ نظرةٌ من جمالهِ
وكلٌّ كريمُ النفسِ من مالِ غيرهِ وقلَّ كريمُ النفسِ من نفسِ مالهِ
وما كان لم تتْعبْ عليهِ يمينهُ يهونُ عليهِ بذلهُ بشمالهِ
تكنّفتُ نظمَ الشعرِ كهلاً لأجلهِ ويكْهلُ شعرُ المرءِ عندَ اكتهالهِ
فضاعَ كما ضاعَ الزمانُ وهكذا نرى كلَّ أمرٍ لم يجُلْ في مجالهِ
اذا ضلَّ عنكَ الشعرُ فاطلبْهُ تلقهُ الى غربِ لبنانَ اهتدى من ضلالهِ
أمامَ بني رسْلانَ طيبُ وُقوفهِ وعند بني رسلانَ حطُّ رحالهِ
تصلّي القوافي كلَّ يومٍ وليلةٍ على وجه رسلانَ القديمِ والهِ
على حيدرَ الشهمِ الكريمِ وملحمٍ وما حولهُ من سهْلهِ وجبالهِ
أبٌ ماجدٌ وابنٌ كريمٌ كخاتمٍ اتى نقشهُ في طبعهِ بمثالهِ
الى عملِ الإحسانِ أسبقُ أهلهِ وفي خدمةِ السُّلطانِ أمضى رجالهِ
اذا مستِ الحاجاتُ قامَ كلاهما إليها كجمرِ النارِ عند اشتعالهِ

Digitized by Birzeit University Library

وان جنَّ ديجورُ الخطوبِ تلفَّعا ... دُجاهُ بصبحٍ شقَّ جيبَ ظلالِهِ
لكلِّ فتىً عيبٌ يشينُ بنفسهِ ... سوَى ملحمٍ سبحانَ معطي كمالِهِ
وكل ولاةِ الأمرِ تحتاجُ قاضياً ... سوَى ملحمٍ عمَّ القضاءُ وخالِهِ
أغرُّ خصيبُ الرَّبعِ كلَّ زمانهِ ... زمان ربيعٍ في أوانِ اعتدالِهِ
ذكيُّ النُّهى لولا رصانةُ نفسهِ ... لكانَ يجيبُ المرءَ قبلَ سؤالِهِ
يقولونَ تهوَى آلَ رسلانَ قلتُ قد ... تمتَّعتُ من صافي الهوَى بزُلالِهِ
هويتُ الأُلى يلقى الكرامةَ ضيفهم ... وينسى غريبُ الدارِ ذكرَ عيالِهِ
أرى الشِّعرَ يدعوني الى نظمِ مدحهم ... فيسمح مع ضعفي بوَشْكِ ارتجالِهِ
ولو لم أقُلْ شعراً بهم حالَ يقظةٍ ... اتى هاتفاً في النَّومِ طيفُ خيالِهِ

وقال في رسالةٍ الى صديق لهُ بالديار المصرية

يستجمعُ الشملُ في الدنيا وينصدعُ ... حتى يليهِ افتراقٌ ليسَ يجتمعُ
فخُذ لنفسكَ حظاً من احبتها ... من قبلِ ما حبلُ هذا العيشِ ينقطعُ
نستخدمُ الصُّحفَ فيما بيننا رُسُلاً ... تمضي احاديثُنا فيها وترتجعُ
يُعدُّ المنازلَ مع قُربِ القلوبِ لنا ... يُعدُّ قُرباً بهِ نحظَى وننتفعُ
وأوحشُ الناسِ بُعداً مَن نُجاورُهُ ... دهراً وليسَ لنا في أُنسهِ طَمَعُ
هيا ابتدِرْ يا كتابي اليومَ منتجعاً ... ديارَ مصرَ التي تُرجَى وتُنتجَعُ
وابشِرْ بخيرٍ اذا أنتَ التقيتَ بها ... بشارةَ الخيرِ مَن للخيرِ يصطنعُ
يا حبَّذا من اراضيها التي خصبتْ ... ريفٌ ويا حبَّذا من نيلها تُرَعُ

Digitized by Birzeit University Library

دارُ الحبيبِ حبيبٌ لي أُسَرُّ بهِ ... والدارُ للأَهلِ في حُكمِ الهَوَى تبَعُ
أَهوَى زِيارتَها شوقًا وتعرِضُ لي ... دونَ انصرافيَ أَسبابٌ فامتنع
فيها الصديقُ الذي يَسقي مَوَدَّتَهُ ... طولُ الزمانِ فتنمو وهي ترتفعُ
طالت بهِ فحَسبناهُ لها صِلَةً ... كالثَّوبِ قد وَصَلَتْ اطرافَهُ قِطَعُ
طَلْقُ المحيَّا كريمُ النفسِ ليسَ لهُ ... من كُلِّ مكرُمةٍ ريٌّ ولا شِبَعُ
في قلبهِ سُنَنُ التَّقوَى قد انطبعت ... كالختمِ في صَفحةِ القِرطاسِ ينطبعُ
حالُ النَّوَى بين دارَينا وليسَ لهُ ... بينَ القلوبِ مَحالٌ فيهِ يتَّسعُ
ان لم أَنَلْ نَظرةً من وجههِ فأنا ... برُؤيةِ الخطِّ منهُ اليومَ اقتنعُ

وقال يرثي صديقهُ عبد الباقي افندي العُمَري حين توفي في بغداد

أَرَى فِتنةَ الدُّنيا هي الآيةُ الكُبرَى ... يَضِلُّ بها الهادي فيلهو عن الأُخرَى
غَفَلْنا بها عمَّا بها عن جَهالةٍ ... فليسَ بما في البيتِ صاحبُهُ أَدرَى
تَظَلُّ المنايا واقفاتٍ بمرصَدٍ ... فمن فاتَ يُناها تَلَقَّتْهُ باليُسرَى
نَراها عَلَى غيرِ اعتبارٍ بما نرى ... كما الواوُ في عمرٍو تُخَطُّ ولا تُقرا
يَظُنُّ الذي خلفَ الجنازةِ أَنَّهُ ... امينٌ فلا يجري عَلَى ذلكَ الحِجرَى
ترى عينُهُ حفرَ الضريحِ وقلبُهُ ... هُنالكَ مشغولٌ بأَنْ يبتني قصرا
غِشاءٌ من الدُّنيا علينا كأَنَّها ... عَلَى حَدَقِ الأَبصارِ قد كتبت سِحْرا
لنا كلَّ يومٍ خُطبةٌ من جنازةٍ ... ولكنَّ في الآذانِ عن صوتها وَقْرا
قدِ انداكَ في بَغدادَ طَوْدٌ فأَجفَلَتْ ... لهُ الشامُ حتى هزَّ من هَوْلِهِ مِصر

Digitized by Birzeit University Library

أتاهُ رسولُ البينِ في حين غفلةٍ ... وقد هابهُ جهراً فداهمهُ غدرا

قد اختارهُ الباقي الذي هو عبدهُ ... بليلٍ اليهِ في الطباقِ بهِ أسرى

فكانَ لهُ في دارةِ الأرضِ مأتمٌ ... وفي العرشِ عيدٌ يجمعُ الفطرَ والنحرا

إمامٌ من الأفرادِ في اهلِ عصرهِ ... شمائلُهُ الغرّاءُ قد زانت العصرا

أدقُّ الورى فكراً واكرمهم يداً ... وافصحهم نظماً وابلغهم نثرا

هو العمريُّ الباذخُ الشرفِ الذي ... حباهُ بهِ الفاروقُ وهوَ بهِ أحرى

جميلُ الثنا لا يقطعُ الدهرُ ذكرهُ ... صدقتُ ولكن ذكرهُ يقطعُ الدهرا

لئن باتَ في اكفانهِ البيضِ مدرجاً ... ففي جنةِ الخلدِ ارتدى سندساً خضرا

وان لم يذُقْ في الأرضِ خمراً فقد سقي ... هناكَ خموراً غيرَ معقبةٍ سكرا

لقد كنتُ اجني الدرَّ من لفظهِ وها ... انا من ثناهُ اجتلي الأنجمَ الزهرا

وأذكرُ من ألطافهِ ووِدادهِ ... بدائعَ شتّى لا أطيقُ لها ذكرا

يَشُقُّ عليَّ قلبي رثاءً أخطُّهُ ... لهُ ودموعي اوشكت تذهبُ الحبرا

وتوشكُ ان تصلى الصحيفةُ في يدي ... فتحرقُ من تصعيدِ أنفاسيَ الحرَّى

سقى اللهُ قبراً ضمَّ أعظُمَهُ وكم ... فؤادٍ تمنّى أن يكونَ لهُ قبرا

ولو كانَ ذاكَ القبرُ يملكُ امرهُ ... لردَّ البِلى عنهُ واحرزهُ ذُخرا

وقال يمدح روفائيل عبيد حين بنى مدرستهُ المشهورة في مصر

لولا التفاوتُ في الأخلاقِ والأدبِ ... تساوتِ الناسُ في الأقدارِ والرُّتبِ

لنا أبٌ واحدٌ بالجسمِ يجمعنا ... لكنْ كانَّ لنا بالرُّوحِ ألفَ أبِ

Digitized by Birzeit University Library

قام التفاوتُ بين الناسِ مرتقياً ... فوق التفاوتِ بين العُود والحَطَبِ
حتى يُخيَّلَ أنَّ البعضَ قد خُلِقوا ... من التُّرابِ وصِيغَ البعضُ من ذهبِ
والناسُ تطلُبُ جمعَ المال قاطبةً ... لكنها اختلفت في غايةِ الطَّلَبِ
للعزِّ والصَّفْوِ بعض الناس يجمعُهُ ... والبعضُ يجمعُهُ للذُّلِّ والنَّصَبِ
لا ينفعُ المالُ الاَّ حينَ يخرُجُ من ... ايدي ذويهِ فيمضي قاضيَ الأَرَبِ
والمالُ في الكيس لا يمتازُ عن حجرٍ ... كالسيفِ في الغمدِ لا يمتازُ عن خَشَبِ
والكلُّ من دون تقوَى اللهِ نَحسَبُهُ ... مثلَ الهباءِ ذَرَتهُ الريحُ في الشُّحُبِ
واللهُ يحتسبُ التقوى بلا عملٍ ... كجَفْنةِ الكرم قد قامة بلا عِنَبِ
مَن أدَّعى الدينَ والدنيا اقولُ لهُ ... ان كُنتَ كابنِ عُبيدٍ أقدِمْ ولا تهَبِ
هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ النَّسَبِ ابنُ الطاهرِ النسبِ ... ابن الطاهرِ النسبِ
هذا الكريمُ السليمُ القلبِ من دنسٍ ... وهوَ الصفيُّ البريُّ النفسِ من ريبِ
اقوالُهُ دُرَرٌ افعالُهُ غُرَرٌ ... افضالُهُ طُرَرٌ في جبهةِ العَرَبِ
ذو رُتبةٍ ليس في استعلائها عَجَبٌ ... لكن تواضعُهُ معها من العَجَبِ
كالغُصنِ قد مال نحو الارضِ منخفضاً ... لِثِقلِ حَمْلٍ نما في عُودِهِ الرَّطِبِ
ماضي اليَراعِ جميلٌ خطُّ رُقعتهِ ... لكن معانيهِ أبهَى منهُ في الكُتُبِ
يُجريهِ فُنُوناً من الأَقلامِ مُطرِبةً ... لنا وكم طَرَبٍ يجري من القَصَبِ
احيا العلومَ التي ماتت بمدرسةٍ ... كالبُوقِ في البعثِ يُحيي دارسَ التُّرَبِ
قامت لهُ مع شهودِ الناسِ شاهدةً ... تُبقي لهُ الذِّكرَ في مُستقبَلِ الحِقَبِ

Digitized by Birzeit University Library

بَغَى رِضَى اللهِ روفائيلُ مصطحباً معهُ رِضَى خالقِهِ يا خيرَ مُصطَحَبِ
وتلكَ نادرةٌ قد عزَّ مَطلَبُها الاَّ عَلَى مُخلِصٍ للهِ مُنتَخَبِ

وقال يرثي طفلاً لبعض الاكابر توفي ابن خمسة عشر يوماً

الا يا هلالاً لاحَ ابهى من البدرِ ولكن اتاهُ الخسفُ في غُرَّةِ الشهرِ
بقيتَ لنا خمساً وعشراً فعندنا من النوحِ كم خمسٍ عليكَ وكم عشرِ
جرَحتَ قلوباً قد طلَبْنا لجُرحِها دواءً فقالت لا دواءَ سوى الصبرِ
ومَن عاش في الدنيا الخؤون تقلَّبت عليهِ فلا يُعطَى الأَمانَ من الغدرِ
قضَى اللهُ بالهجرانِ في أَثَرِ اللقا فيا حبّذا لو كنتَ قبلاً عَلَى الهجرِ
اذا كانَ ما نِلنا من الخيرِ زائلاً فأَفضَلُ منهُ ما يزولُ من الشرِّ
أَطَعْنا وسلَّمنا الى الله أَمرَنا عَلَى كُلِّ حالٍ انهُ مالكُ الامرِ
قداختارَ مَن يهوَى فأَسرعَ جذبَهُ اليهِ نقيًّا غيرَ منتقض الطُّهرِ
فلبَّاهُ صافي العيشِ لم تدنُ غُصَّةٌ اليهِ ولم يُردَدْ الى أَرذَلِ العُمرِ
ايا قبرَ ابرَهيمَ قد صرتَ مهدَهُ وصاحبَهُ الباقي الى آخر الدهرِ
ويا قبرَ ابرهيمَ اكرِمْ منعَّماً عزيزاً عَلَى أُمٍّ مُخدَّشةِ الصَّدرِ
ويا وجهَ ابرهيمَ غيَّرَكَ البِلَى كما غيَّرَتنا لوعةُ الحزنِ لو تدري
اتى مَن يُهنّي امسِ واليومَ جاءَ من يُعزّي فكادَ الحلوُ يُمزَجُ بالمرِّ
وذاكَ وهذا حكمُ مَن جازَ حكمُهُ فمَن حازَ تسليماً لهُ فازَ بالأَجرِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح رشدي باشا والي سورية

أَلناسُ في الدهرِ لَفْظٌ أَنتَ مَعناهُ ... والدهرُ في ٱلناسِ عبدٌ انتَ مَوْلاهُ

وفي يمينكَ من سَيفٍ ومن قَلَمٍ ... ما في حواشيهِ نيرانٌ وأَمواهُ

لقد جرَى قَدَرُ ٱلبارِي بمَكْرُمةٍ ... فقالَتِ ٱلناسُ بٱسْمِ ٱللهِ مَجْراهُ

افاد سُورِيَّةَ المسعودَ ظالعُها ... سُورًا نجومُ ٱلثُّرَيا ليسَ تَرقاهُ

مَن لا تَضيقُ بتدبيرٍ سياستُهُ ... لو أَنَّ كلَّ بني الدنيا رعاياهُ

في صَدرهِ بحرُ علمٍ فاضَ مندفقًا ... فاصبحَ الدُّرُّ من ادنى هَداياهُ

لا يَستَمِدُّ فَتاوَى ٱلفقهِ من احدٍ ... وتَستَمِدُّ شيوخُ ٱلفقهِ فتواهُ

تَعاهَدَ الدينُ والدنيا بمجلسهِ ... فما تُفارِقُ حُكمَ الدِّينِ دُنياهُ

ساسَ ٱلبلادَ بأَلطافٍ ومَعدِلةٍ ... منهُ فكانت جميعُ ٱلناس تَهواهُ

أَلقَى ٱلسَّكينةَ في قُطرٍ اقامَ بهِ ... فلم تكَدْ رجفةُ الزَّلزالِ تَغشاهُ

لو كانَتِ ٱلأُسدُ يوماً من رعيَّتِهِ ... لم تفترسْ احدًا من حيثُ تلقاهُ

يَسمو لهُ فوقَ آفاقِ ٱلعُلَى شَرَفٌ ... حتى تصيرَ الدَّراري دونَ أَدناهُ

وكلَّما ٱزدادَ مجدًا زادَ في دَعَةٍ ... فلم يَكُن يزدهيهِ المجدُ والجاهُ

أَهلاً بقادمِ بيروتَ ٱلتي ٱبتَهجتْ ... فلو أَطاقَ حِماها كان لاقاهُ

حيَّا الحَيا رَبْعَها الزاهي الخصيبَ كما ... حيَّا الالهُ بتكريمٍ مُحيَّاهُ

يا سيِّدًا قامَ يَرعَى وجهَ خالقهِ ... عَلَى الدَّوامِ وعينُ اللهِ تَرعاهُ

ظَفِرْتَ في طاعةِ ٱلبارِي بنعمتهِ ... وٱلناسُ تَدعُو جَميعًا زادَكَ اللهُ

Digitized by Birzeit University Library

وسأله بعض اصدقائه ابياتاً يقدم بها على بعض كرام الناس فقال

الفضلُ من أهلِ الكرامةِ يُعرَفُ ... بالفعلِ لا بالقولِ ممَّن يهرِفُ
والجودُ في بعضِ الكرامِ طبيعةٌ ... رَسخَتْ وفي بعضِ الكرامِ تكلُّفُ
كرَمُ اللسانِ خديعةٌ في طيِّها ... كذِبٌ يُعابُ بهِ وبُخلٌ يُقذَفُ
لو كانَ في طيبِ الكلامِ افادةٌ ... لجمعتُ منهُ ثروةً لا تُوصَفُ
المالُ يُزرِي بالبخيلِ لؤمِهِ ... حِرْصاً ولكن للكريمِ يشرِّفُ
انَّ الغنيَّ اذا قضى حقَّ الغنى ... يقضي الغِنى حقَّ الغنيِّ فينصِفُ
لو قُلتَ للكرَمِ المصفَّى من ترَى ... تدعو اباكَ لقالَ قُلْ يا يوسُفُ
هذا الذي يعتدُّ من أموالِهِ ... شُؤْماً عليهِ درهماً لا يُصرَفُ
اعطاهُ خالقُهُ الكمالَ فلا ترَى ... في نفسهِ عيباً عليهِ يُعنَّفُ
وُضِعَتْ لفعلِ الخيرِ فطرتُهُ كما ... وُضِعَتْ لتركيبِ الكلامِ الأحرُفُ
يا مَن يرَى سَبْقَ السؤالِ عطآءَهُ ... عاراً عليهِ يَصُدُّ عنهُ ويأنَفُ
انّي أقولُ لحاسديكَ تأمَّلوا ... وتعلَّموا منهُ ولا تستنكِفوا
هذا هوَ العلَمُ الشهيرُ أمامَكُم ... عنهُ خذُوا وبهِ اقتدُوا ولهُ اقتفوا

وقال يمدح الامبراطور نابليون الثالث اقترحها عليه احد رجال دولته بالديار الشامية

مَن قالَ إنَّ الدهرَ ليسَ يعودُ ... هذا زمانٌ عادَ وهوَ جديدُ
قد عادَ نابليونُ بعدَ زوالهِ ... فكأنَّ ذلكَ بعثُهُ الموعودُ

Digitized by Birzeit University Library

يا مَن يقولُ لرِمَّةٍ في لَحدِهِ ... إنَّ السعيدَ كما علِمْتِ سعيدُ
هذا خليفتُهُ الذي أحيا الورَى ... احياكِ حتى اخضرَّ منكِ العودُ
يا قائمًا فوقَ العَمودِ بشخصِهِ ... علمًا وأنتَ على العَمودِ عَمودُ
أبديتَ رسمَ لويسَ في الدنيا كما ... أبدَى لكَ الاسكندرُ المعمودُ
لا تُفقَدُ الدنيا لفقدِ عزيزِها ... ما دامَ يخلُفُ ميتَها المولودُ
تتجدَّدُ الأشخاصُ فيها مثلما ... يُفرَى القضيبُ فينبُتُ الأملودُ
ذَهَبَ الذي كانت بقبضةِ كفِّهِ ال ... دنيا واشرافُ البلادِ جنودُ
إرثُ العبادِ المالُ لكن إرثُهُ ... تاجٌ وسيفٌ قاطعٌ وبُنودُ
قد نالَ تاجَ المُلكِ مَن هو أهلُهُ ... شرعًا وكلُّ العالَمينَ شُهودُ
وأقامَ في برجِ الخلافةِ كوكبًا ... بضيائِهِ انجلَتِ الليالي السُّودُ
راعت شجاعتُهُ الكُماةَ فما درَوا ... أفؤادُهُ أقسَى أم الجُلمودُ
غلَبَتْ عزيمتُهُ العزائمَ مثلما ... غلَبَ الطوالعَ نجمُهُ المسعودُ
أهداهُ حكمتَهُ سليمانُ الحِجَى ... وحباهُ صفوَ فؤادِهِ داودُ
قامَت بمصلحةِ البلادِ يمينُهُ ... وهي التي منها يفيض الجودُ
كالبحرِ قد صلُحَ الفسادُ بملحِهِ ... واصطيدَ منهُ اللؤلؤُ المنضودُ
قُطْبٌ عليهِ الارضُ دائرةٌ كما ... يختارُ فهيَ تدورُ كيفَ يُريدُ
فضَّاضُ مُشكلةِ الملوكِ برأيِهِ ... وبهِ يُحَلُّ عسيرُها المعقودُ
جبَلٌ على باريسَ قامَ فأطبقَتْ ... في جانبيهِ من الرجالِ أُسودُ

Digitized by Birzeit University Library

يُجنى جناهُ ويُستظلُّ بظلِّهِ أبدًا ولكن ما اليهِ صعودُ
ملكٌ أذلَّ المالَ وهوَ جواهرٌ وأعزَّ نصلَ السيفِ وهو حديدُ
بسطٌ وقبضٌ في يديهِ فيرتجى وعدٌ لهُ ويُخافُ منهُ وعيدُ
دانتْ لهيبتهِ كتائبُ دولةٍ دانت لهيبتها الملوكُ الصيّدُ
قومٌ اذا تركَ العُمودَ نصالُهم فكأنَّ أسيافَ العُداةِ غُمودُ
يغزو القبائلَ ذكرُهم قبلَ اللقا فيفُلُّ عزمَ الجيشِ وهوَ بعيدُ
وَاذا هُمُ اعتنقوا الكُماةَ تلاحموا مثلَ الحروفِ يضمُّها التشديدُ
هوَ قيصرُ العصرِ الذي من دونهِ كسرى الذي ضاقت عليهِ البيدُ
لسعودهِ الفلكُ المسخَّرُ خادمٌ ولوجههِ القمرُ المنيرُ حسودُ
ملكٌ لدولتهِ العظيمةِ هيبةٌ تهتزُّ منها الارضُ وهيَ تميدُ
في الغرب طالعةٌ سحائبُ جيشها ولها بروقٌ عندنا ورعودُ
حملتْ ربى لبنانَ منها منّةً مثلَ الجبالِ على الجبالِ تزيدُ
سالتْ بنعمتها البطاحُ فأخصبتْ وجرى عليها ظلُّها الممدودُ
حيّا الصبا أزهارَها فتبسّمتْ ومن الندى في جيدهنَّ عقودُ
رقصتْ حمائمُها وصفّقَ دوحُها فأجابهنَّ من الهزارِ نشيدُ
هذا هوَ الملكُ السعيدُ وانّنا نلنا السعادةَ حيثُ نحنُ عبيدُ
للناس منهُ كلَّ يومٍ بهجةٌ في المكرماتِ فكلُّ يومٍ عيدُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يرثي منصور فيّاض

نُعاتِبُ حيثُ لا نرجو الجَوابا ... زَماناً ليسَ يَسْتمعُ ٱلعِتابا
ونشكو ظُلمَهُ شكوى غَريقٍ ... الى مَوجٍ يزيدُ بها ٱضطِرَابا
زَمانٌ ليسَ نبرَحُ كلَّ يومٍ ... نَرَى فيهِ أعوِجاجاً وٱنقلابا
يُقادُ بهِ ٱلعزيزُ الى ذَليلٍ ... ويقتنصُ ٱلغُرابُ بهِ ٱلعُقابا
يموتُ ٱللَّيْثُ في ٱلفَلَواتِ جوعاً ... وتُبشِمُ كَثْرَةُ ٱلشِّبَعِ ٱلكِلابا
ويذْهبُ مَن نُريدُ لهُ بَقاءً ... ويَبقَى مَن نُريدُ لهُ ذَهابا
مَضَى عنّا ٱبنُ فيّاضٍ ففاضَتْ ... عليهِ مَدامعٌ تحكي السَّحابا
مَدامعُ في الخُدودِ جرَتْ مِياهاً ... ولكن في الحَشَا صارَتْ حِرَابا
نجا من حربِ دَنياهُ عزيزاً ... فمَن يدْعوهُ منصوراً أَصابا
تُظَلِّلُهُ ٱلملائكُ في ثَراهُ ... بأَجنِحَةٍ رَفَعْنَ لهُ قِبابا
كريمٌ ما عرَفنا فيهِ عَيباً ... ولا خُلُقاً يَسوءُ بهِ الصِّحابا
ولَم يَكُ قطُّ يُغضِبُ نفسَ رَاضٍ ... ولَكن كانَ يَسْتَرْضي ٱلغِضابا
فَقَدْناهُ ولم نَفقدْ ثناهُ ... فكانَ ٱلبُعدُ يُوهِمُنا ٱقتِرَابا
تقولُ قُلوبُنا إذْ أَوْدَعوهُ ... تُرَاباً لَيتَنا كُنَّا تُرَابا
صديقٌ لي صَدوقٌ من صِباهُ ... ولم ينسَ ٱلصَّداقةَ حينَ شابا
بكَيتُ عليهِ وٱستدعيتُ صبري ... فصارَ ٱلصبرُ حزناً وٱكتِئابا
ومَن لم يَصطبِرْ طَوْعاً تَوَلَّى ... عليهِ العجزُ فٱصطَبَرَ ٱغتِصابا

Digitized by Birzeit University Library

وقال يمدح الامير حيدر والامير ملحم رسلان

طالَ البِعادُ فطالَ الشَّوقُ وَالكَمَدُ ... وقصَّرتْ هِمَّتي والصبرُ والجَلَدُ

يُقرِّبُ اللهُ دارًا حينَ اقصِدُها ... يحولُ من دونها أمرٌ فتبتعد

لا يُمسِكُ العبدُ من حاجاتهِ بيدٍ ... ما لم تُساعِدْهُ من امرِ القديرِ يدُ

وللحوائجِ أوقاتٌ بها ارتهنَتْ ... كأنفُسِ الناسِ للآجالِ ترتصدُ

اليومَ يا ناقتي النيروزُ مرَّ بنا ... في شهرِ تمُّوزَ لا بَرْدٌ ولا بَرَدُ

جِدِّي ولا تشتكي من سيرِنا تعبًا ... فسوف ترتاحُ منا الروحُ والجسدُ

هذا هوَ الغربُ لاحَ النيِّرانِ بهِ ... فذاكَ شَرْقٌ عليهِ الناسُ تعتمدُ

من حيدرٍ ملحمٌ قد قامَ فيهِ لنا ... يا حبَّذا والدٌ يا حبَّذا وَلَدُ

هما الاميران من قومٍ إمارتُهم ... من عهدِ عادٍ ومن من قبلهِ عُهِدُوا

كِلاهما قائمٌ باللهِ معتصمٌ ... بحولهِ ناصرٌ للحقِّ معتضدُ

قالو رأيناكَ تصبو نحوَ دارِ بني ... رسلانَ قد نطقوا عدلاً بما شهدوا

كلٌّ يُحِبُّ من الدنيا كرامتَهُ ... وهي العزيزةُ لا حيٌّ ولا بلَد

ان الصغيرَ يرى في نفسهِ صِغَرًا ... عند الكبارِ سواهم حينما يفِدُ

يُعطى النزيلُ مقامًا عندهم فيرى ... ما لم يكُنْ قبلها في نفسهِ يجِدُ

هذهِ مكارمُ أخلاقِ الكرامِ لهم ... قديمةٌ من تنوخِ الأزدِ لاجدُدُ

توارثوها فكانت في عشائرهم ... أغنى المواريثِ لا مالٌ ولا عُدَدُ

صرفتُ أكثرَ شعري في مدائحهم ... والحمدُ للهِ لا زيغٌ ولا أوَدُ

Digitized by Birzeit University Library

تُصدِّقُ الناسُ فيهم كلَّ ممتدحٍ ... وَلاَ يُصدِّقُ مَن يَغتابُهم أَحَدُ

وقال يمدحهما ايضاً

قامَتْ لهيبتها غُصُونُ البانِ ... مثل الجُنودِ بحَضْرَةِ السُّلطانِ
وأَتَى الهَزارُ يحومُ فَوقَ قَوامِها ... اذ ظنَّهُ غُصناً بِرَوضِ جِنانِ
بَدَوِيَّةٌ في طَرْفِها سهمٌ بلا ... وَتَرٍ عَلَى رُمحٍ بغيرِ سِنانِ
أَبدَتْ خُدُوداً كالدِّماءِ فما أَفترَى ... مَنْ قالَ تلكَ شَقائقُ النُّعمانِ
يا رَبَّةَ الحسنِ العزيزِ نراكِ قد ... غرَّبتِ عاشقَهُ بكلِّ مكانِ
انَّ الغريبَ ذليلُ نفسٍ خاملٌ ... كالشِّعرِ عند سوَى بني رَسلانِ
قَومٌ تُساقُ الى تَنوخَ فروعُهُم ... وأُصولُهم تَرقَى الى قَحطانِ
غِلمانُهم مثلُ الشُّيوخِ نباهةً ... وشيوخُهم في البأسِ كالغِلمانِ
يَجِدُ الوُفودُ من الكرامةِ عندهم ... ما يَذهَلونَ بهِ عن الاوطانِ
ويُخاطِبونَ بكلِّ فنٍّ أَهلَهُ ... فكأَنَّ واحدَهم بالف لسانِ
لهم السِّيادة في العراقِ تطرَّقَتْ ... منهُ عَلَى نُوَبٍ الى لُبنانِ
في حيرة العَرَبِ القديمةِ وَحشةٌ ... منهم كشوقِ مَعَرَّةِ النُّعمانِ
درَجوا الى غربِ البلادِ كما سعَتْ ... سيَّارةُ الأَفلاكِ في الدَّورانِ
فاذا بذاكَ الغربِ أَحسنُ مَشرِقٍ ... يبدُو لنا من أُفقِهِ القمَرانِ
قَمَرانِ حيدَرُ منهما أَزكى أَبٍ ... لأَجلِّ نجلٍ مُلحِمِ بنِ فُلانِ
أَزكى أَبٍ وأَجلُّ نجلٍ فيهما ... شِيَمُ العُلَى اسْتَبَقَتْ كَخَيلِ رِهانِ

Digitized by Birzeit University Library

نِعْمَ الأميرانِ اللذانِ كِلاهما ذو الأَمرِ بالمعروفِ والإحسانِ
الفاضلانِ العاملانِ الكاملا نِ القائمانِ بطاعةِ الرحمانِ
لا تَحسَبوني مادحاً بل راوياً أَروي الوقائعَ عن جَلِيِّ عِيانِ
أَروي كما ادريـه واترُكُ سامعي يُثني فليس يَهُمُّني الأَمرانِ

واقترح عليهِ بعض اصحابهِ العلمآء ابياتاً يمدح بها احمد باشا والي ايالة صيدآء ويشكو اليهِ حالهُ فقال

العِلمُ فوقَ المالِ في إرشادِهِ والمالُ فوقَ العلمِ في إسعادِهِ
والمُلكُ فوقهما لأَنَّ الله قد اعطاهُ للإنصاف بين عبادِهِ
وأَجلُّ صاحب دولةٍ مَن يَغرِسُ ال تقوَى كأَحمَدَ في صميم فؤَادِهِ
سبَّاقُ غاياتِ الكَمالِ مُجاهِدٌ في طاعةِ الرحمٰن حقَّ جهادِهِ
يَرعَى رَعيَّتَهُ بطَرْفٍ سُهدُهُ أَشهَى اليهِ من لذيذِ رُقادِهِ
ما زالَ ينظُرُ في مصالحِ شعبهِ حتى كأَنَّ الشعبَ من اولادِهِ
واذا تلبَّسَ بالفسادِ زمانُهُ نَهضتْ يداهُ الى صَلاحِ فَسادِهِ
بَسَمتْ لدولتهِ الثُّغورُ وكبَّرتْ ودعا مُصلّي الصُّبحِ في أَورادِهِ
وترنَّمتْ بيروتُ حينَ ثَوَى بها فأَجابها لُبنانُ من أَطوادِهِ
التدرُ من حُسَّادِهِ والدهرُ من أَحفادِهِ والنصرُ من أَجنادِهِ
والبِشرُ فوقَ جبينهِ والحُكمُ طو عُ يمينهِ والامرُ تحتَ مُرادِهِ
يا كعبةَ القُصَّادِ يا مَنْ شأْنُهُ أَن لا يخيبَ الظَّنُّ من قُصَّادِهِ

Digitized by Birzeit University Library

انتَ ٱلقديرُ متى دعاكَ ضعيفنا ... أن تبسطَ الأيديْ الى إمدادهِ
الناسُ يَشكونَ الزمانَ وانني ... أشكو بَنيهِ فَلَسْتُ من أضدادهِ
فَهُمُ الذينَ تغيَّروا وَهُوَ الذي ... لا يَعرِفُ التغييرَ عن مُعتادهِ
العلمُ قد أمسى ذليلاً كاسدًا ... فيهم فذَلَّتْ أهلُهُ لكَسادهِ
والمالُ عند الاكثرينَ كأنَّهُ ... صَنَمٌ وربُّ ٱلمالِ من عُبَّادهِ
احرقتُ فِكري بالعلومِ فلم أَنَلْ ... الاَّ أذَى عيني بنَسفِ رَمادهِ
وكتبتُ ما قد أحزَنَ القِرطاسَ من ... تَلَفٍ فكانَ الحبرُ ثَوْبَ حِدادهِ
ولقد صبرتُ على ٱلبَلا ومَطامعي ... ترجو بياضَ الحظِّ بعد سَوَادهِ
وَعَدَ الإلهُ ٱلصابرينَ بلُطفهِ ... كَرَمًا ولا إخلافَ في ميعادهِ

وقال يرثي طفلاً تُوُفّي وكان غريبًا في نباهته

غُرابُ ٱلبَينِ أسرَعَ في البُكورِ ... فطارَ بمُهجةِ ٱلطِّفلِ الصغيرِ
أَتى يصطادُ يومًا فاجتَناهُ ... كفاكهةٍ من ٱلثَّمَرِ النضيرِ
أَذابَ اللهُ قلبَكَ من غُرابٍ ... تَناوَلَ حبَّةَ ٱلقلبِ الكسيرِ
وَرَدْتَ ٱليومَ تَشرَبُ ماءَ دمعٍ ... بهِ أستغنيتَ عن ماءِ ٱلغديرِ
عليكَ ٱلعهدُ لا تُبقي صغيرًا ... ولا تعفو عن ٱلشيخِ الكبيرِ
بَسَطتَ على بني الدُّنيا جَناحًا ... وآخرَ في ٱلسماءِ على ٱلنُّسورِ
عليكَ سلامُ ربِّكَ يا صغيرًا ... رَحلتَ الى ٱلضريحِ من ٱلسريرِ

Digitized by Birzeit University Library

غفلنا عنكَ لم نُصحِبْكَ زادًا ... فكانَ ٱلقلبُ زادَكَ في ٱلمسيرِ
عليكَ الحزنُ ليسَ لهُ نظيرٌ ... لأنَّكَ لم يكنْ لكَ من نظيرِ
أَصبتَ بعيشكَ ٱلعامينِ رُشدًا ... كأنَّكَ عائشٌ عددَ ٱلشُّهورِ
حرَصْنا أن تعيشَ لنا سليماً ... فكانَ الحِرْصُ من عبَثِ الأُمورِ
متى يسلوكَ بالٍ كلَّ يومٍ ... تجدُّ بقلبهِ نارُ ٱلسعيرِ
ستسلوكَ ٱلقلوبُ نَعَمْ ولكن ... متى صارتْ تُرابًا في ٱلقُبورِ
أَفادكَ نورُ قلبكَ حُسْنَ رأْيٍ ... فما ٱستمسكتَ بالدنيا ٱلغرُورِ
رأَيتَ الناسَ في سفَرٍ طويلٍ ... فقُلْتَ الرأْيُ في ٱلسَّفرِ ٱلقصيرِ

وله يهنئ احد اصحابه بنصب

قلْ للوزيرِ اذا وَقَفْتَ ببابهِ ... ناسبتَ بينَ محمَّدٍ والمُصطَفى
أَرجعتَ طرفكَ في الرجالِ مكرِّرًا ... حتى اصطفيتَ اليومَ أَصدقَ مَن وَفى
لقدِ اُصطفيتَ مُهذَّبًا لو أَنَّهُ ... وُلِّي عَلَى مُلكِ ٱبنِ داودٍ كَفى
يُغنيكَ عن حَملِ ٱلقَنا ببراعهِ ... وبرأْيهِ عن أَن تَسُلَّ الأَسيُفا
مُتيقِّظٌ للدهرِ ينظرُ ما بدا ... منهُ ولا يخفى عليهِ ما ٱختفى
واذا اشتكتْ دُنياهُ حادثَ علَّةٍ ... فيمينهُ ٱليُمنى ضامنةُ ٱلشِّفا
يا أَيُّها ٱلشَّهمُ الذي مِغراجُهُ ... لا يُرتقَى وطريقُهُ لا يُقتفَى
تُملي علينا من صِفاتكَ أَسطُرًا ... عند ٱلمديحِ اذا كتبنا أَحرُفا

Digitized by Birzeit University Library

خُذْها اليكَ رِسالةً أَرجو لها ... عَفْوَ الكِرامِ وانَّ مِثْلَكَ مَن عَفا
راحت تُهَنّي المُصطفَى لكرامةٍ ... وانا أُهنّيها بوَجهِ المُصطفَى

وقال يرثي عبدالله شقير

تنبَّهوا يا عِبادَ الله واعتبروا ... فالموتُ بالبابِ والأَرواحُ تنتظرُ
ما بينَ لحظةِ عينٍ في تَرَدُّدِها ... تأْتي المَنايا ويَمضي السَمْعُ والبَصَرُ
الريحُ أَفضلُ من أَرواحنا مَدَدًا ... نَعَمْ وأَفضلُ من أَجسادنا الحجَرُ
هاتيكَ تَرجعُ اذ هبَّتْ نسائمُها ... وذاكَ يبقَى فلا يُمحَى لهُ أَثَرُ
أَستغفرُ الله من دهرٍ مضى عبَثًا ... في اللَّهوِ والسَّهْوِ نُمسي حيثُ نَبتكرُ
ندري بغُربةِ دارٍ نازلينَ بها ... وليسَ يَخطُرُ في بالٍ لنا السَّفَرُ
دُنياكَ مِثْلُ خَيالِ الظِلِّ مُنبسِطًا ... والناسُ في طيِّهِ الأَشباحُ والصُوَرُ
نأْتي ونذهبُ من أُنثَى ومن ذكَرٍ ... كأَنَّما لم يكُن أُنثَى ولا ذكَرُ
يمشي الفَتَى مِثْلَ ليثِ الغابِ مفترِسًا ... وكالفريسةِ يغدو وهْوَ منكسِرُ
قد باتَ كالبُرجِ عبدُ الله ثمَّ غدا ... مثلَ الهَباءِ الذي في الريحِ يَنتثِرُ
لهُوُهُ ويلاهُ بالأَكفانِ مندرِجًا ... كما يُلَفُّ بغيمٍ في الدُّجَى القَمَرُ
وسارَ في نعشِهِ عالي المقامِ كما ... بالامسِ كانتْ تُعلّي قدْرَهُ البَشَرُ
قد سابَقَ البينُ فيهِ الشَّيبَ مختطِفًا ... من قبلِ أَن يعتريهِ الشَّيبُ والكِبَرُ
رامَ الطريقَ الى مَوْلاهُ مختصِرًا ... كسالكِ الطُرقِ يستدني ويختصِرُ

Digitized by Birzeit University Library

قد كانَ للناسِ منهُ كلُّ منفعةٍ ... مما استطاعَ ولم يُعرَفْ لهُ ضررُ
وكانَ للناسِ حظٌّ من غناهُ فقد ... كانَ الغنى عندهُ غُصناً لهُ ثمرُ
مُهذَّبُ النفسِ في قولٍ وفي عملٍ ... لهُ على نفسهِ من قلبهِ سهرُ
بني شقيرٍ خذوا بالصبرِ واعتصموا ... إنَّ اللبيبَ على الاحزانِ يصطبرُ
ربٌّ دعا عبدهُ يوماً فبادرهُ ... وكلُّ عبدٍ الى مولاهُ يبتدرُ
تصرَّفَ الناسُ في الدنيا الامورَ ولا ... يتمُّ فيها سوى ما صرَّفَ القدرُ
وربَّما حذروا ما لا يُصادفهم ... فيها وصادفهم غيرُ الذي حذروا
للمرءِ في الدهرِ يومٌ لا مساءَ لهُ ... يرجو لقاهُ وايلٌ ما لهُ سحرُ
يُعدُّ للعيشِ من أموالهِ صُرَرًا ... شتَّى فيضحكُ منهُ المالُ والصُّررُ
كم ماتَ من شاربٍ والكأسُ في يدهِ ... فكانَ بينَ حواشي وردهِ الصَّدرُ
ومُخبرٍ قبلَ أن تمَّتْ عبارتهُ ... بكلمةٍ قد جرى عن موتهِ الخبرُ
الناسُ للموتِ لا للعيشِ قد وُلِدوا ... فهوَ الحياةُ التي تُرجى وتُعتبرُ
يا ويلَ أيامنا الأولى التي رَبِحَتْ ... في الأرضِ ان خسرتْ أيَّامُنا الأُخرُ

وقال في رسالةٍ الى السيد عُمَر الانسي وكان في سفر

على نادي احبَّتنا الكرامِ ... سلامٌ في سلامٍ في سلامِ
سلامٌ من مشوقٍ صارَ يحكي ... سلاماً من مشوقٍ مُستهامِ
أذابتهُ الصبابةُ من رحيلٍ ... تضمَّنَ في الحشا وهمَ المُقامِ

Digitized by Birzeit University Library

أَلا يا مَن سَقَوْنا صابَ غَمٍّ ... سقاكم ربُّكم صَوْبَ الغَمامِ
نأَى عنّا المَزارُ فما حُرِمنا ... زيارةَ طيفِكم تحتَ الظلامِ
حفظتم عهدَنا العُمْرِيَّ حتى ... تعلَّم طيفُكم حِفظَ الذِّمامِ
رَعَى اللهُ اللُّوَيلاتِ اللواتي ... مَضَيْنَ لنا كحُلمٍ في مَنامِ
رَجَونا ان تدومَ لنا فقالتْ ... نَدومُ اذا طمعتم في الدَّوامِ
لكلِّ لُبانةٍ زَمَنٌ نَراهُ ... يَقُودُ لها الرجالَ بلا زِمامِ
وما لكَ فُرصةٌ ضاعت فرُدَّتْ ... وكيفَ يُرَدُّ مُنطلِقُ السِّهامِ
وقد يَرقَى اللفاءُ الى وفاءٍ ... كما يَرقَى الهلالُ الى التمامِ
اذا حَسُنَتْ فواتحُ كلِّ أمرٍ ... رَجَونا بعدَها حُسْنَ الختامِ

وقال يهنّئ بعض العلماء بعودته من سفر

جادَ الزمانُ بنعمةٍ متصدِّقا ... فشكرتُ نعمتَهُ ولستُ مُصدِّقا
يا نعمةً طَمَحَتْ عليَّ غَلِطتُ بل ... شَمِلَت جميعَ الساكنينَ المَشرِقا
حَمَلَت انا بُشرَى السرورِ سفينةٌ ... حقٌّ عَلَى أَخشابِها أَن تُورِقا
قد كانَ ذاكَ أَسَرَّ لي من شَحْنِها ... بالدُّرِّ حتى أَوشكتْ أَن تغرقا
يا رأْسَ زاويةِ العشيرةِ لا تَدَعْ ... من بعدِكَ البُرجَ الحصينَ مُمزَّقا
ما كنتُ أَرضَى بالبقا يوماً اذا ... قالوا فُلانٌ قد مَضَى ولكَ البقا
يا ثغرَ بيروتَ ابتسمْ متهلِّلاً ... ولْيبتَهِجْ شَجَرُ الغياضِ مُصفِّقا

Digitized by Birzeit University Library

ولترقص اللجج العظيمة حولها طرباً ويطفح نهرها متدفقا
ولتلبس الارض الاريضة سندساً خضراً ويلبس زهرها الإستبرقا
وتجر أرواح النسائم فوقها ذيلاً من المسك الذكي مفتقا
عاد الذي ابتهج الكلام بوفده طرباً وقد هنأ البيان المنطقا
لا تخبروا عنه الطروس فربما تلقى سواد الحبر من فرح اللقا
من عاش في دنيا التجارب لم يزل متقلباً بين السعادة والشقا
حي حولنا ماء وطين فانظروا من خاض بينهما أيطمع في النقا

وقال وقد بعث بها الى فؤاد باشا بالقسطنطينية يعزيه بولده ناظم بك حين توفي سنة ١٢٨١

يا نفس هل من امر ربك عاصم ومن الذي بقضاء ربك عالم
لا تجزعي عند البلية واعلمي أن التجلد للبلاء يقاوم
ان القلوب اذا شكت جرح الأسى فلها من الصبر الجميل مراهم
واذا أبيت اليوم صبراً في البلا طوعاً صبرت غداً وأنفي راغم
فقد الحبيب بلية ونظيرها حزن المحب لكل قلب هادم
لو كان عندي في دوام بقائه طمع لحق عليه حزن دائم
من ليس يمضي اليوم يمضي في غد ان الغريب على الرحيل لعازم
سفر بعيد في طريق طامس لا يقدم الماضي ويمضي القادم

Digitized by Birzeit University Library

يَنساقُ مَخدومٌ إليهِ كخادمٍ هيهاتِ كُلٌّ للمنيَّةِ خادمُ
لو كان هذا البين يَرعَى حُرمةً تُبقي الكرام لكان يبقى ناظمُ
خَطْبٌ عظيمٌ لا يُقاسُ بهَوْلِهِ خَطْبٌ فليس تُعَدُّ معهُ عظائمُ
طفَحت عَلَى لُبنانَ منهُ كآبةٌ لجبالهِ مثلَ الجبالِ تُصادِمُ
للشامِ جسمٌ قد أُصيبَ فُؤادُهُ فَبَدَت عليهِ من السَّقامِ علائمُ
ان العبادَ يَسُوءُهم ما ساءَ مَن دُفِعَ البَلاءُ بهِ وردَّ الظالمُ
نبكي عَلَى فقْدِ الحبيبِ ومثلما ضاعَ الحبيبُ يضيعُ دمعٌ ساجمُ
يُؤذي الحزينَ جُفونَهُ بدُموعهِ عَبَثاً كما عضَّ البَنانَ النادمُ
يا أيُّها البحرُ الذي عَبَثَت بهِ أنواءُ حزنٍ موجُها متلاطمُ
ماذا يقولُ لكَ المُعزّي إنَّهُ نونٌ بلُجّتكَ العظيمةِ عائمُ
إنَّ الجبالَ تَهُزُّهنَّ زلازلٌ لكن سيعقُبُها سكونٌ لازمُ
والشمسُ يَغْشاها الضَّبابُ فينجلي والليلُ يطرُدُهُ الصَّباحُ الباسمُ
أنتَ العمادُ لأرضنا ولمُلكها من بعدِ ربِّ المُلكِ منكَ دعائمُ
واذا سلِمتَ لها اطمأنَّت واكتفت وتعزَّتِ الدُّنيا بأنَّكَ سالمُ

وقال يرثي أسكارُس القبطي المتوفى في الديار المصرية

أُناسٌ كلُّها تُمسي تُرابا بدارٍ كلها تُمسي خَرابا
فماذا نبتغي فيها بِناءً وماذا نبتغي منها اكتسابا

Digitized by Birzeit University Library

تمرُّ النّاسُ أفواجاً عليها كما نَفَضَت عواصفُها السَّحابا
وتَخطِرُ فوقها حيناً فتبقى زماناً تحتها فات الحسابا
هيَ الأُمُّ الّتي ضمّت بَنيها الى أحشائها ترجو الثوابا
يَشِبُّ عَلَى هواها كلُّ طِفلٍ ولا ينسى المحبَّةَ حينَ شابا
غُرابُ البينِ يَنعَقُ كُلَّ يومٍ بساحتها فيَقتَنِصُ العُقابا
رأينا الموتَ لا يبقي كريماً ولا يخشى الملامَ ولا العتابا
رَمَى أسكارُسَ القبطيَّ سهماً فرَنَّ بكلِّ قلبٍ اذ اصابا
من اللهِ السلامُ عَلَى ضريحٍ كبُرجٍ فيهِ ذاكَ البدرُ غابا
كريمٌ كانَ للعافي مَلاذاً متَى يُدعَى لحادثةٍ أجابا
تكبَّدتِ القلوبُ ضِرامَ حزنٍ عليهِ لو يَمسُّ الصخرَ ذابا
وصارَ دمُ الدموعِ خِضابَ سُوءٍ لمن صارَ السوادُ لها ثيابا
مَضَى مُتمتّعاً بنعيمِ ربٍّ دعاهُ الى كرامتهِ انتخابا
حياةُ الناس في الدنيا طريقٌ الى الأُخرَى نسوقُ لها الرِّكابا
وأفضلُ مَشرَبٍ كأسُ المنايا اذا كان النعيمُ بها شرابا

وقال وفد هنّأ بها السيد محمد ابن االشيخ حسين بدران بزفافهِ

لِعينكَ يا غزالَ الرَّقمتَينِ غليلُ صَبابتي وسُهادُ عيني
هجرتُ لاجلها وطني فأمسَى عليَّ سوادُها كغُرابِ بَينِ

ألا يا مُقلةً رشقَت فُؤادي بسهمٍ عن قسيِّ الحاجبينِ
سوادُكِ قد أصابَ سوادَ قلبي فكان الحربُ بينَ الأسودَين
بَريتُ اليكِ أخفافَ المَطايا فلم أُدرِكْ ولا خُبِّيْ حُنينِ
فعُدتُ وقد لَهوتُ عن التَّصابي بوصفِ مُحمدٍ نجلِ الحُسَينِ
كريمٌ من كريمٍ أبٍ وأُمٍّ الى سَلَفٍ كِرامِ النَّبعَتينِ
لهم في أرضِنا شَرَفٌ قديمٌ تناوَلَهُ الفتى بالراحتينِ
جميلُ الوجهِ محمودُ السجايا رحيبُ الصدرِ مُنبسطُ اليدينِ
يَرى صُنعَ المكارمِ كلَّ يومٍ كفَرضِ الدَّينِ او كوَفاءِ دَينِ
أرانا ليلةً فيها زِفافٌ تجلَّى باقترانِ النَّيِّرَينِ
هما كالفرقدَينِ على اجتماعٍ نَرومُ لهُ دوامَ الفرقدَينِ

وقال وقد اقترحها عليهِ احد اصحابهِ

وَفاءُ العَهدِ من شِيَمِ الكرامِ ونقضُ العَهدِ من شِيَمِ اللِّئامِ
وعندي لا يعدُّ من السجايا سِوَى حِفظِ المَوَدَّةِ والذِّمامِ
وما حُسنُ البِداءةِ شرطُ حُبٍّ ولكن شرطهُ حسنُ الختامِ
وليسَ العهدُ ما ترعاهُ يوماً ولكن ما رعيتَ على الدوامِ
نَقَضتم يا كرامَ الحيِّ عهداً حَسِبناهُ يدومُ لألفِ عامِ
وكنا أمسِ نطمعُ في جوارٍ فصرنا اليومَ نقنعُ بالسلامِ

Digitized by Birzeit University Library

جرَى عهدُ الثّقاتِ على فَعالٍ وعهدُ الغادرينَ على كلامِ
ومَن لا يبتغي للذنبِ عُذرًا يهونُ عليهِ تفنيدُ الملام
ومَن لا يَرْعَ وُدَّكَ في رحيلٍ فلا يرعَى وِدادَكَ في مُقامِ
ومَن عَدَلَ المحاسنَ بالمَساوي فقد جَهِلَ الصباحَ من الظلامِ
انا الخِلُّ الوفيُّ وإنَّ نفسي تَفي حقَّ الصديقِ على التمامِ
أُراعي حقَّهُ ما دامَ حيًّا وبعدَ وفاتهِ حقَّ العِظامِ

وقال يرثي حبيب برتران وقد توفي غريبًا في نواحي اللاذقية

حزَنُ القلوبِ على الغريبِ غريبُ حتى تكادَ لهُ القلوبُ تذوبُ
والموتُ في نفسِ الحقيقةِ واحدٌ لكن يُفرّقُ بينهُ الأُسلوبُ
كلٌّ نراهُ على الطريقِ مسافرًا أبدًا وما أحدٌ نراهُ يؤُوبُ
يا سَفرةً بعُدَت مَسافةُ دارها عنّا وأمّا يومُها فقريبُ
عَجَبًا لمن يُمسي ويُصبح خائفًا من موتهِ ولهُ الحياةُ تَطيبُ
طَفِحَت على بَصَرِ القلوبِ غِشاوةٌ حتى تَساوى أحمقٌ ولبيبُ
يقضي الفتى أيّامَهُ في غفلةٍ ويلومُ كلَّ مُغفَّلٍ ويَعيبُ
شَمِلَ الغرورُ الناسَ حتى ضَلَّ مَن يَهدي وذابَ من السّقامِ طبيبُ
قُل للخطيبِ على الجُموعِ أفَدتَهم نُصحًا ولكن مَن عليكَ خطيبُ
ان لم يكُن عَمَلُ الخطيبِ كقولهِ فَمَنِ الذي يدعو بهِ فيُجيبُ

Digitized by Birzeit University Library

يـا مَن نسمّيهِ الحبيبَ وإنّهُ رَجُلٌ الى كلّ القلوبِ حبيبُ
قد غبتَ عنا في التُّرابِ ولم يكُنْ عهدُ الكواكبِ في التُّرابِ تغيبُ
أَتُرَى تفوتُ الأُذنُ منك بمَسمَعٍ ان لم يكُن للعينِ منكَ نصيبُ
يا غُربةً طالت عليكَ بغُربةٍ قد جُرّ فوقكَ ذيلها المسحوبُ
فارقتَ رَبعًا كانَ يرجو عوْدةً لم يدرِ أَنَّ رجآءَهُ سيخيبُ
ان كنتَ قد سافرتَ غيرَ مُوَدِّعٍ فقد اقتفتْكَ وشيَّعتْكَ قلوبُ
فعليكَ من لدُنِ المُهيْمِنِ رحمةٌ يَسقي ضريحَكَ غيثُها المَسكوبُ
قد كنتَ تُرضي اللهَ حَسْبَ كتابهِ فلَكَ الرِضَى في لوحهِ مكتوبُ

وقال يجيب الشيخ ابرهيم السالميّ عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ

جآءَت رسالةُ ابرهيمَ سافرةً عن وجه لُطفٍ وإجمالٍ وإحسانِ
دلّت عَلَى كرَمِ الأَخلاقِ شاهدةً مثلَ الدّعاوي التي قامَت ببُرهانِ
هُوَ الجديرُ بتقديمِ الثنآءِ لهُ اذ كانَ في العُرْبِ فردًا ما لهُ ثانِ
أَحيا القريضَ الذي شالت نَعامتُهُ من بين أَهل البوادي مُنذُ أَزمانِ
هُمُ الذين أَصابوا غايةً قَصُرَت عنها القبائلُ من قاصٍ ومن دانِ
يفنَى الزّمانُ ويبلَى أَهلُ مُدَّتِهِ وذِكرُهم ليسَ بالبالي ولا الفاني
لهم أَيادٍ مَضَت في كلّ نابغةٍ وغارةٌ نَشبَت في كلّ مَيْدانِ
وحِكمةٌ سَطعَت في رأسِ كلّ فتىً لم يتّسِلْ سِفرًا ولم يَجلِسْ بديوانِ

Digitized by Birzeit University Library

لا يبلغُ الشيخُ منّا في مدارسهِ ... ما كانَ يبلغُ راعي المعزِ والضانِ
وليسَ ينظِمُ بعدَ الجهدِ محتفلاً ... ما كانَ يجريهِ على أفواهِ غلمانِ
اني أشوقُ الى تلكَ الديارِ كما ... شاقت منازلُ ميٍّ قلبَ غيلانِ
واشتهي شمَّ أرواحِ البَرار بها ... ومنظرَ الرندِ والقيصومِ والبانِ
اهوى القرونَ الخوالي من عشائرها ... قِدماً واهوى بقاياهم الى الانَ
وابتغي سمعَ آثارٍ تذكّرني ... عهدَ الذين مضوا من عهد قحطانَ
يا أيُّها الخلفُ الجاري على سلفٍ ... ما انت بالمعتدي ظلماً ولا الجاني
الناسُ للشعرِ اضيافٌ تُلِمُّ بهِ ... وانت تنزلُ في اهلٍ واوطانِ
ان فاتني منكَ يا عينُ الرّضى نظرٌ ... من اعينٍ لم يفتْني سمعُ آذانِ
والدهرُ يمنعُ كلَّ الطيّباتِ فان ... ظفرتُ يوماً ببعضٍ منهُ ارضاني

وقال يعزّي صديقاً لهُ عن ولدٍ لهُ توفّي صغيراً فجزع عليهِ جزعاً شديداً

مَن عاشَ في الارضِ لا يخلو من الكمدِ ... على أبٍ او أخٍ قد مات او ولدِ
لا بدَّ للحيِّ من حزنٍ على أحدٍ ... حتى يموتَ فلا يبكي على أحدِ
وكلُّ حيٍّ لهُ يومٌ يموتُ بهِ ... فيفرُغُ العمرُ مهما زادَ في المُددِ
وأهونُ الموتِ ما وافى على صغرٍ ... فإنّهُ راحةٌ للروحِ والجسدِ
لا بدَّ للطرْقِ من زادٍ يُعِدُّ سوى ... طُرْقِ الصغّارِ الى مستوطنِ الأبدِ
يكونُ مَن عاشَ مُرتاحاً بلا تعبٍ ... منهم ومَن ماتَ مسروراً بلا نكدِ

ليست من الموت تخلو لحظةٌ فترى ... بهِ الحزانى كرملِ البحر في العَدَدِ
وكُلَّ يومٍ دموعٌ منهُ لو جُمِعَتْ ... كانت غديراً كثيرَ الموجِ والزَبَدِ
كم حسرةٍ نَزَلَت في القبر مع رجلٍ ... قدمات منها جريحَ القلبِ والكبِدِ
وكم دموعٍ جرَت من عين منتحِبٍ ... لم تَسْفِ عينُهُ منها سِوَى الرَّمدِ
اذا أُبتُليتَ بامرٍ لا تُطيقُ لهُ ... دفعاً فبالصبر عالجهُ ولا تزِدِ
ولو بذلتَ كنوزَ الأَرض قاطبةً ... تبغي علاجاً بغير الصبر لم تجِدِ

وكتب الى صديقٍ لهُ كان قد طال عليهِ مرضٌ شديد ثم انحطَّ عنهُ

اذا ذهبَ الكثيرُ من الكثيرِ ... فقد عزَمَ القليلُ على المسيرِ
وان ذهبَ الكبيرُ ولم يُؤثِّرْ ... فليسَ نخافُ من أثرِ الصغيرِ
اذا سلِمَتْ من النيرانِ نفسٌ ... فلا ترتاعُ من حرِّ الهجيرِ
ومَن لم يفترسهُ ظُفْرُ ليثٍ ... فليس يدوسهُ خُفُّ البعيرِ
يهونُ على يسيرٍ منكَ صبرٌ ... لأنَّكَ قد صبرتَ على العسيرِ
وهل يرتاعُ من خوضِ السواقي ... فتىً قد خاضَ في البحرِ الكبيرِ
عليكَ بطيبِ نفسٍ وارتياحٍ ... وتسليمٍ الى المَلِكِ القديرِ
فانَّ الخوفَ داءٌ فوقَ داءٍ ... يُذيبُ اذا تعلَّقَ بالضميرِ
وفعلُ اللهِ يبطِلُ كلَّ فعلٍ ... ويغلبُ طبَّ داودَ البصيرِ
حياةُ الناسِ في الدُّنيا منامٌ ... ويقظتُهم لدى النَّومِ الأخيرِ

Digitized by Birzeit University Library

وكلُّ العمرِ يومٌ أنتَ فيهِ ... فما فَرْقُ الطويلِ عن القصيرِ
وبعضُ الحيِّ فَوْقَ البعضِ حتى ... يموتَ فكلُّ عبدٍ كالأميرِ
وبيتُ العنكبوتِ اذا رحلنا ... يُعادَلُ بالخَوَرْنَقِ والسَّدير
ونفسُ المرءِ في الدُّنيا اسيرٌ ... ومَوْتُ الجسمِ إطلاقُ الأسيرِ
فلا أسفٌ عَلَى الدنيا ولكن ... عَلَى ما بعدَ ذاكَ من المصيرِ
ينامُ المجرمونَ عَلَى قتادٍ ... ونومُ الصالحينَ عَلَى حريرِ
وأندمُ غافلٍ من صَمَّ سمعاً ... قَبيلَ البينِ عن صوتِ النَّذيرِ
وانَّ النُّصحَ في الحُكَماءِ يجري ... كَجَرْيِ الماءِ في الرَّوْضِ النَّضيرِ
وفي أُذُنِ الجَهولِ يضيعُ هَدْرًا ... كضَوءِ الصبحِ في عينِ الضَّريرِ

وقال يرثي كاتبة بنت موسى بسترس وكانت من افضل النساء

خيرُ الرِّثاءِ الذي بالقلبِ قد لَطَفَا ... ما أَخمَدَ الحُزنَ لا ما هيَّجَ الأسفا
والمُبكياتُ تَضُرُّ الحيَّ مُزعجةً ... لهُ ولا تنفعُ الميتَ الذي انصرفا
يَحِقُّ أن تندبَ الأحياءُ نائحةٌ ... فالموتُ للكلِّ بالمرصادِ قد وقفا
ما بينَ حيٍّ ومَيْتٍ شُقَّةٌ قَصُرَت ... وربَّما صارَ منها يبلُغُ الطَّرَفا
أَمَرُّ ما ذاقَ حيٌّ من مَصائبهِ ... فَقْدُ الحبيبِ الذي مَن ذاقهُ عَرَفا
وأنفعُ العملِ المطلوبِ حينئذٍ ... صبرٌ جميلٌ لجُرحِ القلبِ فيهِ شَفا
اليومَ رَدَّت علينا مِصرُ ما أَخَذَت ... بالأمسِ منَّا ولكن بعدَما تَلِفا

وديعةٌ عندها كانت فما سَمَحَت ... بالدُّرِّ منها ولكن ردّت الصَّدَفا

يا قبرَ كاتبةٍ أحسنْ كرامتها ... فانّها تستحقُّ المجدَ والشَّرَفا

كانت لدى أعبُنِ النُّقّادِ جوهرةً ... نفيسةً فاتاها البينُ مُختطِفا

كانت وكانت فبانت غيرَ عائدةٍ ... كأنّها لم تكن في عابرٍ سَلَفا

أبلى الثرى ذلكَ الوجهَ الصبيحَ وما ... أبلى ثناها الذي يبقى لها خَلَفا

مَن صاحبَ الدهرَ لا يأمَنْ غوائلَهُ ... فالشمسُ كم كَسَفت والبدرُ كم خَسَفا

ومَن يَعِشْ ليسَ تخلو عينُهُ ابدًا ... من منظرٍ شقَّ او من مدمعٍ ذَرَفا

يا أيُّها الناسُ هُبُّوا من رُقادِكُمُ ... لِسفرةٍ بوقُها بالكلِّ قد هتفا

يا ويلَ مَن سارَ في هذا الطريقِ بلا ... زادٍ وياويلَ مَن وَسْطَ الطريقِ غفا

هامَ الجهولُ بدُنياهُ الغرورِ وقد ... شابَت وشابَ فزادت نفسُهُ شغفا

صَبابةٌ كلَّما ايامهُ قصُرَت ... طالت عليهِ وتقوى كلَّما ضعُفا

ويلاهُ من جَوْرِ هذا البَينِ كيفَ بَغى ... فما نَرى احدًا في حكمهِ انتصفا

يَرَى الفتى في دُجَى ليلٍ فيطلُبُهُ ... ولا يَرَى في الضُّحى الشيخَ الذي دَلَفا

يختارُ أفضلَ شخصٍ ان يكونَ لهُ ... صيدًا فيطوي اليهِ الارضَ معتسِفا

كأنّهُ وَسْطَ بُستانٍ يدورُ بهِ ... على الثِّمارِ فما يحلو لهُ قِطَفا

يا رحمةَ اللهِ جودي وامطُري كرَمًا ... على ضريحٍ بهِ غُصنٌ قد انقصفا

وجاوري مَن بهِ حلَّت معانقةً ... ذاكَ القوامَ كلامٍ عانقَتْ ألِفا

لئن تكن كدّرت عيشَ الحزين فقد ... نالت مقامًا بهِ عيشُ النزيل صفا

Digitized by Birzeit University Library

هذه هي الغايةُ القصوى التي خُلقت ... لها وذلك منها حسبُها وكفى

وقال يهنّئ المطران اثناسيوس الخوّام بارتقائه الى اسقفية صور سنة ١٨٦٧

أرى الدهرَ يقضي كلَّ يومٍ ديونَهُ ... فيقطعُ أهليهِ كما يقطعونَهُ

ويُخلفُ عمّن قد مضى من رجالهِ ... كما يُخلفُ الأصلُ القديمُ غصونَهُ

لقد عوّضَ الشعبَ الذي ساءَ راعيًا ... فأضحكَ باكيهِ وسرَّ حزينَهُ

امينٌ عليهِ حافظٌ عهدَ ربهِ ... يُضيّعُ دنياهُ ليحفظَ دينَهُ

عصاهُ عصا موسى التي شقّت الصفا ... وشقَّ بها البحرَ الذي حالَ دونَهُ

وذاكَ الجبينُ الطلقُ قد زانَ تاجَهُ ... جمالاً وليسَ التاجُ زانَ جبينَهُ

يمدُّ الى حفظِ الحياةِ شمالَهُ ... ويُلقي الى حفظِ الرعايا يمينَهُ

أرقُّ من الماءِ الزلالِ شمائلاً ... بالطافها فاقت صفاهُ ولينَهُ

وأثبتُ من شمِّ الجبالِ فلم يكُنْ ... يحرّكُ زلزالُ الخطوبِ سكونَهُ

لهُ قلمٌ يجري على الصُّحفِ راقمًا ... فتحسدُ أرقامُ الطراز فنونَهُ

يسهّلُ من طُرقِ الكلامِ صعابَها ... ويفتحُ من سرّ المعاني حصونَهُ

يُقلّبُهُ ماضي البنانِ مُهذَّبٌ ... ترى عينُهُ من كلّ أمرٍ يقينَهُ

تجلّى على عرشٍ من المجدِ باذخٍ ... تظنُّ الثريّا فوقهُ وهي دونَهُ

أقامَ على حفظِ الأمانةِ قلبَهُ ... ووكّلَ بالسُّهدِ الطويلِ جفونَهُ

وجرّدَ عن أهواءِ دنياهُ نفسَهُ ... فقد أنكرت ماءُ الوجودِ وطينَهُ

Digitized by Birzeit University Library

لهُ حِلْيَةٌ من كلّ فضلٍ تزينهُ ... وليس بهِ من ريبةٍ فتَشينهُ
وفي يدِهِ أمرٌ مُطاعٌ أجازهُ ... قديرٌ تولّى كافَ أمرٍ ونونهُ
نُهنّيكِ يا صورُ التي غابَ نجمُها ... ففازَت بنجمٍ قرَّبَ اللهُ حينهُ
ظَفِرت من اللهِ الذي يَهَبُ المُنى ... بما أنتِ في تاريخهِ تَبتغينهُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز بهذه القصيدة وقد ضمّن كل شطرٍ منها تاريخًا لسنة ١٢٨٣ وافتتح صدورها بحروف يجتمع منها بيتان في كلٍّ منهما اربعة تواريخ للسنة المذكورة وها هذان

قَلْبُ الخليفةِ · يَقْظانٌ يُجَرِّدُهُ ... مِمَّا يَعافُ الرِّضَى · من واجبِ النَّظَرِ
مُظَفَّرٌ نائبٌ · في أرضِ واقفِهِ ... مُبارِزٌ غالبٌ · دُنياهُ بالظَّفَرِ

واما القصيدة فهي هذه

ق | قِفْ بالمَطايا على أنجادِ ذي سَلَمٍ ... وقُلْ سلامٌ على مَن دامَ في الخَيَمِ
ل | لَمياءُ مَحجوبةٌ عن مُرسلٍ بَصَرًا ... دامت على حَجْبِها حتى عَلَى النَّسَمِ
ب | بارَحتُها ونزيلُ الشَّوْقِ في كَبِدي ... أقامَ يُهرِقُ دمعًا رشَّ كالعَنَمِ
ا | أشكو الى اللهِ ما حاربتُ في زَمَني ... في حُبِّها من جيوشِ الفَتْكِ والسَّقَمِ
ل | لَقيتُ في العِشقِ هَوْلًا لا أُلامُ بهِ ... فذاكَ للصَّبِّ قيدٌ مُحكَمُ اللُّزَمِ
خ | خَوْدٌ من العُرْبِ فيها النَّحْبُ طابَ لنا ... كما يطيبُ لحيٍّ أطيبُ النَّغَمِ
ل | لِعِزِّها الذُّلُّ صفوَ العزِّ نحسبُهُ ... والسُّمُّ من يدِها خيرًا من الدَّسَمِ
ي | يَحلو الضنى في هَواها للمُحِبِّ فلي ... فيهِ الشقا كالشِّفا واللُّؤمُ كالنِّعَمِ

Digitized by Birzeit University Library

ف فتانةٌ بجمالِ طيبُ مَوْرِدِهِ ما زالَ يُحمَى كصَيْدٍ لاذَ بالحَرَمِ
ة تبارَكَ اللهُ مُنشيها عَلَى مَلَحٍ تحلو وتُحيي قلوبَ النّاسِ كُلِّهِمِ
ي يا كَعْبَةَ الأُنسِ كم جدَّت طَلائعُنا الى بَواديكِ وَفْدًا في دُجَى الظُّلَمِ
ق قَفَوْتُ من مَنطِقِ الأَعرابِ مَنْهَجَهُ دون ارتباطٍ بأَسْرِ العهدِ والقَسَمِ
ظ ظَمآنُ يَصدَى بكم والحَيُّ جانبُهُ من نجدِهِ ماؤُهُ يُحيي فُؤَادَ ظَمِي
ا أَمسَى قتيلَ الهَوَى لَهوًا بقاتلِهِ وليسَ من رائمٍ للثأرِ او حكَمِ
ن نِعمَ الليالي التي أَزهت هناكَ لنا نخلَ الهنا وانجلاءَ الزَّهرِ في الأَكَمِ
ي يَهفُو الفُؤادُ الى ذاكَ الجوارِ وان أَطالَ لَهفي ويحلُو ذِكرُهُ بفَمي
ج جنَّاتُ عَدنٍ لنا جازَت عَلَى عجلٍ مياهُها وبدَلْناهُنَّ بالضَّرَمِ
ر راقت لنا الكأسُ أُنسًا في معالمها لكنَّما نَيْلُ ذاكَ الصَّفوِ لم يَدُمِ
د دارَ الحبيبِ التزَمْنا الهمَّ منكِ قِرًى كما شربنا الصَّدَى من مآئكِ الشبمِ
ه هيهاتِ عَوْدُ ائتجاعٍ كانَ يُؤنسُني صَفوًا وعصرِ اجتماعٍ دارَ لم يُقِمِ
م ما كان أَصفَى أُوَيقاتًا جنيتُ بها أَثمارَ سعدٍ اراهُ كان كالحُلُمِ
م مع كاعبٍ من نساءِ العُربِ مُقلتُها سوداءُ تَسبي جِمارًا من بني جُشَمِ
ا اهديتُها الدمعَ راجٍ أَن يتمَّ بهِ صَفحٌ فما قَنِعَت من دونِ سَفكِ دمي
ي ياويلَ اهلِ الهوَى من صَبوَةٍ عَكَست في لجَّةٍ كلَّ طَرْدٍ من شؤُونِهِمِ
ع عبدُ الامير خسيسٌ لاصلاحَ لهُ فأَينَ عبدُ إماءِ القُرطِ والخُزُمِ

Digitized by Birzeit University Library

ا انَّ ٱلهوى كَرْمةٌ بات الحكيمُ بها سكرانَ من شرب كاسٍ نازفِ اللَّمِ
ف في كل يومٍ دلالٌ لذَّ وافرُهُ لهُ وداسَ مَديد الرُّجز والأَضَمِ
ا أَعوذُ بالله من نبل ٱلهوَى فلقد رَمَى فراحَ يشُقُّ ٱلقلبَ من أَمَمِ
ل لله كم ليلةٍ طاوٍ سهرتُ بهِ في صَوْمها لم أَذُقْ زاداً ولم أَنَمِ
ر رُمتُ ٱلهنا فرماني بالعناءِ هوًى لوَردةٍ تُبدِلُ الآمالَ بالأَلَمِ
ض ضاعَ الزمانُ عَلَى جهلٍ نسيحُ بهِ من أَجلِ رِئمٍ كمثلِ ٱلعابدِ ٱلصَّنَمِ
ى يمسي الخليُّ امينَ ٱلنفسِ من جزَعٍ وحاملُ الوجدِ يُضحي صائدَ ٱلنِّقَمِ
م ما لي وللعشقِ بعد ٱلشيب مرَّ بهِ دهرٌ فلم يبقَ الاَّ صَحوَةُ ٱلهَرَمِ
ن نادَى ٱلمشيبُ عَلَى ٱلهامات في نَزَقٍ اليومَ لاحَ بَياضُ النَّصلِ باللِّمَمِ
و وربَّةُ الحَلْيِ يأْتي دونها عَطَلٌ وعاشقُ الحَلْيِ والمعشوقُ للعَدَمِ
ا النفسُ أَمَّارةٌ بالسوءِ شائدُها الى خرابٍ بنَهْجِ الدهرِ منهدِمِ
ج جِماحُها حاملُ ٱلبلوَى وما تُرِكَت لهُ ازديادٌ فلا ترتدُّ بالُّجُمِ
ب بين الخلائقِ في الأَنفاسِ كم بِدَعٍ وكم لخالقها في الحال من قِسَمِ
ا أَستودعُ اللهَ قلباً قد بكَيتُ بهِ اذ جَفَّ دمعُ جفونٍ زاد من قِدَمِ
ل لقد قَضَينا بجدٍّ للهوَى زمَناً فلم نَجِدْ نعمةً حاشَى ولا نَعَمِ
ن نرومُ طالبَ حربٍ ليسَ يتركهُ حيناً ولم يَدْرِ حقَّ الأَشهرِ الحُرُمِ
ظ اظلَّ ٱلهوَى حَكَماً بالصبِّ يسلُبُهُ فراحَ من حُكمِهِ في بُردةِ ٱلسَّدَمِ

Digitized by Birzeit University Library

د رجوتُ صيدَ المَهَى فاصطادَ باصرُها قلباً بلا بَصَرٍ من حَرْبَةِ النَّدَمِ
م مضى الزمانُ على هزلٍ هناكَ ولم أَبرَحْ لدى المَلِكِ الأَعلى من الخَدَمِ
ظ ظِلُّ الاله علينا أَوجُ طالعهِ قد فاقَ فوقَ جهاتِ الأُفقِ كالعَلَمِ
ف في خُلقهِ عجبٌ في عزّهِ طَرَبٌ راحاتهُ سُحُبٌ يهمِرْنَ بالكَرَمِ
ر راقي المراتبِ نبّاعُ المواهبِ في ارض المطالبِ أَهدى الجودِ كالدِّيَمِ
ن نورٌ محاشدُهُ نارٌ تهدِّدُهُ صفوٌ مواردُهُ عن نادرِ التُّهَمِ
ا امينُ ربِّ الورى في الكونِ مؤتمنٌ على العبادِ لحقّ العهدِ والذِّمَمِ
ى يجودُ بالمالِ مبذولَ النوالِ نرى فيهِ الكمالَ شريفَ النَّهجِ والشِّيَمِ
ب بديعُ خُلقٍ بديعُ القولِ جاهرُهُ بالحقِّ يوقعُ جهدَ الخصمِ بالبُكَمِ
ف فرعُ لعثمانَ من محمودَ جازَ بما أَبداهُ للآلِ جودُ اللهِ من عِظَمِ
ي يمينهُ للجَدَا واليُسْرِ قد فُطِرَت ونصلُهُ للرَّدَى من حقّ مُنتقِمِ
ا أَعطاهُ ربُّ العُلَى من أُنسِ رحمتهِ لُطفاً تحلّى بأَندَى البِشرِ والحُلُمِ
ر روحُ الوجودِ وجودُ الروحِ رِفعتهُ نادَى بهِ طيبُ صيتٍ فاتحِ الصممِ
ض ضمَّ السماحَ والإحسانَ نائلهُ من كفِّ بدرٍ مُنيرِ الوجهِ مبتسمِ
و وليُّ عهدِ أَميرِ المؤمنينَ فرَت بعزمهِ بِيضُ أُسدٍ أَسودَ القِممِ
ا اقوالهُ دُرَرٌ تُبنَى بها سُوَرٌ أَلقَى بها قمرٌ في النورِ والشَّممِ
ق قامت على جبلِ الأَلطافِ دولتهُ بالله يبدو عليهِ ثابتَ القَدَمِ

Digitized by Birzeit University Library

ف فردُ الورَى لم نَقْمْ أُمٌّ لحكم أَبٍ عن مثلهِ بل رماها اللهُ بالعُقُمِ
ه هنَّت بهِ نفسَها الدُّنيا وقد هُدِيَت بعدلهِ واهتدَت للحقِّ عن حِكَمِ
م مَن مثلُ عبدِ العزيزِ الشهمِ حلَّ بها مراتباً من ملوكِ العُرْبِ والعجمِ
ب بدرٌ لهُ بهجةٌ في الأوجِ نامية بها رياضُ البها والمجدِ للأُممِ
ا أَضا العبادَ واطرافَ البلادِ بها والسَّعدُ وباتَ الرَّوعُ كالرِّممِ
ر رفيعُ شانٍ جميلُ المجدِ دولتهُ بالعدلِ نَقرِنُ حدَّ السيفِ بالقلَمِ
ز زهرٌ وطالعُ زُهرٍ خُلقهُ أَدَباً وخَلقهُ بسناهُ الراهنِ الوَسِمِ
غ غُنمٌ لوافدِهِ زهوٌ لواجدِهِ ريفٌ لقاصدِهِ فوزٌ لمعتصمِ
ا اذا سطا بجنودٍ من عساكرهِ يوماً أَعادَ العِدى لحماً على وَضَمِ
ل للهِ درُّ بني عثمانَ مَن صَدَقوا بطيبِ حَملٍ ووَضعٍ حافلِ القِيَمِ
ب بَنوا لنا بُرجَ سعدٍ رُسْلُ طلعتهِ تدعو الأَنامَ الى أَعباءِ شكرهِمِ
د دارُ السعادةِ بابُ النصرِ ساكنهُ كَهْفُ المَطالبِ مَن حاماهُ لم يُضَمِ
ن نصرٌ وفتحٌ قريبٌ يُطلَبانِ لهُ وجدٌّ جاهٍ وجودٌ فاضَ كالعَرَمِ
ي يقومُ بالامرِ بادي الرأيِ مُقتدِراً تهابُ زأرتهُ الآسادُ في الأَجَمِ
ا أَسنى الورَى نَسَباً أَوفى الملا رُتَباً عفوٌ لهُ عَجَباً عن وِزرِ مُجترِمِ
ه هذا سليمانُ لطفٍ طابَ موردُهُ بروحِ فصلِ خطابِ اللطفِ والحِكَمِ
ب بحرُ النَدى كرَماً أَشقى العِدى نِقَماً أَطفى الصَّدى نِعَماً بالبذلِ والهِممِ

ا أَمسى كبدرٍ كفى نورًا لسلطنةٍ يلوحُ في ثوب مجدٍ زاهر الرَّقَمِ
ل ليثٌ جسورٌ نفورٌ ماجدٌ ملكٌ لرَوعهِ أَمست الاعداءُ في الرُّجَمِ
ظ ظلَّ الزمانُ لهُ عبدًا وكان لهُ ملكًا وحاسدُهُ بالذُّلِّ فيهِ رُمِي
ف فازت بناديهِ أَبياتٌ أَقرَّ بها في بيت جُنْدٍ كبيرٍ فاقَ عن إِرَمِ
ر روحٌ وراحٌ وريحانٌ بهِ عبقت من مدحهِ حيثُ عادت اطيبَ الكلمِ

سنة ١٢٨٣

وقال يهنئ مُتري افندي شلهوب حين رجع من القسطنطينية وعليهِ رتبة شرف سنة ١٨٦٧

طَفَحَ الأُنسُ فوقَ ساحاتِ جلَّقْ فتغنَّى الهَزارُ والدَّوحُ صفَّقْ
صارَ فيها نهرٌ من الماءِ يجري وخليجٌ من السرورِ تدفَّقْ
يُخلَقُ السعدُ في العِبادِ لبعضٍ بعدَ حينٍ والبعضُ في السعدِ يُخلَقْ
انَّ مَن كان للمواهبِ أَهلاً عند مَوْلاهُ فهوَ يُعطَى ويُرزَقْ
ومجالُ الأَرزاقِ كالبحرِ من خا ضَ ولم يَعرِفِ السبّاحةَ يَغرَقْ
لو تساوت خلائقُ اللهِ طرًّا لم يكن بعضُها عن البعضِ يُفرَقْ
رُبَّ فَرْدٍ منها يفوقُ الوفاً والوفٍ بواحدٍ ليسَ تَلحَقْ
والكريمُ الذي يجدِّدُ مجدًا ليسَ مَن مجدُهُ بإِرثٍ تعلَّقْ
والذي مجدُهُ يزيدُ جديدًا كُلَّما زادَ عُمرُهُ وتعتَّقْ
أَنتَ يا رُكنَ قومنا أَهلُ هذا وهْوَ من بينِ أَهلهِ بكَ أَليَقْ
كلُّ نفسٍ تهواكَ عن خبَرٍ وال أُذنُ من قبل نظرةِ العينِ تَعشَقْ

نَظَرت مقلةُ الخليفةِ يوماً نَظْرةً في الصَّوابِ أجلى وأصدقْ
فأفادَتْكَ رُتبةً في المعالي أنتَ أولى بها وأوفى وأوفقْ
ليس أهلاً لزينةٍ كلُّ شخصٍ لَبِسَ الثَّوبَ والحلى وتمنطقْ
والمعالي تزينُ بعضاً وبعضٌ تقتضي شَيْنَ عِرضِهِ فيُمزَّقْ
أيُّها الكاملُ الصِّفاتِ اللواتي جمعت من لطائفٍ ما تفرَّقْ
لكَ سرٌّ مقيَّدٌ وثناءٌ سائرٌ في جوانبِ الارضِ مُطلَقْ
ولسانٌ يجري على منهجِ الصِّدْ قِ ومالٌ في طاعةِ اللهِ يُنفَقْ
ولكَ الهمَّةُ التي حينَ تمضي ليسَ يَعصي عن فتحها كلُّ مُغلَقْ
هيَ نارٌ ليست تصيرُ رَمادًا وهْيَ سيفٌ بهِ الصَّدا ليس يَعلَقْ
ولقد قُلتُ للذي رامَ مدحاً لكريمٍ يُرضى بهِ ويُصدَّقْ
هاكَ مَن بالمديحِ وضعاً وطبعاً قد تحلَّى مثلَ الحمامِ المُطوَّقْ
اوحشَ القُطرَ حينما غابَ لكن موكبُ الأُنسِ حينما عادَ أطبَقْ
فرأتهُ العيونُ في الشام لمَّا أرَّخوهُ كالبدرِ غابَ وأشرَقْ

وقال يرثي روفائيل عُبَيد حين توفي في الديار المصرية

أليومَ ماتَ التُّقى والجودُ والكرَمُ في جانبِ اللهِ لمَّا زلَّتِ القَدَمُ
ماتَ العُبَيديُّ روفائيلُ فانهدَمت أركانُهُ وثناهُ ليس يَنهدِمُ
تدومُ آثارُهُ في مِصرَ باقيةً في ارضِها ما بقي في الجيزةِ الهرَمُ

أن الكريم الذي يروي محامدهُ ... حياً ومَيْتاً لسانُ الناسِ والقلمُ
هذا الذي كان ركناً يُستغاثُ بهِ ... في آل عيسى وتُعلي شأنهُ الأُممُ
تُشرّفُ الناسَ اموالٌ وكان بهِ ... يُشرّفُ المالُ اذ تجري بهِ النِّعمُ
مضى وليس لهُ مِلْكٌ سوى كَفَنٍ ... في طيِّ رمسٍ عليهِ الدُّودُ يزدحمُ
لاخيرَ في عيشةٍ للناسِ يعقبُها ... موتٌ ولا في وجودٍ بعدهُ عدمُ
فوقَ الثرى يعرفُ المخدومُ خادمهُ ... وتحتهُ يستوي المخدومُ والخدمُ
من كان في دارهِ قلَّ الشبيهُ لهُ ... صارت تشابههُ في لحدهِ الرِّممُ
قد باتَ منطرحاً في كفّهِ شلَلٌ ... في نُطقهِ خرسٌ في سمعهِ صممُ
وكنْ عظيماً هوَى في مصرَ فارتعدت ... من هَوْلهِ عربُ الأقطارِ والعجمُ
ضجّت بمصرعهِ مصرٌ وساحتُها ... وضجّت الشامُ فارتجّت بها الأكمُ
هو الشهيرُ الذي تُغنيكَ شُهرتهُ ... عن وصفهِ فاستراحت عندكَ الكلِمُ
من فاتهُ نظرٌ ما فاتهُ خبرٌ ... كلاهما بين كلِّ الناسِ منقسمُ
يبكيكَ يا ابنَ عبيدٍ كلُّ ذي أملٍ ... قد كان من راحتَيكَ الخيرَ يغتنمُ
تبكيكَ مدرسةٌ شيّدتها فبنت ... في جنّةٍ لكَ قصراً فيكَ يبتسمُ
يبكي عليكَ التُّقى والبرُّ منتحباً ... والجودُ والحلمُ والأخلاقُ والشِّيَمُ
عفّةُ كالإناءِ المصطفى اعتصمت ... فكُنتَ فيها بحبل الله تعتصمُ
رحمةَ اللهِ حلّي كالسحاب على ... وجهٍ كريمٍ بنور الله يلتثمُ

Digitized by Birzeit University Library

وصافحي تُربةً قد طاب مضجعُها ... وصافحتها من اللطف الخفي النَّسَمُ
وبَشّري أنَّ روفائيلَ عن ثقةٍ ... بين الملائكِ قد رنَّت لهُ النَّغَمُ
كما ابتدَت في صفات الخير مُدَّتُهُ ... كانت عواقبهُ بالخير تختتمُ

وقال يهنئ احد اصحابه بحلية شرف وردت اليه من احدى الدول الغربية على اثر نكبة اصابته

تقارَنَ اليوم طيبُ السَّمعِ والبَصرِ ... من دولةٍ نظرَت في موضعِ النَّظرِ
فاضت كراماتُها في الشرق واردةً ... منها الى البدرِ تهدي نجمةَ السَّحَرِ
يا حبَّذا شرفٌ وافى على شرفٍ ... كأنَّهُ مطرٌ وافى على مطرِ
أهدى بهِ الملكُ المأمولُ نائلهُ ... الى الحبيبِ حبيبِ اللهِ والبشرِ
عطيَّةُ الفخرِ فوقَ المالِ مرتبةً ... كرُتبةِ الشمسِ تعلو رُتبةَ القمرِ
وان يكُنْ ذاكَ من جنسِ الحلى نسبًا ... فهكذا الماسُ معدودٌ من الحجرِ
سحابةٌ أنبتَت شكرًا لمُقتدرٍ ... في روضةٍ ثمرَت جاهًا لمُفتخرِ
وأفضلُ الارضِ ما يزكو النباتُ بها ... وأفضلُ النَّبتِ ما يأتيكَ بالثمرِ
كلُّ الامورِ اذا ضاقت لها فرجٌ ... مُقيَّدٌ بقضاءِ اللهِ والقدرِ
لا يثبتُ الدهرُ في حالٍ فان كدِرَت ... مياههُ فانتظرْ صفوًا من الكدرِ
وربَّما كان فيهِ المرءُ منتظرًا ... عُسرًا فجاءَ بيسرٍ غيرِ منتظرِ
لكَ البشارةُ يا عينًا قد انطرَفت ... فطرْفةُ العينِ لا تُفضي الى الخطرِ
قد كان ما كان مما حامَ طائرُهُ ... كأنَّهُ لم يحُمْ يومًا ولم يطرِ

Digitized by Birzeit University Library

ما دامَ يخافُ يوماً جنحُ ليلتهِ ... يُقلّبُ الدهرُ بين النوم والسَّهرِ
والمرءُ في الدهر مثلُ الدهر في سفرٍ ... لكنَّهُ ليسَ يدري منزلَ السفرِ
ان التجاربَ تُؤذي عند نَوْبتها ... لكن عواقبُها محمودةُ الأثرِ
وعشرةُ الناس في دُنياكَ مدرسةٌ ... تُعطي من الخُبْرِ ما يُغني عن الخَبَرِ
مَن عاشَ في الارض لا تُرجى سلامتهُ ... من الخُطوبِ ولو بالغتَ في الحَذَرِ
وأهوَنُ الضرّ ما جرَّت عواقبُهُ ... نفعاً فنسلو بهِ عن ذلكَ الضَّررِ

وقال يمدح محمد رشدي باشا والي سورية حين قدم الى بيروت

اذا رُمتَ نظمَ الشعرِ في مدحِ ذي الرُّشدِ ... فدَعْ ذِكرَ سُلمى والتغزُّلَ في هِنْدِ
لقد وَسِعَت كلَّ القريضِ صفاتُهُ ... فلا فضلةٌ عنها لجيدٍ ولا نَهْدِ
كريمٌ جميلُ الخَلْقِ والخُلْقِ والثنا ... حميدُ السَّجايا حافظُ الوُدِّ والعهدِ
على وجههِ المسعودِ الفُ تحيَّةٍ ... من الله تأتي بالسلام وبالبَرْدِ
تفقَّدَ مولانا الوزيرُ بلادَهُ ... فكان كصَوْبِ الغَيْثِ في زَمَنِ الجَهدِ
وعادَ الى بيروتَ عَوْدةَ صحَّةٍ ... الى ذي سَقامٍ كاد يهوي الى اللَّحدِ
حَسَدنا عليهِ مثلَ إخوةِ يوسفٍ ... دِمَشْقَ وماذا الجِدُّ في حسدٍ يُجدي
زيارتهُ الإكسيرُ تُغني بنُقطةٍ ... وساعتُها من عامِنا مُدَّةَ الوَردِ
ورُؤيتهُ كُحلٌ لاعينٍ قومنا ... ويكفي قليلُ الكحلِ في الأعينِ الرُّمدِ
اذا صحَّ ما نبغي فذلكَ نعمةٌ ... من اللهِ تُعطى واجبَ الشُّكرِ والحَمْدِ

Digitized by Birzeit University Library

والاَّ فكم من مَطلَبٍ عزَّ نيلُهُ عَلَى سيِّدٍ يبغيهِ فضلاً عن العبدِ

وقال يرثي خليل مسدّية الدمشقي

ماذا التعلُّلُ في دُنياكَ بالأَمَلِ هل في يمينكَ ميثاقٌ من الأَجَلِ
ان كُنتَ تعلَمُ أَنَّ النفسَ خادعةٌ فحبَّذا لو قَرَنتَ العلمَ بالعَمَلِ
من كان يجهلُ ما يأتي عليهِ غدًا يستخبرِ الأَمسَ عن أَسلافهِ الأُوَلِ
كلٌّ على قَدَمِ الاسفارِ مرتحلٌ في إثرِ مرتحلٍ في إثرِ مرتحلِ
يا طالبًا لَذَّةَ الدنيا وبَهجتَها ما لَذَّةُ العيشِ في الدُّنيا معَ الوَجَلِ
لا يُغمِضُ المرءُ عينًا ثمَّ يفتحها الاَّ على خوفِ موتٍ مُغمِضِ المُقَلِ
امسَى الخليلُ كغُصنِ البانِ معتدِلاً والصُّبحُ صار هشيمًا غيرَ معتدِلِ
وبات كالبدرِ في إشراقهِ فغدا في القبرِ أَخفَى عن الابصارِ من زُحَلِ
قد سار من حِضنِ ابرهيمَ والدِهِ وحلَّ في حِضنِ ابرهيمَ بالعَجَلِ
فكان قد طابَ في الدارَينِ مَضجَعُهُ اذ كان في حِضنِ ابرهيمَ لم يَزَلِ
في عمرِ احدى وعشرينَ انقضت أَسفًا أَيَّامُهُ فمضَى من اقربِ السُّبُلِ
لمَّا دعا اللهُ لبَّى صوتَهُ عَجَلاً اذ لم يكنْ من ذوي الإهمالِ والكَسَلِ
بني مُسَدِّيةٍ أَسدَى الإلهُ لكم صبرًا عَلَى هَوْلِ هذا الحادثِ الجَلَلِ
عَزُّوا المحابرَ والاقلامَ عن يدهِ كما تُعزُّون عنهُ خِدمةَ الدُّوَلِ
كُنْ يا اباهُ كابرهيمَ حين سخا لربِّهِ بابنهِ في ذلكَ الجَبَلِ

Digitized by Birzeit University Library

يا ليت هذا بنفسٍ من أحبّتهِ ... يُفدَى كما قد فُدِيَ اسحقُ بالحملِ
لَسنا نُعزّيك يا مَن لاعزاءَ لهُ ... وان سكتنا وَقَفنا مَوْقِفَ الخَجِلِ
ان الحزين اذا هوّنتَ فجعتَهُ ... زادت فكُنتَ كمُطفي النارِ بالشُّعَلِ
فأعذِرهُ في ما تراهُ منهُ وادعُ لهُ ... بالصبرِ فهوَ لهُ من أنفعِ الحِيَلِ

وقال يهنئُ الشيخ حسين بدران بعودتهِ من الحج

دعاني من هوَى هندٍ وأسما ... فذلك قد جعلتُ عليهِ ختْما
اذا ولّى سوادُ الرأسِ يوماً ... يصيرُ هوَى سوادِ العينِ ظُلما
لأيّامِ الصِّبا زهوٌ ولكن ... سيخبُثُ بعدهُ ما لذَّ طَعْما
ويَنسَى المرءُ من ندمٍ حديثٍ ... حلاوةَ كلِّ ما قد مرَّ قِدْما
حياةُ الناسِ في الدنيا غرورٌ ... كعينٍ ابصرت في النومِ حُلْما
اذا ما اصبحَت ضحكت عليهِ ... وتعلَمُ أنهُ قد كان وهما
سلِ الشيخَ الحُسَينَ متى تراهُ ... يُفِدْكَ بمشكلات الدهر حكما
وتشربُ من خطابتهِ شراباً ... طهوراً ليسَ من أرواهُ يَظما
أبَرُّ الصالحينَ يداً وقلباً ... وأزكَى رهطهِم خالاً وعمّا
وأكرَمُ شيمةً وأجلُّ قدراً ... وأبلغُ حِكمةً وأشدُّ حزما
لقد جمعَ الشتاتَ من السجايا ... كعِقدٍ ضمَّ نثرَ الدُّرِّ نظما
وقامَ على حدود الله يبغي ... رِضاهُ جامعاً عملاً وعِلما

Digitized by Birzeit University Library

قضى الحجُّ الشريفَ الى مقامٍ اقامَ لهُ خليلَ اللهِ رَسما
وقد رَمَتِ الجمارَ يداهُ يوماً فصبَّ عَلَى جنود السُّوءِ رَجْما
أَلا يا خيرَ مَن في البيتِ لَبَّى وطافَ وخيرَ مَن ضَحَّى وسَمَّى
هَنيئْتَ بعَوْدةٍ من دارِ حَجٍّ لدَى تأْريخِهِ بالخيرِ تَمَّا

سنة ١٢٨٤

وقال يرثي عزيز قوم توفي

نَفَذَ القَضا من أَوجِ ذاكَ المِنبَرِ فاصبِرْ عَلَى بَلواكَ اولا تصبرِ
ولقد اتى ما لَسْتَ تملكُ بعدهُ غيرَ البُكاءِ ولوعةِ المتحسّرِ
يا ايها العين التي تبكي عَلَى فَقْدِ الحبيب بدمعها المتحدّرِ
تبكينَ هذا اليومَ لكن في غدٍ يُبكَى عليكِ وهكذا لم تخسَري
نَنهَى عن الحزنِ المُذيبِ قلوبَنا مثلَ النديمِ يعيبُ شُربَ المُسكِرِ
ان اللسانَ يُطيعُ امرَ نَصيحهِ والقلبُ ينبذهُ كمَن لم يُؤْمَرِ
يا راحلاً كَسَرَ الخواطرَ قائلاً اني حَلَفتُ عليكِ أَن لا تُجبَري
تسقي مدامعُنا ثراكَ فانها اصفَى وأَفضلُ من مياهِ العُنصُرِ
لو تُشتَرَى يا ايها القمرُ الذي ذاقَ الخسوفَ لَتَمَّ سعدُ المشتري
هيهاتِ قد عزَّ الفِداءُ فخابَ مَن يَفدي ولو أَعطَى ممالكَ قيصرِ
داءٌ قديمٌ كم لهُ من حسرةٍ في كلّ قلبٍ من خَوالي الأَدهُرِ

Digitized by Birzeit University Library

قد حيَّرَ الألبابَ في أحكامهِ ... وأضاعَ رُشدَ الفيلسوفِ الاكبرِ
يعفو عن الشيخِ المكبِّ على العصا ... عجزًا ويفتكُ بالغلامِ الأصغرِ
يا يوسُفَ الحُسنِ البديعَ جمالُهُ ... ماذا اصابَ جمالَ ذاكَ المنظرِ
في السِّتِّ عشْرَةَ من حياتكَ عفتها ... كالبدرِ يخسِفُ في انتصافِ الأشهرِ
ولقد رحلتَ بلا وَداعٍ ضارباً ... ميعادَ تسليمٍ ليومِ المحشرِ
فارقتَ دُنياكَ الدنيَّةَ طالباً ... دارَ النعيمِ فكانَ أربحَ متجرِ
وعلمتَ أنكَ لا محالَ مسافرٌ ... فقصدتَ تسلُكُ في الطريقِ الأقصرِ
هذا الذي خُلِقَ العبادُ لاجلهِ ... فالحيُّ يحسبُ ميِّتاً لم يُقبرِ
أعددْ لطفلكَ نعشَهُ معَ مهدِهِ ... فلقد يُضَمُّ كلاهما في المحضرِ
يا ايها الباكي على مَن باتَ في ... دارِ السعادة كُفَّ دمعكَ واقصرِ
قد فاز بالملكِ المُعدِّ لمثلهِ ... والملكُ عادةُ يوسفٍ فاستبشرِ

وقال يهنئُ راشد باشا والي سوريَّة برجوعهِ من سفر

اتى في أوانِ القطرِ أشهى من القطرِ ... فنورٌ على نورٍ وبشرٌ على بشرِ
وزيرٌ على الحقِّ المبينِ مؤازرٌ ... لمرسلهِ وهوَ البريءُ من الوزرِ
لقد سارَ نحوَ الغربِ كالقمرِ الذي ... يغيبُ فيبدو منهُ في غرَّةِ الشهرِ
حكى ليلةَ الإسراءِ يومُ رحيلهِ ... ويومُ لقاهُ قد حكى ليلةَ القدرِ
على وجههِ من سورةِ النورِ آيةٌ ... وفي سيفهِ من سورةِ الفتحِ والنصرِ

Digitized by Birzeit University Library

فيتلو عَلى اصحابهِ آيةَ ٱلضُّحَى ويتلو عَلَى اعدائهِ آيـةَ النحرِ
عَلَى قلبهِ قد خطَّ من خوفِ ربِّهِ أَساطيرَ ذي ٱلنورَينِ في ذلك ٱلسِّفرِ
وقامَ بحقِّ ٱلفرض والنفل ناهضًا من ٱلصلوات الخمس بالشفْعِ والوَترِ
عَلَى الراشد الهادي التحيَّةُ والرِّضَى من الله تَقراها ٱلملائكُ في الفجرِ
هو ٱلرحمةُ ٱلعُظمَى ٱلتي أَحيتِ الرُّبَى الى ان كَستهَا حُلةَ ٱلسُّندُسِ الخُضرِ
بنى عدلُهُ سورًا لسوريةَ ٱلتي اتاها بخِصبِ الارض كالنيل في مصرِ
أَحاطَ بها كالبحرِ فَهْيَ جزيرةٌ لبحرٍ كثيرِ ٱلمَدِّ ممتنعِ الجَزْرِ
بصيرٌ بامر الدهر يَهشِمُ رأْسَهُ بأُنملةٍ صَمَّاءَ تَلعَبُ بالدهرِ
اذا ٱسودَّ خطبٌ يُعجِبُ ٱلعينَ كالدُّجَى اتاهُ برأْيٍ يَخرُقُ الحُجُبَ كالبدرِ
مدحتُ الوزيرَ الراشدَ ٱليومَ بالذي دَرَيتُ وأَهملتُ الذي لم اكُن أَدري
فكان الذي ادريهِ بعضًا من الذي جَهلتُ كإعطاءِ الخَراج من ٱلعُشرِ
عليَّ ديونٌ رُتِّبَت لجَلالهِ فاصبحتُ مديونًا اخاف من الكَسرِ
ولكن غريمي يقبلُ ٱلعذرَ راثيًا لضُعفي فيأْبى أَن يُعامِـلَ بالعُسرِ

وقال يمدحهُ حين قدم الى بيروت

يا أَرضَ بيروتَ بُشرَانا وبُشراكِ لقد اتى ٱليومَ مَولانا ومَولاكِ
من أَرضِنا رحمةُ الله الكريم اتى مع فَيضِ رحمتهِ من عُلوِ أَفلاكِ
قد فتَّحَ الخِصبُ عينَ الزَّهرِ حاكيةً زُهرَ النجومِ وكان ٱلفضلُ للحاكي

فليس من نائحٍ غيرَ الحَمامِ ولا ... غيرَ السحائبِ في اقطارنا باكِ

زار الوزيرُ حِماكِ اليومَ منعطفاً ... وحلَّ كالرُّوحِ في جسمٍ فاحياكِ

الراشدُ الماجدُ المرفوعُ منصبُهُ ... والصائبُ الحكمِ عن علمٍ وادراكِ

هذا الذي تَظلِمُ الأموالَ راحتُهُ ... وعدلُهُ ينصِفُ المظلومَ والشاكي

ماضي الحُسامِ بسيفِ اللهِ منتقمٌ ... من كلِّ طاغٍ شديدِ البأسِ فتاكِ

ذكاؤهُ مثلَ نورِ الشمسِ متقدٌ ... وذكرهُ مثلُ عَرْفِ العَنبرِ الذاكي

رحيبُ صَدْرٍ تضيعُ النائباتُ بهِ ... كالبحرِ يَسبَحُ فيهِ بعضُ أسماكِ

اذا التقتهُ خُطوبُ الدهرِ عابسةً ... لاقى الخُطوبَ بوجهٍ منهُ ضحّاكِ

يَرعَى الاهالي كأولادٍ مكرَّمةٍ ... لهُ ويحمي أراضيها كأملاكِ

وللصديقِ التفاتٌ من صَداقتهِ ... الأَلدَى حُكمِ تسريحٍ وإمساكِ

يا أرضَ سُوريةَ المسعودَ طالعُها ... حَمْدًا وشُكرًا فانَّ اللهَ اعطاكِ

ويا عَشائرُ باسمِ اللهِ منزِلُكم ... ويا قوافلُ باسمِ اللهِ مجراكِ

وقال يمدحهُ ايضاً

واحدٌ في الحِمَى فدَتهُ أُلوفُ ... هُوَ ربُّ الحِمَى ونحن ضيوفُ

حيثما سارَ فالسُّعودُ جُنودٌ ... من حوالَيهِ والامانُ رديفُ

واذا زارَ فالخريفُ ربيعٌ ... واذا غابَ فالربيعُ خريفُ

واذا جادَ مُنعِماً فهُوَ نيلٌ ... واذا حلَّ بُقعةً فهيَ ريفُ

Digitized by Birzeit University Library

يَجمعُ الرأيَ فكرُهُ عن يقينٍ ... مثلما تَجمعُ الكلامَ الحُروفُ
وكأنَّ الطُّروسَ منهُ جُيوشٌ ... وكأنَّ السُّطورَ فيها سيوفُ
وكأنَّ الدُّنيا لديهِ غُلامٌ ... قامَ في بابِهِ فطابَ الوُقوفُ
وكأنَّ الزمانَ بينَ يديهِ ... مُحرِمٌ بالبيتِ الحَرامِ يَطوفُ
راشدُ السَّعْيِ في المَكارِمِ راعٍ ... يَرتَعُ الذِّئبُ عندهُ والخَروفُ
وتكادُ الاشعارُ تَسعى اليهِ ... وحدَها لو نَشا لَهُنَّ وَظيفُ
نِعَمٌ عندهُ ثِقالٌ رَواها ... من ثَنائي عليهِ بحرٌ خفيفُ
تلكَ غيثٌ وذاكَ رَوضٌ لديها ... يزدَهي زهرُهُ وتدنو القُطوفُ

وقال يرثي فتىً من اصحابهِ

تحتَ الثَّرَى سيصيرُ مَن فوقَ الثَّرَى ... وسينتهي كلُّ الجديدِ الى البِلى
يمضي الفتى كالشيخِ عندَ وَفاتهِ ... والشيخُ يمضي مثلما يمضي الفتى
كنَّا نَظُنُّ العيشَ يقظةَ ساهرٍ ... فاذا بهِ حُلْمٌ تَرائى في الكَرَى
يومٌ وليلٌ يذهبانِ كلاهما ... والناس بينهما تمرُّ كما تَرَى
تحتَ الحَصَى ممَّن طوَتهُ أَرضُنا ... عَدَدٌ يكادُ يزيدُ عن عَدَدِ الحَصَى
لو قامتِ الأمواتُ من أَرماسِها ... لم يبقَ مَوْضعُ وقفةٍ معَها لنَا
نبني ونَغرِسُ في الديار لنازلٍ ... من بعدِها وكذاكَ أَسلَفَ من مَضَى
ما كان أَحسنَ دارَنا لو لم تكُنْ ... سيموتُ بانيها ويَخرَبُ ما بَنَى

Digitized by Birzeit University Library

نِعْمَ ٱلفتى مَن ماتَ واأسفا وما ... مات ٱلنُّواحُ عَلَى صباهُ وٱلبُكا
ولَّى وأبقى حسرةً لفراقهِ ... كادت تُذيبُ بحرِّها شحمَ الكُلَى
اسفاً عَلَى ذاك ٱلشبابِ فانهُ ... بدرٌ عَلَى أثرَ ٱلتمامِ قد اختفى
ولَّى فكان كأنهُ في الارض لم ... يُولَد ولكن عاشَ مولودَ ٱلسَّما
والموتُ ليس بغافلٍ في ٱلناس عن ... طفلٍ ولا شيخٍ يَدِبُّ عَلَى ٱلعصا
كلٌّ كصاحبهِ يموتُ وانَّما ... شتَّانَ ما بينَ ٱلثُّرَيَّا والثَّرَى
هذا الذي خُلِقَ الأنامُ لأجلهِ ... ولذاكَ تُدعَى دارُنا دارَ ٱلفَنا
الناسُ مَوْتَى في الحياةِ فإنَّ ما ... لا بُدَّ أن يأتي يُعَدُّ كما أتى
مَن فاتهُ شرُّ ٱلصَّباحِ فإنَّهُ ... لا شكَّ ليس يفوتهُ شرُّ ٱلمسا
أقصَى الجُنونِ اذا تبصَّرنا بهِ ... عُمرٌ قصيرٌ غاصَ في طول ٱلمُنَى
ومن ٱلمَساخرِ أنْ نقولَ مُعزِّيًا ... عمَّن يموتُ لاهلهِ لكُمُ ٱلبَقا

وقال يهنئ الامير ملحم رسلان برتبة شرف وُجِّهت اليهِ

ليسَ يجري غيرُ ما اللهُ كَتَبْ ... ولكلٍّ جعَلَ اللهُ سَبَبْ
بابُ رِزقِ اللهِ مفتوحٌ فَمَن ... هزَّ جِذْعَ النخلِ يأتيهِ الرُّطَبْ
أجملَ ٱلسَّعيَ الاميرُ ٱلمُرتَضَى ... طالبَ المجدِ فلا قَى ما طَلَبْ
شَرَفٌ زادَ عليهِ شَرَفاً ... كعَمودٍ فوقهُ تُبنَى ٱلقُبَبْ
يا رجالَ الدَّهرِ هذا مُلحِمٌ ... من بني رَسلانَ أقيالِ ٱلعَرَبْ

Digitized by Birzeit University Library

ليسَ في المجدِ دخيلاً من لهُ ... في تنوخٍ صحَّ إدراجُ النَّسبْ
محكمُ الرَّأيِ حصيفٌ حازمٌ ... رأيُهُ لو غالبَ السَّيفَ غلبْ
جبلٌ في جبلِ الشُّوفِ ارتقى ... فاستظلَّت تحتهُ تلكَ الهضبْ
من هنا فيهِ رياضٌ للرِّضى ... وهنا فيهِ غياضٌ للغضبْ
لبسَ المجدَ طريفاً وهو من ... أهل بيتِ المجدِ من ماضي الحقبْ
أوَّلُ الأشرافِ قد أنزلَهُ ... من ذرى التَّاريخ في ثاني الرُّتبْ

سنة ١٢٨٤

وقال يرثي ابنتهُ الاميرة شمس وكانت قد زُفَّت الى الامير كنج الشهابيّ فتوفيت على اثر الزفاف

ويلاهُ من عُرسٍ تحوَّلَ مأتمـا ... ولذيذِ عيشٍ قـد تحوَّلَ علقما
لم يضحكِ المسرورُ يومَ سرورهِ ... حتَّى بكى من بعدهِ وتألَّما
يـا أيُّها اللاهي بغفلتهِ انتبهْ ... ان الحِمامَ يحومُ حولكَ في الحِمى
كم باتَ يندبُ نائحاً في ليلهِ ... مَن كان يطربُ في الضُّحى مترنِّما
عرِّجْ على غربِ البلادِ وسلْ بهِ ... عمَّا أصابَ اميرَ قيسٍ ملُحما
خطفت كريمتهُ المنيَّةُ ليلةً ... بسوادها وجهُ الصَّباحِ تلثَّما
قد غابتِ الشمسُ المنيرةُ في الدُّجى ... فبكى لفُرقتها الشِّهابُ وأظلما
هبطَت الى جوفِ الثَّرى من برجها ... فعلا صُراخُ النادباتِ الى السَّما

غابت ولم يَنصلْ خِضابُ زفافها ... عن أَعينٍ خَضَبَت مَحاجِرَها دَما
وتَسربلَت ثوبَ البياض فألبَسَت ... مَن حولها ثوب السوادِ الأَدهما
خانَ الزمانُ بها اباها ظالماً ... مَن لم يكن احدٌ بهِ متظلِما
والٍ تغيَّرَتِ الوُلاةُ بأسرها ... وأَقامَ ثابتَ دولةٍ متقدِّما
ولكلّ والٍ كارهٌ من دونهِ ... فلهُ الوِدادُ مُخصَّصاً ومُعمَّما
جبلٌ عَلَى جبلٍ أَقامَ وشأْنُهُ ... ما زالَ أَعلى من ذِراهُ وأَعظَما
يُومي اليهِ لو أَصابَ لهُ يداً ... ويفوهُ حمداً لو أَصابَ لهُ فَما
يا فَرْعَ رَسلانَ الذي من بعدهِ ... قد صار أَصلاً في الكرام مكرَّما
ما زالت الدنيا تَقولُ لأَهلها ... ليس الكريمُ عَلَى القَناةِ مُحرَّما
ظَلَمَ الزمانُ وقد عَدَلتَ أَمامَهُ ... لو كان فيهِ نَباهةٌ لتعلَّما
طُبِعَ الخبيثُ عَلَى العِنادِ مُعوِّجاً ... أَحكامهُ مَعَ مَن يَراهُ مُقوَّما
لم يستطِعْ ضَرَراً لشخصكَ فانثنى ... كيداً ومدَّ الى فتاتكَ معصَما
وكأَنَّهُ يجني عَلَى فُضلائهِ ... حسَداً لهم فيَرُدُّ ما قد أَنعَما
أَللهُ يأْخُذُ مَن يَشاءُ مؤَخراً ... ولقد يُعاجِلُ مَن أَحبَّ مُقدَّما
سيسلّم الدعوَى اليهِ كارهاً ... مَن لم يكن طَوْعاً اليهِ مُسلِّما
يا رحمةَ اللهِ العظيمِ تغمَّدي ... شمساً لقد ابكت عليها الأَنجُما
تسقي المدامعُ بالدماءِ ضريحَها ... سَحَراً ويغسلهُ السَّحابُ اذا هَمى

قد شرَّفت أرضاً ثوت في طيّها ... لو صادفت ثغرًا لها لتبسَّما
وسقى التي فيها شرابُ كرامةٍ ... مما يُؤرَّخ كأسُهُ يروي الظَّما

سنة ١٢٨٤

وقال يرثي الامير مجيدًا الشهابيّ

ما يَرتجيهِ المرءُ من مولودِهِ ... غيرَ اللّحاقِ بسالفاتِ جدودِهِ
فليُعدِدِ الأكفانَ قبلَ ثيابِهِ ... والنَّعشَ قبلَ سريرِهِ ومهودِهِ
يقضي الزمانَ المرءُ في خَطَرٍ فقد ... مزجَت مَناحتُهُ فكاهةَ عيدِهِ
الموتُ بينَ صباحِهِ ومَسائِهِ ... ومَنامِهِ وقيامِهِ وقُعودِهِ
يتلو علينا الميتُ أفصحَ خُطبةٍ ... كتلاوةِ القرآنِ في تجويدِهِ
والحيُّ عن إنذارِهِ متغافلٌ ... حتى تراهُ كطامعٍ بخلودِهِ
الموتُ أخبثُ ما يكون مَذاقةً ... وأشدُّ خَطْبٍ هالَ عند وُفودِهِ
كلُّ الشدائدِ ليس تُحسَبُ عندهُ ... الاَّ كأدنى قِشرةٍ من عُودِهِ
لو خُيِّرَ السُّلطانُ لاختارَ البقا ... ويكونَ عبدًا من أقلِّ عبيدِهِ
ويودُّ من في السِّجنِ ان يبقى بهِ ... حيًّا يعيشُ معذَّبًا بقيودِهِ
هذا الذي قهرَ الملوكَ بنفسِهِ ... لا بأعتدادِ سلاحِهِ وجنودِهِ
كلُّ الجبابرةِ الأعزَّةِ عندهُ ... مثلُ الدُّخانِ يبيدُ بعدَ صعودِهِ
مَن كان يفترسُ الأُسودَ نراهُ قد ... نزلَ الثَّرى فغدا فريسةَ دُودِهِ

Digitized by Birzeit University Library

والمالكُ الأعناقِ أمسى عُنقُهُ ... ملكَ الدَّبيبِ مُشبَّثاً بوَريدِهِ

يا رحمةَ اللهِ الكريمِ تعهَّدي ... شخصاً كبدرٍ حلَّ سعدَ سعودِهِ

ناحَت عليهِ الباكياتُ فأذهلَت ... بنُواحِها القُمْرِيَّ عن تغريدِهِ

قد علَّمَ التَّصعيدَ صدرَ مُحبِّهِ ... فتعلَّمَ التقطيرَ من تصعيدِهِ

سهرانُ يرعَى النجمَ وهوَ جليسُهُ ... واذا سألتَ فذاكَ بعضُ شُهودِهِ

قد ساءَ خُلقُ الدهرِ حتى إنَّهُ ... لم يَرْعَ حقَّ شبابِهِ ومجيدِهِ

غدَرَ المجيدَ ابنَ الشَّهابِ بجهلِهِ ... فوَفَى بحقِّ الحزنِ دمعُ رشيدِهِ

قد سارَ تحتَ لفائفِ الأكفانِ مَن ... كانت تَسيرُ الناسُ تحتَ بُنودِهِ

حمَلَتهُ أكتافُ الرِّجالِ وخيلُهُ ... ترنو لحاملِهِ بعينِ حسُودِهِ

وثَبَ الحِمامُ عليهِ وثبةَ فاتكٍ ... جعَلَت نِصالَ سِلاحِهِ كغُمودِهِ

ومحافلُ الأُمَرآءِ حولَ سريرِهِ ... لم يَقدِروا الاَّ عَلَى تعديدِهِ

هذا عَمودٌ كانَ رُكنَ عشيرةٍ ... صارت كبُرجٍ مالَ خطُّ عَمودِهِ

أخَذَ الرِّئاسةَ منصباً عن جدِّهِ ... فكأنَّهُ أوصَى بها لحفيدِهِ

جادَ الزمانُ بهِ فكانَ كنادمٍ ... ولذاكَ صارَ السَّلبُ غايةَ جُودِهِ

والدهرُ خازنُ أهلِهِ لكنَّهُ ... في الصَّرفِ يبدأُ من أجلِّ نُقودِهِ

في ذِمَّةِ اللهِ الحفيظِ مُسافرٌ ... كانت قلوبُ الناسِ من تزويدِهِ

قامت تودِّعُهُ الرجالُ فأودعَت ... حبَّ القلوبِ قِلادةً في جيدِهِ

Digitized by Birzeit University Library

عبدٌ الى مولاهُ جرَّدَ نفسهُ ... طوعًا فنالَ الرَّفعَ من تجريدهِ
ضمَّتهُ أجنحةُ الملائكِ بينها ... كالحرفِ ضمَّ اخاهُ في تشديدهِ
لله سرٌّ في البريَّةِ غامضٌ ... وقفَت عقولُ الناسِ عند حدودهِ
لا يهتدي علمُ النجومِ برصدهِ ... ويضلُّ علمُ الرَّملِ في توليدهِ
عاد التُّرابُ الى حقيقة اصلهِ ... كالثلجِ اذ يتحلَّلُ عقدُ جمودهِ
حُكمٌ قديمٌ لا يزالُ مُجدَّدًا ... فتروحُ بين قديمهِ وجديدهِ
نمشي اليهِ كل يومٍ خطوةً ... فيكونُ ذاك مقرِّبًا لبعيدهِ
ولربَّما يجري الينا خاطفًا ... كالبرقِ يعدو فوق خيل بريدهِ
هذا الذي لا بدَّ منهُ لكلِّ من ... في الأرض يحفظُ سالفاتِ عهودهِ
يشقي ويُسعدُ تارةً بقدومهِ ... ويظلُّ يمزجُ وعدهُ بوعيدهِ
من مات في ثوب الصَّلاحِ فانَّهُ ... قد عاشَ فالموتُ ارتجاعُ وُدودهِ
كانَ الوجودُ مُسبِّبًا لفنائهِ ... فغدا الفناءُ مُسبِّبًا لوُجودهِ

وقال يمدح الامير عبد القادر الحسيني حين حضر الى بيروت قاصدًا المسير الى الحج

ما زلتُ أسمعُ ذكرَ عبد القادرِ ... حتَّى تمنَّت أن تراهُ نواظري
واليومَ قد سمحَ الزمانُ بزورةٍ ... شكرَت بها بيروتُ فضلَ الزائرِ
هذا هو المولى الشَّهيرُ بلُطفهِ ... في كلِّ قُطرٍ كالصَّباحِ الزاهرِ
قد قامَ في مجد الملوكِ فزادهُ ... أُنسًا يعافُ بهِ اختيالَ الفاخرِ

مُستعصِمٌ بالله في قولٍ وفي عَمَلٍ لهُ من باطنٍ او ظاهرِ
بَعَثَ الالهُ من المَغاربِ رحمةً لدِمَشْقَ احيتها بلُطفٍ باهرِ
الناسُ تَصطنعُ الجميلَ لواحدٍ يا من جميلُكَ مع أُلوفِ عشائرِ
ضاهت ديارُكَ فُلكَ نوحٍ اذ حَمَى ما فيهِ من فيضِ المياهِ الغامرِ
طالت مَكارِمُكَ الجِسامُ فقصَّرت عن مدحِ جُودتِها لسانَ الشاعر
وبها المَلوكُ تحمَّلت لكَ منَّةً بَعَثَت اليك بها هدايا الشاكرَ
تمَّمتَ معيَ في تجارةِ قانتٍ بالحجِّ توسيعاً لربحِ التاجرَ
ماحجَّ بيتَ الله قبلك زائرٌ أَولَى وأَجدرُ بالقبولِ الوافرَ
يا سيِّداً أبصرتُ منهُ فوقَ ما قد كنتُ أَسمعُ في الحديثِ السائرِ
ما زال يَحسُدُ ناظري بكَ مسمعي واليومَ يَحسُدُ مسمعي بك ناظري

وقال في واقعةٍ جرت مع الامير ملحم رسلان

ثارَ الدُّخانُ فلم يظهر لهُ لَهَبُ لكن تَمزَّقَ مما تحتهُ الحَطَبُ
وزَعزَعَ الرعدُ لكن لم نَجِدْ مطرًا من بعدهِ وانجلَت من حولهِ السُّحُبُ
بِئسَ الغُبارُ الذي في عين صاحبهِ كان القَذَى منهُ لمَّا ثار ينتشبُ
تلك العصافيرُ قد قامت محاولةً صيدَ البُزاةِ فأَضحَى صيدَها الهرَبُ
يا ذِقُ قد تصدَّت للرِّخاخِ على جهالةٍ فإذا ابياتُها خِرَبُ
يا آلَ رسلانَ لا زالت منازلكم مرفوعةً قارنتها السبعةُ الشُّهُبُ

Digitized by Birzeit University Library

حقُّ ٱلمهابةِ والإجلالِ تمَّ لكم ... عند الذي عندهُ لا تُجهَلُ الرُّتَبُ
يقولُ ذو الرأي منَّا في مجالسِكم ... يا نفسِ في مثل هذا يلزَمُ الأدَبُ
يلقَى الوديعُ لديكم كلَّ مكرُمةٍ ... وبالعنيفِ يحِلُّ الويلُ والحَرَبُ
كالبحر يغرَقُ نصلُ ٱلسيف مُندفعًا ... فيهِ ويطفو نجادُ ٱلغمدِ والخشَبُ
ان كان قد غرَّ قومًا جهلُهم طمَعًا ... فيكم فما لغرورٍ عندكم أرَبُ
وحلمُكم فوقَ ذنب الجاهلين فلا ... يغلوهُ ذنبٌ ولا للحِقد يتغلِبُ
لا يحسُبُ ٱلعفوُ الاَّ بعدَ مقدِرَةٍ ... نَعَمْ ولا حِلْمَ بعد العجز يُحتَسَبُ
وما الحليمُ الذي يرضَى بلثمِ يدٍ ... بل مَن يُهاجُ فلا يهتاجُهُ ٱلغضَبُ

وقال يمدح البطريرك غريغوريوس عند رجوعهِ من الديار المصرية

أتَى مثلَ موسى حينما عادَ من مِصرِ ... ولكنهُ لم يعرِف ٱلتيهَ في ٱلقفرِ
ولو كان شقُّ البحر من حاجةٍ لهُ ... لشقَّ لديهِ ربُّهُ لُجَّةَ البحرِ
أتانا بوجهٍ كالصباحِ فلم يكن ... اذا سار تحت الليل يحتاجُ للبدرِ
وفي يدهِ ٱلبيضاءِ تلكَ ٱلعصا التي ... اذا ضربَت صخرًا تُؤثِّرُ في الصخرِ
لهُ منصبٌ في ٱلبرِّ والبحرِ أُخلِصَت ... لهُ طاعةُ الجُمهور في ٱلسرِّ والجهرِ
وتاجُ كتاجِ ٱلمُلكِ فوقَ جبينهِ ... تقلَّدَ معهُ خاتَمَ ٱلنَّهيِ والأمرِ
طبيبٌ يداوي علَّةَ ٱلنفسِ شافيًا ... كبُقراطَ للأبدان في سالفِ الدهرِ
ويصبو الى بيضِ الطُّروس وسُودِها ... من الحِبرِ لا بيضِ الدَّراهمِ والصُّفرِ

لقد حلَّ روحُ اللهِ في طيِّ قلبهِ ... كما حلَّ قِدْمًا في حَشا مريمَ البِكْرِ
فألَّفَ ما بين القلوبِ بلطفهِ ... كما امتزجَ الماءُ الزُّلالُ مع الخمرِ
وأنشا لدَرْسِ العلم مدرسةً لنا ... بَنَى فوقها بُرْجًا عظيمًا من الأَجرِ
أقامت رميمًا مات من علم قومهِ ... فكانت كصوت البوقِ في موقفِ الحشرِ
نرَى كلَّ يومٍ يومَ عيدٍ بوجههِ ... وكلَّ الليالي عندنا ليلةَ القدرِ
وكلَّ مقامٍ حلَّهُ بيتَ مقدسٍ ... يُزارُ كما يُسعَى الى ذلكَ القبرِ
نظمتُ لهُ هذا المديحَ تيمُّنًا ... بذكراهُ لا أبغي لهُ رفعةَ القدرِ
وليسَ لهُ بالمدحِ فخرٌ ينالُهُ ... ولكن بهِ للمدحِ عائدةُ الفخرِ

وقال يهنئُ الامير سعد شهاب بتوليتهِ قائمقامية جزّين

قد قامَ ربُّ الدارِ في أوطانهِ ... وجرَى الجوادُ هناكَ في ميدانهِ
واخضرَّما قد جفَّ من نبتِ الرُّبى ... فجرَت مياهُ الخصبِ في عيدانهِ
عاد الربيعُ الى الديارِ بزهرهِ ... كزمانهِ بعدَ انقضاءِ زمانهِ
وأفادهُ سعدُ الشهابِ نضارةً ... في آبَ لم تخطُرْ على نيسانهِ
أتتِ الولايةُ أهلَ منصبها الذي ... لا يستحي أحدٌ بلثمِ بنانهِ
للمجدِ في لبنانَ بيتٌ شامخٌ ... آلُ الشهابِ الرأسُ من أركانهِ
قومٌ لهم شرفٌ قديمٌ من مدَى ... زمنٍ عصَى التأريخَ حفظُ أوانهِ
لو همَّ نسّابُ الحجازِ بضبطهِ ... بلَغَ السياقُ بهِ الى عدنانهِ

Digitized by Birzeit University Library

كم قاطفٍ للزّهرِ من عُرضِ الفلا ... يا مَن قَطَفتَ الزهرَ من بُستانِهِ
مَن كانَ من نسلِ البشيرِ فذاكَ لم ... تَكُنِ الممالكُ فوقَ رِفعةِ شانِهِ
ذاكَ الذي ضَبَطَت عِنانَ بلادِهِ ... يَدُهُ كما ضَبَطَت عِنانَ حِصانِهِ
قد كانَ يُطفي الماءُ جمرةَ غيرِهِ ... والماءُ يُحرِقُهُ لَظَى نيرانِهِ
وقدِ اقتبستَ خِصالَهُ وصفاتِهِ ... من حيثُ كُنتَ نَشَأتَ في ديوانِهِ
والأَصلُ يجري في الفُروعِ زَكاؤُهُ ... فيُولِّدُ الأَثمارَ في أَغصانِهِ
سُرَّت بمَنصِبِكَ البلادُ لأَنهُ ... في طالعٍ بالسعدِ عَقْدُ قِرانِهِ
ما زالَ يُهديكَ الهَنا بكتابِهِ ... مَن ليسَ يُمكنُهُ الهَنا بلِسانِهِ

وقال يهنئ الامير حسن شهاب بقائمية مقام الكورة

الحمدُ لله حَلَّ العُقدةَ الزَّمَنُ ... وقد شفى الرأسَ فاستَشفى بهِ البَدَنُ
قد عادَتِ الدولةُ الشهباءُ من سفرٍ ... غابت بهِ فاشتكى من شوقهِ الوطنُ
يا كُورةً في حِمى لُبنانَ قد سقَطَت ... من قبحِ أَحكامها قد جاءَكِ الحَسَنُ
هذا الاميرُ الشّهابيُّ الذي يدُهُ ... تحمي الديارَ وتُحيى عندها الفِتَنُ
يُنسي الحجازَ علياً من شجاعتهِ ... ومن عطاياهُ يَنسى حاتمَ اليَمَنُ
فليس للمالِ قَدرٌ عندَ راحتهِ ... ولا الدّماءُ لها في حربهِ ثَمَنُ
شهمٌ كريمٌ لبيبٌ حاذقٌ نَجِبٌ ... نَدبٌ حَصيفٌ أَديبٌ حازمٌ فَطِنُ
لا عيبَ في خَلقهِ يبدو لناظرهِ ... وليس في خُلقهِ شَينٌ ولا دَرَنُ

Digitized by Birzeit University Library

بَشِّرْ شُيوخَ بني ٱلعازارِ أَنَّ لهم ... كرامةً رُفِعَت عنهم بها المِحَنُ
اللَّمْعُ فرعُ ٱلشِّهابِ ٱلمُستضاءِ بهِ ... والفرعُ يَبطُلُ حينَ الاصلُ يَعتانُ

وقال يرثي عزيز قومٍ توفي

ضاقَ ٱلسَّبيلُ عَلَى ٱلباكي الحزينِ فلا ... عاد الحبيبُ ولا قلبُ المُحِبِّ سَلا
يَهيجُ للحُزْنِ في أَحشائهِ لَهَبٌ ... وكُلَّما رامَ إِخمادًا لهُ ٱشتَعَلا
كل الجِراحاتِ يَشفيها الدواءُ سِوَى ... جُرحِ ٱلفؤادِ فلا يُشفَى وكم قتَلا
يموتُ مفقودُنا يومًا وفاقدُهُ ... في كلِّ يومٍ يذوق ٱلموتَ مُتَّصلا
هذه لنا علَّةٌ تُضني ٱلمُصابَ بها ... وربَّما وأَدت معها لهُ عِلَلا
بليَّةٌ ليسَ يَنجو من غوائلها ... غيرُ الذي ماتَ عن دُنياهُ وٱرتحلا
يا هل تُرَى أَيُّ قلبٍ ما بهِ أَلَمٌ ... وأَيُّ وجهٍ بماءِ الدمعِ ما ٱغتسلا
وأَيُّ ماءٍ بهِ يذكو اللهيبُ سِوَى ... دمعِ الحزينِ الذي فوقَ الثرَى هطَلا
أَستودِعُ اللهَ في طيِّ ٱلضريحِ فتىً ... كالغُصنِ مُعتدِلاً والبدرِ مُكتمِلا
كنَّا نُؤَمِّلُ أَن نَحْيَى لهُ ثَمَرًا ... فخيَّبَ الدهرُ منَّا ذلك الأَملا
خان الزمانُ لهُ عهدَ ٱلصِّبا وبغَى ... عليهِ داعي ٱلمَنايا اذ أَتَى عَجِلا
قد ألبسوهُ الثيابَ البيضَ فٱصطَبَغَت ... بحُمرةٍ من دمِ الدمعِ الذي أَنهمَلا
والناسُ من حولهِ تمشي وقد نكَسَت ... رؤُوسَها وصُراخُ ٱلباكياتِ علا
يا رحمةَ اللهِ حُلِّي فوقَ تربتهِ ... كما حَلَلتِ عَلَى نعشٍ بهِ حُمِلا

وصافحي ذلك الوجهَ الصَّبيحَ بها ... وعانقي ذلك القدَّ الذي اعتدَلا

يا أيُّها القبرُ أكرِمْ مَن اليكَ سعَى ... فانهُ كان ممَّن يُكرِمُ النُّزُلا

واحرصْ على غصن بانٍ فيك كان اذا ... مرَّت عليهِ نسيماتُ الصبا ذبَلا

صبرًا بني صَيدَحٍ فالصبرُ أنفعُ ما ... داوَى بهِ الناس جرحَ القلب فاندمَلا

هذا السبيلُ الذي لا بُدَّ منهُ لنا ... يوماً فنحن اليهِ نقطعُ السُّبُلا

العيشُ للناسِ أيامٌ لهـا أجلٌ ... والموتُ دهرٌ لهم لا يعرفُ الأجَلا

وقال يعزّي صديقًا لهُ قد اصيب بمالهِ وكان من اكابر التجار

يا بائع الصبرِ لا تُشفِقْ عَلَى الشاري ... فدِرهَمُ الصبر يَسوَى الفَ دينارِ

لاشيءَ كالصبر يَشفي جرحَ صاحبهِ ... ولا حوَى مثلَهُ حانوتُ عطَّارِ

هذا الذي تُخمِدُ الأحزانَ جُرعتُهُ ... كَبارِدِ الماءِ يُطفي حِدَّةَ النارِ

ويَحفَظُ القلبَ باقٍ في سلامتهِ ... حتَّى يُبَدَّلَ إعسارٌ بإيسارِ

ان السلامةَ كنزٌ كلُّ خردلةٍ ... منهُ تُقوَّمُ من مالٍ بقِنطارِ

والمالُ يُدعى صديقًا عند حاجتهِ ... وقد يكونُ عَدُوًّا داخلَ الدارِ

يا من حزِنتَ لفَقْدِ المالِ انكَ قد ... خُلِقتَ عارٍ وما في ذاكَ من عارِ

كما أتَى أمسِ ذاكَ المالُ مُكتسباً ... يأتي غدًا من بديعِ اللُّطفِ جبَّارِ

حوادثُ الدهرِ تجري في البلادِ عَلَى ... مَراتبِ الناس مقداراً بمقدارِ

ان الرياحَ تُصيبُ النخلَ تَقصِفُهُ ... وليسَ تقصفُ غُصنَ الشيحِ والغارِ

Digitized by Birzeit University Library

اذا بقي منكَ أدنى فضلةٍ صغُرت فانها قطعةٌ من طُورِ أطوارِ
هَبْ انكَ الشمسُ في الأفلاكِ طالعةً هل تسلمُ الشمسُ من كسفٍ وأكدارِ
والشمس في برجها شمسٌ ولو كسفت فلا يَحُطُّ عُلاها كسفُ أنوارِ
للدهر يومٌ علينا لا يدوم كما يومٌ لنا لم يَدُمْ في حكمهِ الجاري
لا يلبَثُ الغصن عُريانًا بلا ثمرٍ حتى تراهُ باوراقٍ وأثمارِ
سيفتَحُ اللهُ باباً ليس تعرفُهُ ومنهجًا غيرَ ملحوظٍ بأبصارِ
اذا قطعنا رجآءَ النفس من فرَجٍ فانما قد قطعنا رحمة الباري

وقال يرثي عزيز قومٍ توفي

كريمٌ قد تولاَّهُ الكريمُ برحمتهِ فدامَ لهُ النعيمُ
رَجَونا أن يعيشَ لنا سليماً ولكن ليسَ في الدنيا سليمُ
بلايا الدهر بينَ الناس شتَّى واعظَمُها يُصابُ بهِ العظيمُ
تُفاجِئُ حيثُ لم تَخطُر ببالٍ ولم يَفطُن لها الرجلُ الحكيمُ
اذا لم تأتِ جهرًا من أمامٍ أتَت من فوقُ خاطفةً تحومُ
نَسُدُّ طريقَها عنَّا فتجري عَلَى طُرُقٍ الينا تَستقيمُ
لَعَمرُكَ كلُّ ما في الارض فانٍ وغيرُ جَلالِ ربِّكَ لا يَدُومُ
لكلِّ مَصائبِ الدنيا خصوصٌ بهِ أفترَقَت وللموتِ العُمومُ
سيَطرُقُ كلَّ جسمٍ فيهِ روحٌ فلا تبقى الحياةُ ولا الجُسومُ

Digitized by Birzeit University Library

ولو أنَّ النجومَ لها حَياةٌ لَذاقت غُصَّةَ الموتِ النجومُ
سَقَت نِعَمُ الإله ثَرَى ضريحٍ أَجَلُّ مُسافرٍ فيهِ مُقيمُ
فَيَنبُتَ فوقهُ زَهرٌ رطيبٌ ويَروَى تحتهُ عظمٌ رميمُ
مضَى عنَّا وقد غُلَّت يداهُ وقُطِّبَ ذلكَ الوجهُ الوسيمُ
قد اختطَفَتهُ بارقةُ المنايا بليلٍ لم يَهُبَّ بهِ النَّسيمُ
دعوناهُ سليماً حين رُمنا سلامتهُ فخالفَ ما نَرومُ
وصدَّ فما يُجيبُ ولو تولَّى مَقامَ خِطابهِ موسَى الكليمُ
عليهِ رحمةٌ في كلِّ يومٍ يجدِّدُها لهُ المَلِكُ الرَّحيمُ
وتلكَ نِهايةُ الآمالِ يَسعَى اليها مَن يُصلِّي او يَصومُ

وقال يرثي ابرهيم بك النجّار رئيس اطبآء العسكرية في الديار الشامية

ضاقَ الرِّثآءُ بنا من فرطِ ما اتَّسعا كالماءِ طالَ عليهِ الوِرْدُ فانقطَعا
الموتُ يَنبُعُ يوماً بعدَ ليلتهِ وليسَ تَنبُعُ ألفاظٌ كما نَبَعا
في كلِّ يومٍ يُقالُ الصُّبحَ وا أسَفا قدمات زيدٌ وعمرٌو في المسا تَبِعا
فوق التُّرابِ جبالٌ من حجارتهِ وتحتهُ مثلُها منَّا قد اجتمَعا
الناسُ للموتِ صيدٌ ظلَّ يا كلهم نَهْماً ولكنهُ لا يَعرِفُ الشِّبَعا
والأرضُ تبتلعُ الأجسامَ قاطبةً وجوفُها ليسَ يَملاهُ الذي ابتَلَعا
هَوَنْ عَلَى القلبِ غماً فيهِ اوفَرَحاً كلاهما عن قريبٍ يذهبانِ معَا

Digitized by Birzeit University Library

ما بين يومٍ وليلٍ نحن بينهما ... تمضي الوفُ وننسى كلَّ ما وقعا

قد يزرعُ الزرعَ منا غيرُ حاصدهِ ... ويحصدُ الزرعَ منّا غيرُ مَن زرعا

ويَجمعُ المالَ من بالكدِّ حصّلَهُ ... دهرًا ويُنفقُهُ غيرُ الذي جَمَعا

اليومَ قد فاتَ ابرهيم منزلَهُ ... وضاعَ ما قد بنى فيهِ وما صنَعا

وخلّفَ الدارَ تشكو فقدَ صاحبها ... والمالَ والأهلَ والأصحابَ والتّبعا

كانت لياليهِ كالأعياد جافلةً ... بأوجهِ الناس مُصطافًا ومُرتبَعا

تعشو الوُفودُ الى بابٍ لمنزلهِ ... لا يَطلعُ الفجرُ الاّ وهوَ قد قُرِعا

قد كان في ظِبِّهِ للناس منفعةٌ ... فإذ أتى الموتُ ذاكَ الطّبُّ مانفعا

وكان يُبري من الناس الجراحَ فهل ... يُبري جراحَ فؤادٍ بعدهُ انصدعا

مَضى الى ربّهِ الغفّارِ معتمدًا ... قُربَ الطريقِ التي فيها اليهِ سعى

ما زال سبّاقَ غاياتٍ بهمّتهِ ... حتّى لقد سبقَ الوقتَ الذي وُضِعا

صارت الى اللهِ تلكَ النفسُ تاركةً ... جسمًا ثوى في ترابِ الأرضِ مضطجعا

كلٌّ الى أصلهِ قد عاد منقلبًا ... فانحطَّ هذا وهذا طارَ مُرتفعا

وقال يرثي صديقين لهُ من المشايخ

كيفَ هذي الدُّنيا وهذا الزمانُ ... كلَّ يومٍ يُقالُ ماتَ فُلانُ

ايَجذبُ البعضُ بعضَنا فبأيدي ... كلِّ ميتٍ لكلِّ حيٍّ عِنانُ

نما دارُنا التي نحنُ فيها ... دارُ حربٍ فليس فيها أمانُ

ان نزلنا أرضاً فنحنُ غُبارٌ او شبَبْنا نارًا فنحنُ دُخانُ
لم نَزَلْ بين فُرقةٍ واجتماعٍ كلَّ يومٍ للهِ في الخَلْقِ شانُ
غَرَبَ النَّيِّرانِ في الشرقِ عنّا فاستمرَّت في الظُّلمة الأجفانُ
فجعةٌ أكمدَ النهارَ دُجاها فتباكى النَّيروزُ والمهرجانُ
غَضِبت بعدها الخُيولُ على اللجمِ كما أنكرَ القناةَ السِّنانُ
وعلَت رنَّةُ النُّواحِ وسالت دُرَرُ الدمعِ بينها المرجانُ
أيُّها الراحلانِ عنا رُوَيدًا قد أذابت قلوبَنا الأشجانُ
ان تولَّى كما البِلَى فلعَمري ليسَ تبلَى الهمومُ والأحزانُ
هكذا الحبُّ في حياةٍ وموتٍ دامَ فيهِ تألُّفٌ واقترانُ
فسلامٌ عليكما كلما هبَّ نسيمٌ وصافحتهُ الجنانُ
وسقَى ذلكَ الترابَ سحابٌ يمطُرُ العفوُ منهُ والرضوانُ

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من احد الفضلاء

لم يُبقِ شكرُكَ في فؤادي موضعا طفحَ الإناءُ فكادَ أن يتصدَّعا
لكَ كلَّ يومٍ منَّةٌ وصنيعةٌ عن محضِ وُدٍّ لم يكن متصنِّعا
المرءُ يُعطي الناسَ فضلةَ قلبهِ وأراكَ قد أعطيتَ قلبكَ أجمعا
لم ألقَ فيهِ حبَّةً من جرمهِ الاَّ وجدتُ من المحبَّة أربعا
أنت المحبُّ الصادقُ الدعوى كما انت الحبيبُ فقد جمعتَهما معا

Digitized by Birzeit University Library

أشهدتَ لي ألفاً بذاكَ وانّما ... في الشاهدين كفايةٌ لمن ادّعى
ليس الجميلُ لمن أحبَّ مكافئاً ... انَّ الجميلَ لمَن احبَّ تبرُّعا
ولمَن أقامَ على المودّةِ حافظاً ... حقّاً لمَن نكثَ العهودَ وضيّعا
أعنيك يا مَن لا أُصرّحُ باسمهِ ... خوفَ الكتابِ يطيرُ نحوكَ مسرِعا
ما شمتُ قبلكَ مَن يزيدُ على المدى ... حبّاً اذا ضاقَ الزمانُ توسّعا
ان لم يكن كرمُ النفوسِ وطيبُها ... في المرءِ طبعاً لا يكونُ تطبّعا
هيهاتِ ليسَ تصيرُ رمحاً نبلةٌ ... مهما استطالَ قوامُها وتفرّعا

وقال يمدح محمد رشدي باشا الشيرواني

وردًا على الخدِّ لا وردًا ببستانِ ... يليقُ بالزهرِ ان يدعو بسلطانِ
كم بين وردٍ يدومُ الدهرَ مبتسماً ... ووردةٍ ليسَ تعدُو شهرَ نيسانِ
ورد قطفناهُ بالابصارِ واعجَبا ... من وجنةٍ ذاتِ أمواهٍ ونيرانِ
حيّا بها رشأٌ تُحيي تحيّتهُ ... ويفتنُ اللحظُ منهُ كلَّ فتّانِ
رَيّانُ يأنفُ من تشبيهِ قامتهِ ... جهلاً بعودِ القنا فضلاً عن البانِ
تلقى ثنايا من كأسٍ بها حببٌ ... دُرًّا بدُرٍّ ومرجانًا بمرجانِ
في صحنِ خدَّيهِ قد خطَّ العذارُ كما ... قد خطَّ في صحنِ خدّي دمعُ أجفاني
فقالَ والتيهُ يثني من معاطفهِ ... خطُّ ابنِ مقلةَ لاقى خطَّ ريحانِ
أشكو هواهُ فيشكو من هوايَ لهُ ... فكانَ يُضحكُني من حيثُ أبكاني

Digitized by Birzeit University Library

كأنَّهُ وهو في الدعوى يُعارِضُني ... تلقَّفَ الفقهَ عن مولايَ شروان

مولى الموالي الذي طابت سريرتُهُ ... وقامَ بالحقِّ في سرٍّ وإعلان

قد خُطَّ في قلبهِ المبرورِ من أدبٍ ... ما خطَّ في اللوحِ عثمانُ بن عفَّان

في صدرهِ نورُ علمٍ زانهُ عملٌ ... مثلَ الثِّمارِ تبدَّت فوقَ أغصانِ

قد صاغهُ اللهُ من لُطفٍ فلاحَ لنا ... كأنَّهُ ملكٌ في جسمِ انسانِ

ضاحي الجبينِ طويلُ الباعِ مُقتدرٌ ... نالَ الجميلَين من حُسنٍ وإحسانِ

أخلاقُهُ جنَّةٌ طابت مغارسُها ... فيها الفواكهُ من نخلٍ ورُمَّانِ

كأنَّهُ وهوَ في ديوانِ منصبهِ ... ابو حنيفةَ في محرابِ ديوانِ

يُفتي فيُقضى بفتواهُ على ثقةٍ ... في كلِّ قُطرٍ عليهِ آلُ عثمانِ

من لي بنغمةِ داودٍ أُشيدُ بها ... في مدحِ من نالَ حُكماً من سُليمانِ

جاريتُ أحكامهُ فيما أُدَّعيتُ لهُ ... فلم أُقِمْ حُجَّةً الاَّ ببرهانِ

وقال يجيب محمد عاقل افندي بالاسكندرية عن ابيات

أهلاً بعائدةٍ أتت تشفيني ... فهيَ الطبيبُ لعلَّتي وشُجوني

جاءت كنافجةٍ لمسكٍ تحيَّةٍ ... من أرض مصرٍ ليسَ من دارين

أهدى اليَّ بها لبيبٌ عاقلٌ ... فأصابَ أجراً ليسَ بالممنون

سلَّى بها قلبي عن السَّقَم الذي ... منهُ نحلتُ فصرتُ كالعرجون

لله يا صافي الفؤادِ كأنَّهُ ... من فضَّةٍ لا من لوازبِ طين

Digitized by Birzeit University Library

يزدادُ فيهِ كلَّما طالَ المدى ... حُبٌّ تحرَّكَ في مقامِ سكونِ
لكَ منَّةٌ جارتْ عليَّ بثقلِها ... كالدَّينِ أثقلَ كاهلَ المَدْيونِ
قصَّرتُ دونكَ عندَ جزْيكَ محرِزًا ... قَصَبَ السِّباقِ من المحبَّةِ دوني
بيني وبينكَ شُقَّةٌ قَرُبَتْ على ... قلبي وإن بعُدَتْ إزاءَ عيوني
واذا تألَّفتِ القلوبُ تقرَّبتْ ... من دارِ قُطرِ الشامِ دارُ الصينِ

وقال يجيبهُ عن رسالة بعث بها اليهِ ايام الوبآء المعروف بالريح الاصفر

تقلَّصَ ظلُّ للشَّبابِ وَريفُ ... وأقبلَ من ضاحي المَشيبِ رديفُ
وأيُّ صباحٍ لا تليهِ عشيَّةٌ ... وأيُّ ربيعٍ لا يليهِ خريفُ
على مثلِ هذا قد مضى الدهرُ وانقضى ... كذلكَ يمضي تالدٌ وطريفُ
سوادُ الليالي في بياضِ نهارِها ... أساطيرُ لا تُقرا لهنَّ حروفُ
خليليَّ ما للناسِ يضحكُ واحدٌ ... وتبكي مئاتٌ حولهُ وأُلوفُ
لقد شنَّ هذا الدهرُ غارةَ جاهلٍ ... تساوَى خسيسٌ عندهُ وشريفُ
بلاءٌ على وجهِ البسيطةِ غامرٌ ... كطوفانِ نوحٍ حينَ كانَ يطوفُ
لهُ بينَ اكبادِ الرجالِ مخالبٌ ... نَشِبنَ وفي الأعناقِ منهُ سيوفُ
كم اعتلَّ في الدنيا صحيحٌ وكم وكم ... تفرَّقَ في عُرضِ البلادِ لفيفُ
وكم صُدِعَت للفاتكينَ مفارقٌ ... وكم أُرغمت للمالكينَ أُنوفُ
هو البينُ لا تدري طريقًا لوَفدِهِ ... فتنجو ولا تُنجيكَ منهُ كُهوفُ

Digitized by Birzeit University Library

ويدخُلُ بابَ الحِصنِ وَهْوَ مُوَصَّدٌ ... ويُبصِرُ في الدَّيجورِ وَهْوَ كثيفُ
وأعجَبُ كيفَ النّاسُ ضلُّوا عن الهُدَى ... كما ضلَّ عن ضوءِ النّهارِ كفيفُ
اذا ما رَأى الميتَ الفتى قالَ ما انا ... وذاكَ فلي داعي المَنُونِ حليفُ
عليكَ سلامٌ يا مُحَمَّدُ مُرسَلٌ ... لطيفٌ يؤَدّيهِ اليكَ لطيفُ
أُحاشيكَ من جهلٍ فانَّكَ عاقلٌ ... خبيرٌ بأحكامِ الزمانِ حصيفُ
شَكَوتُ الذي تَشكوهُ من هَوْلِ بأسِهِ ... ولكنَّ صبري في البَلاءِ ضَعيفُ
وإنَّ الحَصَى عند الجَزُوعِ ثقيلةٌ ... وضَخْمَ الصَّفا عند الصَّبورِ خَفيفُ

وقال يهنئُ صديقين له عادا من سفر

عَجَبٌ نَراهُ فسبِّحوا مَن أبدَعا ... قد أشرَقَ القَمَرانِ في وَقتٍ معا
قَمَران قد طَلَعا من الغربِ الذي ... قد كانَ يَعهَدُ مَغرِبًا لا مَطلِعا
فاستأنَسَ الشَرقُ السعيدُ مُسلِّمًا ... واستوحَشَ الغربُ البعيدُ مُودِّعا
غَلَبَت عَلَى الرَّبعِ الشَّجِيِّ مَسَرَّةٌ ... فلَوِ استَطاعَ الى لِقائِهما سَعَى
ما زالَ يَهتِفُ بالبِشارةِ والهَنا ... مَن كانَ يَهتِفُ بالشَكايةِ والدُّعا
وَفدٌ جميلُ الوجهِ أبهَجَ مَنظَرًا ... ضُرِبت بَشائرُهُ فأبهَجَ مَسمَعا
طابَ الفُؤادُ بهِ كعافيةٍ أتت ... من بعدِ سُقْمٍ قد أضَرَّ وأوجَعا
يا أيُّها الدارُ اخلَعي ثوبَ الأسَى ... فاليومَ قد مَسَحَ الزمانُ الأدمُعا
وعَسَى الذي جَمَعَ الأحِبَّةَ مرَّةً ... أن لا يَعودَ مُفَرِّقًا ما جَمَّعا

وقال يرثي الامير مرادًا اللمعي مدير نضاء المتن وكان قد كبا به جواده فسقط قتيلاً

يا أُمُّ ربّي الطِّفلَ للدودِ ... يا أيُّها الأُمُّ كلُّ مولودِ للموتِ يُولَدُ منا

بالليلِ أم نَعشَ ميتٍ غيرِ ملحودِ ... هل تحسبينَ سريرًا ما توسَّدَهُ

تحتَ التُّرابِ يُغطَّى بالجَلاميدِ ... فوقَ التُّرابِ تُرابٌ قد مشَى وغدًا

دهرًا طويلَ الليالي غيرَ محدودِ ... كانت لهُ الأرضُ أيامًا فصارَ لها

معهُ القلوبُ رحيلاً غيرَ مَردودِ ... في ذِمّةِ اللهِ منا راحلٌ رَحلَت

وكانَ من شأنهِ حفظُ المواعيدِ ... مَضَى على غيرِ ميعادٍ لرحلتهِ

فجفَّ في وقتِ جَرْيِ الماءِ في العودِ ... غصنٌ أتتهُ رياحُ البينِ لافحةً

للمكرُماتِ وصُنعِ الخيرِ والجودِ ... غالَتْ فغلَّتْ ايادِيهِ التي خُلِقَت

فاعجَبْ لبدرٍ على الألواحِ ممدودِ ... بدرٌ توسَّدَ فوقَ النعشِ منطرحًا

واعجَبْ لسيفٍ بطَيِّ اللحدِ مغمودِ ... واعجَبْ لجوهرةٍ في التُّربِ نازلةٍ

من سَطْوةِ البينِ لاقى ظُلمَ نُمرُودِ ... هذا الذي حِلْمُ معْنٍ من شمائلِهِ

فاعتاضَ ما كانَ موعودًا بمنقودِ ... اصابهُ البينُ في شَرْخِ الصِبا عَبَثًا

ومَن حَوَيتَ من القومِ الأماجيدِ ... يا ايها القبرُ تدري مَن اليكَ أتَى

الى زمانٍ لبعثِ الناسِ موعودِ ... يا قبرُ أكرِمْ نزيلاً غيرَ مرتحلٍ

اذ نلتَ أشرفَ مولودٍ ومفقودِ ... قد صرتَ أشرفَ أرضٍ في مرابعنا

من نسبةِ اللمعِ اصلٌ غيرُ محمودِ ... هذا مُرادُ المُرادِيُّ الاميرُ لهُ

زلَّت بهِ قدَمٌ في الارض فامتلكت ... أقدامهُ في الأعالي كلَّ توطيدِ
مضى الى ربّهِ الغفّار مبتهجًا ... وخلَّفَ الناسَ في حزنٍ وتسهيدِ
مَناحةٌ عندنا في الارض حافلةٌ ... وعندهُ في الأعالي بهجةُ العيدِ
كم نادبٍ بعدهُ عافَ الحياةَ ولو ... أعطتهُ مُلكَ سُليمانَ بنِ داودِ
لا خيرَ في عيشةِ الدُّنيا لواحدِها ... ان كانَ ما يشتهيهِ غيرَ موجودِ
جُدْنا بدمعٍ على الموتى فاحمدوا ... هيهاتِ ما كلُّ ذي جودٍ بمحمودِ
ما أغفلَ الحيَّ عمَّا ذاقَ ميّتهُ ... وأغفلَ الميتَ عن نَوحٍ وتعديدِ
قد فاتَ ما فاتَ يا مَن ذابَ من أسفٍ ... فلا تَقلْ يا لُويلاتِ الصفا عودي
بيضٌ وسودٌ ليالي الناسِ فارتحلي ... يا أيُّها البيضُ جاءَت نوبةُ السُّودِ

وقال يهنئ راشد باشا بدخول شهر رمضان

جاءَ الصيامُ قريرَ العين مبتهجًا ... بمن تنال بهِ زوّارهُ شرفا
ويشتهي العيدُ من شوقٍ لرؤيتهِ ... لو يُجعلَ الصومُ يوماً واحداً وكفى
هذا الوزيرُ الذي جلَّت مهابتهُ ... فقفْ لديهِ كمن في الكعبةِ اعتكفا
وقُلْ لهُ عِشتَ أعواماً على عددِ ال ... ساعات من شهرهِ بالعزّ مُكتنفا
وحيِّ بيروت بالبُشرى فقد حصلَت ... على الذي منهُ كانت تشتهي سلَفا
يا طالما صبرت حتى أتى فرجٌ ... اذ كلُّ امرٍ على ميقاتهِ وقفا
اعطى دِمَشْقَ نصيباً من إقامتهِ ... ومثلَ ذلك في بيروت فاتصفا

Digitized by Birzeit University Library

كالشمس تقسم للارض الزمان متى ... ما فارقت طرفاً منها تزر ظرفا
قد سابق العيد عيد عندنا طربت ... به نفوس لها ورد الهناء صفا
هذا تدوم على الأيام بهجته ... لنا وهذا بيوم مر وانصرفا

وقال يجيب الشيخ عبد الرحمن الصوفي الزيلعي عن قصيدة امتدحه بها

منازل عسفان فدتك المنازل ... أراجعة تلك الليالي الأوائل
وهل ظبيات البان أصبحن بعدنا ... أوانس ام كالعهد هن جوافل
سقى الطل هاتيك الربوع وان يكن ... سقاني بها من صيب الدمع وابل
يسلسل دمعي بارق الحي موهنا ... وتضرم أنفاسي الصبا والشمائل
اذا ملكت ايدي الهوى قلب عاشق ... فأهون شيء ما تقول العواذل
وأعذب شيء في الزمان أحبة ... تزورك او تأتيك منها رسائل
اتتني بلا وعد رسالة فاضل ... له ولها حقت علي فواضل
بيوت من الأشواق فيها مجامر ... ولكنها للأنس عندي مناهل
لعبن بقلبي اذ حللن بمسمعي ... كما لعبت بالمعربات العوامل
ذكرت الحريري الذي اليوم عندنا ... تلوح على الصوفي منه شمائل
له النظم والنثر الذي طاب لفظه ... ومعناه لطفاً فهو للحسن شامل
حكمنا له بالمكرمات على هدى ... من الحق اذ قامت لدينا الدلائل
سبوق الى الغايات قصرت دونه ... وكيف يباري فارس الخيل راجل

Digitized by Birzeit University Library

تفضَّلَ بالمدحِ الذي هُوَ أَهلُهُ كريمٌ الى أَوجِ الكرامات واصِلُ
وأَثنى بما فيهِ فكان كأَنَّهُ بذاكَ يُناجي نفسهُ وَهْوَ غافِلُ
ثَنآءٌ أَراهُ باطلاً غير أَنَّني أَرَى سَوْءَةً لو قلتُ ذلكَ باطِلُ
فأَسكُتُ عن هذا وذاكَ تأَدُّباً وكم من سكوتٍ قد تمنَّاهُ قائِلُ

وقال يجيب محمد عثمان افندي بالقاهرة عن ابياتٍ بعثَ بها اليهِ

أَهدَى من الشعر الجنيِّ قُطوفا يبقى جَناها مَربَعاً ومَصيفا
صُحُفٌ توهَّمتُ الرَّقيمَ رِقاعَها لمَّا توهَّمتُ النُّجومَ حُروفا
كُتِبَت باقلامٍ حكَينَ ذَوابلاً تَختالُ في أَيدٍ حكَينَ سُيوفا
تجلو لنا بعد الطَّريفِ تَليدَها وتزيدُنا فوق التليدِ طريفا
قامَت تَزُفُّ بناتِ غَرْبٍ اصبحت كبناتِ عُربٍ قد خزَمْنَ أُنوفا
سيَّارةٌ تَطوي البِلادَ مُقيمةً في هودجٍ أَرخَت عليهِ سُجوفا
آياتُ حقٍّ قد اتت لمحمَّدٍ بشَهادةٍ لا تقبَل التحريفا
لم يكفِهِ جَلَبُ النُّضارَ سبائكاً للناسِ حتى صاغَ منهُ شُنوفا

وقال يعزّي احد اصدقائهِ بعزيزٍ لهُ توفي

نَهنِهْ دموعك أَيها الباكي فما تُطفي الدموعُ لَظًى ولا تُروي ظَمَا
واعلم بأَنَّ الدمعَ يُصبح جمرةً ان مَسَّ جمراً في فؤادكَ مُضرَما

Digitized by Birzeit University Library

كم ضاعَ دمعٌ في الزمانِ وقد جرَى ... عبَثاً ولا عجبٌ فكم ضاعت دِما

ان كان قد ضاعَ البكاءُ فلا تُضِعْ ... زمَنَ البُكاءِ فذاكَ أفضلُ مَغنَما

نبكي لبدرِ الارض حين أصابهُ ال ... خَسْفُ الذي يجري عَلى بدرِ السَّما

كلٌّ يصيرُ الى الفناءِ كما نرَى ... حتى يكادَ الدهرُ يُفني الأنجُما

لا يَعدَمُ الأحزانَ في الدُّنيا سِوَى ... قلبٍ يكونُ من الاحبةِ مُعدَما

ان كنتَ لا ترضى بفُرقةِ صاحبٍ ... فاُخرُجْ بهِ منها وكن حامي الحِمَى

سَقَمٌ قديمُ العهدِ في الدُّنيا ولا ... يُرجى شفاءُ الداءِ حينَ استحكَما

واذا اعتَرَى الظَّرفَ الفَسادُ لذاتهِ ... كيف الرجاءُ لما بهِ ان يسلما

فاجعل من السَّلوَى لنفسكَ مطعماً ... واُعقِدْ من الصبرِ المُصفَّى مَرهَما

والصبر لو ادركتَ قيمةَ نفعهِ ... أعطيتَ دينارًا لتأخُذَ دِرهما

وقال يمدح نصرالله فرنكو باشا متصرف جبل لبنان

لا الدُّرُّ دُرٌّ ولا المَرجانُ مَرجانُ ... اذا نَطَقتَ ولا للدُّرِّ أثمانُ

وحيثُما كُنتَ بُستانٌ تُحالُ بهِ ... جنَّاتُ عَدنٍ فما لُبنانُ لُبنانُ

وكلُّ شهرٍ ربيعٌ منكَ نَحسبُهُ ... حتَّى كأنَّ جميع الدهر نيسانُ

وانت فيما ترَى افكارُنا مَلَكٌ ... يبدو وفيما ترَى الأبصارُ انسانُ

يا ايُّها القَمَرُ المسعودُ طالعُهُ ... بدرُ السماءِ متى أشرقتَ كيوانُ

كأنَّما السَّعدُ لمَّا جئتَ زائرَنا ... طِرسٌ وانتَ لذاكَ الطِّرسِ عُنوانُ

Digitized by Birzeit University Library

أَتَى بك اللهُ والأَيَّامُ مُدنَفَةٌ فكُنتَ انت لها رَوْحٌ ورَيحانُ

وقال فيها لسانُ الحال عن ثِقةٍ هذا عَلَى حِكمة الرحمن بُرهانُ

اقبلتَ في مَوكِبٍ كانت تجولُ بِهِ خيلٌ لها في صُدور القومِ مَيْدانُ

والناسُ بين الرَّجا والخوفِ واقفةٌ كَموقِفٍ فيهِ للأَعمالِ ميزانُ

قد قُمتَ في جَبَلٍ منكَ النجاةُ بِهِ كذلك الفُلْكُ لمَّا فاضَ طُوفانُ

عليك رايةُ إِقبالٍ وحولكَ من مَلائكِ العَرْشِ أَنصارٌ وأَعوانُ

في راحَتَيكَ من اللُّطفِ البديعِ لنا ماءٌ ومن بأْسكَ المرهوبِ نيرانُ

لو لم يَقُدْ لكَ أَعناقَ المَلا رَهَبٌ لَقادَها منكَ إِجمالٌ وإِحسانُ

حَيَّا الحَيا حَلَبَ الشَّهباءَ كم نَبَتَت في روضِها الناضرِ الأَغصانِ أَغصانُ

هاتيكَ بُستانُ أَفرادٍ بهِ شَجَرٌ من خِصْبِهِ كلُّ عودٍ منهُ بُستانُ

يا سيفَ دولةِ عُثمانَ المنيفِ عَلَى مَن سَيفُ دولتِهِ أَنشاهُ حَمدانُ

لو ابتَغَى أَحمدُ الكِنديُّ مدحكَ لم تَقُم لهُ في وفاءِ الحقِّ أَركانُ

أَقامَ شأْنَكَ بين الناس مرتفعاً من كلِّ يومٍ لهُ في خَلقِهِ شانُ

ان كان غيرُك تكفيهِ لِمادحِهِ قصيدةٌ لم يكن يكفيكَ ديوانُ

وقال في شغبٍ ثار على الامير ملحم رسلان

بُروقٌ قد تخلَّلها رُعودُ فظُنَّ ورآءَها مَطَرٌ شديدُ

وهُوجُ عواصفٍ ثارت فكادت جِبالُ الشُّوفِ من قلقٍ تَميدُ

Digitized by Birzeit University Library

وسُحْبٌ أَطبقَت ولها دُخانٌ ... الى أَوجِ ٱلسماءِ لهُ صُعودُ
وقد ثـار العَجاجُ بارض قومٍ ... عليهم منهُ قد خفقَت بُنودُ
تَرادَفَ كلُّ ذلك ثُمَّ وَلّى ... كَذَوبِ ٱلثلجِ وانخذَلَ الحَسودُ
رَقَدنا والأَماني ٱلسُّودُ بِيضٌ ... وقُمنا والوُجوهُ ٱلبِيضُ سُودُ
اذا أَعطَى ٱلفتَى مَولاهُ عَوْنـاً ... تُقصِّرُ عن مَضَرَّتِهِ ٱلعبيـدُ
وامرُ اللهِ يَغلِبُ كلَّ أَمرٍ ... فلا مَلِكٌ يُعَـدُّ ولا جُنودُ
حَماكَ أَبا ٱلمجيدِ حُسامُ رَبٍّ ... لديهِ يُشبِهُ ٱلخَشَبَ الحديدُ
ودرعٌ نَسجُ داودٍ منيـعٌ ... بنصرِ اللهِ منَعَتـهُ تزيـدُ
لقد كثُرَت من ٱلقوم الدعاوي ... ولكن لم تُؤَيِّدهـا ٱلشُّهودُ
ولو صَحَّ ٱلكلامُ بلا بيانٍ ... بَلَغتُ من الدعاوى ما أُريدُ
عَمَدتَ فما نَدِمتَ لكَيدِ قومٍ ... لهم نَدَمٌ ولكن لا يُفيدُ
اذا حَجَرٌ رَمَيتَ بهِ عَمُودًا ... تَراهُ نحـو راميهِ يَعودُ
وكم شَرَكٍ تُصادُ بهِ ظِبآءٌ ... ولكن لا تُصادُ بهِ ٱلأُسودُ
وليسَ ٱلسيفُ يَقطَعُ في دُروعٍ ... اذا قُطِعَت بضربتِهِ الجُلودُ
وأَيُّ ٱلناس يُرضي كلَّ نفسٍ ... وبين هوَى ٱلنفوس مدًى بَعيدُ
ومن قَصَدَ الرضَى للناس طُرًّا ... كمن في الدهر يُطمعُهُ الخُلودُ
وكم شاكٍ من الرحمن حتَّى ... عليهِ ٱلكُفرُ يَغلِبُ والجُحودُ

Digitized by Birzeit University Library

يَسُنُّ لهُ الوُقوفَ عَلَى حُدودٍ فتزْعجُ نفسهُ تلك الحُدودُ

ولـهُ

نَحْنُ النَّصارَى آلُ عِيسَى المُنتمي حَسَبَ التَّأَنُّسِ للبتولةِ مَريَمِ
وَهُوَ الإلهُ ابنُ الإلهِ وروحُهُ فثلاثُـهُ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وَكذا ابنُهُ وكذا هما والروحُ تحتَ تقسُّمِ
كالشمسِ يَظهرُ جِرمُها بشعاعها وبحَرِّها والكُلُّ شمسٌ فاعلَمِ
واللهُ يَشهدُ هكذا بالحقِّ في سِفرِ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّمِ
عن آدَمٍ قد قالَ صارَ كواحدٍ منَّا بلفظِ الجمعِ من ذاكَ الفمِ
خَلَقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أَحَدٍ لخدمةِ آدَمَ المُستخدَمِ
لكنْ عَصاهُ بزَلَّةٍ لا تنمحي الاَّ بإرسالِ ابنِهِ المُتجسِّمِ
فأَتَى وخلَّصَهُ وخلَّصَ نَسلَهُ ذاكَ المخلِّصُ من عَذابِ جهنَّمِ
وشَفَى من البَلوَى وفتَّحَ أَعيُنًا وأَقامَ مَيْتًا مثلَ بالي الاعظُمِ
هٰذا مسيحُ اللهِ فادينا الذي صَلَبَتْهُ طائفةُ اليهودِ كمُجرِمِ
بطبيعةٍ بَشَريَّةٍ قد أُلِّمَتْ وطبيعةُ اللاهوتِ لم تتألَّمِ
حَمَلَ الجِراحَ بنفسِهِ متعمِّدًا حتَّى تكونَ لجُرحِنا كالمرهَمِ
قد كانَ ذلكَ منهُ طَوعًا وَهْوَ قد وافَى لهُ يَفدِي بهِ الدمَ بالدمِ
مَن قالَ للاعدا انا هُوَ فانهوَوا صَرْعَى أَليسَ بقادرٍ أَن يحتمي

Digitized by Birzeit University Library

لو لم يُرِدْ لم يأتِ قطُّ فانهُ أدرى بذا في علمهِ المُتقدِّمِ
لاهوتهُ المالي الوجودِ اذا اكتسى جسماً فهل ضررٌ لهُ بتجسُّمِ
واذا تألَّمَ هل على اللاهوتِ من ألمٍ فليس اللهُ بالمتألِّمِ
لكنهُ قد شاءَ ذاكَ لحكمةٍ سبقَتْ بغامض علمهِ المستحكمِ
فأتى المسيحُ بامرهِ متجسِّدًا من خيرِ سبطٍ في اليهودِ مكرَّمِ
متنازلاً متذلِّلاً متواضعاً متصاغرًا رُغماً على المتعظِّمِ
وهو الالهُ الاعظمُ الآتي لنا من نسلِ داودَ النبيِّ الملهَمِ
اعطتهُ توراةُ الكليمِ شهادةً وشهادةً لم تكتمِ
وكتابهُ الإنجيلُ حقٌ واضحٌ لا ريبَ فيهِ ولا سبيلَ لمتهمِ
في كلِّ طائفةٍ وقُطرٍ واحدٌ ما بين أصل عندهم ومترجمِ
كم في النصارى شيعةً قد ناقضَت أُخرى وقد حكمَتْ بما لم تحكمِ
سبعونَ او مئةٌ من الاحزابِ في خُلْفٍ على لزمٍ وما لم يلزمِ
يا طالما اختلفوا فما اتفقوا على شيءٍ سواهُ فغيرهُ لم يسلَمِ
كم آيةٍ فيهِ تخالفُ بعضهم لكن على تغييرها لم يُقدِمِ
ولئنْ اخلَّ بها فأنَّى وافقَتْ نقلَ النقيضِ ونصهُا لم يُخرَمِ
ولو استُهينَ بضبطهِ لرأيتهُ نُسَخًا بهنَّ النقلُ لم يتقوَّمِ
واذا تعطَّلَ كلُّهنَّ فقلْ لنا كيفَ الصحيحُ واينَ يُوجدُ واسلَمِ

Digitized by Birzeit University Library

والحالُ أنَّ لهُ كذا الفاً من ال ... نُسَخِ ٱلتي ٱتَّفقت بضبطٍ مُحكَمِ
يَرضَى ٱلنقيضُ نقيضهُ كنظيرهِ ... فيهنَّ وَهْوَ عليهِ غيرُ مُسلِّمِ
واذا ٱفترَضناهُ حديثاً باطلاً ... ضَبَطوهُ نقلاً كالطرازِ ٱلمُعلَمِ
كحديثِ عنترةِ ٱلفوارسِ وٱبنِ ذي ... يَزَن وبعضٍ من رجال الدَّيلَمِ
فتُرَى لَوَ انَّ الأَصمعيَّ رَوَى الذي ... نجدٌ رَواهُ من الحديثِ ٱلمُتهَمِ
وأَبا عُبَيْدَةَ مثلَهُ وجُهَينةً ... وسِواهما من كاتبٍ ومُترجِمِ
هل يستوي ٱلنقلُ الذي أَودَى بهِ ... نقضُ الرُّواةِ فصارَ كالمتهدِّمِ
ولَوِ الحَواريُّونَ نَصُّوهُ عَلَى ... قَدرٍ بمجتمعٍ لهم ومُخيَّمِ
جعلوهُ في ٱلتعبيرِ لفظاً واحداً ... لا فرقَ فيهِ لناظرِ ٱلمُتوسِّمِ
ولَوَ انَّهم كتبوا كما شاءَ الهوى ... شُقَّ ٱلكتابُ لِكذْبِهِ وبهِ رُمِي
ولكانَ في ٱلتأْريخِ ما هُوَ ضِدُّهم ... دَحضاً وضِدُّ مسيحهم كمُسيلِمِ
او كانَ سُطِّرَ بعدَ حينٍ مثلما ... قد ظَنَّ بعضُ ٱلناسِ ظَنَّ مُرجِّمِ
هل مَنْ يُصدِّقهُ ويترُكُ دينهُ ... بسَماعهِ عن حادثٍ مُتردِّمِ
واذا تقرَّر بعدَ ذلك أَنَّهُ ... هذا الصحيحُ وأَنَّهُ لم يُثلَمِ
لزِمَت بهِ ثِقَةُ الجميعِ بأَنَّهُ ... حقٌّ وغيرَ الحقِّ لم يتكلَّمِ
وٱستلزَمَ التصحيحُ إقراراً بما ... في طيِّهِ كاللازمِ ٱلمستلزَمِ
فتعيَّنَ الايمانُ فيهِ بكلِّ ما ... يَرويهِ تصديقاً بغيرِ تَوهُّمِ

وغدا المُمارِي في المسيح كأنَّهُ ... في الشمس مارَى في الضُّحى المُتبسِّمِ
وتعطَّلت آراءُ كلِّ مكذِّبٍ ... ومُفنِّدٍ ومُرجِّمٍ ومُنجِّمِ
شَهِدت عجائبُهُ لهُ في عصرهِ ... فدرَى الحكيمُ وتاهَ مَن لم يفهمِ
ولنا عليهِ أدلَّةٌ قطعيَّةٌ ... عقلاً ونقلاً ليسَ قطعَ تحكُّمِ
قد جاءَ لا بيتٌ ولا مالٌ ولا ... فرَسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدِرْهَمِ
يأوي المغارةَ مثلَ راعي الضأنِ لا ... راعي الممالكِ في السريرِ الأعظمِ
وهوَ ابنُ يُوسُفَ لا ابنُ قيصرَ عندهم ... يغزو بجيشٍ في البلادِ عرَمرَمِ
فأتاهُ من شعبِ اليهودِ جماعةٌ ... كانوا عَلَى الدِّينِ التليدِ الأقدمِ
وتبرَّأوا من دِينِ موسى صاحبِ ال ... طُّورِ المكلَّمِ في الغَمامِ الأدهمِ
وتباعَدوا من قومهم بمذلَّةٍ ... يأبونَ كلَّ كرامةٍ وتنعُّمِ
وتعلَّقوا بحبالِ مسكينٍ أتَى ... بالذُّلِّ مثلَ السائلِ المُسترحِمِ
قالوا هُوَ ابنُ اللهِ جهرًا والعِدَى ... من حولهم مثلُ الذِّئابِ الحُوَّمِ
والناسُ بينَ عواذلٍ وعواذرٍ ... لهمُ وبينَ مُحلِّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيهِ أسيفُهُ ... ام جاههُ ام مالُهُ في الانعمِ
هُوَ ساحرٌ يُطغي فقالوا لم نَجِدْ ... من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطَلْسَمِ
كانت رِجالُ اللهِ تُحيي ميِّتًا ... بصلاتها ودُعائها المُتقدِّمِ
ونراهُ يُحيي المائتينَ بأمرهِ ... فهوَ الالهُ ومَنْ تشكَّكَ يَندَمِ

Digitized by Birzeit University Library

ولئنْ همُ انخدَعوا لغفْلتِهم فقد ضعفتْ عقولهُمُ كمَنْ لم يعلمِ
فترَى بما خدَعوا البلادَ ومَن بها من عالمٍ يُفتي ومن متعلّمِ
فاذا اعتبَرْنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقّ وجهُ الحقّ غيرَ ملثّمِ
وهوَ الدليلُ لنا علَى إثباتهِ كالشمسِ تطلُعُ في سماءِ الأنجمِ
ولكلّ معترضٍ علينا منّةٌ ان كانَ يدحضهُ بقولٍ ملزمِ

وقال عن لسان صاحبٍ له يمدح احد ارباب المناصب بالقدس الشريف

اذا أعيت مُكافأةُ الجميلِ فلا تغفلْ عن الشكرِ الجزيلِ
وأوفَى الشكرِ ما أعلنتَ خطًّا فذاكَ يدومُ جيلاً بعد جيلِ
عليَّ ديونُ شكرٍ ليسَ تُقضى ولو قُسمتْ علَى دهرٍ طويلِ
ولكن ربُّها سمحٌ كريمٌ فيعذرُني ويرضَى بالقليلِ
علَى القدسِ الشريفِ لنا سلامٌ يُردّدُ في الصباحِ وفي الأصيلِ
لقد نزلَ الشريفُ علَى شريفٍ فأكرِمْ بالمنازلِ والنزيلِ
رسولٌ لو جهلنا مُرسليهِ أرانا فضلَهم فضلُ الرسولِ
وهل يخفَى الصباحُ علَى بصيرٍ فيحتاجَ النهارُ الى دليلِ
لنا من فيضِ غيرتهِ رواقٌ نعمنا منهُ في ظلٍّ ظليلِ
يفيضُ بكلّ عامٍ نيلُ مصرٍ ومنهُ كلَّ يومٍ فيضُ نيلِ
وليسَ الجودُ بالأموالِ جودًا ولكن بالبشاشةِ والقبولِ

Digitized by Birzeit University Library

اذا كان الكريمُ عَبُوسَ وجهٍ فما أحلَى البَشاشةَ في البخيلِ

وقال في مثل ذلك معرّضاً بذكر اغراضٍ

دَعْني فلستُ عَلَى الزمانِ بعاتبِ ليسَ الزمانُ كما علمتَ بصاحبِ
واذا وعدتَ النفسَ فيهِ براحةٍ وَعَدتْكَ أَن تُثنَى بخَجْلةِ كاذبِ
كَثُرت نوائبُهُ عليَّ وانّما أَلفيتُ منها مَلجَأً للهاربِ
مولًى ظَفِرتُ بوُدّهِ متباعداً فرَجوتُ منهُ وسيلةَ المُتقاربِ
وطَمِعتُ منهُ عَلَى البِعادِ بضَوئِهِ اذ تلك عادةُ كلِّ نجمٍ ثاقبِ
هو عِصمةُ الداعي وغَوثُ الملتجي وكِفايةُ الراجي وكَنزُ الطالبِ
في كفّهِ البيضاءِ خمسُ انامِلٍ يدعونها في الأَرض خمسَ سَحائبِ
تُروي القريبَ من الجوانب حَولها وتَسوقُ عارضَها لأَبعدِ جانبِ
مولايَ إني قد دعوتكَ دَعوةً بلسانِ قلبٍ لا لسانِ مُخاطبِ
نَقَشَ الرَّجاءُ عَلَى فُؤادي أَسطُرًا أَجلَى وأَثبَتَ من مِداد الكاتبِ
ما ضَرَّنا ان كُنتَ استَ بحاضرٍ فينا وفضلُ نَداكَ ليسَ بغائبِ
في قُبّةِ الأَفلاكِ بدرٌ واحدٌ يكفي لضوءِ مَشارقٍ ومَغاربِ
قُلّدتَ سيفَ نيابةٍ شرَّفتَهُ حتى أَريتَ الناسَ فضلَ النائبِ
للسيفِ فضلٌ في المَضاءِ وإنّما لا يَقبَلُ الإنكارَ فضلُ الضاربِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال في جواب رسالةٍ من بعض اصحابهِ وهي آخر ما كتبهُ بخطهِ

رِسالةُ فاضلٍ وَرَدَت فكانت ... أَحَبَّ اليَّ من تُحفِ الهَدايا
أَبانت عن مَوَدَّتهِ صريحاً ... وعمَّا فيهِ من كَرَمِ السجايا
فَضَضتُ ختامَها فلقيتُ منهُ ... لَطائفَ أَبرزَت سعدَ الخَبايا
وأَبدَى طَيُّها سِرًّا بديعاً ... يُنادي كم خَبايا في الزوايا
لئِن تكُ غيرَ صادقةٍ بمدحي ... لقد صَدَقَت باخلاص الطَّوايا
وحقَّ لهُ الثناءُ عَلَى صِفاتٍ ... فَضائلها مُسلَّمةُ القضايا
انا كالآلِ يُحسَبُ عينَ ماءٍ ... فتتَّخذُ العِطاشُ لهُ الرَّوايا
وقد يُغني التوهُّمُ عن يقينٍ ... وحُسنُ الصِّيتِ عن حُسن المزايا
مَضَى مَن كان للتقريظ أَهلاً ... وأَدبَرَ كُلُّ طَلاَّعِ الثَّنايا
وقد عاد التُرابُ الى تُرابٍ ... وأَصبحَتِ المُنَى بيدِ المَنايا
اتى مَن قبلَنا دُنياهُ بِكرًا ... فأَدرَكَ عندها بِكْرَ العَطايا
فكان القومُ في الدُّنيا ملوكاً ... ونحن اليومَ من بعض الرَّعايا

وقال يجيب فرنسيس افندي المرَّاش عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ بعد اعتلالهِ يعزّيهِ عن مرضهِ ويشكو اليهِ داءً اصابهُ في عينيهِ

طالَ النوَى وتوالَى الدهرُ والأَمَدُ ... بعد الفراق وقلَّ الصبرُ والجَلَدُ
والصبرُ لو أَنَّهُ في ذاتهِ عَسَلٌ ... لصارَ كالصبر مما طالتِ المُدَدُ

Digitized by Birzeit University Library

تَعَمَّدَ الدهرُ لي سُوءًا بُليتُ بهِ ... والدهرُ ليسَ بناجٍ عندهُ أَحَدُ
قد كان لي جَسَدٌ قبلاً أَعيشُ بهِ ... واليومَ قد صار نِصفاً ذلك الجَسَدُ
والحمدُ للهِ شكوَى الجسم هيّنــهُ ... ما دامَ يَسلَمُ منّا العقلُ والرَّشَدُ
فليس يَجزَعُ من في كفّهِ شَلَلٌ ... وليس يَجزَعُ من في عينهِ رَمَدُ
لَنا بذي الأَرضِ أَيّامٌ تمرُّ بنا ... أَحداثُها كبريدِ الخيلِ تَطَّرِدُ
وكلُّ أَمرٍ لهُ في دهرنا أَجَلٌ ... فلا يدومُ بهِ صفوٌ ولا كَمَدُ
حُلمٌ تَروَّعَ تحتَ الليلِ ناظِرُهُ ... فزالَ عندَ انجلاءِ الصُّبحِ ما يَجِدُ
مَن ليسَ يَملِكُ في دفعِ البَلاءِ يدًا ... فما لهُ في سِوَى الصبرِ الجميلِ يدُ

وقال وقد اجاب بها الشيخ حسين افندي النجدي عن ابياتٍ ارسلها اليهِ

سلامٌ عَلَى وادي الأَراكِ وحاجرٍ ... وما ثَمَّ من ظبيٍ انيسٍ ونافرِ
ديارٌ لنا فيها من العُرْبِ جيرةٌ ... كِرامُ جِوارٍ من كرامِ العَشائرِ
لقد حالَ عهدُ الوصل منّا ومنهم ... وما حالَ عهدُ الحبّ بين الضمائرِ
يُذكّرُنيهِم كلّما لاحَ بارقٌ ... من الحيّ يَستَسقي سَحابَ المحاجرِ
وبي ظبياتٌ في الكثيب تمايَلت ... تَصولُ بأَهداب العُيونِ السواحرِ
فَواترُ أَجفانٍ فتَكنَ بمهجتي ... فَوَيلاهُ من فتْك الجفون الفواترِ
عليهنَّ وشيٌ للمطارفِ مُذهَبٌ ... يلوحُ عَلَى وَشيٍ من الحُسن باهرِ
فأُعجِبتُ بالوَشيَين حتى تَلَجَّجت ... خريدةُ حسنٍ نُزِّهَت عن نظائرِ

Digitized by Birzeit University Library

نِزاريَّةٌ نَجديَّةٌ رَبَعيَّةٌ عليها رِداءٌ من طِراز المَحابرِ
أَتتنيَ من نحو الحُسَين فأَبرَزَت مَحاسنَ لُطفٍ شوَّقَت كلَّ ناظرِ
أَبانت صفاءَ السِّرِّ منهُ وأَكَّدَت صحيحَ وِدادٍ باطنٍ فيهِ ظاهرِ
سقَى اللهُ نجدًا والسلامُ مكرَّرًا عَلَى أَوَّلٍ من ارض نجدٍ وآخرِ
أَلا إنَّ نجدًا للذَّخائر مَعدِنٌ نَعَمْ إنَّ نجدًا مَعدِنٌ للذَّخائرِ
الى الدهر من آثار بَكرٍ وتَغلِبٍ إفاضةُ ذِكرٍ في المَحافِلِ دائرِ
أَلا حَبَّذا من أَرض نجدٍ نَسيمةٌ وجُرعةُ ماءٍ من شُبَيث الجَآذِرِ
ويا حَبَّذا ماءَ الجِفارِ وحَبَّذا رُبوعُ تميمٍ والعِراقِ المُجاوِرِ
أَشوقُ الى تلك الديار وذكرها عَلَى بُعدها شوقَ الغريب المُسافرِ
وإِني لَذو مَشطورِ جسمٍ من الضَّنَى وقلبٍ صحيحٍ كاملِ الرأْيِ وافرِ
كثيرُ المُنَى لكن قليلٌ بُلوغها وإِنَّ الأَماني من تَعلَّةِ قاصرِ
جَليدٌ عَلَى البلوَى صَبورٌ وإِنَّني على غير جَهْد الصبر لستُ بقادرِ
ولا ريبَ أَنَّ الصبرَ في الذوق مُرَّةٌ مَواردُهُ في النفس حلوُ المَصادِرِ

وقال يهنئُ الامير ملحم رسلان برتبة شرفٍ وُجِّهت اليهِ

لكلِّ قلبٍ حبيبٌ ظلَّ يَهواهُ وأَعظمُ الحبِّ فيهِ حبُّ دُنياهُ
وكلُّ صَبٍّ سيسلو دون عاشقها فذاك يبقى هواها طيَّ أَحشاهُ
تَلبَّسَ الناسُ بالأَخلاق واشتَبَهوا فالكلُّ قبلَ اختبار النَّقْد أَشباهُ

Digitized by Birzeit University Library

ومَن تَصدَّى لدعوَى دون بيِّنةٍ ... لصدقهِ سَقَطَت في الحال دَعواهُ

والناسُ صِنفان ذا لحمٌ يَضُمُّ دمًا ... وذا على أَصلهِ طينٌ وأَمواهُ

والبعض نُطقٌ وآدابٌ ونادرةٌ ... والبعض أَلسنةٌ تلغو وأَفواهُ

تَداوَلَ الشِّعرَ قومٌ جاءَ بعضُهمُ ... بلفظهِ وأَتى بعضٌ بمَعناهُ

كمَعدِنٍ نال منهُ بعضُنا ذَهَبًا ... والبعضُ نال تُرابًا من بقَاياهُ

ان التَّجارِبَ نَقدٌ للرِّجال فكم ... قد غرَّنا صاحبٌ حتَّى اختبرناهُ

ولم نَجِد كبني رَسلانَ من فئةٍ ... تَرعى وِدادَ صديقٍ ليس تَنساهُ

قومٌ لهم كَرَمُ الأَخلاق عن سَلَفٍ ... كمُورِثٍ خَلَفًا دارًا لِسُكناهُ

بَنَوا من المجد بُرجًا فوق أَعمدةٍ ... ومُلحِمٌ زادهُ قصرًا وأَعلاهُ

مجدٌ قديمٌ لهُ بَهراءُ مُرضِعةٌ ... بين العِراقَينِ والنُّعمانُ رَبَّاه

لا بِدعَ في الرُّتبةِ الأُولى اذا وَفَدَت ... من جانب الدولة العُظمَى لمَغناهُ

فهو الحريصُ عَلَى إحكام خِدمتها ... بحُكم حقٍّ وعدلٍ منهُ تَرضاهُ

نُهدي الاميرَ التهاني والهَناءَ لنا ... بما بهِ جاد مَوْلانا ومَوْلاهُ

لنا خزانةُ عِزٍّ عندهُ فاذا ... زادت فمهما يَزِدْ فيها أَقتَسَمناهُ

كَرامةُ الرأس للأَعضاءِ شاملةٌ ... كذاكَ والي الرعايا مع رَعاياهُ

وقال يرثي المرحوم يوسف الجلخ الطبيب المتوفَّى سنة ١٨٦٩

نحن التُّرابُ الى تُرابٍ نَرجعُ ... وهُناك نحصدُ تحتهُ ما نَزرَعُ

Digitized by Birzeit University Library

يا جامِعَ الأموالِ طولَ حياتِهِ ... اين الذي بالأمسِ كنا نَجمعُ
لو كانت الدُّنيا لشخصٍ واحدٍ ... ما زال في طَلَبِ الزيادةِ يَطمعُ
فاذا أتاهُ الموتُ أفرَغَ مُلكَهُ ... منها فصار بقيدِ باعٍ يَقنعُ
من صالحِ الأعمالِ حبَّةُ خردلٍ ... أغنى من الكنزِ العظيمِ وأنفعُ
هذا رفيقُكَ في الطريقِ وغيرُهُ ... يمضي فليسَ تراهُ حينَ تُودِّعُ
ما لي أُناديهِ واعظاً وانا الذي ... أحتاجُ وَعظاً للمسامعِ يقرَعُ
اني ارَى عِبَراً كأنّي لا ارَى ... واذا سمعتُ كأنني لا أسمعُ
كم ناصحٍ يَنهَى أخاهُ عن الذي ... هُوَ كلَّ يومٍ لا محالةَ يَصنعُ
ما زالَ يَعذِرُ نفسَهُ في فعلهِ ... ويلومُ فاعلَهُ عليهِ ويَردَعُ
دُنياكَ أشبَهُ بالعروسِ تبَرُّجاً ... لكن علينا لا عليها البُرقُعُ
فتّانةُ الألبابِ تخدَعُ أهلَها ... كالسِّحرِ يُطغِي مَن يَراهُ ويَخدعُ
شابت كما شِبنا ولم يكُ عندنا ... للزُّهدِ والسُّلوانِ عنها مَوضِعُ
في قلبِ كلِّ فتىً عليها صَبوةٌ ... تلقى صبابتُها الرُّؤوسَ فتصدعُ
واذا الصَّبابةُ خيَّمت في ساحةٍ ... ضاقت بموكبِها الجهاتُ الأربعُ
غلَبَت صبابتُنا العُقولَ فنالنا ... شبهُ الجُنونِ بهِ نقومُ فنُصرَعُ
والشيخُ أشبَهُ بالغُلامِ كلاهما ... حتَّى الممات بها شجيٌّ مُولعُ
يا يوسفَ الجلخِ الذي فارقتنا ... أسفاً فراقَ مهاجرٍ لا يَرجعُ

أَنتَ الرحيمُ عَلَى ضريحكَ رحمةٌ تَسقي ثَراهُ كما سقَتــهُ الأَدمعُ
قد كنتَ ترفقُ بالفقير ولم يكُنْ في مالِ أَربابِ الغِنَى لك مَطمَعُ
والأُنسُ عندكَ واللطافةُ رُبَّمــا تَشفي المريضَ بطيبِ نفسٍ تصنَعُ
خُلُقٌ تخلَّفَ عن أَبيكَ وَرِثتَهُ مُذ كنتَ في الأَحضانِ طِفلاً تُرضَعُ
ما زال يَدفَعُ طِبُّكَ الداءَ الذي لما اصابكَ لم تَجِدْ مـا يَدفَعُ
لبَّيتَ فَوْرًا دعوةَ المَلِكِ الذي كلُّ النفوس لهُ جميعـاً تَخضَعُ
وقَبِلتَ طَوعًا أَمرَ مَن أَرضيتَهُ وعَلَى رِضاهُ مَضَى زمانُكَ أَجمَعُ
لو كان يَبقَى مَن تَوَدُّ الناسُ ان يحيا بَقِيتَ ولم يمسَّكَ مَصرَعُ
لكن عَهِدنا البينَ في غَفَلاتِهِ يَنسَى الذين حياتُهم لا تَنفَعُ

وقال يمتدح شيخ الاسلام

شابَ شَعري نظيرَ ما شابَ شَعري فبياضُ العِذار بيَّضَ عُذري
كان لي في الشبابِ ليلٌ ولكن أَيُّ ليلٍ يكون من غير فجرِ
ولقد قصَّرَت طِوالُ الليالي همَّتي فانتشا من الطول قِصري
كنتُ صخرًا لدَى الشَّباب ولكن صرتُ لما فقَدتُهُ أُختَ صخرِ
طالَ صبري عَلَى الحوادثِ حتى صار جاري دمي عُصارةَ صبرِ
ضَرَبَتني فأَلَّمت لا كضربٍ دارَ في النحو بينَ زيدٍ وعمرِو
ضاقَ صدري وما شكوتُ لأَني لم أَنَلْ بالشكوى سوَى ضيقِ صَدْري

Digitized by Birzeit University Library

وتمنّيتُ طيبَ نفسٍ فقالوا عند شيخِ الإسلام ذلكَ فادْرِ
لُذْ بأنفاسهِ الشريفةِ واغنَمْ بَرَكاتٍ لهُ من العرشِ تجري
واستلِمْ رُكنهُ الذي لكَ منهُ يومُ عيدٍ تليهِ ليلةُ قَدرِ
طورُ علمٍ لربّهِ يتجلّى كلَّ يومٍ عليهِ من دون سترِ
أطعمَ المنَّ لفظُهُ كلَّ سَمْعٍ وعَصاهُ تلقَّفت كلَّ سِحْرِ
قَطرةٌ من نَداهُ بحرٌ ويومٌ من رِضاهُ اجلُّ من الف شهرِ
ولنا منهُ نَظرةٌ هيَ تِبْرٌ تِبرُنا عندهُ قُلامةُ ظُفرِ
بحرُ علمٍ يسقي شراباً طهوراً عندهُ صار جَدولاً كلُّ بحرِ
يَغمرُ اليَمنُ منهُ ملكاً كبيراً لكبيرٍ في الارضِ مالكِ أمرِ
مَلِكٌ عندهُ لذي العلمِ جاهٌ كصنيعِ الرسولِ مع آلِ بدرِ
عبدُ عبدِ العزيز عبدٌ عزيزٌ يزدهي عِزَّةً عَلَى كلِّ حُرِّ
كلُّ قلبٍ لم ينصرفْ عن وَلاهُ بات وَهْوَ الأَمينُ من كلِّ كسرِ
هذهِ الدولةُ التي يشتهيها كلُّ أهلِ الزمانِ من كلِّ عصرِ
ان تكنْ كلُّ دولةٍ بيتَ شعرٍ فَهْيَ حرفُ الرَّويِّ من كلِّ شعرِ
ليسَ نفسٌ لا تعرفُ البخلَ الاَّ نفسُ عبد العزيز كنزي وذُخري
ذاكَ لولاهُ ما نطقتُ بحمدٍ لكريمٍ ولا دريتُ بشُكرِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال يرثي عزيز قوم توفي

قضى في خَلقهِ ذو العرشِ أمرا ... فصبرًا أيُّها المحزونُ صَبْرا
لَعَمرُ اللهِ إنَّ الصَّبرَ مرٌّ ... وأكثرُ ما أفادَ يكونُ مُرًّا
وكلُّ حلاوةٍ طَعْمٌ شهيٌّ ... وأكثرُها وَجَدناهُ مُضِرًّا
رماكم يا كِرامَ الناس سهمٌ ... أصابَ فتىً سليمَ القلب حُرًّا
مَضَى عَجَلاً وخلَّفَ طُولَ حزنٍ ... يدومُ عليهِ في الأحياءِ دهرا
هو الغصنُ الذي جنَتِ المنايا ... عليهِ بقصفهِ ظُلمًا وغدرا
أبَرُّ مُهذَّبٍ قولاً وفعلاً ... وأفضلُ مُخلِصٍ سرًّا وجهرا
عليكم بالتأسِّي فهو طِبٌّ ... بهِ داءُ الأسَى في القلب يَبرا
أقامَ الدودُ ينهشُ قلبَ صخرٍ ... وقامت تندبُ الخنساءُ صخرا
فأفنَى الدهرُ صخرًا في بِلاهُ ... وراحت أدمعُ الخنساءِ هَدْرا
لكلِّ هياكلِ الأرواحِ هدمٌ ... ولو فسَحَت لها الأيَّامُ عُمرا
وعيشُ المرءِ حُلمٌ قد تقضَّى ... فأعقبَ حسرةً وأطالَ ذِكرا
وذاكَ طريقُنا نمشي عليهِ ... الى دارٍ ورآءَ القبرِ أُخرَى
لَعَمرُكَ إنَّهُ سَفَرٌ طويلٌ ... تفانَى قيصرٌ فيهِ وكِسرَى
فطُوبَى للذي يَعتدُّ زادًا ... لهُ حتى يُصيبَ لهُ مقرًّا
سلامُ اللهِ من أعلَى سَماهُ ... عَلَى صفحاتِ ذاكَ الرمسِ يُقرا

Digitized by Birzeit University Library

حَوَى بـدرَ ٱلتمامِ وهل سمعتم ببدرٍ أَنزلتـهُ ٱلنَّاسُ قبرا
سقتهُ مراحمُ الرحمن سُحبـاً مُؤَرَّخـةً وغيثُ الجُود قطرا

سنة ١٨٧٠

وقال يمدح نصرالله فرنكو باشا متصرف جبل لبنان

بُشراكَ بالخير يا لُبنانُ بُشراكا نصرٌ عزيزٌ من ٱلباريـ تولاكا
أَقمتَ في ظلِّهِ ٱلمسعودِ مُغتبطاً فلم تكن نُوَبُ الأَحداثِ تغشاكا
هذا الوزيرُ الذي أعتزَّت بمنصبهِ رُباكَ حتَّى غدتَ في الارض أَفلاكا
التاركُ ٱلسيفَ في أَيدي ٱلطُّغاةِ عصاً والتاركُ الصَّعْدَةَ السمراءَ مِسواكا
والمحسنُ ٱلصُّنعَ في سرٍّ وفي علَنٍ للخيرِ مُلتزماً للشرِّ تركاكا
لهُ ٱلتصرُّفُ في لُبنانَ مُحتكماً في الأَمرِ والنهيِ إطلاقاً وإمساكا
يَقظانُ هذَّبَ فيهِ كلَّ ذي أَوَدٍ حتَّى تظُنَّ وُعولَ النيقِ نُسَّاكا
أَضحى بـهِ جنَّةً طابت مَغارسها فلم تكَدْ تُنبتُ الصحراءُ أَشواكا
يا سيداً قصرَّت فِكري مَعارجُهُ فما أَنالُ لهُ بالوصفِ إدراكا
أَعطاكَ ذو العرشِ حظّاً في الأَنامِ بهِ فُزنا بأَسنَى العَطايا حينَ أَعطاكا
فلا تزَلْ في حِمانا غَيثَ مَعدِلةٍ تُحيي البلادَ بما أَجرَتهُ كفّاكا
حتَّى نقولَ جِبالُ الارضِ حاسدةً لُبنانَ يا ليتَنا إيّاكَ طُوباكا

وقال يرثي المرحوم خليل مشاقة المتوفَّى سنة ١٨٧٠

لَعَمرُكَ ليسَ في الدُّنيا خليلُ يدومُ ولا يُقيمُ بهـا نزيلُ

فُرادَى او جُموعًا كلَّ يومٍ لنا عنها الى الأُخرَى رحيلُ
لنا في ارضنا عمرٌ قصيرٌ ولكن عندنا أَملٌ طويلُ
وآمالُ الفتَى اوهامُ فكرٍ تلوحُ لهُ ويمتنعُ الحصولُ
رحيلٌ ممكنٌ في كلِّ يومٍ يُعارِضُهُ بقاءٌ مُستحيلُ
وكلٌّ حينَ دَعْوتِهِ يُلبّي اذا ما جاءَهُ ذاكَ الرسولُ
كما لملوكنا دُوَلٌ علينا عليهم للقضا دُوَلٌ تدولُ
وقد يتقدَّمُ المَلِكُ المُعلَّى وقد يتأَخَّرُ العبدُ الذَّليلُ
مَلِلتُ نَوائبَ الايّامِ حتَّى غَضِبتُ بها عَلَى عيشٍ يطولُ
حياةٌ شابَها كَدَرٌ كثيرٌ وفي أَثنائها صفوٌ قليلُ
وكُنتُ تركتُ نظمَ الشعرِ دهرًا لحالٍ دونَ مأْخَذِهِ تَحُولُ
وما أَنا والقريضُ وصِرتُ شطرًا فراحَ هناكَ ميزاني يَعُولُ
ولم يَكْفِ النوائبَ شطرُ جسمي فقلبي اليومَ مشطورٌ عليلُ
لقد نُعِيَ الخليلُ صباحَ يومٍ بهِ كَثُرَ التلهُّفُ والعويلُ
خليلٌ كانَ لي نِعْمَ المُصافي تَلاقَى الأُنسُ فيهِ والجميلُ
وكان وِدادُهُ الذَّهبَ المصفَّى يزيدُ جلاءَهُ الزَّمَنُ المحيلُ
أَفَلتَ اليومَ يا نجمَ الدَّياجي عَلَى عَجَلٍ وما حانَ الأُفولُ
دهاكَ البينُ في أَندَى شَبابٍ كغُصنِ البانِ أَدرَكَهُ الذُّبولُ

تركتَ بني مُشاقةَ في نُواحٍ ... عليهِ الصُّبحُ يمضي والأَصيلُ
بكَوكَ بأَدمعٍ نَفِدَت وجَفَّت ... فكانَ من الدِّماءِ لها بديلُ
ومثلُكَ مَن يَقِلُّ الدمعُ فيهِ ... ولو أَنَّ السَّحابَ لهُ مسيلُ
عَهِدتُكَ ليسَ تَغفُلُ عن مُنادٍ ... اذا ما نابَهُ الخَطبُ الثقيلُ
وتَجهَدُ في منافعِ كُلِّ داعٍ ... كأَنَّكَ بالنجاحِ لهُ كفيلُ
وفيكَ معَ الشَّبابِ وَقارُ نفسٍ ... رَصينٌ ليسَ تبلُغُهُ الكهولُ
وجاهٌ عندَ أَهلِ الجاهِ يسمو ... ومنزلةٌ لها شأْنٌ جليلُ
سَليلُ أَبيكَ ابرهيمَ حَسْبي ... وحَسْبُكَ حيثُ أَنتَ لهُ سَليلُ
حَيِيَ بكَ ذِكرُهُ المشهورُ فينا ... فزالَ وذِكرُهُ ما لا يزولُ
وبينكما معَ النَّسَبِ اشتراكٌ ... بتسميةٍ لها الشَّرَفُ الجَزيلُ
فكُنتَ نظيرَهُ قبلاً وأَمسَى ... بفِردَوسِ البَقا لكما حُلولُ
فقُلتُ مؤَرِّخاً بأَجَلِّ دارٍ ... امامَ العرشِ قد قامَ الخليلُ

وسُئِل ابيات استغاثة تُنقَش في دارٍ لبعض الاكابر فقال

دَعوتُ جنابَ الدُّجى مولايَ مُبتَهِلا ... وَهُوَ المجيبُ لمن نادى ومَن سَأَلا
يا أَرحمَ الراحمينَ المستغاثَ بهِ ... عندَ البَلاءِ الذي قد ضيَّقَ السُّبُلا
انّي عَلَى جودكَ الطامي اتَّكلتُ وهل ... يخيبُ عبدٌ عَلَى ألطافِكَ اتَّكلا
انت القديرُ الذي تُخشَى مَهابتُهُ ... وترجُفُ الأَرضُ منهُ والسما وَجلا
مَن ذا الذي ليسَ يَخشَى منكَ مرتعداً ... خوفاً ولو كانَ يحكي قلبُهُ الجبَلا

Digitized by Birzeit University Library

ومَن يَحُلُّ أُمورًا انتَ عاقدُها ... ومَن يَرُدُّ قضاءً منكَ قد نَزَلا

انتَ الكريمُ الذي من فضلِ نعمتِهِ ... يُرجَى العطاءُ وأَمَّا من سِواكَ فلا

انت الحليمُ الذي يُرجَى تجاوُزُهُ ... عن جهلِ عبدٍ أَساءَ القولَ والعَمَلا

مَن رامَ ان يَبتني قصرًا يدومُ لهُ ... فليَبْنِ عندَكَ قصرًا في السماءِ عَلا

ومن ارادَ الغِنَى الباقي لهُ ابدًا ... يَطلُبْ غِناكَ ولا يَبغي بهِ بَدَلا

وله في رثاءِ ولدهِ المرحوم الشيخ حبيب وهي آخر شعرٍ قالهُ

ذَهَبَ الحبيبُ فيا حُشاشةُ ذُوبي ... أَسَفًا عليهِ ويا دُموعُ أَجيبي

ربيتُهُ للبينِ حتى جاءَهُ ... في جِنحِ ليلٍ خاطفًا كالذيبِ

يا أَيُّها الأُمُّ الحزينةُ أَجمِلي ... صبرًا فانَّ الصبرَ خيرُ طبيبِ

لا تَخلَعي ثوبَ الحِدادِ ولازمي ... ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوبِ

هذا هُوَ الغُصنُ الرطيبُ اصابهُ ... سهمُ القضاءِ فماتَ غيرَ رطيبِ

مَن للكتابةِ والحسابةِ بعدَهُ ... ولصحَّةِ التدبيرِ والتدريبِ

لا أَستحي ان قُلتُ قَلَّ نظيرُهُ ... بينَ الرجالِ فلستُ غيرَ مُصيبِ

والمرءُ يُطلِقُ في الكلامِ لسانَهُ ... ان كانَ لا يَخشَى من التكذيبِ

إِنّي وَقَفتُ عَلَى جَوانبِ قبرِهِ ... أَسقي ثراهُ بمدمعي المصبوبِ

ولقد كتبتُ لهُ عَلَى صفَحاتِهِ ... يا لَوعتي من ذلكَ المكتوبِ

لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبَّةٌ ... عندي لأَنَّكَ قد حَوَيتَ حبيبي

Digitized by Birzeit University Library

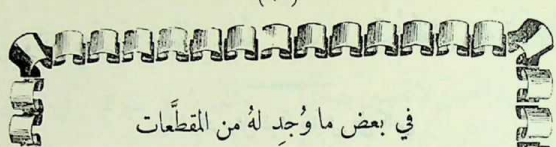

في بعض ما وُجِدَ لهُ من المقطَّعات

قال في جواب تقريظٍ اتاهُ من محمود افندي نسيب ناظر ديوان دمشق

لله يا فاضلاً تحيا النفوسُ بهِ ... لُطفاً ويخضرُّ من أنفاسهِ العُودُ
شكرتُ فضلكَ يا محمودُ معترفاً ... بهِ فأنتَ على الوجهين محمودُ

وله في مثل ذلك معرِّضاً بمعانٍ في نفسهِ

دعوتَ شعرَكَ تقريظاً وكانَ على ... ميتٍ فبالحقِّ سمَّيناهُ تأبينا
فقالَ قد كانَ ميتاً قبلَ ذاكَ وقد ... أحييتَهُ اليومَ تهذيباً وتزيينا
يا باذلاً كنزَ علمٍ ما لهُ رَصَدٌ ... والكنزُ مما اقتضى صوناً وتحصينا
الناسُ تمنحُ اموالاً نضلُّ بها ... وانتَ تمنحُ ابصاراً فتهدينا
هذه نتيجةُ فكرٍ شفَّهُ كَمَدٌ ... فاختارَ أوصافكَ الحُسنى رياحينا
هديَّةُ الشعراءِ الشِّعرُ ما برحَت ... تُهديهِ حيناً وتُهدَى مثلَهُ حينا

وقال في صديقٍ له اهداهُ هديةً

أهديتَ مما في يديكَ محبةً ... فعليَّ أنْ أُهديكَ مما في فمي
أُهديكَ حمدَ الشاكرينَ فانهم ... قد قابلُوا بالحمدِ جودَ المُنعِمِ

Digitized by Birzeit University Library

واذا عَدَلتَ هديَّةً بهديَّةٍ ما زال حُكمُ الفضلِ للمُتقدِّمِ

وله وقد سئل شيئاً ينقش على كاس

بالماءِ يحيي الأرضَ مولاكَ الذي جمعَ المياهَ الى قرارٍ واحدِ
ولذاكَ قالَ ينالُ أجرًا من سقى باسمي أخاهُ كأسَ ماءٍ باردِ

وقال مقرظاً كتاب رحلةٍ لسليم بسترس

يا حسنها من رحلةٍ تُغنيكَ عن تعبِ الرحيلِ وغربةِ المتغرّبِ
فيكونُ فكرُكَ في البلادِ مسافرًا ويكونُ جسمُكَ ثابتاً لم يذهبِ
للهِ منشئها اللبيبُ فانهُ شرحَ الصدورَ بشرحهِ المستعذبِ
يُعطيكَ مرآةَ البلادِ جليَّةً فترى بها المحجوبَ غيرَ محجّبِ
فكأنهُ نقلَ البلادَ اليكَ او أنتَ انتقلتَ الى بلادِ المغربِ

وقال مقرظاً كتاب روضة الادب في طبقات شعراء العرب لاسكندر آغا ابكاريوس

رسالةٌ ليسَ قاريها بذي مللٍ وتحفةٌ ليسَ شاريها بمغبونِ
تضمّنت من بديعِ الشعرِ أحسنَهُ نظماً فكانت كديوانِ الدواوينِ
هديّةٌ من كريمٍ طابَ عنصرُهُ لهُ من الله اجرٌ غيرُ ممنونِ
فيها خزائنُ تبرٍ غيرُ مغلقةٍ عن طالبيها ودُرٌّ غيرُ مكنونِ
ربيبةٌ في براري القفر قد نشأت من أينَ جاءت باثمارِ البساتينِ

Digitized by Birzeit University Library

وَهْيَ ٱلعروسُ جلاها اهلُ باديةٍ تزهو بوَشْمٍ كفى عن كلِّ تزيينِ
هم صُورةُ الحُسن لا تحسينَ يدخلُها والحُسنُ في غيرهم يأتي بتحسينِ
والوَردُ إنْ أَشبهَ ٱلنسرينُ منظَرَهُ فأَينَ من ريحِ وردٍ ريحُ نسرينِ

وله في كتاب مفتاح المصباح للمعلم بطرس البستاني

هذا الكتابُ كبيرُ ٱلنفعِ مع صِغَرٍ في حجْمِهِ فهْوَ للسارينَ مِصباحُ
الصرفُ والنحوُ أَبوابٌ وأَنفعُ مـا تُقدِّمُ ٱلناسُ للأَبوابِ مِفتاحُ

وله ايضاً في اهداء الكتاب المذكور الى فؤاد باشا اقترح ذلك عليه مؤلفه

نِعمَ الهديَّةُ يهتدي الساري بها فقدِ ٱلتقَت فيها الهديَّةُ والهُدى
قامت بمصلحةٍ لطالبها كمَن تُهدَى اليهِ كلاهُما يُروي ٱلصَدى
هذا فؤادُ ٱلملكِ صَدْرُ رجالِهِ والصَّدرُ أَهلٌ للفؤادِ فما أعتدَى
وعلى رُبَى لُبنانَ منهُ نعمةٌ يبقَى لها ذِكرٌ عَلَى طول ٱلمدَى
أَلقَى عليهِ الله سابغَ ظِلِّهِ وحماهُ من كيدِ ٱلنوائبِ والعِدى

وله وقد زار قلعه بعلبك سنة ١٨٦٧

عندَنا في مدينةِ الشمسِ بُرجٌ بُرجُها عندَهُ ضئيلٌ حقيرُ
ليسَ للشمسِ في ٱلسماءِ نظيرٌ ولهذا في الأَرضِ ليسَ نظيرُ
أَعظَمُ المُعجزاتِ أَيسَرُ شيءٍ منهُ باعُ ٱلمُلوكِ عنهُ قصيرُ

Digitized by Birzeit University Library

آيةٌ في صحيفةِ الدهرِ منها كلُّ حرفٍ يقولُ جلَّ القديرُ

وقال مقرّظًا ديوان عنترة وقد جمعهُ بعض الفضلاء

ديوانُ عنترةَ العبسيِّ نادرةٌ في كلِّ عصرٍ يفوق البدوَ والحضرا
انْ لم يكن أفرسَ الفرسانِ عن ثقةٍ فانهُ دون شكٍّ أشعرُ الشعرا

وله في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من احد اصحابهِ في بلاد المغرب

لاحتْ من الغربِ في وقتِ الغروبِ لنا عذراءُ كالشمسِ انشتْ في الدُّجى سَحَرا
ظننتُها كالعذارى ثغرُها درَرٌ حتّى اختبرتُ فكانت كلُّها دُررا

وله مخمسًا وقد اقترح عليهِ

أتتني وهيَ سافرةٌ صباحا ومَيلُ العطفِ قد حلَّ الوشاحا
فقمتُ وقد خفضتُ لها الجَناحا وقلتُ لها بعيشكِ ذُقتِ راحا
فقالت لا وعيشكَ لم أذُقْ را

أراني لفظُها دُررًا تلالتْ ولكن نافستْ فيهِ وغالتْ
لذلكَ أوجزتهُ وما أطالتْ فقلتُ ولِمْ حذفتِ الحاءَ قالتْ
اخافُ تشمُّ أنفاسي فتبْرا

وسُئل تشطير هذين البيتين فقال

وقلتُ لها بعيشكِ ذُقتِ راحًا فقد شاهدتُ في جفنيكِ سُكرا

Digitized by Birzeit University Library

فولّتْ وَهْيَ عابسةٌ وعادتْ فقالت لا وعيشكَ لم أَذُقْ را
فقلتُ ولِمْ حذفتِ الحاءَ قالت أَخافُ العَتْبَ إنْ أَبديتُ عُذرا
فقلتُ وهل لمثلي العتبُ قالت أَخافُ تَشَمُّ أنفاسي فتبْرا

وله في ليلة انس دُعي فيها احمد باشا والي ايالة صيدآء الى منزل بعض الاكابر احتفالاً بتجديد مدّته في الولاية

لنا ليلةٌ قد أَشبهَت ليلةَ القَدْرِ عَلَى الفِ شهرٍ فُضِّلَت بل عَلَى الدهرِ
حوَت عُصبةً مثلَ الكواكب بينها وزيرٌ بدا كالبدر في ليلةِ البدرِ
هو الأَحمدُ السامي المقامِ الذي بهِ قد ابتهجَت بيروتُ باسمةَ الثغرِ
يُساقُ اليهِ المدحُ من كلِّ ناطقٍ ويختصُّ بعدَ اللهِ بالحمدِ والشكرِ
بصيرٌ باحكامِ السياسةِ قائمٌ عَلَى سَنَنِ الإنصافِ في النهيِ والأمرِ
طلبنا لهُ تقريرَ دولتِهِ التي سعِدنا بها من حيثُ ندري ولا ندري
وذاكَ لنا حظٌّ سعيدٌ فلم يكنْ لنا فيهِ من فضلٍ يُعَدُّ ولا أَجرِ

ووُجِدَ لهُ من قصيدةٍ لم يُتمّها

ذَكَرَ النقا فاهتزَّ من ذِكرِ النقا أَترى استطيرَ فؤادُهُ ام أَخفقا
وتنفَّسَ الصُعداءَ حتى خِلتهُ لو كانَ بينَ أَراكهِ ما أَورقا
كلٌّ لهُ قلبٌ وقلبُ اخي الهوى لرَبيبِ قومٍ في هواهُ تعلقا
يَجِدُ التنعُّمَ في الشقاءِ ويلتظي غضباً اذا قالوا نَظُنُّكَ أَحمقا

Digitized by Birzeit University Library

طُبِعَ الزَّمانُ عَلَى ٱلعِنادِ وأَهلُهُ طُبِعوا عَلَى أَخذِ الخديعةِ مَوثِقا
انّي أُصدّقُ قولَ حُرٍّ صادقٍ لكنّني أَجِدُ التجاربَ أَصدَقا

وله ايضاً من قصيدةٍ اخرى

لقد خَطَرَت مخضّبةَ ٱلبَنانِ كأَقلامٍ تَخُطُّ بأُرجُوانِ
وَمدّت معصَماً منها نَضيراً كَفَرْعٍ نابتٍ من غُصنِ بانِ
مُبلبَلةُ الحلَى لَبِسَت سِواراً ينوبُ سكوتُهُ عن تَرْجُمانِ
أَرادَت أَنْ تَزينَ بهِ يَديها لبَهْجتِهِ فزانتهُ ٱليَدانِ
رأَيتُ لعلّتي منهُ طبيباً يَجُسُّ النبضَ من ايدي الحِسانِ
تَبارَكَ مَن لهُ في كلِّ يومٍ بدائعُ في الخَليقةِ ذاتُ شانِ
يحدّثُ مَن رآها الناسَ عنها وما خَبَرُ المُحدّثِ كالعِيانِ

وله من قصيدةٍ في الحِكَم

دَعِ الأَيّامَ تَفعلُ ما تروم ولا تَعبَث بهمّتِكَ ٱلهمومُ
يزولُ ٱلشرُّ مثلَ الخيرِ عنّا فلا هذا ولا هـذا يدومُ
سَوادُ الليلِ يَعقُبُهُ بَياضٌ وهُوجُ الريحِ يَعقبُها ٱلنسيمُ

ومنها

يُصيبُ كُنوزَ مالٍ كلَّ قَدْمٍ بقيمةِ بعضِ فلسٍ لا يقومُ
وكم يُمسي لبيبٌ لا يُصلّي لشدّةِ ضُعفِهِ لكن يصومُ

Digitized by Birzeit University Library

ولو يُعطَى من الأَرزاقِ كلٌّ ... على مِقدارِهِ أَتصَفَ الحكيمُ
ولم يَعتبْ عَلَى الأَيَّامِ شخصٌ ... يَرَى عدلَ القضاءِ ولا يلومُ
وبين الناسِ ذو مالٍ بخيلٌ ... بفَضْلتِهِ وصُعلُوكٌ كريمُ
وإِنَّ تكَرُّمَ الفُقَرَاءِ عندي ... كبُخلِ ذَوي الغِنَى عَيبٌ ذميمُ
وبعضٌ يدَّعي ما ليسَ فيهِ ... وبعضٌ يشتري ما لا يَسُومُ
وآخرُ يَنصَحُ الأَصحابَ عمداً ... بهِ كمُعالِجٍ وَهُوَ السَّقيمُ
وفي الشُّعَرَاءِ مَن في كلِّ وادٍ ... اذا هَدَرَت شَقَاشِقُهُ يَهيمُ
وبعضُ الشِّعرِ في أُذُنٍ كلامٌ ... يَطيبُ وبعضُهُ فيها كُلُومُ
وكم رَجُلٍ يقومُ مَقامَ جيشٍ ... ويَسقُطُ دونَهُ الجيشُ العظيمُ
وبعدَ الشمسِ كم تبدو نجومٌ ... ولكن ليسَ تَخفُيها النجومُ
وما سَلِمَ الكَمالُ لذاتِ شخصٍ ... فلا إِنسانَ من عيبٍ سليمُ
ويَغلِبُ كلَّ مقتدِرٍ قديرٌ ... ويعلو كلَّ ذي علمٍ عليمُ

ومنها

لأَفئدةِ النساءِ هوًى جديدٌ ... ولكن ما لَهُنَّ هوًى قديمُ
يزورُ قلوبَهُنَّ الحُبُّ ضيفاً ... عَلَى قَدَمِ الرحيلِ فلا يُقيمُ

ولهُ من قصيدةٍ اخرى

عليك بالعِلمِ فاطلُبْهُ بلا كَسَلِ ... واعمَلْ فإِنَّ حياةَ العِلمِ بالعَمَلِ

Digitized by Birzeit University Library

عِلمٌ بلا عَمَلٍ لا تستفيدُ بهِ ... ولا تُفيدُ فتمضي خائبَ الأَمَلِ
ما أَشرفَ العِلمَ في الدُّنيا وأَجمَلَهُ ... فذاكَ خيرٌ من الأَملاكِ والخَوَلِ
الناسُ تحتاجُ أَهلَ العِلمِ قاطبةً ... وأَكثرُ الناسِ تَستغني عن الدُّوَلِ
كم من غنيٍّ جميعُ الناسِ تجهَلُهُ ... وعالمٍ صيتهُ في السهلِ والجَبَلِ
وكم مُلوكٍ تقضَّى ذِكرُها ومَضَى ... وذِكرُ ذي العِلمِ بين الناسِ لم يَزَلِ
قُلْ للذي باتَ في الأَموالِ مُشتغِلاً ... إِنّي عن الشُّغلِ بالأَموالِ في شُغُلِ
لا يَطلبُ المَرْءُ عِلماً للغِنَى فإِذا ... طلبتَ عِلماً فعن دُنياكَ لا تَسَلِ
ما يَصنعُ القومُ بالمالِ الذي جمعوا ... بعدَ الحُصولِ عَلَى الاقواتِ والحُلَلِ

ولهُ ايضاً وهي مما املاهُ ايام اعتلالهِ

غَزالةُ مَعشَرٍ فيها نِفارُ ... وما فيهِ عَلَى الغِزلانِ عارُ
تُبيحُ دمَ المُحِبِّ بمُقلتَيها ... فيَسلَمُ كاشحٌ ويُصابُ جارُ
لها في مُلتقَى الحَيَّينِ دارٌ ... ولكن لا تزورُ ولا تُزارُ
من العَرَبِ الكرامِ لها أُصولٌ ... ولكن لا ذِمامَ ولا جِوارُ
اذا عقَدَتْ لِواءَ الحربِ يوماً ... فجبَّاتُ القلوبِ لها غُبارُ
تُحدِّثُ في ربيعةَ عن كُلَيبٍ ... بعِزَّتِها فتَسمَعُها نِزارُ
اذا عَبِثَ الدَّلالُ بمَعطِفَيها ... تَعرَّضَ دونَ هِزَّتهِ الوَقارُ
بوَجنَتِها شَقائقُ قد تبدَّى ... بحُمرتِها من الآسِ اخضِرارُ

فتلكَ شقائقُ النُّعمانِ ليست ... بهنَّ يدٌ ولا عينٌ تُدارُ
تُرينا الجمرَ في خدٍّ أسيلٍ ... ومن لحظاتها تُسبى الجمارُ

وله ايضاً في صفة مرضه

قد قال في طيب عيش المرء شاعرُنا ... ما أطيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حجرُ
وها انا اليومَ في مَهْدِ الضنى حجرٌ ... مُلقًى فمن أينَ طيبَ العيشِ أنتظرُ

وله ايضاً في تقريظ كتابٍ في العروض والقافية لبعض الفضلاء

كتابٌ مثلُ مصباحٍ صغيرٌ ... يُضيءُ بنورهِ البيتُ الكبيرُ
سوادٌ في بياضِ الطِّرسِ منهُ ... بياضٌ في سوادِ الجهلِ نورُ
حوَى في طيّهِ لفظاً قليلاً ... ولكن تحتهُ معنًى كثيرُ
لقد جمعَ العروضَ معَ القوافي ... على وجهٍ تناولُهُ يسيرُ
فحيّا اللهُ واضعهُ وزيدت ... لهُ عماً أفادَ بهِ الأجورُ
يحقُّ لكلِّ تلميذٍ ثناءٌ ... عليهِ يسوقهُ قلبٌ شكورُ

وله في خورشيد باشا والي ايالة صيدا حين زار المدرسة الوطنية وقد اقترح عليه

اليومَ لاحَ لنا في الحيِّ شمسانِ ... شمسُ النهارِ وشمسُ المجدِ والشانِ
قد حلَّ في القُطرِ خُرشيدُ المشيرُ كما ... جرَى على وجهِ ارضٍ ماءُ غُدرانِ
قد غابَ عنا ربيعٌ اوَّلٌ فاتى ... من الوزيرِ ربيعٌ بعدهُ ثانِ

Digitized by Birzeit University Library

وأخصبت ارضنا منهُ فما عرفت ... في شهرِ تمُّوزَ ام في شهرِ نيسانِ
قد زارَ مدرسةً نالت بهِ شرفًا ... كأنّ زورتهُ إكليلُ تيجانِ
صارت بهِ جنّةً أنهارُها عسلٌ ... من العلوم وقد حفّت بولدانِ
منارةٌ في حِمى بيروتَ قد سطعت ... تُنيرُ ظُلمةَ ابصارٍ وأذهانِ
بهيجةُ الحُسن بُستانيّةٌ نفحت ... زهرًا ففيهِ لها بُستانُ بُستانِ
مقيمةٌ تحت ظلِّ الأمن من ملكٍ ... في المكرُماتِ يُباهي كلَّ سُلطانِ
من آل عُثمانَ أبقى اللهُ دولتهم ... ما دامتِ الناسُ تتلو صُحفَ عُثمانِ

ولهُ ايضًا في الامير عبد القادر الحسيني اقترحها عليهِ صديقٌ لهُ صدَّر بها كتابًا اليهِ

في دارِ مولايَ عبدِ القادرِ انتظمتْ ... زُهرُ النجومِ فقلنا هٰهنا فلكُ
كواكبٌ حولَ شمسٍ تستفيدُ بها ... أشعّةً من سنَى الأنوارِ تحتبكُ
أشبالُ ليثٍ عظيمِ الشأنِ مقتدرٍ ... فاقَ الكرامَ فلم يلحقْ بهِ دركُ
يُدعَى اميرًا لجهلٍ بالصوابِ فمَن ... أصابَ قال لعمري إنهُ ملكُ

في ما نظمهُ من التواريخ

قال وقد جرى ذكر صناعة التاريخ في مجلس بعض الامرآء فسُئل نظم شيءٍ من ذلك فنظم هذين البيتين وقد ضمَّن كل واحدٍ منهما اربعة تواريخ وهما من اوائل شعره

أَغرُّ لهُ · خَلْقٌ تهلَّلَ بالبَها وخُلْقٌ سَمَت · أَوضاعُهُ فكرَمادحِ
١٢٣٦ ١٢٣٦ ١٢٣٦ ١٢٣٦

فكاهةُ خُلقٍ · مُذْ تبدَّى جَمالُها أَضاءَت بآلاءٍ · غَوادٍ رَوائحِ
١٢٣٦ ١٢٣٦ ١٢٣٦ ١٢٣٦

وقال في مثل ذلك مؤرخًا على هذا الاسلوب

أَميرٌ أَهامَ ٱلفضلَ · في ما بذاتهِ من ٱلفضل حرٌّ · إِسمُهُ ٱلفضلُ في المَلا
١٢٣٩ ١٢٣٩ ١٢٣٩ ١٢٣٩

لهُ دُرُّ نظمي · قد أَتاهَ قريحتي أَغرُّ حكى · نظمَ ٱلقلائدِ بالطُّلا
١٢٣٩ ١٢٣٩ ١٢٣٩ ١٢٣٩

قال مؤرخًا بناءَ دار الامير قاسم ابن الامير بشير الشهابي سنة ١٢٤٦

يا ربِّ عبدُكَ يَرجُو ٱلعفوَ مُنتصباً ببابكَ الواسعِ المَيمونِ طائرُهُ
فكن بهِ قاسماً بالخيرِ منكَ لهُ لأَنَّ لُطفَكَ بالتأْريخِ غامرُهُ

وقال مؤرخًا دار اخيهِ الامير خليل سنه ١٢٤٧

بابٌ تزاحمَ فيهِ الوَفدُ وٱزدحمت مَواكِبُ الخَوفِ قبلاً والرَّجا فيهِ

Digitized by Birzeit University Library

لا تطلبوا وصفهُ بل أرّخوهُ كفى أنَّ الاميرَ خليلَ اللهِ بانيهِ

وقال تاريخًا لضريح انطون مطر سنة ١٨٣٨

ما قبرُ انطونَ في الدُّنياسوى صدَفٍ فقد حوَى في ثراهُ أفضلَ الدُّرَر

يا دُرَّةً أرّخوا وافى بها مَطَرٌ كذلك الدُّرُّ منسوبٌ الى المَطَرِ

وقال تاريخًا لضريح يعقوب الخياط سنة ١٨٤٠

هذا ضريحٌ لابن خياطٍ بهِ قد غابَ عنا كوكبٌ تحتَ الثَّرَى

وهناكَ قد كتب المؤرّخُ فوقهُ ترثيكَ يا يعقوبُ أسباطُ الورَى

وقال تاريخًا لضريح انطون الارقش سنة ١٨٤١

قبرٌ لانطونَ ابنِ أرقشَ من قضَى غضَّ الصبا كالبدرِ في استقبالهِ

من فوقهِ التأريخُ قال منُاديـاً بدرٌ أتاهُ الخَسْفُ عندَ كمالهِ

وقال تاريخًا لضريح يوسف مسعود سنة ١٨٤١

اقولُ ليوسفَ المسعودِ مهلاً فقد اسرعتَ في شدِّ الرِّحالِ

لئن خلَتِ المنازلُ منكَ يومًا فان القلبَ أرّخ غيرُ خالِ

وقال تاريخًا لضريح الياس الزهار سنة ١٨٤١

قبرٌ سقاهُ اللهُ غيثَ كرامةٍ وروَى برحمتهِ جوانب تربهِ

من فوقهِ أيدي المؤرّخ سطّرت الياسُ زهارٌ برحمةِ ربّهِ

وقال تاريخًا لضريح بشارة الدوماني سنة ١٨٤٢

يا قلبَ حنَّا ابنِ دوماني اصطبر كرمًا هـذا بشارةُ يحكي زهرةً يبستَ

وزُرْ ضريحًا لقد نادى مؤرّخهُ فيهِ بشارةُ يوحنَّا قد اندرستَ

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخًا لضريح ابرهيم الريس سنة ١٨٤٢

قِفْ باكرًا وقُلِ السلامُ عَلَى ثرَى قبرٍ لصاحبِهِ المقامُ الأَقدسُ
نالت رجالُ اللهِ في تأريخها ظَفَرًا وابرهيم فيها الريّسُ

وقال تاريخًا لضريح نعمة عطآء سنة ١٨٤٢

هذا ضريحُ فتًى بنعمةِ ربِّهِ ولَّى فاعطاهُ نعيمَ سَمآءِ
وترَى بَنانَ مؤَرِّخٍ كتبَتْ بِهِ أُعطي النعيمُ لنعمةَ بنِ عَطآءِ

وقال تاريخًا لضريح يوسف مسعد سنة ١٨٤٢

هذا الضريحُ لفاضلٍ سعِدَت لهُ بالله نفسٌ في النعيمِ تُخَلَّدُ
وعليهِ خطَّ مؤَرِّخوهُ صحيفةً في جنَّةِ الفِردوسِ يوسُفُ مسعدُ

وقال تاريخًا لضريح ميخائيل صدقة سنة ١٨٤٣

أَملاكُ نورٍ لميخائيلَ معتنقه قامت تكلِّلُهُ في أَرفعِ الطبقه
نُواحُنا تحتَ جنحِ الليلِ مختلفٌ وتلك أَلحانُها في السُّبحِ متَّفقه
ياصاحبَ الصَّدَفاتِ البيضِ مرحمةً احوالُنا السودُ مما يقتضي الشَّفقه
يبكي صباكَ من خلَّفتَ وا أَسفا بأَعينٍ كُنتَ منها منزلَ الحدقه
تصدَّقَ الدهرُ والتأريخُ حامدُهُ أَما استحى الدهرُ أَن يسترجعَ الصَّدقه

وقال تاريخًا لضريح بطرس الارمني سنة ١٨٤٣

قد جآءَ بطرسُ من عواصمِ أَرمنٍ فأَتاهُ في السفرِ القضآءُ الجاري
وثوَى ضريحًا للمؤَرِّخِ فوقهُ طال البُكآءُ على غريبِ الدارِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخًا لضريح الامير احمد رسلان في مقام الامام الاوزاعي سنة ١٢٦٤

لَقد ناحَت رُبَى لُبنانَ حزنًا ... على مَن كان في يدِهِ الزِّمامُ
اميرٌ من بني رَسلانَ كانت ... تَذِلُّ لهُ الجَبابرةُ العِظامُ
كريمٌ قد تَوارَى في ضريحٍ ... تُحيطُ بهِ الملائكةُ الكِرامُ
فصادَفَ أَرّخوهُ مَقَرَّ مجدٍ ... تَجاوَرَ فيهِ أَحمدُ والإمامُ

وقال تاريخًا لضريح حبيب الدهان سنة ١٨٤٥

امسَى حبيبُ اللهِ في فِردوسِهِ ... فادْعُوا بني الدَّهّانِ أَن يَدعُوا البُكا
لقد اتَّكأَتَ مؤَرَّخًا في عَرشِهِ ... يا مَن عَلَى صَدرِ المسيحِ قدِ اتَّكا

وقال تاريخًا لضريح جرجس الدهان سنة ١٨٤٥

هذا ضريحُ كريمِ قومٍ فاضلٍ ... فقَدَت بَنُو الدَّهّانِ صبرًا إِذ فُقِد
وعليهِ قد خَطَّ المؤَرِّخُ أَحرُفًا ... للحقِّ في بيروتَ جرجُسُ قد شَهِد

وقال تاريخًا لضريح حبيب الجُدَيّ سنة ١٨٤٧

هذا الكريمُ حبيبُ ابنُ الجُدَيِّ عَلَى ... سِنِّ المسيحِ الى إِكليلِهِ ذَهَبا
في لوحِ كلِّ فؤَادٍ أَرَّخوهُ نرَى ... إِسمَ الحبيبِ الذي في اللوحِ قد كُتِبا

وقال تاريخًا لضريح ام الياس فواز سنة ١٨٤٧

قد أَدركت نَجمَ فوّازٍ قرينتُهُ ... ذاتُ التُّقَى كاترينا بالتُّقَى رُحِمَت
كريمةُ النفسِ والأَخلاقِ فاضلةٌ ... قد ابتدَت بالتُّقى أَرَّختُ واختتَمت

وقال تاريخًا لضريح نعمة الجبيلي سنة ١٨٤٧

كُنَّا نُؤَمِّلُ أَن نُهنِّئَ نِعمةً ... فاذا التَّهاني بالتَّعازي تُبدَلُ

Digitized by Birzeit University Library

أَخلفتَ ما نرجو وليست عادةٌ ... لِبَني الجُبَيلي أَن يخيبَ مُؤَمِّلُ
ولقد تركتَ العالَمَ الفاني لنا ... وَطَلَبتَ ما يبقى وذاكَ الأَجملُ
فلذاكَ الهَنَآءُ كما يؤَرَّخُ دائمٌ ... إِكليلُ ربّكَ بالسَّعادةِ أَفضَلُ

وقال تاريخًا لضريح اسكندر نعمان سنة ١٨٤٧

لخليل نُعمانٍ عَلَى وَلَدٍ لـهُ ... نَوحٌ يكادُ يلينُ منهُ قبرُهُ
نادَى بهِ التأْريخُ إِنَّ أَسكندرًا ... يَفنَى الزمانُ وليس يَفنَى ذِكرُهُ

وقال تاريخًا لضريح خليل بن سابا باز سنة ١٨٤٧

أُعطِي خليلٌ لسابا بازَ موهبةً ... واسترجعَ اللهُ قبلَ العامِ ماوَهَبا
فخطَّ راثيهِ تأْريخًا يقولُ بهِ ... لِمثلهِ ملكوتُ اللهِ قد كُتِبا

وقال مؤرخًا وفاة يوسف العسيلي وقد توفي قتيلاً سنة ١٨٤٧

هـذا العُسيليُّ الذي نَزَلَ الثرى ... كالغُصنِ من حُمرِ المَنايا يُقصَفُ
ومُسطِّرُ التأْريخِ أَنشَدَ حولَهُ ... هذا قميصُكَ شاهدٌ يا يوسفُ

وقال تاريخًا لضريح المطران بنيامين سنة ١٨٤٨

ثوَى في اللحدِ أُسقفُنا المُفدَّى ... بَنيامينُ ذو الشَّرَفِ الرَفيعِ
بكَت عينُ الجميعِ عليهِ حُزنًا ... وكانَ ابًا مُحِبًّا للجميعِ
أَشارَت نحوَ منبرِهِ عَصاهُ ... تُنادي بالبُكا راعي القطيعِ
فقال مؤرّخًا ابكي فِراقًا ... مَضَى الراعي الى الحَملِ الوَديعِ

وقال تاريخًا لضريح الخوري بطرس داغر سنة ١٨٤٨

مَضَى كاهنُ اللهِ العَليِّ ابنُ داغرٍ ... الى العرشِ مسرورًا بغايتهِ القُصوَى

Digitized by Birzeit University Library

يُناديهِ شَعبُ اللهِ يا بُطرُسُ الصفَا ويَدعُوبهِ التاريخُ يا صخرَةَ التقوَى

وقال تاريخاً لضريح انطون المدور سنة ١٨٤٨

لانطون المدوَّر لوحُ رَمسٍ كتبنا فوقهُ بدمِ العُيونِ
أَيا غُصنَ النقَا إنَّ المنايا كما أَرَّختُ قاصفةُ الغُصونِ

وقال تاريخاً لضريح فتح الله طراد سنة ١٨٤٨

فقَدَت كِرامُ بني طِرادٍ فاضلاً قد باتَ في دار النعيمِ منعَّما
في إثرِهِ التأْريخُ يدعو قائلاً فُتِحَت لفتحِ اللهِ أَبوابُ السَّما

وقال مؤرخاً وفاة بطرس الجاويش سنة ١٨٤٩

هذا الضريحُ لبُطرسَ الشهمِ الذي أَبكَى بني الجاويش دمعاً قد صفَا
تَلقَت لدَى تأْريخهِ أَرقامهُ بُشراكَ يا مَن قد بُنيتَ عَلَى الصفَا

وقال تاريخاً لضريح عبدالله عطيَّة سنة ١٨٤٩

هذا ابنُ إسحقَ عبدُ اللهِ فَرْعُ بني عطيةٍ في الصبَا قد فاتَ دُنياهُ
مَضَى الى اللهِ فَوْرًا والهنَاءُ كما أَرَّختُ للعبدِ اذ يَحظَى بمَولاهُ

وقال مؤرخاً وفاة موسى بسترس سنة ١٨٥٠

تُعزَى الى بُسترُسْ يا رُكنَ عُصبتهِ وأَنتَ أَفضلُ مَن يُعزَى الى عيسَى
سَعيتَ للهِ أَيامًا مُؤَرَّخةً واليومَ تنظُرُ وجهَ اللهِ يا موسَى

وقال تاريخاً لضريح يعقوب بن يوسف النحاس سنة ١٨٥٠

ان زُرتَ قبرَ ابنِ نَحَّاسٍ لصبوتهِ فاطلُبْ لقلبِ ابيهِ صبرَ ايُّوبِ
وقِفْ بتاريخهِ في دارهِ سَحَرًا وقُلْ ليوسفَ هذا حزنُ يَعقوبِ

Digitized by Birzeit University Library

وطُلب منهُ نظم تاريخين لبناءِ الدار العسكرية في بيروت سنة ١٢٦٩ يُنقش احدهما على الباب الخارج والآخر على الباب الداخل * فقال لاجل الباب الخارج

مَليكُ الورَى عبدُ المجيدِ قد ٱبتَنى مَقاماً لأَنصار الجهادِ مُشيَّدا
عَلَى بابهِ خَطَّ ٱلمؤَرِّخُ قائلاً سلامٌ عليكم فادخُلوا ٱلبابَ سُجَّدا

وقال لاجل الباب الداخل

شادَها عبدُ المجيدِ ٱلمُصطفَى صاحبُ ٱلمُلكِ أَميرُ ٱلمُؤمنينْ
فَدَعا تأْريخُنا أَنفارَهـا أُدخُلوهـا بسَلامٍ آمنينْ

وقال مؤرخاً بناءَ دار الشيخ محمد الحلواني المفتي في بيروت سنة ١٢٦١

قـد بَناها مُحمَّدٌ شيخنا ٱلمُفتي مَقاماً للحقِّ فيـهِ ٱستقاما
ذاكَ بابٌ بالفتحِ أَرَّختُ بادٍ فادخُلوا مَرحَباً وقولوا سلاما

وقال مؤرخاً وفاة المعلم بطرس كرامة سنة ١٨٥١

مَضَى مَن كانَ أَذكَى من إِياسٍ بحِكمَتِهِ وأَشعَرَ من زُهَيرِ
فقُلْ يـا ٱبنَ الكَرامةِ قرَّ عيناً لبُطرسَ أَرَّخوهُ ختامُ خَيرِ

وقال مؤرخاً بناءَ برج يوسف سيور سنة ١٨٥١

قد شادَ هذا ٱلبُرجَ يوسفُ عَصْرِهِ من آلِ سيُّورَ الأَكارمِ يُنسَبُ
قالت لَدَى ٱلبابِ المؤَرِّخِ وَفْدُهُ هذا لنا بُرجٌ وهذا كوكبُ

وقال مؤرخاً بناءَ دار حبيب بسترس سنة ١٨٥٢

قد بنَى ٱليومَ حبيبٌ من بني بُسْتُرُسْ داراً بها يُجلَى ٱلنَّظَرْ
قيلَ اذ لاحَ بها ٱلتأْريخُ قد لاحَتِ الزُّهرةُ في بُرجِ ٱلقَمَرْ

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخاً لضريح قسطنطين سالم سنة ١٨٥٢

ضريحٌ قد سقاهُ سَحابُ فضلٍ ... وعَمَّتهُ اللطائفُ والمَراحِم
ثَوَى في جانبيهِ كَريمُ قومٍ ... شهيرٌ بالفضائل والمكارم
ولمَّا حلَّ في اكنافِ تُرْبٍ ... عَلَى عَهدِ الصبّا والموتُ ظالِم
اتى تاريخهُ يُهدَى لبِشرٍ ... بدارِ الخُلدِ قُسطنطينُ سالِم

وقال تاريخاً لضريح آسين بنت الارقش سنة ١٨٥٢

آسينُ بنتُ الأَرقشِ اندرجَت هُنا ... في قبرِ أَوحدِها العزيزِ وذُخرِها
زارتهُ في تأريخها وَلَعًا بهِ ... ليَظَلَّ يوسفُ راقدًا في حِجْرِها

وقال تاريخاً لضريح الامير سلمان الشهاب سنة ١٢٦٩

ضريحُ سَلمانَ مولانا وسيِّدِنا ... نَسلِ الشِّهابِ امير البَدْوِ والحَضَرِ
قضَى لهُ اللهُ تأريخاً أَدامَ بهِ ... فَواتِحَ الحَمْدِ والأَورادَ في السَّحَرِ

قال مؤرخاً بناء دار سليم بسترس سنة ١٨٥٣

لموسَى بُسْتُرُسْ نَجلٌ سعيدٌ ... بَنَى دارًا لها شأنٌ عظيمُ
لدَى التاريخِ في الأَبوابِ نادَت ... بحِفظِ اللهِ بانيها سليمُ

وقال مؤرخاً بناء حمام في الدار المذكورة سنة ١٨٥٣

يا حُسنَ حَمَّامٍ سما بنَقائِهِ ... وهوائِهِ وبطيبهِ وطُيُوبِهِ
فيهِ سليمُ القلبِ يَدعُو ربَّهُ ... ويَرومُ بالتاريخِ غَسْلَ ذُنُوبِهِ

وقال تاريخاً لضريح ايوب نصرالله سنة ١٨٥٣

هذا ضريحُ الذي ما زالَ من قِدَمٍ ... بالصَّبرِ والفضلِ والآدابِ مُشتَهِرا

Digitized by Birzeit University Library

فان نظمتَ لهُ ٱلتاريخَ قُلْ حَسَنًا قد نالَ أَيُّوبُ نَصرَ اللهِ اذ صَبَرا

وقال تاريخًا لضريح فارس رزق الله سنة ١٨٥٣

هذا ٱبنُ رِزقِ اللهِ فارسُ قد قَضَى أَجلاً عَلَى نَقوَى الإلهِ وحُبِّهِ
قد كان حُسنُ سلُوكِهِ في ما مَضَى أَرّخ بَشيرًا بالرِضَى من رَبِّهِ

وقال تاريخًا لضريح الياس عطاء سنة ١٨٥٣

لبني عطاءٍ فَجعةٌ بعدَ الذي قد ودَّعوهُ وَداعَ مَن لا يَرجعُ
فجرَى عَلَى اللَّوحِ المؤَرَّخِ حِفظُهُ الياسُ حيٌّ في ٱلسَّما لا تجزَعوا

وقال تاريخًا لضريح يوسف ثابت سنة ١٨٥٣

يا آلَ ثابتَ بعدَ فَقْدِ كريمكم كُفُّوا البُكاءَ فكلُّ حيٍّ مائتُ
ولَقد تَحقَّقَ من مؤَرِّخِهِ الرَّجا في حِجْرِ ابرهيمَ يوسُفُ ثابتُ

وقال تاريخًا لضريح سوسان بنت طنوس الحداد سنة ١٨٥٣

ان ابنةَ الحَدَّادِ طنُّوسَ ٱنطوَت في تُربةٍ والنفسُ حلَّت في الذرَى
فكتبتُ والتاريخُ أَنشدَ عاجلاً هل يُزرَعُ السُّوسانُ الاَّ في الثرَى

وقال مؤرخًا بناء دار رزق الله التويني واخيه جرجس سنة ١٨٥٤

لرزقِ اللهِ دارٌ مع اخيـهِ سميِّ الخِضْرِ من آلِ التُّويني
قد ٱزدانَت بها بيروتُ حُسنًا فكانت نُزهةً في كلِّ عَينِ
تقولُ مُشيرةً لمؤَرِّخيهـا انا في الارضِ بُرجُ ٱلفرقدَينِ

وقال مؤرخًا ولادة امين بن نقولا نوفل سنة ١٨٥٤

قد أَشرقَت دارُ ٱبنِ نَوفَلَ بَهجةً بامين لُطفٍ زارَها نِعمَ الوَلَدْ

Digitized by Birzeit University Library

فاجابَ في تاريخِ ذاكَ بشيرُها وُلِدَ الهلالُ اليومَ في بُرجِ الأَسَدْ

وقال مؤرخًا بناءَ دار الخوري اسطفان حبيش سنة ١٨٥٤

بنى الخُوري اسطفانُ حُبَيشَ دارًا لكلّ كريمِ قومٍ اذ يزورُ
ولمّا أشرقَت لمؤرّخيها زَهَت بجمالها السامي غزيرُ

وقال تاريخًا لضريح ميخائيل النحلوس سنة ١٨٥٤

مهلاً بني النحلوس انَّ فقيدكم في أوجِ فردوسِ النعيمِ نزيلُ
ولاجلهِ كَتَبَ المؤرّخُ حكمهُ في أرفعِ الدَّرجاتِ ميخائيلُ

وقال تاريخًا لضريح لطف الله بن موسى عطاء سنة ١٨٥٤

قضى باللهِ لطفُ اللهِ طفلاً فقامَ بنو عطاءٍ بالنحيبِ
فقالَ مؤرّخًا كُفّوا فإنّي حصلتُ على السعادةِ من قريبِ

وقال تاريخًا لضريح اسعد نوفل الطرابلسي سنة ١٨٥٥

من آلِ نوفلَ يافعٌ غضٌّ الصِّبا كالسيفِ امسى في ترابٍ يُغمَدُ
يبكيهِ عبدُ اللهِ والدُهُ كما يبكي السليمُ شقيقهُ ويُعدِّدُ
قد عاشَ في الدُّنيا سعيدًا ماجدًا يُثنى عليهِ بالكمالِ ويُحمَدُ
فكتبتُ تأريخًا باعلى تربهِ أبشِرْ فإنكَ عندَ ربّكَ أسعدُ

وقال تاريخًا لضريح يعقوب آغا ابكاريوس سنة ١٨٤٥

مَضى الى اللهِ مَن طابت سريرتُهُ باللهِ وهوَ بعفوِ اللهِ مصحوبُ
فقُلْ لمن جاءَ في التأريخِ يطلبُهُ قد صارَ في حضنِ ابرهيمَ يعقوبُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال مورخًا بناء كنيسة بيروت سنة ١٨٤٩

عِنايةُ اللهِ في بيروتَ قد وَضَعَت ... بيتًا بنور النبيِّ الياس مُتَّشِحا
يا زائرُ ادخُلْ بتأريخٍ حِماهُ وقُلْ ... قَرَعْتُ بابَ الرَّجا يا حيُّ فانفتحا

وقال تاريخًا لضريح بطرس فرَج سنة ١٨٤٩

في طيِّ هذا اللحد شهمٌ من بني ... فَرَجٍ لهُ اللهُ الكريمُ قد اصطفى
ولذلكَ التأريخُ يهتِفُ فوقَهُ ... وَجَبَ السلامُ لقبرِ شِمعُونَ الصفا

وقال وقد سئل نظم تاريخ لكنيسة قديمة في زحلة سنة ١٨٧٣

زوروا حمى بيعةٍ كالنجمِ طالعةٍ ... قد شُيِّدَت باسم ايليَّا الغيور هنا
في بابها لاحَ تاريخٌ يقول لهُ ... يا حيُّ كن شافعًا يومَ القضاء بنا

وقال تاريخًا لضريح جرجس الحجَّة سنة ١٨٥٠

يا جرجس الحجَّة المختارَ فُزتَ بما ... رَجَوتَ من فضل ربٍّ نافذِ القدَرِ
نِلتَ الرضى من الهِ العرش مبتهجًا ... وكنتَ عينَ الرضى للهِ والبَشَرِ
فقمتَ في موقفٍ من ظلِّ رحمتهِ ... تأريخهُ أنتَ فيهِ لابسُ الظفَرِ

وقال تاريخًا لضريح يوسف سيور سنة ١٨٥١

هذا ضريحُ الفاضلِ الشهمِ الذي ... قد فازَ بالمجدِ الذي لا يُوصَفُ
ابكَى بني سيُّورَ فيضَ دمٍ كما ... ابكى اليتامى أدمُعًا لا تنشَفُ
لمَّا استعدَّ لوَفدِهِ جُندُ العُلَى ... وبدَت ملئكةُ السماء ترفرفُ
نادَى بهِ جبريلُ في تأريخهِ ... إنّي بشيرٌ لا تَخَفْ يا يوسُفُ

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخاً لضريح ابرهيم نخلة سنة ١٨٥٤

لضريحِ إبرهيمِ نخلةَ رحمةٌ ... من ربِّهِ الرحمنِ وَهْوَ صَفِيُّهُ
واذا سُئِلتَ لهُ عن التاريخِ قُلْ ... في حِضنِ ابرهيمَ باتَ سَمِيُّهُ

وقال في تاريخ مولود لاحد اصدقائهِ سنة ١٨٥٤

قد أَتى طِفلٌ جديدٌ ... أَوَّلَ العامِ الجديدِ
فيهِ تأْريخٌ يُنادي ... ذاكَ عيدٌ ضِمنَ عيدِ

وقال تاريخاً لضريح حسناء زوجة السيد حسين البربير سنة ١٢٦٩

هذا ضريحُ كريمةٍ قد هاجرَت ... دارَ الحُسَينِ سُلالةِ البربيرِ
كَتَبوا بجمدٍ مؤرّخيهِ لربِّها ... قد أَصبحَت حسناءَ بينَ الحُورِ

وقال تاريخاً لضريح الامير سلمان الشهاب سنة ١٢٦٩

هذا ضريحٌ للشِّهابِ أَميرِنا ... سَلْمانَ قد أَمسَى يُكلِّلُهُ النَّدَى
قفْ حولَ رسمِ مؤرِّخيهِ مُبادِرًا ... وقُلِ السَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى

وقال مؤرخاً جلوس سعيد باشا على سرير القاهرة سنة ١٢٧٠

لَمَّا تولَّى تختَ مِصرَ سعيدُها ... قَرَّت بهِ مُقَلٌ وطابت أَنفُسُ
فالخيرُ من أَيدي سعيدٍ يُجتَنَى ... والحَمدُ في قلبِ المؤرِّخِ يُغرَسُ

وقال مؤرخاً زواج السيد حسين بيهم سنة ١٢٧٠

هذا قِرانُ حُسينٍ قد كتبتُ لهَ ... تاريخَ عامِ قِرانِ الشَّمسِ والقَمرِ
ظَفِرتَ بالحُسنِ والحُسنَى عَلَى قَدَرٍ ... فلا بِرِحتَ مدَى التأْريخِ في ظَفَرِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال مؤرخًا بناء دار الحاج عمر بيهم سنة ١٢٧٠

قد بناها عُمرٌ رُكنُ بني ... بيهم دارًا زهت في صقعها
في رُبى بيروت قامت فحكت ... درة التاج بسامي وضعها
وقف السعد على أبوابها ... وشدت ورق الهنا في ربعها
فانجلت في بلد تأريخها ... أذن الله به في رفعها

وقال مؤرخًا بناء حمام في الدار المذكورة سنة ١٢٧٠

هذا مكانٌ للطهارة والنقا ... فادخل اليه بالسرور ملازما
وانعم بماء الطهر منهُ مؤرخًا ... فلقد كتبتُ به نعيمًا دائما

وقال مؤرخًا بناء دار لبعض اصحابه سنة ١٢٧٠

هلموا للنزاهة نحو دار ... لها قد قام في بيروت رنه
وقد نادى لسان الحال فيها ... بتأريخ لكم في الأرض جنه

وقال مورخًا ختان رستم باشا ابن سعيد باشا والي الديار المصرية سنة ١٢٧٠

يا حسن يوم اليه الناس قد جمعت ... كأن صوت المنادي نفخة الصور
قام الختان به في جنة حفلت ... من الملائك والولدان والحور
نجل السعيد الذي دون الحجاب اتى ... موسى يكلمه من جانب الطور
ضجت بتطهيره الدنيا مؤرخة ... أبهى طهور أتى نورًا على نور

وقال تاريخًا لضريح الشيخ قاسم جنبلاط سنة ١٢٧٢

للشيخ قاسم جنبلاط كرامة ... بحلول ساحة شيخنا الأوزاعي
فامطر عليه مكللاً تأريخهُ ... من سحب فضلك يا مجيب الداعي

Digitized by Birzeit University Library

وقال مورخًا بناء دارٍ لبعض الاكابر سنة ١٢٧٣

يا حُسنَها دارًا لكَثرةِ وَفدِها ... قُسِمَت لهم أَبياتُها شَطرَين

فاذا كَفَى ٱلتأْريخُ يومًا غيرَها ... يأْتي مؤَرِّخُها بتأْريخَين

١٢٧٣ ١٢٧٣

وقال مؤرخًا اطلاق عذار صديقٍ لهُ سنة ١٢٧٣

هذا كريمٌ باسمِ أَحمدَ قد أَتَى ... فجَلا عَلَى الأَبصار صُورَةَ يوسفِ

نَبَتَ ٱلعِذارُ بوَجنتَيهِ مؤَرِّخًا ... يحكي سوادًا في بَياضِ المُصحَفِ

وقال تاريخًا لضريح نقولا الاميوني سنة ١٨٥٥

هذا نقولا الذي أَجرَى الدُّموعَ دَمًا ... بفَقْدِهِ وأَطالَ النوحَ والأَسَفا

بالأَمسِ كانت الى أَميونَ نِسبتُهُ ... وٱليومَ صارت الى أَوجِ ٱلعُلَى شَرَفا

لمَّا قَضَى في سبيلِ اللهِ مُبتهجًا ... بنورِهِ وبثوبِ المجدِ مُلتحِفا

صاحت بهِ مُهجةُ ٱلباكي مؤَرِّخةً ... افديكَ ياغصنَ بانٍ في ٱلصِّبا ٱنقصفا

وقال تاريخًا لضريح البطريرك مكسيموس مظلوم المتوفى بالاسكندرية سنة ١٨٥٥

مكسيمُسُ ٱلمظلومُ بطركنا الذي ... قامَت بهِ ٱلتقوَى ولاح منارُها

صَرَفَ الحياةَ بغيرةٍ مشهورةٍ ... يبقَى عَلَى طول المدَى تذكارُها

هو كوكبُ ٱلشرقِ استقرَّ قرارُهُ ... في جنَّةٍ فُتِحَت لهُ أَخدارُها

ولأَجلهِ كَتَبَ المؤَرِّخُ نظمَهُ ... إنَّ الكواكبَ في ٱلسماءِ قرارُها

وقال مؤرخًا ولادة شكرالله المدوَّر سنة ١٨٥٦

تجلى في منازلنا هلالٌ ... قد ٱنكسفَت بطلعتهِ النجومُ

Digitized by Birzeit University Library

فأنشدَ فألُ تاريخٍ أراهُ بشكرِ اللهِ نعمتُنا تدومُ

وقال تاريخًا لضريح جرجس التوبني سنة ١٨٥٦

لقبرِ التوَبني كلَّ حينٍ كرامةٌ وفي كلِّ يومٍ رحمةٌ تتجدَّدُ
هُوَ الخضرُ في أجيالِ كلِّ مؤرِّخٍ لهُ قامَ في بيروتَ ذِكرٌ مؤبَّدُ

وقال مؤرخًا بناء دار موسى بنبينو سنة ١٨٥٧

دارٌ لموسَى بْنِ بنبينو مُبارَكةٌ لا زالَ صاحبُها باللهِ محروسا
فزُرْ صباحًا بتأريخٍ حماهُ وقُلْ أنتَ الكليمُ وهذا الطُّورُ يا موسَى

وقال مؤرخًا بناء دار ابرهيم مشاقة سنة ١٨٥٧

هذا مقامُ خليلِ اللهِ نحسبُهُ في أرضِنا كعبةً للعلمِ والرَّشَدِ
نقولُ أحرُفُ تأريخٍ لهُ رُسِمَت مُبارَكٌ بيتُ ابرهيمَ للأبَدِ

وقال مؤرخًا بناء دار جرجس عيد سنة ١٨٥٧

لجُرجسِ العيدِ دارٌ طابَ منزلُها لها عَلَى بَرَكاتِ اللهِ توطيدُ
في بابِها أحرُفُ التأريخِ قدهتَفَت بُشرَى لها كلَّ يومٍ عندَها عيدُ

وقال تاريخًا لضريح والدته سنة ١٨٥٧

تلكَ الكريمةُ من بَني ذِبانةٍ طَلَبَت لها حظًّا يدومُ مُكرَّما
لمَّا مَضَت من بيتِ عيدٍ أرّخوا أضحَى لمريمَ بيتُ عيدٍ في السَّما

وقال تاريخًا لضريح امراة ابرهيم عودة سنة ١٨٥٧

لقدرَحلَت عن بيتِ عودَةَ مريمٌ بلا عَودةٍ في الدَّهرِ يُرجَى مَنالُها
فمِن بيتِ ابرهيمَ أرَّختُ عاجلاً الى حِضنِ ابرهيمَ جدَّ انتقالُها

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخًا لضريح مريم بنت السماط سنة ١٨٥٧

قد فارقَت بنتُ ٱلسِّماطِ دِيارَها ... لمَّا ٱستعدَّ لها ٱلسِّماطُ الأَعظَمُ
ولأَجلها كَتَبَ ٱلمؤرِّخُ عاجلاً ... مِن عَن يمينِ ٱلعَرشِ قامَت مريمُ

وقال تاريخًا لضريح عبد الله العسّال سنة ١٨٥٧

يقولُ ذاكَ ٱلفتى ٱلعسّالُ حينَ مَضَى ... مَن عاشَ في الدهرِ لا يأْمَنْ بلايَاهُ
فان تَزُرْ تُربَتي يا مَن يؤَرِّخُها ... أُكتُبْ بها ٱختارَ عبدَ اللهِ مولاهُ

وقال تاريخًا لضريح ايوب الدهان سنة ١٨٥٧

أَبكَى عُيونَ بني الدَّهَّانِ دَمعَ دمٍ ... غُصنٌ يحقُّ عليهِ الحُزنُ والكَمَدُ
قد عاجَلَتهُ بامرِ اللهِ خاطِفَةً ... أَيدي المَنايا ٱلتي في قلبِها الحَسَدُ
بكَت عليهِ جميعُ ٱلناسِ من أَسَفٍ ... في ثَغرِ بَيروتَ حتَّى ٱرتجَّتِ ٱلبَلَدُ
هُناكَ أَحرُفُ تاريخٍ لقد رُسِمَت ... من بَعدِ ايوبَ ماتَ ٱلصَّبرُ والجَلَدُ

وقال مؤرخًا بناء دار للامير امين رسلان والي جبل الدروز سنة ١٢٧٤

بَنَى الأَمينُ ٱبنُ رَسلانَ الأَميرُ عَلَى ... لُبنانَ دارًا لهُ باللُّطفِ قد شَهِدَت
وإِنَّ دارًا لوَجهِ الحقِّ عاضِدةٌ ... لها يدُ اللهِ في تاريخِها عَضَدَت

وقال مؤرخًا بناء دار الشيخ محمد الحلواني سنة ١٢٧٤

هذا ٱلمَقامُ لشَيخِنا ٱلمُفتي غدا ... بينَ ٱلبُروجِ يلوحُ مثلَ ٱلفَرقَدِ
وبهِ من ٱلتاريخِ نادى هاتفٌ ... لكُمُ ٱلهَنا يا آلَ بيتِ مُحمَّدِ

وقال تاريخًا لضريح الشيخ احمد تقي الدين سنة ١٢٧٤

هذا مَقامُ ٱلسيِّدِ ٱلعَلَمِ الذي ... وَرِثَ الكَمالَ عن الأَميرِ ٱلسيِّدِ

Digitized by Birzeit University Library

نسلِ التَّقيِّ الدِّينِ عُمدةِ قومهِ قاضي البلادِ الصالحِ المُتعبِّدِ
قد كان للقُصَّادِ في أيَّامهِ رُكناً وللوُرَّادِ أعذبَ مَوردِ
ولقد ثوَى يوماً برَحمةِ رَبِّهِ في قُبَّةٍ لاحت لنا كالمَشهَدِ
صلَّى مؤرِّخُها وبارَكَ قائلاً حيَّاكَ يا مَن زارَ قُبَّةَ أحمدِ

وقال تاريخًا لضريح محمد ابن السيد عبد الفتاح حمادة سنة ١٢٧٤

مضَى عنَّا مُحمَّدُ في صباهُ كخَسف البَدرِ في وقت الكمالِ
وباتَ مُجاوراً ربًّا كريماً تُحيطُ بهِ ملائكةُ الأعالي
فقُلْ لبَني حمادةَ لا جزِعتُم فانَّ الصَّبرَ من شيَمِ الرِّجالِ
سيَفنَى الكلُّ بالتأريخِ حقًّا ويبقَى وجهُ ربِّكَ ذو الجَلالِ

وقال تاريخًا لضريح الامير امين رسلان وقد دُفن في مقام الامام الاوزاعي سنة ١٢٧٥

لقد حلَّ الامينُ ضريحَ مجدٍ سقَى صفَحاتِهِ مطَرُ العُيونِ
أميرٌ من بني رسلانَ والٍ عَلَى لُبنانَ بالحقِّ المُبينِ
ثَوَى في ساحةٍ بحِمَى إمامٍ غدَت حرَماً لأصحابِ اليمينِ
فقالَ مؤرِّخوهُ لقد تَلاقَى إمامُ الحقِّ بالروحِ الأمينِ

وقال تاريخًا لضريح الامير سعيد الشهاب سنة ١٨٥٧

هذا الاميرُ السعيدُ الحظِّ تخدِمُهُ ملائكُ اللهِ حولَ العرشِ تجتمعُ
نقولُ أحرُفُ تأريخٍ تُحيطُ بهِ إنَّ الشهابَ عَلَى الأفلاكِ يرتفعُ

وقال تاريخًا لضريح الياس منسى سنة ١٨٥٨

بَني منسَّى فقَدتم فاضلاً علَماً عَلَى ممَرِّ اللَّيالي ليسَ تنساهُ

Digitized by Birzeit University Library

في سِفْرِ تأْريخِهِ طِرْسٌ يُبَشِّرُكم الياسُ في ٱلعَرْشِ حيٌّ عندَ مَولاهُ

وقال تاريخًا لضريح وردة بنت العرب امراة ابرهيم طاسو سنة ١٨٥٨

قد فارقَت بيتَ ابرهيمَ رُكنِ بني طاسُو كريمةُ قومٍ من ذوي الحَسَبِ
تقولُ في كلِّ تاريخٍ نَوادِبُها قَطَفتَ يا بينَ زُورًا وَردةَ ٱلعَرَبِ

وقال تاريخًا لضريح الامير عبد الله الشهاب سنة ١٨٥٨

اميرُ المجدِ عبدُ اللهِ اضحى نَزيلَ ٱلتُّربِ عن حُكمِ ٱلقَضاءِ
قضَى باللهِ مسرورًا أَمينًا وأَبقَى بعدَهُ غُصَصَ ٱلبُكاءِ
ولمَّا سارَ نحوَ ٱلعرشِ فَورًا ونالَ المجدَ في دارِ ٱلبَقاءِ
وَجَدْنا مَنطِقَ ٱلتأْريخِ صِدقًا شِهابُ الأَرضِ أَصبحَ في ٱلسَّماءِ

وقال تاريخًا لضريح بطرس العازار سنة ١٨٥٨

هذا ٱلضريحُ لِبُطرُسِ ٱلعازارِ من بيتٍ كبيرٍ في ٱلبِلادِ تقدَّما
فكتبتُ في تأْريخِنا هذا لهُ قد جاوَرَ ٱلعازارَ بُطرُسُ في ٱلسَّما

وقال مؤرخًا ولادة الامير يوسف ابن الامير فارس الشهاب سنة ١٨٥٩

قد نالَ يُوسفَ بعدَ ٱليأْسِ في كِبَرٍ أَبٌ لهُ فارسٌ للشُّهبِ منسوبُ
لاقاهُ إذ قلتُ تأْريخًا أُبشِّرُهُ كيُوسفِ الحُسنِ اذ لاقاهُ يعقوبُ

وقال تاريخًا لضريح امراة الياس المنير سنة ١٨٥٩

يا ابنَ المُنيرِ صبرًا في الزَّمانِ عَلَى فِراقِ آسينَ فالطُّوبَى لمَن صبَرا
كُفَّ ٱلبُكا حسْبَ تأْريخٍ رُسِمتَ لهُ فالياسُ عادَتُهُ أَنْ يُمسِكَ المَطَرا

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخاً لضريح اسحق عطيَّة سنة ١٨٥٩

نسلُ ٱلعَطِيَّةِ إسحقُ الكريمُ الى ... دارِ الكَرامةِ من دارِ ٱلشَّقَاءِ مضى
ما زال يُرضِي بمَسعاهُ الإلهَ مَدَى ... تأْريخهِ فعليهِ رَحمةٌ ورِضَى

وقال تاريخاً لضريح انطون النحاس سنة ١٨٥٩

قد ناحَ ميخائيلُ نحَّاسٍ عَلَى ... انطونَ لكن يا لطولِ نُواحِهِ
غَدَرَ الزَّمانُ بهِ غُلاماً يافعاً ... جَرَحَ ٱلفؤَادَ ولا دَوا لجِراحِهِ
من حِضنِ ميخائيلَ فرَّقباتَ في ... أَوجِ ٱلنعيمِ لأَجلِ فَرْطِ صَلاحِهِ
وهُناكَ ميخائيلُ من خَطَرِ ٱلقضا ... أَرّخْ حَماهُ تحتَ ظِلِّ جَناحِهِ

وقال تاريخاً لضريح نخلة ثابت سنة ١٨٥٩

لنخلةِ ثابتٍ قبرٌ يُنادي ... أَيا ويلاهُ من فَقْدِ ٱلشَّبابِ
فبادَرَهُ لِسانُ مؤَرّخيهِ ... وقال النخلُ يُزرَعُ في ٱلتُّرابِ

وقال تاريخاً لضريح نصرالله البندقي سنة ١٨٦٠

صبراً بني ٱلبُندُقيّ الاكرمينَ عَلَى ... فِراقِ شخصٍ حميدِ العينِ والأَثَرِ
مَضَى الى اللهِ نصرُ اللهِ مُنتصِراً ... فلم يَدَعْ قلبَ باكٍ غيرَ مُنكسرِ
بدرُ ٱلتَّمامِ أَتاهُ الخسفُ مُندرِجاً ... تحتَ ٱلثرَى بقَضاءِ اللهِ والقَدَرِ
فصُغتُ للقبرِ تاريخاً رقمتُ بهِ ... يسقيكَ قَطرُ ٱلنَدَى يا منزلَ القمرِ

وقال مؤرخاً وفاة الخوري جرجس رزق‌الله سنة ١٨٦٠

تشكو الكنيسةُ فَقدَ خوريها الذي ... أَمسَى ينوحُ عليهِ صَدرُ الهيكلِ

Digitized by Birzeit University Library

من بيتِ رِزقِ اللهِ في البِرِّ اقتدى بسَميِّهِ الخضرِ الشهيدِ الأفضلِ
أرضى بسيرتهِ الالهَ فنالَ ما يرضاهُ في دارِ النعيمِ الأجملِ
وهنالكَ التأريخُ جاءَ منادياً حزتَ الرضى يا كاهنَ اللهِ العلي

وقال مؤرخاً وفاة الامير بشير الشهاب سنة ١٨٦٠

الى اللهِ البشيرُ مضى وأبقى لنا جسداً بهِ افتخرَ التُّرابُ
أميرٌ كانَ بدراً فاحتواهُ ضريحٌ صارَ برجاً يُستطابُ
عليهِ قبَّةٌ قامت عليها لهُ من رحمة الباري قِبابُ
وكلُّ مؤرِّخٍ نادى سلامٌ على برجٍ بهِ غابَ الشِّهابُ

وقال تاريخاً لضريح مريم بنت بطرس ياردسنة ١٨٦١

يا بنتَ بُطرُسِ ياردَ البكرَ التي بالطُهرِ حقَّ لها النعيمُ الأعظَمُ
في العرشِ محفلُكِ المؤرَّخُ طاهرٌ نادى قد اجتمعتْ ببُطرُسَ مريمُ

وقال تاريخاً لضريح نعمة الله زخور سنة ١٨٦١

يا نعمةَ اللهِ زَخُّورُ احتضنتَ هنا متري الذي كُنتَ منهُ ترتجي خلفا
دعاكَ شوقٌ اليهِ فالتحقتَ بهِ مُستعجلاً وعليهِ بتَّ منعكفا
غُصنٌ نضيرٌ نشا من أصل مكرُمةٍ قبلَ البلوغِ اتاهُ البينُ مختطفا
في تُربةٍ قُلتُ لمَّا أرَّخوهُ بها يا ويحَ قلبي على غُصنٍ قد انقصفا

وقال تاريخاً لوفاة اندراوس الضبّاط سنة ١٨٦١

لاتجزعوا يا بني الضبّاطِ واصطبِروا لفقدِ شخصٍ جميل القولِ والعملِ

Digitized by Birzeit University Library

قد كانَ غُصناً نضيراً في شَبِيبَتِهِ فخانَهُ ٱلبينُ في قصفٍ على عجَلِ
مضَى الى ربِّهِ ٱلغفَّار مُبتَهجاً فنالَ ما كانَ يرجوهُ من الأَمَلِ
هُناكَ أَقلامُ ذي ٱلتاريخِ قد رَقَمتْ إِنَّ أندراوُسَ قد أُحصي مَعَ ٱلرُّسُلِ

وقال مؤرخاً وفاة نقولا زغيب سنة ١٨٦١

لقد أَبقى نقولا حينَ وَلَّى لنا أَسفاً الى أَسفٍ يُضافُ
وأَودَعَ في قلوبِ بني زُغَيبٍ غُموماً لا يُخالُ لها ٱنكشافُ
ولمَّا حلَّ في فِرْدَوْسِ ربٍّ وقامَ لهُ بتَسْبِحةٍ هُتافُ
جرَى تاريخهُ حالاً فنادَى انا عِندَ الكريمِ فلا تَخافوا

وقال تاريخاً لضريح يوسف عطآء سنة ١٨٦١

ابكَى عيونَ بني عطآءٍ راحلٌ بفضائلِ ٱلنفس الزكيَّةِ يُوصَفُ
صَرَفَ الحياةَ وما شكا أَحدٌ لهُ قولاً ولا عَمَلاً عليهِ يُعنَّفُ
قد صارَ كالذَّهَبِ المصفَّى جوهراً لتَمامِ عُمرٍ طالَ فيهِ ٱلموقِفُ
نالَ الخلاصَ فقُلتُ في تأْريخهِ من سِجنِ مِصرِ الأَرضِ أُطلِقَ يُوسُفُ

وقال تاريخاً لوفاة الياس النجار سنة ١٨٦١

لا تَجزَعوا يا بني النجَّارِ واصطبِروا لفَقْدِ حيٍّ قفَا آثارَ سابقِهِ
يقولُ اذ بشَّرَ ٱلتأْريخُ فاقِدَهُ الياسُ في ٱلعرشِ حيٌّ عند خالقِهِ

وقال تاريخاً لضريح سليم عطآء الله سنة ١٨٦٢

ضريحٌ حلَّ فيهِ كريمُ قومٍ دَعاهُ اليهِ مَولاهُ ٱلكريمُ

Digitized by Birzeit University Library

فقُلْ لبني عطاء الله صبراً ... على كأسٍ يغصُّ بها النديمُ
الى دار السلامِ مضى امينًا ... بحفظِ اللهِ يشملُهُ النعيمُ
فقلتُ مبشّرًا لمؤرّخيهِ ... بتلك الدار محفوظٌ سليمُ

وقال مؤرخًا زفاف يوسف نصر سنة ١٨٦٢

لا بدَّ في الناسِ للأسماءِ من أثرِ ... كيوسُفِ النصرِ فانظرْ موضعَ النظرِ
قد نالَ من يوسُفٍ معنى الجمالِ كما ... حوى من النصرِ معنى الفوزِ والظفرِ
كريمُ قومٍ لقد باتتْ قرينتهُ ... كريمةً من ذواتِ الحُسْنِ والخفرِ
في طالعٍ قالَ تأريخُ السعودِ بهِ ... في منزلِ البدرِ حلّتْ نجمةُ السحرِ

وقال تاريخًا لضريح جرجس طراد سنة ١٨٦٣

هذا الذي أعطى ملئكةَ السما ... نفساً مكرَّمةً وفاتَ لنا الجسدْ
ناحت عليهِ بنو طرادٍ حسرةً ... وتأسّفتْ لفراقهِ كلُّ البلدْ
قد حلَّ في هذا الضريحِ مجاورًا ... رحماتِ ربٍّ ليسَ يحصيها عددْ
وعليهِ تأريخٌ يدومُ مسطّرًا ... بيروتُ تلهجُ باسمِ جرجسَ للأبدْ

وقال تاريخًا لضريح الاميرة صفا الشهاب سنة ١٨٦٢

في التُّربِ من آلِ الشهابِ اميرةٌ ... بحلولها هذا الضريحُ تشرّفا
حوتِ النعيمَ فقالَ تأريخي بها ... باتت صفا بجوارِ شمعونَ الصفا

وقال مؤرخًا وفاة انطون طعمة سنة ١٨٦٢

تسقي ثرى أنطونِ طُعمةَ رحمةٌ ... اذ كان في الدُّنيا يرقُّ ويرحمُ

Digitized by Birzeit University Library

قد كان من أَهل الكَرَامةِ والتُّقَى والبِرِّ والعِرضِ الذي لا يثلمُ
صَرَفَ الحيـاةَ بسيرةٍ محمودةٍ ورَعًا فحقَّ لهُ النعيمُ الأَعظَمُ
ومَنِ ابتدا بالخيرِ منذُ صبآئِهِ فكما نوَّرخهُ بخيرٍ يختمُ

وقال مؤرخًا بناء دار يوسف الجدي سنة ١٨٦٢

ليُوسُفَ ابنِ الجُدَيِّ اليومَ قدعَمرَت دارٌ مُبارَكةٌ دارَ الهنـا فيها
بَلابِلُ الأُنسِ تَشدو في جوانبِها وأَنجُمُ السَّعدِ تزهو في أَعاليها
فريدةٌ في ديار الشرقِ شيَّدها فريدُ ذاتٍ بهِ طابت لياليها
فكانَ تأْريخها منّي الدُّعآءَ لهُ دامت ودامَ بحِفظِ اللهِ بانيها

وقال تاريخًا لوفاة روفائيل الفكاك سنة ١٨٦٢

أَخلَى دِيارَ بني الفكَّاكِ منتقلاً الى ديارٍ بها قد نالَ ما طَلَبا
وباتَ لمـا قَضَى تاريخهُ أَجَلاً في مَوقِفِ العرشِ روفائيلُ مُنتصِبا

وقال تاريخًا لضريح كاتبة بنت موسى بسترس سنة ١٨٦٢

زُرْ قبرَ كاتبةَ الكريمةِ انها اهلُ الكَرامةِ بنتُ موسَى بُسْتُرُسْ
وانظُرْ لَدَى تاريخها نُورًا بـهِ سَكَبَتْ عليها نعمةُ الرُّوحِ القُدُسْ

وقال تاريخًا لضريح الامير مسعود الشهاب سنة ١٨٦٢

هذا الاميرُ الشهابي بعدَ فُرقتهِ طالت ليالي أَبيهِ يُوسُفَ السُّودُ
في رسم تأْريخهِ نادَى مُسطِّرُهُ إِنَّ الذي سكَنَ الفِردَوسَ مَسعودُ

وقال تاريخًا لضريح يوسف ساروفيم سنة ١٨٦٢

من آلِ ساروفيمَ بدرٌ غابَ في لحدٍ بحُكمِ القادرِ الخلاَّقِ

Digitized by Birzeit University Library

غُصنٌ أَتاهُ البينُ في شَرْخِ الصِّبا ... بالقَصْفِ عندَ نَضارةِ الأَوراقِ
نادَى أَباهُ داعياً لجوارِهِ ... فأَجابهُ من كَثْرَةِ الأَشواقِ
وأَتاهُ بالتأْريخِ يُنشِدُ باكياً ... يَفنَى الزَّمانُ وذِكرُ يُوسُفَ باقِ

وقال تاريخاً لضريح جبران يارد سنة ١٨٦٣

من آلِ يارِدَ في هذا الضريحِ فتًى ... قد كانَ في دارِهِ رُوحاً وريحانا
سقاهُ داعي المنايا من مَوارِدِهِ ... كأْساً فراحَ بتلكَ الكأْسِ سكْرانا
لمَّا مَضَى نحوَ بارِيهِ عَلَى عَجَلٍ ... وهدَّ من فَقْدِهِ للأَهلِ أَركانا
ناداهُ رسمٌ من التأْريخِ قُلتُ بهِ ... يا كاسِرَ القلبِ قد سُمِّيتَ جبرانا

وقال تاريخاً لضريح بطرس السماط سنة ١٨٦٣

أَمسَى برحمةِ ربِّهِ مُتوشِّحاً ... رَجُلٌ عليهِ بنو السِّماطِ تحسَّروا
فِي مَضجَعٍ كَتَبَ المؤرِّخُ حولَهُ ... قد باتَ عندَ الرُّسْلِ بطرسُ فابْشِروا

وقال تاريخاً لضريح يوسف ثابت سنة ١٨٦٣

وَجبَتْ زِيارةُ تُربةٍ مبرورةٍ ... في طيِّها شخصُ الكَرامةِ بائتُ
قد أَثبتَ التاريخُ فيها أَنَّهُ ... في مَنزِلِ الأَبرارِ يُوسُفُ ثابتُ

وقال تاريخاً لضريح سعد غندور سنة ١٨٦٣

سعدُ غندورَ الصالحُ اليومَ أَمسَى ... في ضريحٍ بحُكمِ ربِّ البرايا
ان تكنْ من مؤرِّخيهِ فحرِّر ... صارَ سعْدُ السُّعودِ سعدَ الخَبايا

وقال مؤرخاً وفاة الشيخ يوسف حبيش سنة ١٨٦٣

أَبكَى الشُّيوخَ بني حُبيشٍ راحلٌ ... نالَ الخلاصَ ببرِّهِ وسلامِهِ

Digitized by Birzeit University Library

ولَقد رَوَى تاريخُنا من قبلِهِ بالبرِّ يُوسُفُ نالَ حُسنَ ختامِهِ

وقال مؤرخًا ميلاد غلام لبعض اصحابه سنة ١٨٦٣

قد سرَّ يُوسُفَ وفدُ جبريلَ الذي بكَرامةِ البُشرَى أَجادَ وأَحسَنا
فأَفادَنا التاريخُ صدقَ كلامِهِ جبريلُ بَشَّرَ بالمَسَرَّةِ والهنا

وقال مؤرخًا ميلاد ميخائيل بن يوسف نصر سنة ١٨٦٣

ليُوسُفَ نصرَ قد وافَى غُلامٌ فقالَ الناسُ رَبِّي زِدْ وبارِكْ
وراموا نظمَ تأْريخٍ فقالوا بميخائيلَ تبتهجُ المَلائِكْ

وقال مؤرخًا اطلاق عذار صديق له سنة ١٢٧٠

أَبدَى الحُسَينُ لنا العِذارَ فَقُلْ لهُ إِنَّ الليالِيَ مَطلعُ الأَقمارِ
ولَقد نَرى في فيكَ شَهْدَ فَصاحةٍ أَرِّخ يحومُ عليهِ نملُ عِذارِ

وقال مؤرخًا وفاة توما الحدّاد سنة ١٨٥٩

فارَقتَ ربعَ بني الحدَّادِ منتقلاً عنهم الى جنةٍ أَبقَتْ لهم جَسَدَكْ
فقيلَ قِفْ وَسْطَ دارٍ أَرَّخوكَ بها وانظُرْ بعينكَ يا توما ومُدَّ يَدَكْ

وقال مؤرخًا بناء المدرسة العُبَيدية في مدينة القاهرة

بنو عُبَيدٍ اقاموا اليومَ مدرسةً تهدِي الى العِلمِ والآدابِ والرَّشَدِ
مَنارةٌ في ضواحي مصرَ مُشرقةٌ تُعيدُ ما قد مَضَى من سالفِ الأَمَدِ
قامَت تُشيرُ الى الطُلَّابِ هاتفةً بُشرَى لكم باحتضانِ الأُمِّ للوَلَدِ
وفوقَ بابٍ لدَى تأْريخِهِ وُضِعَتْ أَرَّخْتُ يُنقَشُ تذكارٌ الى الأَبدِ

١٢٧٦ ١٨٦٠

Digitized by Birzeit University Library

وقال مؤرخًا انشاء سلك البرق حين نصبه فؤاد باشا من بيروت الى دمشق سنة ١٢٧٧

قد سخَّرَ البرقَ الذي راحاتُهُ ... في أرضنا سُحُبٌ ونائلُهُ مطَرْ
برقٌ سَرَى من غيرِ رَعدٍ مُخبِرًا ... مَعَ صمتِهِ بأقلَّ من لمحِ البَصَرْ
اكلَ الطريقَ فكانَ أوَّلُ مُضغةٍ ... بيروتَ والأُخرَى دِمَشْقَ على الأثَرْ
لو كانَ بينَ الشمسِ والقمرِ استوَى ... يومًا لكانت تُدرِكُ الشمسُ القمرْ
جادَ الفؤادُ بنصبِهِ ليتمَّ ما ... يَسعَى بهِ في الأرضِ من نفعِ البَشَرْ
أعطَى الهنَا للناسِ مَن مولاهُ قد ... أعطاهُ في تأريخِهِ أهنِي الظَفَرْ

وقال يهنئهُ باضافة مناصب اخرى الى منصبهِ سنة ١٢٧٨

هذا فؤادُ الدولةِ السامي الذي ... رُدِفَت مراتبُ مجدِهِ بمراتبِ
هُوَ أهلُ ذاكَ وفوقَ ذاكَ الى مدًى ... ما ليسَ يستوفيهِ ضربُ الحاسبِ
كالبحرِ يحملُ كلَّ ما في الارضِ من ... سُفُنٍ ويفضُلُ منهُ أعظمُ جانبِ
زادت مراتبُهُ ثلاثًا فوقَ ما ... كانت عليهِ وذاكَ عينُ الواجبِ
كالشمسِ حلَّت من ذُرَى تأريخها ... أوجًا فصاحبَها ثلاثُ كواكبِ

وقال تاريخًا لضريح جرجس الصباغ سنة ١٨٦١

هذا الضريحُ لجُرجُسِ الصبَّاغِ قد ... أبقَى رميمَ الجسمِ فيهِ قاطِنا
ذاكَ الكريمُ الفاضلُ الشهمُ الذي ... قد كانَ في كلِّ الفضائلِ راهِنا
في يومِ عيدِ الشيخِ سِمعانَ ارتقَى ... شيخًا وكان لهُ هُناكَ مُقارِنا
فأشارَ معهُ لمن يؤرِّخُ عامَهُ ... قد أبصرَتْ عيني خلاصَ إلهِنا

Digitized by Birzeit University Library

وقال مؤرخاً وفاة جرجس كتسفليس الطرابلسي وقد توفي في بيروت سنة ١٨٦١

لقد لبّى ابنُ كَتْسَفْلِيسَ لمّا ... دعاهُ اليهِ خالقهُ العظيمُ
بعيدِ سميّهِ كان انتقالٌ ... لهُ وكذاكَ مولدُهُ القديمُ
عزيزٌ عندنا ما زالَ معْهُ ... عزيزاً حيثُ ضمّهما النعيمُ
قد افتخرَت بهِ بيروتُ لمّا ... ثوَى فيها لهُ جسدٌ كريمُ
وقالت إذ لنا التأريخَ أهدَت ... لجُرجُسَ عندنا ذِكرٌ يدومُ

وقال تاريخاً لضريح الامير اسعد اللمعي سنة ١٨٦٣

هذا اميرُ المجدِ ذو اللمعِ الذي ... من قبلهِ في وجهِ موسى يُعهَدُ
قد كانَ في الدُّنيا فريدَ زمانهِ ... في كلِّ معنًى والخلائقُ تشهَدُ
يا بدرَ نورٍ في بياضِ تمامهِ ... جلَبَ الخُسوفَ عليهِ يومٌ أسوَدُ
سَمَوكَ من تأريخِ بُرجِكَ أسعداً ... واليومَ حظُّكَ عندَ ربّكَ أسعَدُ

وقال تاريخاً لضريح ابرهيم العوراء سنة ١٨٦٣

لاتجزعوا يا بني العوراءِ واصطبروا ... لفَقْدِ ذُخرٍ لكم بالأمس قد فُقِدا
من فوقهِ أحرُفُ التاريخِ ناطقةٌ ... في طاعةِ الله ابرهيمُ قد رَقَدا

وقال مؤرخاً وفاة عبد الله الخوري سنة١٨٦٣

لكم يا بني الخوري عزاءٌ وسلوةٌ ... بما أنَّ عبدَ اللهِ قد باتَ عِندَهُ
لقد جرَحَ الأكبادَ عندَ فراقهِ ... وليسَ لها طِبٌّ سوى الصبرِ بعدَهُ
كريمٌ ثوَى في مضجعٍ ذي كرامةٍ ... سقَى اللهُ من اعلى السماواتِ لحدَهُ

Digitized by Birzeit University Library

قدِ اختارهُ للفوزِ أَرّخ بملكهِ ولا شكَّ أنَّ اللهَ يختارُ عبدهُ

وقال مؤرخًا وفاة داود عيسى الحلو سنة ١٨٦٣

قد باتَ داودُ عيسى الحلوِ في حُلَلٍ بيضٍ وباكيهِ في اثوابهِ السُّودِ
فقلتُ في نظمِ تأريخٍ لعُصبتهِ يدومُ في آلِ عيسى ذِكرُ داوُد

وقال تاريخًا لضريح فرنسيس جسطر سنة ١٨٦٣

هذا فرَنسيسُ ابنُ جسْطرَ قد مَضى في التسعِ والعشرينَ من عُمرٍ سلَفْ
قد كانَ بينَ بني الكرامِ كدُرَّةٍ واليومَ صارَ لهُ ضريحٌ كالصدفْ
زُرْ قبرَهُ يا أيُّها الباكي ونُحْ أسفًا على ثاوٍ يحقُّ لهُ الأسفْ
واذا أردتَ كتابةَ التأريخِ قُلْ غصنٌ لواهُ البينُ يومًا فانقصفْ

وقال تاريخًا لضريح انجلينا بنت التيّان سنة ١٨٦٣

لمَّا طوَت أنجلينا دارُ غربتها أجرَتْ دُموعَ بني التيّانِ كالمطرِ
بِكرٌ مطهَّرةٌ نادى مؤرّخها قد غابَ في طيِّ رمسٍ كوكبُ السَّحرِ

وقال تاريخًا لضريح جرجي كريش سنة ١٨٦٢

مَضى جرْجي كُريشَ الى ضريحٍ كساهُ اللهُ أنوارَ الجنانِ
فتًى قد نالَ من دُنياهُ عُمرًا الى العشرينَ يتلوها ثمانِ
تقارَنَ بالعروسِ فما استطالتْ على النجمَينِ أيّامُ القِرانِ
وخانتهُ المنايا حينَ وافتْ لدَى التأريخِ نقصفُ غصنَ بانِ

وقال تاريخًا لبناء دار داود عيسى سنة ١٨٦٣

داودُ عيسى بنى دارًا مُبارَكةً في طالعٍ حسَنِ الاقبالِ مسعودِ

Digitized by Birzeit University Library

أَبانَ تأْريخَها عامٌ نقولُ بهِ مُبارَكاً لم تزَلْ يا بيتَ داوُدِ

وقال مؤرخاً بناءَ كنيسة سنة ١٨٦٣

للبِكرِ مريمَ بِيعةٌ معمورةٌ قامت بتوفيقِ اليمينِ القادرَهْ
فادخلْ اليها في الصَّباحِ مؤرّخاً وقُلِ الشفَّاعةَ أَرتجي يا طاهرَهْ

وقال تاريخاً لضريح يوسف ساروفيم سنة ١٨٦٣

اليومَ قد وَرِثَ المُلكَ المُعدَّ لهُ كريمُ نفسٍ لهذا الحظِّ قد خُلِقَتْ
في مَضجعٍ قالَ بالتاريخ زائرُهُ في المُلكِ عادةُ قُسطَنطينَ قد سبَقَتْ

وقال وقد سئل تاريخاً يكتب على صورة للطران اغابيوس مطران بيروت سنة ١٨٦٣

أَغابيُسْ حبرُنا الباني لنا بِيَعاً مَعَ المدارسِ تاجُ المجدِ كلَّلهُ
قالت عِبارةُ تأْريخٍ تَصحُّ بهِ لهُ مِثالٌ ولكن لا مثيلَ لهُ

وقال مؤرخاً وفاة سعيد باشا عزيز مصر سنة ١٢٧٩

ذَهَبَ السعيدُ عزيزُ مِصرٍ طالباً عرشَ السماءِ فسادَ في الحالَينِ
في تُربةٍ كتبَ المؤرّخُ فوقها نالَ السعيدُ سَعادةَ الدارَينِ

وقال تاريخاً لضريح الاميرداود اللمعي سنة ١٨٦٤

تَشرَّفَت واستنارَتْ تُربةٌ بفتىً كالبدرِ من أُمَراءِ اللمعِ مفقودِ
كسا أَباهُ الأَميرَ المُصطفى حُلَلاً منسوجةً من ليالي حزنِهِ السُّودِ
معدودُ عُمرٍ مع العشرينَ أَربعةٌ أَبقى لنا عُمرَ حزنٍ غيرَ معدودِ
قالت عِبارةُ صِدقٍ أَرَّخوهُ بها هيهاتَ في الدهرِ ننسى ذِكرَ داوُدِ

وقال مؤرخاً اطلاق عذار صديق له سنة ١٢٨٠

أَبهى عِذارٍ لعبدِ القادرِ انتشرَتْ فيهِ نوافجُ مِسكٍ صُنعُ رَحمانِ

Digitized by Birzeit University Library

أَبدَى لنا وَجنةً كالوردِ ناضرةً أَرّخْ فدارَ عليها خطُّ رَيحانِ

وقال تاريخًا لضريح مصطفى ابي الغوش سنة ١٢٨٠

زُرْ ضريحَ المُصطفَى وادعُ لهُ تالياً من فوقهِ وردَ السَّحَرْ
علَمٌ من نسلِ ابرهيمَ قد حجَّ بيتَ اللهِ نُسكًا واعتمَرْ
تَرَكَ الدنيا وأَبقَى حَسْرةً لبني الغوشِ كما شاءَ القدَرْ
يومَ عيدِ النحرِ وَلَّى راحلاً وهو للأَكبادِ ضحًّى ونَحَرْ
رحمةُ اللهِ على تربتهِ ولهُ اللهُ بتأْريخٍ غفَرْ

وقال مؤرخًا ميلاد غلام ليوسف بن نعمة الله فياض سنة ١٨٦٤

لقد أَتانا غلامٌ طابَ مَولِدُهُ بوَجْهِهِ عن جمالِ البدرِ يُعتاضُ
من نعمةِ اللهِ ألطافٌ مُؤَرَّخةٌ فيها ليُوسُفَ ميخائيلُ فيَّاضُ

وقال تاريخًا لضريح حبيب الغزال سنة ١٨٦٤

امسَى الحبيبُ ابنُ الغزالِ منعَّمًا في مجدِ فِردوسٍ اليهِ قد ارتقَى
فتقدَّمَ التأْريخُ فيهِ مُنادياً هذا الحبيبُ معَ المسيحِ قدِ التقَى

وقال مؤرخًا سبيل ماء اجراهُ السيد حسن ابو دية سنة ١٢٨٠

أَجرَى ابو الديَّةِ الخيَّاطُ مكرُمةً سبيلَ ماءٍ عليهِ الأَجرُ مقصودُ
يا منهلاً قالَ بالتأْريخِ ناهلُهُ من شِيمةِ الحَسَنِ الإحسانُ والجودُ

وقال مؤرخًا بناء كنيسة سنة ١٨٦٤

بيتٌ لإيليـا بُنِي بعنايةٍ من نَجمِ عسَّافَ الذي فيهِ سعَى
ولقد كتبتُ مؤَرِّخًا في بابهِ يا حيُّ كُنْ بخلاصِنا مُتشفِّعا

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخاً لضريح حوّاء بنت مسعد سنة ١٨٦٤

لإبنةِ مَسعدٍ حوّا ضريحٌ ... بفَيضِ مراحمِ ٱلباري تَروّى
مَضَت فكما نُؤَرّخُ قيلَ حقّاً ... قد ٱرتجعت الى ٱلفِردَوسِ حوّا

وقال تاريخاً لضريح مرتا امرأة يوسف التويني سنة ١٨٦٤

تَرَكَت ديارَ بني ٱلتُوَيني وٱلتَقَت ... منهم بيُوسُفَ بَعلِها ٱلمتقدّمِ
قامَت بطاعةِ رَبِّها فتمتّعَت ... بجمالِ فِردَوس ٱلنعيم الأَعظَمِ
فأَصابَ تأْريخي بمرتا أنّها ... نالت نصيباً صالحاً معَ مريمِ

وقال تاريخاً لبناء قاعة الجمرك في بيروت سنة ١٢٨١

في عهدِ عبدِ ٱلعزيزِ ٱلمُستغاثِ بهِ ... قامت لنا قاعةٌ تَسعَى لها الأُمَمُ
بدا لمَن أَرّخوها طيبُ مَجلِسِها ... لمّا تجاوَرَ فيها ٱلنُونُ وٱلقَلَمُ

وقال مؤرخاً بناء دار لبعض اصحابه سنة ١٢٨١

هذا مَقامٌ لأبنِ أَحمَدَ قد حكى ... بُرجاً تجلّى فيهِ ضوءُ ٱلفَرقَدِ
وملائكُ ٱلمولى بتأْريخٍ لهُ ... نقرا ٱلسّلامَ عَلى مَقامِ مُحمّدِ

وقال تاريخاً لضريح الامير مراد اللمعي سنة ١٨٦٤

هذا الاميرُ مُرادُ اللمعِ قبّتُهُ ... كالبُرجِ مِنْ فلَكٍ أَمسَى بهِ ٱلقَمَرُ
تقولُ للزائرِ ٱلباكي مؤرّخةً ... مولايَ هذا مُرادُ اللهِ فاعتبِروا

وقال تاريخاً لضريح الشيخ سلمان تلحوق سنة ١٢٨٢

زُرْقبرَ سَلمانِ تلحوق الذي ٱشتهرَت ... أَلطافُهُ وعليها الجودُ بُرهانُ
شيخُ ٱلتُقى عُمدةُ العُقّالِ مَنزِلُهُ ... مَضافةٌ ليسَ تخلو منهُ ضيفانُ

Digitized by Birzeit University Library

قد كانَ في الدينِ والدُّنيا عَلَى ثِقَةٍ من ربِّهِ وعليهِ منهُ رِضوانُ
حتَّى قَضَى والى المولى مَضَى فاذا أَرَّخْتَ قُلْ عندَ مَولَى الخَلقِ سَلْمانُ

وقال تاريخاً لضريح الشيخ محمود تلحوق سنة ١٢٨٢

أبكي الشيوخَ بني تلحوقَ مرتحلٌ منهم كريمٌ من الأَشرافِ معدودُ
ناحَت عليهِ جيادُ الخيلِ عابسةً والسيفُ والضيفُ والإكرامُ والجودُ
عزيزُ قومٍ شديدُ البأسِ مقتدرٌ عظيمُ شأنٍ لهُ بالفضل مشهودُ
وأَسطُرُ اللوحِ من تأريخهِ نَطَقَت محمودُ عند كرامِ الناس محمودُ

وقال تاريخاً لضريح الشيخ يوسف عبد الملك سنة ١٢٨٢

يُوسُفُ الشيخُ الرفيعُ الشانِ من آلِ عبدِ المَلِكِ القومِ الكِرامْ
كانَ أَقوَى عُمدَةٍ في قومهِ بينَ كُلِّ الناسِ مرفوعَ المَقامْ
عاشَ محمودَ الثَّنا حتَّى ثَوَى تُربةً فيها أُخفِيَ بدرُ التَّمامْ
قيلَ إذ تأريخهُ يُروَى بها رَحمةُ المَولَى عليهِ والسَّلامْ

وقال تاريخاً لضريح عبد الله شقير سنة ١٨٦٥

نادَى الشُّقَيريُّ عبدُ اللهِ حينَ مَضَى هذا الذي كلُّ نفسٍ سوفَ تَلْقاهُ
قد عاشَ في الناس محموداً عَلَى ثِقَةٍ وقارَنَ الدِّينُ في الإقبالِ دُنياهُ
أَرضَى الالهَ بمَسْعاهُ وسيرتِهِ في الارضِ واللهُ في الفِردَوسِ أَرضاهُ
فمَنْ يَزُرْ قبرَهُ ممَّن يؤَرِّخهُ يكتُبْ بهِ أُختارَ عبدَ اللهِ مولاهُ

وقال مؤرخاً زفاف الامير سعيد اللمعي سنة ١٨٦٥

دارُ الامير سعيدِ اللمعِ قد سَعِدَت بغُصنِ بانٍ فيا بُشراهُ بالثَّمَرِ

Digitized by Birzeit University Library

ويا لها ليلةً نادَى مؤَرّخُها سعدُ السعودِ اقترانُ الشمسِ والقمرِ

وقال مؤرخاً بناءَ كنيسة سنة ١٨٦٥

أنشا لإيليا الغيورِ كنيسةً شعبٌ لهُ منهُ الشفاعةَ يرتجي

فكتبتُ قولَ مؤرّخيهِ ببابها يا حيُّ شعبُكَ تحتَ سيفكَ يلتجي

وقال تاريخاً لضريح انطون الفيعاني سنة ١٨٦٥

هذا ابنُ ابرهيم فيعاني الذي كانت كقلبِ أبيهِ صفوةُ قلبِهِ

فُجِعَتْ بهِ بيروتُ مسقطُ رأسِهِ وبكَت عليهِ دِمشقُ موقعُ تُربِهِ

قد حلَّ في هذا الضريح بجسمِهِ والنفسُ في روض النعيمِ وخصبِهِ

فنقشتُ في اللوحِ المؤَرَّخِ راسماً سكَبَتْ عَلَى أنطونَ رحمةُ ربِّهِ

وقال تاريخاً لضريح حنا سلامة سنة ١٨٦٥

حنَّا سَلامةَ بالسَّلامة قد مضَى لنعيمِ ربٍّ في حماهُ قد سعِدْ

ما زالَ من أهل الكَرامةِ والتُّقى يَسعَى بما يَرضَى الالهُ ويجتهِدْ

قد حلَّ في قبرٍ ملئكةُ السما نَشَرَت عليهِ لِواءَ نُورٍ قد عقَدْ

من فوقهِ التأريخُ جهرًا ناطقٌ انَّ المسيحَ بفضلِ يوحنَّا شَهِدْ

وقال تاريخاً لضريح منّة بنت مقصود سنة ١٨٦٥

توارَت منّةُ المقصودِ عنا كبدرٍ قد توارَى بالسحابِ

وكانت غُصنَ بانٍ قبلَ بينٍ أتاها خاطفاً مثلَ الشّهابِ

فباتت في ضريحٍ قامَ يرثي بهِ التأريخُ غُصناً في التُّرابِ

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخًا لضريح نخلة فرح وقد توفي بالداء المعروف بالريح الاصفر سنة ١٨٦٥

يا مَن أغارَ عليهِ ريحٌ أصفرٌ ... كم من غُصونٍ بالرياحِ تقصَّفَتْ
حوَّلتَ وا أسفا بني فرحٍ الى ... حُزنٍ لهُ كلُّ القلوبِ تلهَّفَتْ
يا نخلةً ذهبَتْ بلا ثمرٍ نرى ... كلَّ العبادِ على صباكَ تأسَّفَتْ
ونراكَ في اللحدِ المؤرَّخِ شمعةً ... وَرَدَ الهوى يوماً عليها فانطفَتْ

وقال تاريخًا لضريح لطوف العكاوي سنة ١٨٦٦

زُرْ قبرَ لطُّوف عكَّاوي الكريمِ وقُلْ ... يا أيُّها القبرُ يسقيكَ النَّدى سَحَرا
وانظُرْ على اللوحِ تأريخًا نقولُ بهِ ... بلُطفِ مولاهُ لُطفُ اللهِ قد ظفِرا

وقال مؤرخًا بناء كنيسة سنة ١٨٦٥

لقد شادَها الحبرُ الجليلُ أغابيُسْ ... يرومُ بها من ربِّهِ الفوزَ بالأجرِ
فبادِرْ اليها في الصباحِ مؤرِّخًا ... وأهدِ بها أزكى سلامٍ الى الخِضْرِ

وقال تاريخًا لضريح يوسف عسكر سنة ١٨٦٥

يا ويحَ يوسُفَ عسكرَ الغُصنِ الذي ... قصَفَتهُ أيدي البينِ أخضرَ ناعِما
ولَّى وأبقى حسرةً لا تنقضي ... ومناحةً تعلو ودمعاً ساجما
يا لابساً بيضَ الثيابِ مكفَّناً ... ومقلِّداً سودَ القلوبِ خواتِما
لكَ مضجعٌ كتبَ المؤرِّخُ فوقَهُ ... في مصرَ يبقى ذِكرُ يوسُفَ دائِما

وقال تاريخًا لضريح سارة بنت المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٦

في حِضنِ ابرهيمَ سارةُ أصبحَت ... بكرٌ بصدرِ العامِ كان مماتُها
محمودةُ الأوصافِ بُستانيَّةٌ ... قد صارَ في روضِ الجِنانِ نباتُها

Digitized by Birzeit University Library

لمّا ٱستعدّت للرحيلِ تهلّلت شوقًا الى دارٍ يدومُ ثَباتُها
قالت مؤرّخةً بحَسْبِ صَلاحِها موتُ ٱلنفوسِ ٱلصالحاتِ حَياتُها

وقال مؤرّخًا وفاة خليل مسدّية الدمشقي سنة ١٨٦٦

عزيزُ بني مُسدّيةٍ جميلٌ يحقُّ لفَقدِهِ ٱلصبرُ الجميلُ
دعاهُ اليهِ خالقُهُ فلبّى مُطيعًا حينَ ناداهُ الرسولُ
بعامٍ أَنشدَ ٱلتأْريخُ فيهِ الى باريهِ قد ذَهَبَ الخليلُ

وقال تاريخ لوفاة نصر الله الخوري سنة ١٨٦٦

لكم يا بني الخوري ٱلبَقا بعد راحلٍ عَلَى فَقْدِهِ يُستوجَبُ ٱلصبرُ فاصبروا
أَقامَ بدارِ الخُلدِ بينَ ملائكٍ لهُ فتحوا أَبوابها وتصدّروا
وأَوحَى اليهم حينَ أَرّخَتُ ربُّهُ لقد جآءَ نصرُ الله والفتحُ فابشروا

وقال مؤرخًا بناء المدرسة البطريركيّة في بيروت سنة ١٨٦٦

أَنشا غريغوريُسْ للعلمِ مدرسةً بالبطركيّةِ ندعوها عَلَى ٱلنَّسَبِ
تقولُ أَرقامُ عامٍ ارّخوهُ بها من كوكبِ ٱلشرقِ لاحت زُهرةُ ٱلأَدَبِ

وله فيها ايضًا وفيه ثلاثة تواريخ

في ظِلِّ سُلطاننا عبدِ ٱلعزيزِ بنى للعِلمِ دارًا إمامُ ٱلفضلِ والكَرَمِ
اعني غريغوريُسْ راعي الرَّعاة لنا والبطريركَ الكريمَ ٱلنفسِ والشِّيَمِ
أَقامَها ويمينُ الله تعضُدُهُ منارةً أَشبهَت نارًا عَلَى عَلَمِ
فانظُرْ ترى طيَّها تأْريخَ مدرسةٍ في أُمّةِ ٱلشرقِ كالمِصباحِ في ٱلظُّلَمِ

١٨٦٦ ١٨٦٦ ١٢٨٣

Digitized by Birzeit University Library

وقال تاريخًا لضريح جرجي اللادقاني سنة ١٨٦٦

زُرْ قبرَ جرجي الغُلامِ اللاذقي سَحَرًا ... واطلُبْ لقلبِ أَبيهِ صبرَ أَيُّوبِ
كيُوسُفِ الحُسنِ في سِنِّ الثَّمانِ رَمَى ... اباهُ طُنُّوسَ في أَحزانِ يعقوبِ
لا يترُكُ البينُ قلبًا غيرَ مُنكسِرٍ ... منا ولا دمعَ عينٍ غيرَ مسكوبِ
في لوحِ تاريخنا قولٌ اصابَ بهِ ... ما أَطيبَ الصبرَ في وقتِ التجاريبِ

وقال تاريخًا لضريح اسماء زوجة اسعد خلاط سنة ١٨٦٦

أَسما قرينةُ أَسعدَ بنِ خلاطَ قد ... نَوَتِ الرحيلَ فما استطالَ وُقُوفُها
ولأَجلها كَتَبَ المؤرِّخُ راقمًا ... في نحوِ عُمرِ البدرِ كانَ خُسوفُها

وقال مؤرخًا بناء كنيسة سنة ١٨٦٦

أَغابِيسُ أُسقُفُ الكُرسيِّ شيَّدَها ... يَبغي بها الأَجرَ لا حمدًا من البَشَرِ
فاطلُبْ دُعاهُ بتأْريخٍ وقُمْ أَبدًا ... في الصبحِ واسجُدْ أَمامَ اللابسِ الظَّفَرِ

وقال تاريخًا لضريح امرأة الشيخ مرعي الدحداح سنة ١٨٦٦

تركت ديارَ الشيخِ مَرْعي بَعلِها ... ومَضَت الى دار النعيمِ المُزهِرَهْ
تلكَ التي تُدعَى أَمينةَ وَهْيَ من ... كلِّ العُيوبِ امينةٌ مُتطهِّرَهْ
حلَّت عليها رحمةُ اللهِ التي ... تسقي ثراها كالغوادي المُطرِرَهْ
ولكلِّ ما غفَرَت بهِ من هفوَةٍ ... في كلِّ تاريخٍ تَعُمُّ المَغفِرَهْ

وقال مؤرخًا وفاة سليم عيسى سنة ١٨٦٧

ولَّى سليمٌ نحوَ عيسَى جدِّهِ ... والنفسُ طارت نحو عيسَى ربِّهِ

Digitized by Birzeit University Library

قد ذاقَ من كأسِ الخلاص كما اشتهى ماءَ الحياةَ منعَّماً في شُربهِ
فإذا أردتَ لعامهِ التاريخَ قُلْ أعطاهُ ربُّ العرشِ شهوةَ قلبهِ

وقال مؤرخاً زفاف الامير عباس رسلان سنة ١٢٨٣

يا ليلةً من ليالي الطيّبات بها في دارِ عبّاسَ نورُ الحُسنِ قد طلَعا
قد غابَ فيها ضياءُ الشمس عن فلكٍ لكن بتأريخهِ في أرضنا لمَعا

وقال مؤرخاً زفاف السيد محمد دية سنة ١٢٨٣

أبدى محمدُ دَيَّةٍ بزفافهِ يوماً نهارُ العيد منهُ قد استحى
يا حبّذا يومٌ علَى بدرِ الدُّجَى في سعدِ تأريخٍ جلا شمسَ الضحى

وقال مؤرخاً اطلاق عذار خليل افندي ايوب سنة ١٨٦٧

أدارَ خطَّ عذارٍ حولَ وجنتهِ خليلُ أيوبَ سامي المجد والشانِ
فمَن تأمَّلَ لمَّا أرَّخوهُ يرَى في صحنِ ياقوتِ وجهٍ خطَّ ريحانِ

وقال تاريخاً لضريح الامير مجيد الشهاب سنة ١٨٦٧

أعطى الاميرُ المجيدُ اليومَ تربتهُ فخراً بهِ افتخرَت لمَّا بها وُضِعا
قد حلَّ بالجسمِ فيها حينَ جادَ بهِ لها وبالنفسِ أبوابَ السما قرَعا
هذا الشهابُ الذي قد كانَ مرتفعاً في الارضِ واليومَ في أوجِ العُلَى ارتفعا
فاكتُبْ علَى قبرهِ يا مَن يُؤرّخهُ قد غابَ عنا شهابٌ في السما طلَعا

وقال مؤرخاً بناءَ قبَّة لكنيسة دمشق سنة ١٨٦٧

اليومَ قبَّةُ بيتِ القُدسِ قد رُفِعَت نظيرَ قبَّةِ عهدِ اللهِ في القِدمِ
هاتيكَ تُهدَى الضحايا تحتَها بدمٍ وهكذا تمتَ هذهِ دونَ سفكِ دمِ

Digitized by Birzeit University Library

مِظَلَّةٌ فوقها قامت تُظَلِّلُها رايات أَجنحةِ الأَملاكِ كالخيمِ
جمالُها يُبهج الأَبصارَ منظَرُهُ وحولَها تطرَبُ الأَسماعُ بالنَّغَمِ
أَكرِمْ برافِعِها أَنطونَ من رَجُلٍ للشامِ يُنسَبُ محمودًا بكلِّ فمِ
في بابِ سيّدةِ الأَبكارِ قامَ كما أَرَّخْتُ يرجو لديها حُسنَ مُختَتَمِ

وقال مؤرخًا بناء كنيسة سنة ١٨٦٧

من مالِ رُهبانِ الشُّوَيرِ قد ابتُني بيتٌ لإِيليَّا النبيِّ الأَعظَمِ
فادخُلْ حِماهُ وقُلْ لديهِ مُؤَرِّخًا يا حيُّ شَعبَكَ تحتَ سيفِكَ يحتمي

وقال تاريخًا لضريح جرجس البيطار سنة ١٨٦٧

خَلَتْ من جُرجُسِ البيطارِ دارٌ منازلُها تَحِنُّ الى لِقاهُ
دعاهُ ربُّهُ يومًا اليهِ فلبّى طائعًا لمّا دعاهُ
كريمٌ قد ثوَى في طيِّ لحدٍ عليهِ النورُ يهبِطُ من سَماهُ
تقولُ عِبارةُ التأْريخِ فيهِ مراحمُ ربِّهِ تَسقي ثَراهُ

وقال تاريخًا لضريح ميخائيل السكزان سنة ١٨٦٨

صبرًا بني سكّزانَ الأَكرَمينَ على خَطْبٍ لديهِ فُؤادُ الصخرِ يَنصدِعُ
لقد فقدتم كريمًا كانَ جوهرةً بالرُّوحِ تُفدَى ولكن ذاكَ يمتنعُ
قد سارَ عنّا مقيمًا حيثُ لا كَدَرٌ ولا بُكاءٌ ولا حزنٌ ولا وَجَعُ
فصافَحَ اللحدَ تأْريخٌ يقولُ بهِ بين الملائكِ ميخائيلُ مرتفعُ

وقال تاريخًا لضريح الشيخ مرعي الدحداح سنة ١٨٦٨

مَضَى الشيخُ مرعي راحلاً عن دِيارِنا ولكن تهيّا في السماءِ لهُ قَصرُ

Digitized by Birzeit University Library

لِأَولَى بني الدَّحداحِ حُزنًا مُخَلَّدًا يدومُ كما يَبقى لهُ عندهم ذِكرُ
هُمامٌ تلقَّى الحادثاتِ بنفسهِ فتمَّ لهُ من بعدِها المجدُ والفخرُ
إذا زُرتَ مثواهُ فأَرِّخ وقُل بهِ عليكَ الرِّضى والعفوُ يا أَيُّها القبرُ

وقال تاريخًا لضريح الامير محمد رسلان المتوفى بالقسطنطينية سنة ١٢٨٥

محمدُ آلِ رَسلانٍ أَميرٌ ثَوَى في اللَّحدِ كالغُصنِ الرطيبِ
غريبُ الدارِ من لُبنانَ فاعطِفْ عليهِ مُؤَرِّخًا لحدَ الغريبِ

وقال تاريخًا لضريح شرشل بك سنة ١٨٦٩ وهو مما نظمهُ ايام اعتلالهِ

في ضريحِ شَرْشَلَ بَيكٍ باتَ ونفسُهُ عندَ الإلهِ تقومُ في تسبيحِهِ
لِلسبلِ الوزارةِ صاحبُ الشَّرَفِ الذي قد لاحَ كالصُّبحِ اشتهارُ وُضُوحِهِ
أحيا لِما لِبرُوكَ ذِكرًا طالما أَنشاهُ بين حروبهِ وفُتوحِهِ
قد خَلَّفَ في ثاني شُباطَ بمضجعٍ رَوَّى الغَمامُ تُرابهُ بسُفوحِهِ
ونوالُهُ من رَحمةِ اللهِ انجلَت لمُؤَرِّخيهِ تُنيرُ فوقَ ضريحِهِ

وقال تاريخًا لضريح يوسف الجلخ سنة ١٨٦٩

قِفْ عندَ تُربةِ يوسُفِ الجلخِ الذي ما زالَ يَغلِبُ دِينُهُ دُنياهُ
ولذاكَ نالَ خِتامَ خيرٍ فائزًا أَرِّخ برحمةِ ربِّهِ ورِضاهُ

وقال تاريخًا لضريح عباس الباحوط سنة ١٨٦٩

صبرًا بني الباحوط إنَّ فقيدَكم قد باتَ ما بينَ الملائكِ قائما
ولذاكَ قد كَتَبَ المؤَرِّخُ راقمًا عَبَّاسُ في الفِردوسِ أَضحَى باسما

وقال مؤرخًا زفاف موسى افندي فريج سنة ١٨٧٠

نُهدِي التهاني لموسَى والهناءُ لنا بحِفظِهِ من بلايا الدهرِ محروسا

Digitized by Birzeit University Library

نقولُ اذ أعلنَ التأريخُ ذاكَ لهُ بكَ التهاني لشعبِ اللهِ يا مُوسَى

وسُئل تاريخين لقبتين في كنيسة دمشق سنة ١٨٧٠ اوصى ببناء احداها ابرهيم العبسيّ الدمشقيّ وببناء الاخرى يوسف العبسيّ قبل وفاتهما

فقال في تاريخ الاولى

أَوصَى بها من بني العَبْسيِّ منتقلٌ من عهدِ عامٍ الى أَبراجِ أَفلاكِ
من مالهِ بُنيَت فاعتاضَ منزلةً في الأَوجِ فائقةً عن طَوْرِ إدراكِ
كقبَّةِ العهدِ ذاتِ القُدسِ قدرُفعَت نحوَ الأَعالي عَلَى أَعضادِ أَملاكِ
دَعَتْ الى نظمِ تأْريخٍ فقُلتُ بهِ يا قبَّةَ العهدِ ابرهيمُ أَنشاكِ

وقال في تاريخ الثانية

بها يُوسُفُ العبسيُّ أَوصَى لدَى القضا جَمالاً لبيتِ اللهِ قد راقَ شكلُهُ
فتىً من كِرامِ الناسِ قد شاعَ ذِكرُهُ بحُسنِ سجاياهُ كما بانَ فضلُهُ
قضَى عُمرَهُ في طاعةِ اللهِ سالكًا سبيلَ التُّقَى في مَسلكٍ هوَ أَهلُهُ
بَنَى قبَّةً بيضاءَ في الارضِ أَرّخوا وفي القُبَّةِ الزرقاءِ أَضحَى محلُّهُ

وقال تاريخًا لضريح خليل مشاقة سنة ١٨٧٠

بني مشاقةَ صبرًا بعد فَقْدِ فتًى كغُصْنِ بانٍ رطيبِ القَدِّ مَيّاسِ
قد كانَ شَهماً جليلاً في عشائرِنا يُمازِجُ اللُّطفُ منهُ شدَّةَ الباسِ
مَضَى الى ربِّهِ الغفّارِ مرتشفًا من عفوِهِ ورِضاهُ صفوةَ الكاسِ
قالت سطورٌ من التأْريخِ جاءَ بها بُشراكَ أَنتَ خليلُ اللهِ والناسِ

انتهى

Digitized by Birzeit University Library

J7874.A95A17 1904
IRZEIT UNIVERSITY LIBRARY
A00638
00638

Digitized by Birzeit University Library